





دراسات وبحوث

مؤتمر

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

محافظة هرمزگان

«بندر عباس»

١٣٨١ هـ. ش / ١٤٢٣ هـ. ق

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام



الكتاب: دراسات و بحوث مؤتمر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

تأليف: مجموعة من الباحثين

اعداد و مراجعة: اللجنة العلمية للمؤتمر

الموضوع: سيرة و تاريخ

الناشر: مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الكمية: ٢٠٠٠

سنة الطبع: ١٣٨٢ هـ. ش ١٤٢٤ م.

شابك: ٨-٥١-٧٧٥٦-٩٦٤ ISBN: 964-7756-51-8

حقوق الطبع محفوظة

تهران - ص.ب. ٧٣٦٨-١٤١٥٥

هاتف: ٨٩٠٧٢٨٩ (٠٠٩٨٢١) - فاكس: ٨٨٩٣٠٦١ (٠٠٩٨٢١)

أَهْلَ الْبَيْتِ  
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيُزْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
وَيُطَهِّرَكُمُ فَطَهَّرَكُمُ

أَهْلَ الْبَيْتِ  
فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنِّي تَبَارَكُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ  
كِتَابِ اللَّهِ وَعَنْتِي أَهْلُ بَيْتِي  
مَا إِنْ تَمَسَّكُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سادس الأئمة الأطهار من أهل البيت المعصومين الذين نصّ سيد المرسلين صلى الله عليه وآله على خلافتهم من بعده. وند في سنة ( ٨٣ ) هجرية وترعرع في ظلال جده الإمام زين العابدين وأبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وعنهما أخذ علوم الشريعة ومعارف الإسلام. فهو يشكّل مع آيائه الطاهرين حلقات نورية متواصلة لا يفصل بينها غريب أو مجهول، حتى تصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا فهو يغترف من معين الوحي ومنبع الحكمة الإلهية.

وبهذا تميّزت مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي أشاد بناءها الأئمة الأطهار، ولا سيما الإمامان الباقر والصادق عليه السلام، فهي مدرسة الرسالة المحمدية التي حفظت لنا أصالة الإسلام ونقاءه.

وهكذا تبوأ الإمام الصادق عليه السلام مركز الإمامة الشرعية بعد آيائه الكرام وبرز إلى قمة العلم والمعرفة في عصره مرموقاً مهيباً فطاطات له رؤوس العلماء إجلالاً وإكباراً حتى عصرنا هذا.

لقد كان المسلمون وعلماؤهم يرون جعفر بن محمد عليه السلام سليل النبوة وعميد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فهو



الرمز الشرعي للمعارضة التي قادها أهل بيت الوحي عليهم السلام ضد الظلم والطغيان الأموي والعباسي معاً.

كما كان العلماء يرونه بحراً زائحاً وإماماً لا ينازعه أحد في العلم والمعرفة، وأستاذاً فذاً في العلوم التي عرفها أهل عصره والتي لم يعرفوها.

عاش الإمام الصادق عليه السلام الحكم الأموي مدة تقارب (أربعة) عقود كملها الظلم والارهاب والقسوة من بني أمية ضد الأمة الإسلامية بشكل عام، وضد أهل بيت الرسول عليهم السلام وشيعتهم بشكل خاص. وكان من الطبيعي - بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام - أن يكون آل البيت عليهم السلام الطليعة والقيادة المحبوبة لدى الجماهير المسلمة، ومن هنا بدأت فصائل العباسيين تتحرك باسم أهل البيت عليهم السلام وتدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام وخلافة ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد انسحب الإمام الصادق عليه السلام من المواجهة المكشوفة ولم تنطل عليه الشعارات التي كان يستخدمها بنو العباس للوصول إلى الحكم بعد أن ازداد ظلم بني أمية وعتوهم وإرهابهم وتعاضت نعمة الأمة عليهم.

وسقط سلطان بني أمية سنة (١٣٢ هـ)، ثم آلت الخلافة إلى بني العباس، فعاصر الإمام الصادق عليه السلام حكومة أبي العباس السفاح وشرطاً من حكومة المنصور. وانصرف عن الصراع السياسي المكشوف إلى بناء الأمة الإسلامية علمياً وفكرياً وعقائدياً وأخلاقياً، بناءً يضمن سلامة الخط الإسلامي على المدى البعيد بالرغم من استمرار الانحرافات السياسية والفكرية في أوساط المجتمع الإسلامي.

لقد ترعرعت الفرق الإسلامية كالمعتزلة والاشاعرة والخوارج

والكيسانية والزيدية في عصره واشتد الصراع بينها، كما بدأت الزندقة تستفحل وتخرق اجواء المجتمع الاسلامي، فتصدى الإمام الصادق عليه السلام للرد على الملاحدة كما تصدى لمحاكمة الفرق المنحرفة.

واهتم الإمام عليه السلام بإشادة بناء الجماعة الصالحة التي تتحمل مسؤولية تجذير خطأ أهل البيت عليهم السلام في الأمة الاسلامية إلى جانب اهتمامه ببناء جامعة أهل البيت الاسلامية، والتي تتولى تخريج العلماء في مختلف فنون المعرفة لا سيما علماء الشريعة الذين يضمنون للأمة المسلمة سلامة مسيرتها على مدى الأجيال، ويزرعون بذور الثورة ضد الطغیان.

ولم يغفل الإمام عليه السلام عن تقوية الخطأ الثوري والجهادي في أوساط الأمة من خلال تأييده لمثل ثورة عمه زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام ومن تلاه من توارى البيت العلوي الكريم.

ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام ليسلم من هذه المحنة - محنة الثورة على الظلم العباسي - فقد كان المنصور يطارده الخوف من الإمام الصادق عليه السلام ويتصور أنه اليد التي تحرك كل ثورة ضد حكمه، مما أدى إلى استدعائه إلى العراق أكثر من مرة وضييق عليه وأجرى عليه محاكمة يجمل الإمام عن مثلها، ليشعره بالرقابة والمتابعة. حتى روي أنّ المنصور قد نوى قتله أكثر من مرة إلا أنّ الله سبحانه كان يحول بينه وبين ما يريد.

وهكذا عاش الإمام الصادق عليه السلام الفترة الأخيرة من حياته - وبعد أن استقرت دعائم الحكم العباسي - حياة الاضطراب والارهاب، وفي جو مشحون بالمعداء والملاحقة، إلا أنه استطاع أن يؤدي رسالته بحكمة وحنكة وقوة عزم ويفجر ينابيع العلم والمعرفة، ويبنى الأمة الاسلامية من داخلها، ويربي العلماء والفقهاء الأمناء على حلاله وحرامه، ويشيد

بناء كيان لا يتبع أهل البيت بما فيهم الجماعة الصالحة التي عليها تتكئ دعائم الخط النسبوي لتسحقق مسهاقه الرسالية بعد أن عصفت رياح الجاهلية بالرسالة الخاتمة حين تصدئ لقيادة الأمة رجال لم يكونوا مؤهلين لذلك.

والمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام انطلاقاً من مهامه الرسالية قد عقد مؤتمر مودة ذوي القربى في محافظة كردستان (سنندج) ثم أرفه بمؤتمر الإمام الصادق عليه السلام وتجديد حياة الإسلام في محافظة هرمزگان (بندر عباس) مستضيفاً ومستكتباً علماء الإسلام بكثر مذهبهم باعتبارهم مدينيين للإمام الصادق عليه السلام، شاكرراً لأصحاب البحوث دراساتهم التي أسهمت في هذا المؤتمر وحققت بعض أهدافه المثلى.

كما يشكر أصحاب السماحة أعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر إمام جمعة محافظة بندر عباس فضيلة الشيخ غلام علي نعيم آبادي وفضيلة الشيخ علي الإسلامي وفضيلة الشيخ محمد هادي اليوسفي الفروي وفضيلة السيد منذر الحكيم وهو يجدد طباعة البحوث التي قدمت للمؤتمر مضيفاً اليها ما تأخر وصوله أو ألقى ارتجالاً لتبقى مناراً يضيء الدرب للأجيال راجياً من الله القبول وحسن التوفيق فإنه الموفق للصواب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمين العام للمؤتمر

المعاون الثقافي للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

وحيد الأحمدي

(١٤٢٣ هـ - ١٣٨٨ هـ ش)

## فهرس اجمالي

٥	المقدمة
١١	قيادة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٩٣	مختصات الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> وإنجازاته
١١٧	حياة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> وقبس من أخلاقه وآدابه
١٤١	لمحات من قيادة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> للأمة
١٩١	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> يقود الثورة الفكرية
٢٠٩	المنهج الاصلاحى عند الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small>
٢٥٥	جامعة الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٢٧٣	الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> في مواجهة التيارات الفكرية الزائفة
٢٩٧	الدوافع السياسية وراء نشوء المذاهب والفرق ومواجهة الإمام انصديق <small>عليه السلام</small> لها
٣٢٣	تأملات في حديث الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> لعنوان البصري
٣٦٥	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> بين التأسيس الصوفي والتأسيس السياسي
٣٨٩	موقف الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> من الثورات في عصره
٤٠٥	غيبية الإمام المهدي في فكر الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٥٧	مشاهد من عمق التاريخ والإنسان
٤٨٥	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small> من وجهة نظر رؤساء المذاهب الأربعة
٤٩٥	الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> وموقف البخاري من رواياته
٥١٧	قراءة في كتاب الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> والمذاهب الأربعة
٥٢٧	الإمام جعفر بن محمد الصادق <small>عليه السلام</small> بين الحقيقة والنفي
٥٥٩	النهرس التفصيلي





# قيادة الإمام الصادق عليه السلام

قائد الثورة الإسلامية  
آية الله السيد علي الخامنئي (دام ظلّه العالی)

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



المدخل: (١)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ .

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه»

ثمة نظرتان خاططتان بشأن الامام الصادق عليه السلام؛ ناشتتان عن لونيين من التفكير؛ ومن الغريب أنهما على اختلافهما تتقاربان في الشكل والمحتوى والمنشأ، بل يمكن القول أن النظرتين تشتركان في بعض المحاور اشتراكاً تاماً:

النظرة الاولى: نظرة مدافعة يبد بها أولئك الذين يخالون أنهم من أتباع الامام ومواليه .. إنها نظرة شيعة الامام الصادق عليه السلام بالقول، لا بالعمل، وتتخلص بما يلي:

إن الامام الصادق عليه السلام توفرت له ظروف لم تتوفر لإمام من قبله ولا

(١) نشر هذا البحث سابقاً في مجلة رسالة الثقلين بترجمة الدكتور محمد علي أذرشب وارتأينا نشره للمؤتمر الخاص بالإمام الصادق عليه السلام .



من بعده، استطاع أن يستغلها لنشر أحكام الدين، وأن يفتح أبواب مجلسه لطلاب العلم. جلس في بيته، وفتح صدره للمراجعين: وتصدى للتدريس ونشر المعارف، وارثي كل من قصده من طلاب العلم وناشدي الحقيقة. اشترك في مجلس درسه أربعة آلاف تلميذ، وعن طريق هؤلاء التلاميذ انتشرت علوم الإمام الصادق، منها العلوم الدينية: كالفقه والحديث والتفسير، ومنها العلوم الانسانية: كالتاريخ والاخلاق وعلم الاجتماع. وتصدى الامام لمناقشة المنتمين الى الافكار الدخيلة، والرد على الزنادقة والماديين والملحدين، مباشرة أو عن طريق تلاميذه، وقارع أصحاب النحل المنحرفة بقوة. ولكل مجال من مجالات الدين، رتبى كوكبة من الطلبة والمتخصصين .

ويقول أصحاب هذه النظرة أيضا: إن الإمام - وحرصا على استمرار هذا المشروع العممي - اضطر الى عدم التدخل في السياسة، فلم يُقدِّم على أي عمل سياسي، بل وأكثر من ذلك فإنه سلك طريقا يتماشى مع سياسة خفاء زمانه لاسترضائهم، ولاستبعاد أية شبهة يمكن أن تحوم حول نشاطه. لذلك لم يجابهم، ومنع أيضا أن يجابهم أحد. وقد تستلزم الظروف أن يذهب اليهم ويتال جائزتهم وحظوتهم، وإن حدث أن أساء الحاكم به الظن - نتيجة حدوث حركة ثورية، أو تهمة لفتها تمام - يتجه الامام ﷺ الى استمالة الحاكم ومجامته .

ويورد اصحاب هذه النظرة شواهد تاريخية، من ذلك رواية ربيع الحاجب وأمثالها، التي تصوّر الامام في مجلس المنصور وهو يبدي الاعتراف بالتقصير واعلان الندم، وتنقل عن الامام عبارات مدح وثناء يبديها تجاه الخليفة المنصور، مما لا يشك الانسان في كذب صدورها عن

الإمام الصادق عليه السلام تجاه طائفة كالمنتصور. هذه العبارات تصور المنتصور بأنه كيوسف وسليمان وأيوب، وتطلب منه أن يصبر على ما يرى من إساءات الامام او إساءات بني الحسن: «إن سليمان أعطي فشكر، وإن ايوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك السخ»<sup>(١)</sup>.

هذه نظرة تصور الإمام عالماً، باحثاً، واستاذاً كبيراً أنتهله من بحر علمه أبو حنيفة ومالك و... لكنه كان بعيداً كل البعد عن كل مقاومة لعدوان السلطة على الدين، وعن كل ما تتطلبه مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام السلطان الجائر... كان بعيداً كل البعد عن الثوار من أمثال: زيد بن علي ومحمد بن عبدالله والحسين بن علي شهيد فخ، بل عن الجنود المقاتلين مع هؤلاء الثوار، ولم يكن يبدي أي رد فعل تجاه ما يحل بالمجتمع الاسلامي، ولا يكثر بما كان يكتنزه المنتصور من أموال طائلة، ولا بما كان يعاني منه أبناء رسول الله في جبال طبرستان ومازندران، وفي رساتيق العراق وايران من جوع، بحيث لا يجدون ما يسترهم، ولا ما يسترهم إذا ارادوا الصلاة جماعة!! ولا يهتم بما كان يتعرض له أتباعه من قتل وتعذيب وتشريد وهم صفر اليدين من كل متاع ينتعم به الأفراد العاديون من أبناء المجتمع آنذاك!!

في ظن أصحاب هذه النظرة أن الإمام الصادق لم يبد أية حساسية

(١) هذا المضمون نقل في نمائي عبارات اخرى، دون ذكر السند اصلاً، وثمة رواية أخرى فيها سلسلة رواة، غير أن الراوي الاصيلي غير معلوم لانه لا يوجد بين الرواة من كان حاضراً في مجلس المنتصور. وتوجد رواية واحدة فقط ينقلها الراوي عن الامام الصادق عليه السلام مباشرة بسند غير موثوق به. (راجع: بحار الأنوار، ج ٤٧ ص ١٨٢ رواية ٢٨ باب ٦، وقاموس الرجال ج ٩ ص ٥٠٩).

تجاه هذا الوضع، بل كان قانعاً بأن يأتيه من مثل ابن أبي العوجاء، فيقارعه بالحجج والبراهين ويغلبه، ويخرج من بيته مهزوماً.. دون أن يؤمن طبعاً. هذه هي صورة الإمام الصادق كما يرسمها اصحاب النظرة الاولى. النظرة الثانية: يحملها أولئك الذين لا يعترفون بإمامة الصادق، وهي نظرة متحاملة على الإمام ترى أنه عليه السلام وقف تجاه ما كان يحق بالمجتمع من ظلم موقف عدم اكتراث. فالمجتمع في زمانه كان يضحج بالمظالم التطبيقية والظلم السياسي والسيطرة المقيتة على أموال الناس<sup>(١)</sup> وانفسهم وأعراضهم، وأكثر من ذلك على عقولهم ونفوسهم وتفكيرهم ومشاعرهم. حتى لم تعد الامة تتمتع بأبسط الحقوق الانسانية، بما في ذلك القدرة على الانتخاب. مقابل هذا كان الطواغيت يتلاعبون بمقدرات الناس كيف ما شاءوا، وبينون القصور الفارحة، مثل قصر الحمراء جوار آلاف الخرائب التي يعيش فيها انبؤساء من عامة الشعب.. في مثل هذا المجتمع المليء بالوان الشعب والاضطهاد يتجه الصادق الى البحث والدراسة وتربية الطلبة، ويصب اهتمامه على تخريج الفقهاء والمتكلمين..!!

إن كلا النظرتين محجفتان، لا تقومان على أساس ولا تستندان الى دليل واقعي. غير أن النظرة الاولى أشد إجحافاً وأكثر ظلماً للإمام الصادق عليه السلام؛ لأنها صادرة عن لسان من يدعي أنه من شيعته واتباعه.

(١) حين مات المنصور كان في خزائنه من الاموال الثقيدية ستمائة مليون درهم واربعه عشر مليون دينار (عصر الازدهار ص ٦٠ - ٧٠).

لا أريد أن أتجهج هنا أسلوب البحث العلمي المتداول في الدراسات  
بمرض جميع النصوص الواردة عن حياة الامام الصادق عليه السلام وأقارن بينها  
من حيث المتن والسند لأخرج بنتيجة، فذلك له مجاله في مجالس البحث  
العلمي.

أريد هنا أن اطرح نظرة ثالثة مقابل تينك النظرتين.. وأقرن هذه  
النظرة بأدلة مستقاة من مصادر موجودة بين أيديكم، كي تستطيعوا - مثل  
حكيم محايد - أن تتطلعوا من خلالها الى الوجه الحقيقي للإمام عليه السلام..  
وقبل أن أدخل في صميم البحث يلزمني أن أشير الى أن كلا  
النظرتين لا تقومان على أساس صحيح موثوق به.

فكما ذكرت أن النظرة الاولى تستند الى عدد من الروايات  
(اوضحت وضع استنادها في الهامش)، وهذه الروايات تنسجم طبعاً مع  
طالبي الراحة ومحتبي العافية، فيتذرعون بها باعتبارها حجة قاطعة. إنها  
كافية لأن تكون مبرراً للالتهازيين من ذوي النفوس الضعيفة المهزوزة.  
فهذه الروايات تصوّر الإمام بأنه راح يتملق للمنصور لحفظ حياته،  
مع أنه كان قادراً أن يحتوي الموقف بأسلوب حكيم. وإذا كان ذلك شأن  
القدوة فما بالك بالمقتدي؟

نعتقد أن نص هذه الروايات كافي لإثبات زيفها. فالإمام كان قادراً  
على دفع شر المنصور عنه بطرق أخرى كما حدث في مواقف عديدة  
تنقلها روايات موثوقة، فلا دليل إذن على أن يعمد الإمام الى هذا الملق  
الزائف والثناء الكاذب، ليضفي على المنصور خصالاً ليست فيه ومكانة  
لا يستحقها. فمكانة الامامة ارفع من ذلك بكثير دون شك، وأسمى من أن  
تنلرت بمثل هذه المواقف المنحطّة.

ومن حيث السند، فإنّ تحزبي الدقة في الرواة يكشف لنا عن أشياء كثيرة. ففي عدد من هذه الروايات نرى الإمام ينتهي بالربيع الحاجب، والربيع حاجب المنصور! وما أعدل من راوٍ، ويظهر من المصادر أنّ الربيع كان أقرب الناس إلى المنصور، وأكثرهم زلفه لديه. استوزه المنصور سنة (١٥٣هـ) - ٥ سنوات بعد وفاة الإمام الصادق -، أي نال رفعة في المقام.. (ولعله نال هذا الترفيع ثمناً لما نسبته لصادق عليه السلام من أكاذيب). مثل هذا الشخص الذي ثبت إخلاصه ووفاءه لجهاز الخلافة<sup>(١١)</sup> لا يستبعد منه أن يختلق الأكاذيب، فينسب كلام الممنوع إلى الإمام الصادق أو يفتير كلاماً حاداً قائمه الإمام إلى كلام تضرع والتماس. هذا ليس بغريب على هذا الحاجب؛ لكن الغريب أن يصدق عاقل قول أحد بطانة الخليفة بشأن عدو الخليفة، ومقولة تشيع هذا المفتري، وهي مقولة تشكل جزءاً من المؤامرة الدنيئة.

والنظرة الثانية أيضاً واهية بالدرجة نفسها العلمية وغير العلمية. إنها تشبه أحكام المستشرقين المنطلقة عن غرض أو جهل؛ ومن روح مادية محض لا تنسجم إطلاقاً مع طبيعة الأحداث الإسلامية. ولقد شاهدنا تلك الأحكام الفجة التافهة التي تصدر عن بعض المستشرقين تجاه الإسلام

(١١) هو ثاني وآخر وزراء المنصور. كان رجلاً ذا دهاء وتديب وله حبيبة وفصاحة... بقي في منصب الوزارة حتى آخر حياة المنصور (سنة ١٥٨هـ). ويكفيه دليلاً على وفائه للمنصور ولبنو العباس أنه أنقذ الخلافة العباسية من انفجار كاد يقضي عليها أثناء احتدام الخلاف بين مدعي وراثة المنصور. فقد زور وصية على لسان المنصور في آخر لحظات حياته تأمر جميع حكام الولايات بالبيعة للمهدي ابن المنصور، فما كان من طلاب الخلافة إلا الاستسلام. (راجع: عصر الأزدهار ص ٥٩ - ٧٠).

وأئمة أهل البيت عليهم السلام. كقول أحدهم <sup>(١)</sup> عن الإمام الحسن المجتبي أنه باع الخلافة بالماء! وقضى عمره بين العطر والمرأة والترف! وقول مستشرق آخر <sup>(٢)</sup>: إن الإسلام نقل المجتمع من مرحلة الرقبة إلى مرحلة الأقطاع!! والنظرة الثانية التي نتحدث عنها تشترك مع أقوال هؤلاء المستشرقين في السطحية والتسرع والمنطلق المادي. والطريف أن الوثائق التي يعتمد عليها أصحاب النظرة الثانية ليست سوى ما ينقده أصحاب النظرة الأولى من أحكام!!

### النظرة الصحيحة

النظرة الثالثة: والآن نبدأ بالنظرة الثالثة بشأن الإمام الصادق، وهي نظرة يمكن أن يستنبطها كل ثاقب نظر بالرجوع إلى المصادر والمراجع. وهذا الاستنباط لا يختص بحياة الإمام الصادق وحده، بل يشمل كل أئمة أهل البيت، مع الفارق في خصائص عمل كل منهم حسب ما تقتضيه ظروف الزمان والمكان، وهذا الاختلاف في الخصائص لا يتنافى مع وحدة روح العمل المشترك وحقيقته ومع وحدة الهدف والمسير.

(١) فيليب حني، تاريخ العرب.

(٢) بطرود شفسكي، الإسلام في إيران.

### المسيرة العامة لحياة الأئمة المعصومين عليه السلام

من أجل أن نفهم طبيعة المسيرة العامة لحياة الأئمة<sup>(١)</sup>، علينا أولاً أن نتبين فلسفة الإمامة. التيار الذي عرف في مدرسة أهل البيت باسم الإمامة، والذي تتكون عناصره الأصيلة من أحد عشر شخصاً، تواصلوا خلال قرنين ونصف القرن تقريباً، إنما هو في الواقع امتداد للنبوّة. فالنبي يبعثه الله سبحانه بمنهج جديد للحياة، وبعقيدة جديدة، وبمشروع جديد للعلاقات البشرية، ورسالة إلى الإنسانية، ويطوي حياته في جهاد مستمر، وجهد متواصل، ليؤدي مهمة الرسالة الملقاة على عاتقه قدر ما يسمح له عمره المحدود.

وعملية الدعوة يجب أن تستمر بعده؛ كي تبغ الرسالة أعلى الدرجات المتوخاة في تحقيق الأهداف. ويجب أن يحمل أعباء المواصلة من هو أقرب الناس إلى صاحب الرسالة في جميع الأبعاد؛ كي يبلغ بالأمانة إلى محطة آمنة وقاعدة رصينة ثابتة مستمرة.

هؤلاء هم الأئمة وأوصياء النبي، وكل الأئمة العظام وأصحاب الرسالات كان لهم أوصياء وخلفاء. ومن أجل أن نعرف مهمة الإمام، لا بد أن نعرف مهمة النبي، والمهمة بيّنتها القرآن الكريم إذ يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بَانْتِهَايَاتِهَا وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>. هذه إحدى الآيات التي تبين عملة النبوّة، وتبين من جهة أخرى مهمة

(١) من وفاة رسول الله ﷺ حتى وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٢) الحديد: ٢٥.

الأنبياء، فالأنبياء ابتموا لبناء مجتمع جديد، ولاقتلاع جذور الفساد، وإعلان ثورة على جاهلية زمانهم، وقلب مجتمعاتهم. وعملية التغيير هذه يعبر عنها الإمام عبيد الله في مطلع استلام مهام حكمته بقوله: «... حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم...»<sup>(١)</sup>.

إنها عمليّة صناعة مجتمع على أساس التوحيد والعدل الاجتماعي وتكريم الإنسان، وتحريره، وتحقيق المساواة الحقوقية والقانونية بين المجموعات والأفراد، ورفض الاستغلال والاستبداد والاحتكار، وإفساح المجال للطبقات والكفاءات الإنسانية، وتشجيع التعلم والتعميم والفكر والتفكير.. إنها عملية إقامة مجتمع تنمو فيه كل عوامل سمو الإنسان في جميع الأبعاد الأساسية، ويندفع الكائن البشري فيه باتجاه مسيرته التكاملية على ساحة التاريخ.

هذه هي المهمة التي بعث الله الأنبياء من أجلها، ونستنتج من ذلك أنّ الإمامة باعتبارها امتداداً لمهام النبوة، تتحمل نفس هذه الأعباء. لو أنّ رسول الله ﷺ عاش (٢٥٠) عاماً، فماذا كان يفعل يا ترى؟ وكيف كان يتحرك على طريق الدعوة، نفس هذه العملية نهض بها الأئمة. هدف الإمامة هو نفسه هدف النبوة؛ والطريق هو الطريق، أي إيجاد مجتمع إسلامي عادل، والسعي لصيانة مسيرته الصحيحة.

مقتضيات الزمان مختلفة طبعاً، وبنفس النسبة يختلف التكتيك والأسلوب. النبي ﷺ نفسه كان يعمل في بداية الدعوة بأسلوب يختلف

(١) نهج البلاغة ج ١٦، ثلثا بومع في المدينة، وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم.



عن أسلوبه حين قطع شوطاً من الطريق نحو تحقيق هدفه المنشود. حين كانت الدعوة في بداية الطريق، وكانت محفوفة بألوان التهديدات والتحديات تطلب الأمر تديراً خاصاً لمواصلة حمل الرسالة، وحين ترسخت قواعد النظام الإسلامي، وضرب الإسلام بجمراته في الجزيرة العربية اختلف التدبير والأسلوب... والثابت والباقي هو الهدف الاسمي الذي أنزلت الرسالة من أجله.. وهو السعي لإيجاد مجتمع يستطيع الانسان فيه أن يطوي مسيرته التكاملية في جميع الأبعاد، وأن تتفجر فيه الطاقات الخيرة والقوى الكامنة الانسانية، ومن ثم صيانة هذا المجتمع ونظامه الاسلامي.

كان أئمة الشيعة يتجهون -كالتبني- نحو هذا الهدف نفسه، نحو إقامة نظام عادل اسلامي بنفس الخصائص وعلى نفس المسير. وفي حالة قيام هذا النظام تتجه الجهود نحو صيانة مسيرته واستمرارها.

ما الذي تتطلبه إقامة نظام اجتماعي أو مواصلة مسيرة هذا النظام؟ تتطلب أولاً ايدولوجية موجهة وهادية ينبثق عنها ذلك النظام وتصوغه بصياغتها. ثم تحتاج ثانياً الى قوة تنفيذية تستطيع أن تشق الطريق وسط الصعاب والمشاكل والعقبات نحو تحقيق الهدف. نعرف أن ايدولوجية الائمة هي الاسلام، والاسلام رسالة البشرية الخالدة.. رسالة تحمل في مضمونها عناصر بقائها وخلودها<sup>(١)</sup>.

(١) من تلك الخصائص تشريع النظام وفق المتطلبات الاساسية الثابتة للانسان، والمرونة التي تسمح باستقطاب العناصر العلمية والمنطقية من كل مكان ومن كل نوع. مع الاحتفاظ بالاتجاه المبدئي للرسالة وبشرط الانسجام مع نظرة الرسالة الى الكون والحياة).

وبملاحظة هذه الامور، نستطيع بسهولة أن نفهم المنهج العام لائمة أهل البيت واوصياء النبي الاكرم عليه السلام.

هذا المنهج ذو جانبين متلازمين: الاول يرتبط بالعبقدية، والثاني بتوفير القدرة التنفيذية والاجتماعية. ففي الجانب الأول تتجه جهودهم وهمهم الى نشر مفاهيم الرسالة وبلورتها وترسيخها، والكشف عن الانحرافات التي تصدر عن المفرضين والمنحرفين، وبيان الاطروحة الاسلامية لما يستجد من أمور، وإحياء ما اندثر من معالم الرسالة بسبب اصطدامها مع مصالح ذوي القدرة والنفوذ، وتوضيح ما خفي على الازدهان العادية من كتاب الله العزيز وسنة نبيه.. فمهمة الجانب الاول تتلخص إذن بصيانة الرسالة الاسلامية حية بقاء متحركة على مر الاجيال.

وفي الجانب الثاني، كانوا يسعون، وفقاً لما تقتضيه الظروف السياسية والاجتماعية والعالمية في المجتمع الاسلامي، الى إعداد المقدمات اللازمة لاستلام زمام قيادة الحكم في المجتمع بأنفسهم بشكل عاجل، أو التمهيد لكي يستلمها على المدى البعيد من يواصل مسيرتهم في المستقبل.

هذا موجز هدف حياة الائمة الاطهار، وهذه هي الخطوط العامة لأهدافهم. من أجلها عاشوا، ومن أجلها استشهدوا.

وإذا كان ما وصلنا من تاريخ حياة الائمة لا يثبت ما ذهبنا اليه، فإن عقيدتنا في الائمة كافية لأن تصوّر حياتهم بهذا المنظار لا غير، فما بالك إذا كان التاريخ يشهد بما يقنع كل باحث أن حياة ائمة آل البيت كانت في هذا الاتجاه؟

## مراحل مسيرة الإمامة

استمرت مسيرة الإمامة منذ رحلة رسول الله ﷺ في شهر صفر سنة (١١ هـ)، حتى وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ربيع الأول سنة (٥٢٦ هـ). وخلال هذه السنين طوت المسيرة أربع مراحل كان للأئمة في كل منها موقف متميز تجاه حكام المجتمع الإسلامي :

المرحلة الأولى: مرحلة السكوت، أو مرحلة التعاون مع الحاكم.

تميزت هذه المرحلة بأن المجتمع الإسلامي الوليد كان محفوقاً بأخطار الأعداء الذين تريضوا بالإسلام من الخارج بعد أن أحتوا بخطر الرسالة عليهم، وكان هناك أعداد غفيرة من جماعات حديثة العهد بالإسلام لا تطيق أن ترمي تشتتاً في المجتمع الإسلامي، وكل شغرة في جسد الأمة تشكل تهديداً لأساس المجتمع الإسلامي ووجوده.

ومن جانب آخر لم يكن متحتي الانحراف قد ارتفع بحيث لم يعد قابلاً للتحمل بالنسبة لشخص مثل أمير المؤمنين عبي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أحرص الناس على سلامة الرسالة وسلامة المجتمع الإسلامي. وتعل هذه الحالة التي حدثت في المجتمع الإسلامي هي التي أشار إليها رسول الله ﷺ حين أوصى تلميذه الفذ بالصبر عند وقوعها.

لقد استوعبت هذه المرحلة حياة الإمام علي عليه السلام منذ وفاة رسول الله ﷺ حتى توليه الخلافة، وقد شرح الإمام موقفه في هذه المرحلة خلال الكتاب الذي وجهه إلى أهالي مصر مع مائلك الأشر لما ولأه إمارتها إذ جاء فيه:

«فأمسكت يدي، حين رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى معق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه نلماً أو هدماً

تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم .. فهضمت في تلك الأحداث...» (١). حين عزفت عنه الولاية سكت في سبيل الاسلام، وحين واجه المجتمع أخطاراً جسدية، قام ينافح عن الاسلام والمجتمع الاسلامي هادياً وموجهاً وعماملاً في المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية. وفي نهج البلاغة وسيرة علي عليه السلام ما يدل بيقين على طبيعة تحرك الامام خلال هذه الفترة.

المرحلة الثانية: مرحلة استلام الحكم. وهذه استغرقت اربعة اعوام وتسعة أشهر من خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبضعة أشهر من خلافة ونده الحسن عليه السلام. ومع كل ما اكتنف هذه المرحلة من آلام وهموم ومشاكل ومصاعب تكتنف عادة كل حكومة نائرة، فإنها سجلت أنصع الصفحات وأروعها في تاريخ الحكومة الاسلامية، بما قدمته من طريقة انسانية في التعامل، ومن عدل والتزام دقيق بأحكام الاسلام بأبعاده المختلفة في ادارة المجتمع الاسلامي، هذا الى جانب الحزم والصرامة والجرأة في التطبيق واتخاذ المواقف.

هذه المرحلة من تاريخ الإمامة كانت النموذج الذي دعا ائمة اهل البيت عليه السلام خلال القرنين التاليين الى تطبيقه في الحياة السياسية والاجتماعية. وأتباع مدرسة اهل البيت منشدون باستمرار الى تلك الفترة التاريخية، ينشدون استعادتها في حياتهم، ويتخذونها أساساً في تقويم أنظمتهم زمانهم.

وبهذا المعيار يدنون الأنظمة المنحرفة عن النهج الاسلامي، كما

(١) الرسالة ٦٢ من نهج البلاغة.

كانت هذه الفترة تجربة ودرساً لحكومة إسلامية ثورية تماماً في مجتمع عصفت به الأهواء والانحرافات. وكانت حالة المجتمع هذه قد ائتمت عبثاً ثقيلاً ومسؤولية كبيرة على الأئمة التاليين.

المرحلة الثالثة: هي التي استوعبت السنوات العشرين بين صلح الامام الحسن عليه السلام سنة (٥٤١ هـ) ، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام سنة (٥٦١ هـ).

بعد صلح الحسن عليه السلام بدأ نوع من العمل شبه سري، هدفه إعادة القيادة الإسلامية الى أصحابها الحقيقيين، إذ كان الامر يتطلب التريث ريثما تنتهي مدة حكم معاوية، وخلال هذه المدة القصيرة توجهت الجهود البناءة للتمهيد الى المرحلة التالية<sup>(١)</sup>.

المرحلة الرابعة: هي التي نحتاج الى أن نقف عندها ولو قليلاً، لأنها هي التي تعيننا في دراسة حياة الإمام الصادق عليه السلام، في هذه المرحلة التي استمرت قرابة قرنين، تواصلت مسيرة الإمامة ضمن خطة بعيدة المدى لتغيير المجتمع وفق نظرة الإسلام في جميع المجالات، بما في ذلك القيادة السياسية. فقد كانت مفعمة بالانتصارات والانتكاسات، ومقرونة بنجاح باهر في مجال العمل الفكري والعقائدي، وممتزجة بالوان الأساليب الرائعة في العمل التكتيكي المناسب، ومزدانة بأسمى وأروع مظاهر الاخلاص والتضحية والتفاني والعظمة الإنسانية على الطراز الإسلامي.

هذه المرحلة بدأت من محرم سنة (٥٦١ هـ)، بعد استشهاد الإمام

(١) شرحت بالتفصيل طبيعة هذه الفترة في محاضرات متعددة مستنداً الى الوثائق التاريخية المتوفرة.

الحسين بن علي عليه السلام وبدء إمامة علي بن الحسين عليه السلام. وفي هذه المرحلة نشط الأئمة - كما ذكرنا - في الحقل الأيديولوجي ومكافحة الانحرافات والتحريفات التي خلقتها مراكز القدرة والأذهان الجاهلة، التي جانب العمل على المدى البعيد لإقامة حكم إسلامي ينتهج القرآن وسنة رسول الله ﷺ، ويتمثل نموذج حكومة علي عليه السلام.

وأضح أن تنفيذ منهج ثوري أصيل عميق في مجتمع مزت عليه سنون من الانحراف الفكري والعملي؛ يستدعي تكتيكاً دقيقاً وتخطيطاً أساسياً. فالمجتمع الإسلامي آنذا قد مزت عليه فترة حكومة معاوية بكل ما فيها من تخدير وتحريف وتزييف وابتعاد عن الروح الرسالية، وحرمان من القيادة المبدئية، مما أذى إلى تفاقم خطر الانحراف، حتى أن الأمر آل إلى مقتل ربحانة رسول الله ﷺ في كربلاء على مسمع ومرأى من هذا المجتمع المرعوب المشلول المهزوم أمام الإرهاب الأموي.

لا بد إذن من عمس كبير يعيد إلى هذا المجتمع معنوياته المفقودة وشخصيته المسحوقة، إنها لعملية تغيير كبرى يحتاجها هذا المجتمع كي يعود مزة أخرى مؤهلاً لحمل الرسالة والنهوض بأعباء المسؤولية الثقيلة. لا بد من ثورة كالتتي اعنتها رسول الله في المجتمع الجاهلي، ثم تولي قيادة هذا المجتمع انطلاقاً من هذه الثورة.

إن إعادة الحياة الثورية وتجديدها عملية لا تقل صعوبة وأهمية عن خلق الثورة وإيجادها. عملية التجديد الثوري بحاجة إلى إيمان عميق، وعزم راسخ، وعقل مدبر، وفكر يقظ وواع وفعال. فمن الذي يحمل عبء هذه المسؤولية؟!؟

تلك الفئة التي ما استطاعت أن تسير وراء الامام الحسن عليه السلام وما

ارتفعت الى مستوى مناصرة الامام الحسين عليه السلام، فهي غير قادرة دون شك على عملية الإحياء هذه. والاعتماد على هذه الففة ليس وراءه الا الفشل والخسران.

إن تجربة «التوايين» ثم قيام المختار وإبراهيم بن مالك خير دليل على ما ذهبنا اليه.

### موقف الامام السجاد عليه السلام

والامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقف الآن بعد حادثة عاشوراء على مفترق طريقين:

إمّا أن يعمد الى دفع أصحابه نحو حركة عاطفية هائجة، ويدخلهم في مغامرة، لا تلبث شعنتها - بسبب عدم وجود المقومات اللازمة فيهم - أن تخمد، وجذوتها أن تنطفئ، وتبقى الساحة بعد ذلك خالية لبني امية، يتحكمون في مقدرات الأمة فكرياً وسياسياً. أو أن يسيطر على العواطف السطحية والمشاعر الفائرة، ويمدّ المقدمات للعملية الكبرى، المقدمات المتمثلة في الفكر الرائد والظليعة الزراعية الصالحة لإعادة الحياة الاسلامية الى المجتمع، وأن يصون حياته وحياة المجموعة الصالحة لتكون النواة الثورية للتغيير المستقبلي، ويبتعد عن أعين بني امية، ويواصل نشاطه الدائب على جبهة بناء الفكر وبناء الأفراد. وبذلك يقطع شوطاً على طريق الهدف المنشود، ويكون الإمام الذي ينيه أقرب الى هذا الهدف.

فأي الطريقين يختار؟

لا شك أن الطريق الاول هو طريق التضحية والفداء، لكن القائد الذي

يخطط لحركة التاريخ، ولمدى أبعد بكثير من حياته، لا يكفي أن يكون مضحياً فقط، بل لا بد أيضاً أن يكون عميقاً في فكره واسعاً في صدره، بعيداً في نظراته، مدبراً وحكيماً في أموره.. وهذه الشروط تفرض على الإمام انتخاب الطريق الثاني.

والإمام علي بن الحسين عليه السلام اختار الطريق الثاني مع كل ما يتطلبه من صبر ومعاناة وتحمل ومشاق، وقدم حياته على هذا الطريق (سنة ٥٩٥ هـ).

وقد صور الإمام الصادق عليه السلام وضع الإمام الرابع ودوره الرائد بقوله: «ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكاظمي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا، وكان يحيى بن أم الطويل يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: كفرننا بكم وبدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء»<sup>(١)</sup>.

هذه الرواية تصوّر حالة المجتمع الإسلامي بعد مقتل الحسين عليه السلام. إنها حالة الهزيمة النفسية الرهيبة التي عمّت المجتمع الإسلامي إبان وقوع هذه الحادثة، فمأساة كربلاء كانت مؤشراً على هبوط معنويات هذا المجتمع عامة، حتى شيعة أهل البيت. هؤلاء الشيعة الذين اكتفوا بارتباطهم العاطفي بالأئمة، بينما ركنوا عملياً إلى الدنيا ومتاعها وبريقها..

(١) بحار الأنوار، ط: الإسلام، ج ٤٦ ص ١٤٤. وفي رواية أخرى أضيف جابر بن عبد الله الانتصاري إلى هؤلاء الثلاثة. وفي رواية أخرى بدل جابر بن عبد الله ورد ذكر سعيد بن المسيب المخرومي. وفي رواية أخرى أضيف إلى هؤلاء جميعاً سعيد ابن جبير، وبدلاً من جبير بن مطعم ذكر اسم محمد بن جبير بن مطعم (رجال الكشي، ط: مصطفوي، ص ١١٥)، ويرى العالم الرجالي المعاصر المحقق الشوشري أن اسم جبير بن مطعم في هذا الحديث محرف من حكيم بن جبير بن مطعم: (قاموس الرجال، ج ٩، ص ٣٩٩).



ومثل هؤلاء كانوا موجودين على مر التاريخ، وليسوا قليلين حتى يومنا هذا.

فمن بين الآلاف من مدعي التشيع في زمن الإمام السجاد عليه السلام بقي ثلاثة فقط على الطريق.. ثلاثة فقط لم يرعبهم الارهاب الأموي ولا بطش النظام الحاكم، ولم يثن عزمهم حب السلامة وطلب العافية، بل ظلوا ملتبين مقارمين يواصلون طريقهم بعزم وثبات.

هؤلاء لم ينجرفوا مع تيار المجتمع المتجر كالرعاع وراء إرادة الحاكم الظالم، بل كان يقف الواحد منهم وهو يحيى بن أم الطويل في مسجد المدينة، ويخاطب مدعي الولاء لأهل البيت، معلناً براءته منهم - كما مر - ويستشهد بما قاله إبراهيم عليه السلام واتباعه لعمار رضي زمانه: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

أراد ابن أم الطويل بتلاوته هذه الآية المباركة أمام مدعي الولاء لأهل البيت عليه السلام أن يعلن الانفصال التام بين الجبهتين: جبهة الرساليين المتزمين، وجبهة الخلود الى الأرض والانحطاط الى مستوى الأماني الرخيصة والاشتدادات المادية التافهة. وهو انفصال يرافقه كل الدعوات الإلهية. والإمام الصادق عليه السلام عبر عن هذا الانفصال بين الجبهتين بقوله: «من لم يكن معنا كان علينا» أي: من لم يكن في جبهة التوحيد كان في جبهة الطاغوت، وليس ثمة منطقة وسط بين الإثنين، ولا معنى للحياة في هذا الانتماء.

إن يحيى بن أم الطويل هذا المسلم والموالي الحقيقي لأهل بيت

(١) المنتحنة: ٤.

رسول الله ﷺ بصرخته هذه يعلن الانفصال بين الذين يُرضون أنفسهم بالولاء العاطفي، بينما هم قابعون في قوقعة مصالحهم الشخصية وغارقون في مستنقع ذاتياتهم الضيقة، وبين أولئك الملتزمين فكرياً وعملاً بالإمام. هذا الانفصال يعني - طبعاً - الترفع عن الانجرار وراء الأكرثية الضالّة، ولا يعني إهمال هؤلاء الضالّين. من هنا اتجهت هذه المجموعة الصالحة إلى انتشال من له قابلية التحرر من الإصر والأغلال، وكشرت بالتدريج هذه الفئة المجاهدة الصابرة، وإلى هذا يشير الإمام الصادق عليه السلام في قوله المذكور آنفاً: «ثم إن الناس لحقوا وكثروا». وبذلك واصل الإمام السجادة عليه السلام نشاطه. وكان هذا النشاط وبعض المواقف الأخرى التي ستذكرها مما أذى إلى استشهاده، واستشهاد بعض المقرّبين من أتباعه.

لم أز في حياة الإمام السجادة عليه السلام ما يدل على مواجهة صريحة مع الجهاز الحاكم، والحكمة كانت تقتضي ذلك - كما ذكرنا - لأنّه لو اتخذ مثل تلك المواقف التي نشاهدها في حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وبعده من الأئمة تجاه حكام عصره؛ لما استطاع أن يحقق ما حققه من دفع عملية التمييز دفعة استطاعت أن توفر للإمام الباقر عليه السلام فرصة نشاط واسع، بل نصّفي هو والمجموعة الصالحة الملتفّة حوله.

في مواقف نادرة نلمس من الإمام عليه السلام رأيه الحقيقي من السلطة الحاكمة، ولكن ليس على مستوى المواجهة، بل على مستوى تسجيل موقف للتاريخ ولجعل المحيط القريب منه على قدر من العلم بعمله وحركته.

من تلك المواقف، رسالة تقريع صارخة وجهها للإمام عليه السلام إلى رجل دين مرتبط بجهاز بني أمية هو «محمد بن شهاب الزهري». ونستطيع أن

فهم من الرسالة أن الامام يخاطب بها الاجيال على مر العصور، لا الزهري، لأن الزهري لم يكن بالشخص الذي يستطيع أن يتحرر من الأغلال التي تشده اى موائد بني أمية وقصاعهم ولهوهم ومناصبهم وجاههم، ولم يستطع بالفعل. لقد قضى عمره في خدمتهم، ودون كتاباً، ووضع حديثاً ليتزلف اليهم<sup>(١)</sup>.

هذه الرسالة إذن وثيقة توضح موقف الامام من أوضاع زمانه. ونصها موجود في كتاب «تحف العقول»<sup>(٢)</sup>.

وثمة وثيقة اخرى هي عبارة عن رسالة جوابية وجهها الامام عليه السلام الى عبدالملك بن مروان بعد أن ارسل الثاني رسالة يعير فيها الامام بزواجه من أمته المحررة، وقصد ابن مروان بذلك أن يبين للامام عليه السلام أنه محيط بكل ما يفعله حتى في اموره الشخصية، كما اراد أيضاً أن يذكر الامام بقرابته منه طمعاً في استماتته.

والامام عليه السلام في رسالته الجوابية يوضح رأي الاسلام في هذه المسألة، ويؤكد أن امتياز الإيمان والاسلام يلغي كل امتياز آخر. ثم بأسلوب كناية في غاية الروعة يشير الامام الى جاهلية آباء الخليفة، بل لعلة يشير أيضاً الى ما عليه الخليفة بالذات من جاهلية إذ يقول له: «فلا تؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع: أجوبة مسائل جبار الله، للسيد شرف الدين العاملي، ص ٥٩ و ٦٠. وكذلك: دراسات في الكافي والصحيح، ص ٣٦١.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول ٢٧٢ - ٢٧٧ ط: جماعة المدرسين - قم.

(٣) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المقري: ١٩٨. مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب:

وحين قرأ الخليفة الأموي عبارة الإمام عليه السلام أدرك معناها تماماً، كما أدرك المعنى ابنه سليمان إذ قال له: «يا أمير المؤمنين، لشد ما فخر عليك عبي بن الحسين!!».

والخليفة بحنكته السياسية يرد على ابنه بما يوحي أنه أعرف من الابن بعاقبة الاصطدام مع إمام الشيعة فيقول له: «يا بني لا تقل ذلك فإنها السن بني هاشم التي تفلق الصخر وتعرف من بحر، إن علي بن الحسين يا بني يرتفع من حيث يتصنع الناس»<sup>(١١)</sup>.

ونموذج آخر من هذه المواقف رد الإمام عليه السلام على طلب تقدم به عبد الملك بن مروان، كان عبد الملك قد بلغه أن سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الإمام، فبعث إليه من يطلب منه أن يهب السيف للخليفة، وهذه - إن أئبى - بقطع عطاء بيت المال عنه.

فكتب إليه الإمام عليه السلام:

«أما بعد فإن الله ضمن للمنفين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحسبون، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ فانظر أينما أولى بهذه الآية»<sup>(١٢)</sup>.

وفي غير هذه المواقف نرى الإمام السجاد عليه السلام يتحرك بهدوء وباستتار في اتجاه تربية الأفراد وصنع الشخصية الإسلامية وفق مدرسة أهل البيت ومحاربة الانحرافات... وبذلك قطع في الواقع الخطوة الأساسية الأولى على طريق تحقيق هدف مدرسة أهل البيت المتمثل

(١١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٦٥، ط: بيروت، نقلًا عن: تكافي ج ٥ ص ٣٤٤.

(١٢) المصدر السابق: ٩٥.

بإقامة المجتمع الإسلامي المستنقن بحكومة إسلامية صالحة على نموذج حكومة رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ. وكما ذكرنا من قبل لم يسلم الإمام ﷺ واتباعه رغم هذا النهج - المسالم على الظاهر - من بطش الجهاز الأموي وتنكيله. فمن أتباعه من قتل بشكل فظيع، ومنهم من سجن، ومنهم من تشرد بعيداً عن الأهل والديار، والإمام ﷺ نفسه في مرة واحدة على الأقل سيق مقيداً بالأغلال في حالة مؤلومة من المدينة الى الشام، وتعرض مرات لألوان الأذى والتعذيب. ثم دس الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك له السم واستشهد سنة (٩٥ هـ) (١).

#### حياة الامام الباقر ﷺ استمرار منطقي لحياة الإمام السجاد ﷺ

أصبح اتباع أهل البيت مجموعة متميزة ذات وجود مستقل، ودعوة أهل البيت التي اعترتها وقفة، واحتجبت وراء ستار سميك بسبب حادثة كربلاء وما أعقبها من حوادث دموية كرقعة الحرة وثورة التوابين وبسبب بطش الأمويين، قد أصبح لها وجود منتشر وواضح في كثير من الأقطار الإسلامية خاصة في العراق والحجاز وخراسان، وأصبح لها «تنظيم» فكري وعملي. وولت تلك الأيام التي قال الإمام السجاد ﷺ عنها: إن أتباعه ما كانوا يزيدون فيها على عشرين شخصاً. وأضحى الإمام الباقر ﷺ يدخل مسجد النبي ﷺ في المدينة فينتف حوله جمع غفير من أهل خراسان وغيرها من اصتاع العالم الإسلامي، يسألونه عن رأي

(١) حياة الإمام السجاد ﷺ بأبعادها الجهادية وما اكتنفها من أحداث من أروع مقاطع حياة أئمة أهل البيت ﷺ وتحتاج الى مقال مستنقن.

الإسلام في مختلف شؤون الحياة. ويفد عليه أمثال طاووس اليماني وقتادة بن دعامة وأبو حنيفة وآخرون من أئمة المذاهب الفقهية، ليتهاونوا من علم الإمام أو ليحاجوه في أمور مختلفة. وبرز شعراء يدافعون عن مدرسة أهل البيت، ويُعتبرون عن أهدافها، منهم الكميت الذي رسم في هاشمياته أروع لوحة فنية في تصوير الولاء الفكري والمناطفي لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. وتناقلت الألسن هذه الروائع الأدبية وحفظتها الصدور.

ومن جهة أخرى فإنّ خلفاء بني مروان أحسوا خلال هذه الفترة بنوع من العثمانيّة، وشعروا بالاستقرار بعد أن استطاع عبدالملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) خلال فترة حكمه التي استمرت عشرين عاماً أن يجمع كلّ المعارضين. وقد يعود شعور الخلفاء المروانيين في هذا العصر بالأمن والاطمئنان إلى أن الخلافة وصلتهم غنيمة باردة، لا كأسلافهم الذين كدحوا من أجلها مما أدّى إلى انشغالهم باللهو والملذات التي تصاحب انشعور بالاعتقاد والجاه والجلال.

مهما يكن الأمر فإنّ حساسية خلفاء بني مروان تجاه مدرسة أهل البيت قد قلّت في هذا العصر، وأصبح الإمام وأتباعه في مأمن تقريباً من مطاردة الجهاز الحاكم.

وكان من الطبيعي أن يتطعم الإمام خطوة رحية في ظلّ هذه الظروف على طريق تحقيق أهداف مدرسة أهل البيت، ويدفع بالتشيع نحو مرحلة جديدة. وهذا ما يميّز حياة الإمام الباقر عليه السلام.

ويمكن تلخيص حياة الإمام الباقر عليه السلام خلال الأعوام التسعة عشر من إمامته (٩٥-١١٤ هـ) بما يلي:

إن أباه الإمام السجاد عليه السلام عندما حضرته الوفاة أوصى أن يكون ابنه محمداً إماماً من بعده في حضور سائر أبنائه وعشيرته وسلمه صندوقاً.. تذكر الروايات أنه كان مملوءاً بالعلم.. وتذكر أن فيه سلاح رسول الله ﷺ، وقال له: «يا محمد، هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك. ثم قال: أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكنه كان مملوءاً علماً»<sup>(١)</sup>. لعل هذا الصندوق يرمز إلى أن الإمام السجاد سلم ابنه محمداً مسؤولية القيادة الفكرية والعلمية (فالصندوق مملوء بالعلم) وسلمه مسؤولية القيادة الثورية (سلاح النبي). ومع بدء الإمام وأتباعه بنشاطهم الواسع في بيت تعاليم أهل البيت عليه السلام، يتسع نطاق انتشار الدعوة، ويتخذ أبعاداً جديدة تتعدى مناطقها السابقة في المدينة والكوفة، وتجد لها شيوفاً في أصقاع بعيدة عن مركز السلطة الأموية، وخراسان في مقدمة تلك البقاع كما تحدثنا الروايات التاريخية<sup>(٢)</sup>.

إن الواقع الفكري والاجتماعي المزري للناس كان يدفع الإمام وأتباعه نحو حركة دائمة، لا تعرف الكلل والملل من أجل تغيير هذا الواقع والنهوض بالواجب الإلهي إزاء هذا الانحراف.

إنهم يرون غالبية الناس قد خضعوا للحجوة الفاسد الذي اشاعه بنو أمية، ففرقوا إلى الأذقان في مستتقع حياة آسنة موبوءة،

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٢٩ باب ٤. عن البصائر ٤: ٤٤.

(٢) من ذلك رواية أبي حمزة الثمالي يقول: «حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج» (بحار الأنوار ٤٦: ٣٥٧ ط: بيروت)، وانظر حديث أحد علماء خراسان مع عمر بن عبد العزيز، وفيه أكثر من عبرة ودلالة. (بحار الأنوار ٤٦: ٣٦٦).

حتى أصبحوا كحكامهم لا يفقهون قولاً، ولا يصيخون لتصيحة سماعاً  
«إن دعوتهم لم يستجيبوا لنا»<sup>(١)</sup>.

ومن جهة أخرى يرون دراسات الفقه والكلام والحديث والتفسير  
تنحى منحى استرضاء الطاعوت الأموي وتلبية رغباته. ومن هنا فإن كل  
أبواب عودة الناس إلى جادة الصواب كانت موصدة، لولا نهوض مدرسة  
أهل البيت براجبتها «وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»<sup>(٢)</sup>.

اتجهت مدرسة أهل البيت فيما اتجهت إلى تفرغ أولئك الذين باعوا  
ذمهم من العلماء والشعراء: في محاولة إلى إيقاظ ضمائرهم أو ضمائر  
اتباعهم من عامة الناس.

نرى الإمام يقول للكيميّ الشاعر مؤثماً:

«امتدحت عبد الملك؟» قال: ما قنت له يا إمام الهدى، وإنما قلت يا أسد،  
والأسد كلب، ويا شمس، والشمس جماد، ويا بحر، والبحر موات،  
ويا حية، والحية ذؤبية متتنة، ويا جبل، وإنما هو حجر أصمّ. فتبسم الإمام  
وأشدّ الكميّ بين يديه:

من لقلب متيم مستهام غير ما صبوة ولا أحلام<sup>(٣)</sup>

وبهذه الميمية يضع الحدّ الفاصل بين الاتجاه العلوي والاتجاه

(١) من حديث للإمام الباقر عليه السلام في إرشاد الشيخ المفيد: ٢٨٤. وبحار الأنوار ٤٦: ٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦ / ٢٨٨.

(٣) المناقب: ٤ / ٢٠٧. وهذه الميمية من هاشمياته وفيها يخاطب أئمة أهل البيت عليهم السلام  
فيقول: ساسة لا كمن يرى رعية الناس سواء ورعية الأنعام وهو بيت له دلالة  
الكبيرة.



الأُموي في المكانة والسيرة في صورة فنية رائعة خالدة.  
وعكرمة تلميذ ابن عباس المعروف وصاحب المكانة العلمية  
المرموقة في المجتمع آنذاك، يذهب لمقابلة الإمام، فيؤخذ بهيبة الإمام  
وشخصيته ووقاره ومعنويته وفكره؛ فيقول له: «يا ابن رسول الله، لقد  
جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره، فما أدركني ما  
أدركني آنفاً».

فقال له الإمام: «إنك بين يدي بوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»<sup>(١)</sup>.  
ومن الأبعاد الأخرى لنشاط مدرسة أهل البيت في هذه المرحلة سرد  
ما أحاط بأهل بيت رسول الله وأتباعهم من ظلم واضطهاد وقتل وتشريد  
وتعذيب في محاولة لاستتارة عواطف الناس الميتة؛ وتحريك ضمائرهم  
الرخوة، واستنهاض عزائمهم الراكدة، وتوجيههم وجهة ثورية حركية.  
عن المنهال بن عمر قال: كنت جالساً مع محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ  
جاءه رجل فقال له: كيف أنتم؟ فقال له الإمام الباقر:

«أوما أن لكم أن تعلموا كيف نحن؟ إنما مظنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل،  
كان يُذبح أبناؤهم وتسخبوا نساؤهم، ألا وإن هؤلاء يذبحون أبناءنا ويستحيون  
نساءنا. زعمت العرب أن لهم فضلاً على العجم، فقالت العجم: وبما ذلك؟ قالوا: كان  
محمد منا عربياً. قالوا لهم: صدقتم. وزعمت فريش أن لها فضلاً على غيرها من  
العرب؛ فقالت لهم العرب من غيرهم: وبما ذلك؟ قالوا: كان محمد قرشياً. قالوا لهم:  
صدقتم. فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس لأننا ذرية محمد، وأهل بيته  
خاصة وعترته، لا يشركنا في ذلك غيرنا. فقال له الرجل: والله إنني لأحبكم

أهل البيت. قال: فاتخذ للبلاء جلبابا، فوالله إنه لأسرع إلينا وإلى شيعتنا من السيل في الوادي، وبنا يبدو البلاء ثم بكم، وبنا يبدو الرخاء ثم بكم»<sup>(١)</sup>.

فما إن بدت على الرجل علامات الهياج جزاء استشارات الامام حتى سارع الامام الى رسم الطريق أمامه. إنه طريق مفروش بالدماء والدموع، والامام رائد المسيرة على هذا الطريق يصيبه البلاء أولاً قبل أن يصيب شيعته.

وفي دائرة أضيق نرى أنّ علاقة الامام بشيعته تتخذ خصوصيات متميزة، نراه بين هؤلاء الاتباع كالدماغ المفكر بين اعضاء الجسد الواحد، يخذلهم ويمدّهم بالحوية والحركة والنشاط باستمرار.

وتتوفر بأيدينا وثائق تبيّن هذا الارتباط متمثلاً بإعطاء المفاهيم والتعاليم الصريحة لهؤلاء الاتباع، وتنظيم مترابط محسوب بينهم.

متى وصية الامام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي في اول لقاء له بالامام: أن لا يقول لأحد أنه من الكوفة، وليظهر بمظهر رجل من أهل المدينة. وبذلك يعلم هذا التلميذ الجديد، الذي لمس الامام فيه قدرة على حفظ الأسرار، درس الكتمان.. وهذا التلميذ الكفوء أصبح بعد ذلك صاحب سر الامام. ويبلغ به الامر مع الجهاز الحاكم أن يقول عنه التعمان بن بشير:

« كنت ملازماً لجابر بن يزيد الجعفي، فلما أن كتبنا بالمدينة، دخل على أبي جعفر عليه السلام فودّعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الأخيضرجة (من نواحي المدينة) يوم جمعة فصلّينا الزوال: فلما نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم (أسمر) معه كتاب فناوله، فقبله ووضع على عينيه، وإذا

(١) بحار الانوار ٤٦: ٣٦٠ رواية ١ - باب ١٠٠ نقلاً عن امالي الطوسي: ٩٥.

هو من محمد بن علي (الباقر) الى جابر بن يزيد وعليه طين أسود رطب. فقال له: متى عهدك بيدي؟ فقال: الساعة فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟ فقال: بعد الصلاة. قال: فنك الخاتم وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه حتى أتى على آخره، ثم أمسك الكتاب فما رأته ضاحكاً ولا مسروراً، حتى وافى الكوفة.

يقول النعمان بن بشير: فلما وافينا الكوفة ليلاً بت ليلتي، فلما أصبحت أتيت جابر الجعفي إعظاماً له فوجدته قد خرج علي وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة (كما يفعل المجانين) وهو يقول: أجد منصور بن جمهور.. أميراً غير مأمور، وأبياتاً من نحو هذا فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً، ولم أقل له، وأقبلت أبكي لما رأته، واجتمع علي وعليه الصبيان والناس، وجاء حتى دخل الرحبة، وأقبل يدور مع الصبيان، والناس يقولون: جئ جابر بن يزيد. فوالله ما مضت الأيام حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك الى وإليه أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه. فالتفت الى جلسائه فقال لهم: من جابر بن يزيد الجعفي؟ قالوا: أصلحك الله كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحج فحج وهو ذا في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم. قال: فأشرف عليه فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب. فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله<sup>(١)</sup>.

هذا نموذج من نماذج الارتباط بين الامام وخاصة أتباعه، يوضح دقة التنظيم والارتباط، ويبين كذلك نموذجاً لموقف السلطة الحاكمة من

(١) بحار الانوار ٤٦: ٢٨٢ - ٢٨٣ قلاً عن الكافي ١: ٣٩٦.

هؤلاء الاتباع، ويؤكد أن الجهاز الحاكم لم يكن غافلاً تماماً عن علاقة الإمام بأتباعه المقربين، بل كان يراقب هذه العلاقات ويحاول اكتشافها ومجابتها<sup>(١١)</sup>.

وبالتدرج يبرز جانب المجابهة في حياة الامام الباقر عليه السلام وفي حياة الشيعة؛ ليسجل فصلاً آخر في حياة أئمة أهل البيت عليه السلام.

النصوص التاريخية الموجودة بين أيدينا وهكذا الروايات الحديثية لا تتحدث بصراحة عن حركة مقاومة سياسية حادة ينهض بها الامام. وهذا يعود الى عوامل كثيرة منها جو البعلش والتسكيل المهيمن على المجتمع؛ مما يفرض عنصر التقية بين أتباع الامام الذين هم المظلوم الوحيدون على حياة الامام السياسية.. ولكن ردود الفعل المتشددة التي يبدئها العدو تبين عمق العمل الجهادي. فحين يتخذ جهاز حاكم مقتدر كجهاز عبدالملك بن مروان؛ الذي يعتبر اقوى حاكم أموي، ضد الامام الباقر عليه السلام كل أسباب الشدة والحدة فإن ذلك يدل دون شك على إحساس الخيفة بالمخاطر التي تواجهه جزاء حركة الامام وأتباعه. لو كان الإمام منهمكاً فقط بنشاط علمي، لا ببناء فكري وتنظيمي، فإن الجهاز الحاكم لم يكن من مصلحته أن يتشدد مع الامام، لأن ذلك يدفع بالامام وأتباعه الى موقف ساخط متشدد كالذي اتخذته الناصر العلوي شهيد فخر الحسين بن علي من السلطة.

باختصار، موقف السلطة المتشدد من الامام الباقر عليه السلام يمكن فهمه

(١١) يؤيد هذه الحقيقة، اضافة الى فضيلة جابر ونظائرهما، رواية عبدالله بن معاوية الذي سلم الامام الباقر عليه السلام رسالة تهديد من حاكم المدينة (بحار الانوار ٤٦: ٢٤٦. الباب ١٦ الرواية ٣٤).

على أنه رد فعل لما كان يمارسه الإمام من عمل معارض للسلطة. من الأحداث الهامة في أواخر حياة الإمام الباقر عليه السلام استدعاء الإمام إلى الشام عاصمة الخلافة الأموية؛ فالخليفة الأموي أراد أن يستوثق من موقف الإمام تجاه الجهاز الحاكم، فأمر باعتقاله وإرساله مخفوراً إلى الشام. (وفي بعض الروايات أن الحكم ههنا شمل ابنته انشاب أيضاً جعفر الصادق).

يؤتى بالإمام إلى قصر الخليفة، وهشام أملى على حاشيته طريقة مواجهة الإمام لدى وروده. تقرر أن يتدبى الخليفة ثم تليه الحاشية بإلقاء سيول التهم على الإمام، وكان يستهدف في ذلك أمرين: أولهما: إضعاف معنويات الإمام وخلق حالة من الانهيار النفسي فيه. والثاني: محاولة إدانة الإمام في مجلس يضم زعمي الجبهتين (جبهة الخلافة وجبهة الإمامة). ثم نقل هذه الإدانة عن طريق أبواب البلاط كالخطباء ووعاظ السلاطين والجواسيس وبذلك يسجل لنفسه انتصاراً على خصمه.

يدخل الإمام مجلس الخليفة، وخلاف ما اعتاده الداخون من السلام على الخليفة بإمرة المؤمنين، يتوجه إلى كل الحاضرين، ويشير إليهم جميعاً ويقول: السلام عليكم.. ودون أن ينتظر الإذن بالجلوس يأخذ مكانه في المجلس، وهذا الموقف من الإمام أضرم نار الحسد والحقد في قلب هشام.. وبدأ هشام على الفور يقول: يا محمد بن علي، لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، ودعا إلى نفسه، وزعم أنه الإمام سفهاً وقلة علم، وجعل يوتخه<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٦٣ رواية ٦٣ باب ٥.

وبعد هشام أخذ أفراد بطانته يرددون مثل هذه التهم والتوبيخ.. والامام ساكت في كل هذه المدة ومطرق بوقار ينتظر فرصة الاجابة.. وحين افرغت البطانة ما في كنانتها، وخيم السكوت على المجلس؛ نهض الإمام وتوجه الى الحاضرين، وبعد أن حمد الله واثني عليه وصلى على نبينه، خاطب المجلس بعبارة قصيرة قارعة بين تضاهاة هذه البطانة وانقيادها البهيمي كما يتبين فيها مكانته ومكانة أهل البيت وفق معايير اسلامية، واستخف بكل ما يحيط بالخليفة وحاشيته من هيل وهيلمان ومكانة وسلطان، فقال:

«أيتها الناس! أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، وبنا يغتم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل، فإن لنا ملكاً مؤجلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبة. يقول الله عز وجل: والعاقبة للمتقين»<sup>(١)</sup>.

عبارات تظلم وتهكم وتبشير وتهديد وإثبات ورد في جمل موجزة ذات وقع مشير، تفرض على سامعها الإيمان بحقانية قائلها.. ولم يكن أمام هشام سبيل سوى الأمر بسجن الإمام.

الإمام في سجنه واصل عمله التفسيري فأثر على من معه في السجن. بلغ الأمر هشاماً فكبر عليه أن يرى حدود مثل ذلك في عاصمته المحصنة من التأثير العلوي، فأمر أن يؤخذ السجين ومن معه على مركب سريع (البريد) ويُرسل الى المدينة حيث مسكنه ومحل إقامته، وأمر أن لا يتعامل أحد في الطريق مع هذه القافلة المغضوب عليها ولا يزودها

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٦٤ الباب ١٦ الرواية ٦٣.

بماء أو طعام<sup>(١)</sup>.

مرت ثلاثة أيام من السير المتواصل انتهى خلالها ما في القافلة من ماء وطعام، ووصلوا «مدين»، وأغلق أهل المدينة حسب ما لديهم من أوامر أبواب مدينتهم، وأبوا أن يبيعوا متاعاً، اشتد على أتباع الإمام الجوع والعطش. صعد الإمام على مرتفع يطل على المدينة ونادى بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلاء، أنا بقية الله. يقول الله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّوْ حَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول الراوي: وكان بين أهل المدينة شيخ كبير فأتاهم فقال: يا قوم هذه والله دعوة شعيب عليه السلام. والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالسواق لتزخذن من فوقكم ومن تحت أرجلكم فصذقوني وأطعوني.. فإني لكم ناصح.

(١) ويرى أنه أشاع بين أهالي المدن الواقعة على الطريق أن محمد بن علي وجعفر بن محمد تنصرا وخرجا من الإسلام (بحار الأنوار ٤٦: ٣٠٦). وشيبه ذلك ما وقع لمولانا وهو من زعماء الحركة الإسلامية المناهضة للاستعمار البريطاني في منتصف القرن التاسع عشر. فقد أشاعوا عنه أنه وهابي. وكانت هذه التهمة كافية لإسقاط هذا الرجل المناضل من أعين الناس البسطاء السذج الوهابية كانت مقرونة في أذهان الناس بتلك العصاة التي رُوعت حجاج بيت الله، واستباححت دماء المسلمين في الحجاز.. فكانت كريمة لديهم ومقينة. وتهمة الوهابية الصقت بهذا الرجل فتقبلتها الأذهان الساذجة دون أن تسأل عن مبرر هذه التهمة، وعن امكان أن يكون رجل مناضل مثل مولانا معتقاً لفكرة جاء بها الانجليز إلى العالم الإسلامي (راجع كتاب: المسلمون في حركة تحرير الهند (بالفارسية) ط آسيا)، حين أرى موقف الناس من الإمام الباقر عليه السلام بعد اتهامه بالنصرانية في ذلك الزمان وموقفهم من مولانا بعد اتهامه بالوهابية في القرن الماضي اتعجب من وحدة المواقف، وأردد ما يسقوله انشاعر العربي: الناس كالناس والأيام واحدة..

استجاب أهل المدينة لدعوة الشيخ فبادروا وأخرجوا إلى أبي جعفر وأصحابه الأسواق<sup>(١)</sup>.

وآخر فصل في هذه الرواية يبين أيضاً بطش الخليفة العباسي وتجزيره، فبعد أن فتح أهل المدينة أبوابها للإمام وصحبه، كُتِبَ بجميع ذلك إلى هشام. فكتب هشام إلى عامله على مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله رحمة الله عليه وصلواته<sup>(٢)</sup>.

ومع كل ذلك، يتجنب الإمام أي مواجهة حادة ومجابهة مباشرة مع الجهاز الحاكم، فلا يعمد إلى سيف، ولا يسمح للأيدي المسترعة إلى السلاح أن تشهره، ويوجهها توجيهاً حكيماً، وسيف اللسان أيضاً لا يشهره إذا لم يتطلب عمله التغيير الأساسي الجذري ذلك، ولا يسمح لأخيه زيد، الذي بلغ به الغضب مبلغه، وثارت عواطفه أليماً ثورة، أن يخرج (يشور) بل يركز نشاطه العام على التوجيه الثقافي والفكري.. وهو بناء أساس أيديولوجي في إطار مراعاة التقية السياسية.

ولكن هذا الأسلوب لم يكن يمنع الإمام - كما أشرنا - من توضيح «حركة الإمامة» لأتباعه الخالص، وإذكاء أمن الشيعة الكبير، وهو إقامة النظام السياسي بمعناه الصحيح العلوي في قلوب هؤلاء، بل يعمد أحياناً إلى إثارة عواطفهم بانقدر المطلوب على هذا الطريق، والتلويح بمستقبل مشرق هو أحد من السبل التي مارسها الإمام الباقر عليه السلام مع أتباعه، وهو يشير أيضاً إلى تقويم الإمام عليه السلام للمرحلة التي يعيشها من الحركة.

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٢٦٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ٣١٢.



يقول الحكم بن عيينة: بينا أنا مع أبي جعفر عليه السلام والبيت غاص بأهله إذ أقبل شيخ يتوكأ على عنزة (عكازة) له حتى وقف على باب البيت فقال: السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته. ثم سكت فقال أبو جعفر: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال: السلام عليكم، ثم سكت حتى أجابه القوم جميعاً، وردوا عليه السلام، ثم أقبل بوجهه على الإمام وقال: يا بن رسول الله، أدتني منك جعلني الله فداك. فوالله إني لأحبتكم وأحب من يحبكم، ووالله ما أحبكم وأحب من يحبكم لطمع في دنيا؛ وإني لأبغض عدوكم وأبرأ منه؛ ووالله ما أبغضه وأبرأ منه لو تر كان بيني وبينه؛ والله إني لأحس حلالكم وأحترم حرامكم، وانتظر أمركم، فهل ترجو لي جعلني الله فداك؟ فقال الإمام: إني إني، حتى أقعده إلى جنبه ثم قال:

«أيها الشيخ، إن أبي علي بن الحسين عليه السلام أتاه رجل فسأله عن مثل الذي سألتني عنه فقال له أبي عليه السلام: إن تمت ترد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلى علي بن الحسين، ويطلع قلبك، ويبرد فؤادك، وتقر عينك، وتستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين... وإن تشى ترى ما يقز الله به عينك، وتكون معنا في السنام الاعلى». قال الشيخ وهو مندهش من عظمة البشرية: كيف يا أبا جعفر؟ فأعاد عليه الكلام، فقال الشيخ: الله أكبر يا أبا جعفر، إن أنا مت أرد على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين، وتقر عيني ويطلع قلبي ويبرد فؤادي وأستقبل بالروح والريحان مع الكرام الكاتبين لو قد بلغت نفسي ههنا، وإن أعش أرى ما يقز الله به عيني، فأكون معكم في السنام الاعلى؟ ثم أقبل الشيخ ينتحب حتى لصق بالأرض، وأقبل أهل البيت ينتحبون لما يرون من حال الشيخ. ثم رفع

الشيخ رأسه وطلب من الامام ان يناوله يده فقبلها ووضعها على عينه وخذها، ثم ضمتها الى صدره، وقام فودع وخرج والامام ينظر اليه ويقول: «من أحب أن ينظر الي رجل من أهل الجنة فلينظر الي هذا»<sup>(١)</sup>.

مثل هذه التصريحات، تذكري روح الامس في قلوب تعيش جزر الاضطهاد والكبت، فتكسبها زخماً ودفعاً نحو الهدف المنشود المتمثل في إقامة النظام الاسلامي العادل.

تسعة عشر عاماً من إمامة الباقر عليه السلام تواصلت على هذا الخط المستقيم المتماسك الراضح.. تسعة عشر عاماً من التعليم الايديولوجي، والبناء، والتكتيك النضالي، والتنظيم، وصيانة وجهة الحركة، والتقية، وإذكاء روح الأمل.. تسعة عشر عاماً من سير شائك وعمر، يتطلب كثيراً من الجهد والجهد. وحين أشرفت هذه الاعوام على الانتهاء وأوشكت شمس عمره المبارك على المغيب تنفس اعداؤه الصعداء، لأنهم بذهاب هذا القائد الموجه سوف يتخلصون من مصدر إثارة طالما قض مضاجعهم وسرق النوم من عيونهم، لكن الامام خيب آمالهم وفوت عليهم هذه الفرصة، حين جعل من وفاته مصدر عطاء، ومنطلق إثارة، ووسيلة توعية مستمرة! لقد وجه ولده الصادق عليه السلام في اللحظات الاخيرة من حياته توجيهاً يمثل نموذجاً رائعاً من نماذج التقية التي مارسها الامام الباقر عليه السلام والاسلوب الذي استعمله في مرحلته الزمنية الخاصة. في الرواية عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال لي ابي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب

تدبني<sup>(١)</sup> عشر سنين بمعنى أيام منى»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية لم يقف عندها من بحث في حياة الامام الباقر، وغفلوا عما فيها من دلالات كبيرة. لقد خلف الامام (٨٠٠) درهم، وأوصى أن يخصص جزء منها لمن يندبه في منى.. وندب الامام في منى له معنى كبير. إنه عملية إحياء ذلك المصدر الذي كان يشع دائماً بالتوعية والإثارة وخلق روح الحساس والمقاومة.

واختيار منى بالذات يعني مواصلة العمل في وسط تمركز الوافدين من كل أرجاء العالم الاسلامي، خلال فترة الاستقرار الوحيدة في موسم الحج. فكل مناسك الحج يمز بها الحاج وهو في حركة دائمة مستمرة، الآ في منى. حيث يبيت اثليتين أو الثلاث، فيتوفر لديه الوقت الكافي لكي يسمع ويطلع. وندب الامام في هذا المكان سيثير التساؤل عن شخصية هذا المتوفى، من هو؟ فيحصنون على الجواب من أهل المدينة الذين عاصروه، إنه من أبناء رسول الله، واستاذ الفقهاء والمحدثين، ولماذا يندب في هذا المكان؟ ألم يكن موته طبيعياً؟ من الذي قتله أو ستمه؟ هل كان يشكل خطراً على الجهاز الأموي؟ و.. و.. عشرات الاسئلة كانت تثار حين يندب الامام في هذا المكان، ثم يحصل السائلون على الاجابة.. وتنتشر الاخبار في اطراف البلاد وأكنافها بعد عودة الحجاج الى أوطانهم. وكان هناك في مواسم الحج من يأتي من الكوفة والمدينة ليجيب عن هذه التساؤلات مغتنماً فرصة تجمع المسلمين، وبيئ روح الشيع من خلال

(١) هكذا في الأصل، ولعل التصحيح: لوادب يندبني.

(٢) بحار الانوار، ٤٦: ٢٢٠.

أعظم قناة إعلامية آنذاك.

هكذا عاش الامام، وهكذا خطط لما بعد وفاته، فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد ويوم استشهد في سبيل الله ويوم يبعث حياً. توفي الامام الباقر عليه السلام وهو في السابعة والخمسين من عمره، على عهد هشام بن عبد الملك، وهو من اكثر ملوك بني أمية اقتداراً. ورغم ما كانت تحيط بالحكومة الأموية آنذاك من مشاكل ومتاعب، فإن ذلك لم يصرفها عن التآمر على القلب النابض للشيعة، أي الامام الباقر، فأوعز هشام الى عملائه أن يذسوا السم للإمام، وحقق بذلك انتصاره في القضاء على أخطر أعدائه.

قيادة الامام الصادق عليه السلام

وتحمل الامام الصادق عليه السلام مسؤولية مواصلة المسيرة في ظروف معقدة وصعبة للغاية.

فالانتفاضات تنشب في طول البلاد وعرضها، والولاة منهمكون بجمع الأموال والثروات الطائلة<sup>(١١)</sup>، والطاعون والقحط يضرب مناطق واسعة منها خراسان والعراق، والجهاز الحاكم يبطش دون رحمة، ويخلق

(١١) خالد بن عبدالله القسري والي العراق كان عائدته السنوي ثلاثة عشر مليوناً. وكتب اليه الخليفة أن لا يبيع غلته قبل بيع غلة الخليفة. فصعد خالد المنبر، وذكر أن قوماً يتهمونه بالتلاعب بالاسعار، ولعن من يتلاعب بالاسعار (ويقصد بذلك الخليفة وكان عليه واجداً). وامرأة هشام كان لها ثوب غيوطه من الذهب، ومرصع بالمجوهرات النفيسة، وقد نقل وزنه حتى ما كانت تقدر على أن تمشي به. ولم يستطع أحد أن يضع له قيمة. وهشام نفسه كان له بساط من الحرير والذهب طوله ١٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً. (ابن ابرح ٥ / ٢٢٠، وبين الخفاء والمخلفاء ص ٢٨ و ٥٦).

حالة من الذلّ والخنوع بين الناس. والمنشغلون بالعلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير لم يكن خطرهم غالباً يقلّ عن خطر الساسة والحكام، وهم الذين يُفترض بهم أن يكونوا ملاذّ الناس وملجأهم، كثير من هؤلاء كانوا يدبجون الفتاوى ليرضوا السلطان والولاة<sup>(١)</sup>. وكثير منهم كانوا يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بتوافه الأمور، ويُثيرون النزاعات الكلامية الفارغة التي لا تمتّ بصلة إلى الإسلام وإلى معاناة الجماهير.

مهمة الامام الصادق عليه السلام في هذه الظروف المظلمة هي ما ذكرناه بشأن مهمة الإمامة، وتتلخص في طرح الفكر الإسلامي الصحيح، أي تبين الإسلام كما جاء في القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله مع مكافحة كل الانحرافات والتشويهات الجاهلة والمغرضة، وكذلك التخطيط لإقامة نظام العدالة الإسلامية، وصيانة هذا النظام في حالة إقامته.

كلا المهمتين: المهمة الفكرية والمهمة السياسية، تشكلان خطراً كبيراً على النظام الحاكم. ليست المهمة السياسية وحدها تثير سخط السطة، فالمهمة الفكرية أيضاً تنقي تلك الأفكار والمفاهيم المنحرفة التي قدمها السلطان ووعاظه باسم الدين إلى المجتمع<sup>(٢)</sup>. من هنا فإن

(١) من ذلك فتوى الحسن البصري في عدم جواز الخروج على الحجاج بن يوسف، ذلك انطاغية الذي سفك ادم الحرام، وأخذ المال الحرام. وترك الصلاة قائلاً: أرى أن لا تقاتلوه، فإنها إن تكن عقوبة من الله فما أنتم براءدي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، د. أحمد محمود صبحي، ص ٢٣).

(٢) مع كل الانحرافات التي عصفت بالمجتمع كان الإيمان بالدين يسيطر على الافكار والقلوب، وانظمة الطغاة استغلوا هذا الإيمان، فقدموا للمجتمع مفاهيم منحرفة باسم

العملية الفكرية لها الأولوية، لأنها تقضي على الزيف الديني الذي يستند إليه الجهاز الحاكم في مواصلة ظلمه. من جهة أخرى فإن الأوضاع السائدة مستعدة للفكر الشيوعي الثوري؛ والحرب والفقر والاستبداد عوامل تغذي روح الثورة، أضف إلى ذلك عامل الاجواء التي وقرها نشاط الامام الباقر في المناطق القريبة والناحية.

إن الاستراتيجية العامة للإمامة هي النهوض بثورة توحيدية علوية. ومتطلباتها هي:

أولاً: إيجاد مجموعة تحمل فكر الإمامة وتهضمه؛ وتتطلع بشوق إلى تطبيقه.

وثانياً: إيجاد مجموعة منظمة مجاهدة مضحية.

وهذه المتطلبات تستلزم بدورها نشر الدعوة في جميع أرجاء العالم؛ وإعداد الارضية النفسية لتقبل الفكر الاسلامي الثائر في جميع الاقطار؛ وتستلزم أيضاً دعوة أخرى لإعداد افراد مضحين متفانين يشككون التنظيم السري للدعوة.

وهذا هو سر صعوبة الدعوة على طريق الامامة الحققة. فالدعوة الرسالية التي تستهدف القضاء على الطاغوت، وعلى التفرعن والتعجب والعدوان والظلم في المجتمع؛ وتلتزم بالمعايير الاسلامية، لا بد أن تستند إلى ارادة الجماهير وقوتها وإيمانها ونضجها، خلافاً لتلك الدعوات التي

---

— الدين تضمن بقاءهم واستمرار ظلمهم وتحكمهم. من ذلك اخفاء صفة التدسية على «البيعة». فكلما تعادى الخليفة في غيبه وظلمه لا تجوز معصيته ولا الفرقة عليه لأن له في الاعناق بيعة! وكان لهذا المفهوم دوره الكبير في خلق حالة من الخضوع والخنوع أمام الجهاز الحاكم.

ترفع شعار محاربة الطغاة، وهي تمارس في الوقت نفسه أعمال الطغاة والظلمة في حركتها، دون أن تتقيد بمبادئ أخلاقية واجتماعية. فمثل هذه الدعوات لا تواجه صعوبات الدعوات الرسالية الهادفة، وهذا هو سر عدم تحقق أهداف حركة الإمامة على المدى العاجل، وهو أيضاً سر الانتصار السريع للحركات الموازية لحركة الإمامة (مثل حركة العباسيين).

الظروف المساعدة والارضية المناسبة التي وفرها نشاط الإمام السابق - الباقر عليه السلام - أدت الى أن يظهر الإمام الصادق عليه السلام - في جو العذاب الطويل الذي عانى منه الشيعة - بمظهر الفجر الصادق الذي ينتظره اتباع أهل البيت في سالف أيامهم. والإمام الباقر عليه السلام ذكر بالاشارة والتصريح ما يركز هذا المفهوم.

عن جابر بن يزيد الجعفي: «سئل الإمام الباقر عليه السلام عن القائم فضرب يده على أبي عبد الله عليه السلام وقال: هذا والله ولدي قائم آل بيت محمد عليه السلام» (١).

والقائم هنا طبعاً غير قائم آل محمد يفي آخر الزمان، وهو المهدي عليه السلام الذي تواترت الروايات لدى كل المسلمين أنه يظهر في آخر الزمان، وأنه الخليفة الثاني عشر من خلفاء رسول الله. القائم هنا بمعناه النعوي ينطبق على كل من ينهض بوجه الظلم والاستبداد، وهو اصطلاح معروف في مدرسة أهل البيت، ولا يعني ذلك أن يكون القائم بالسيف بالضرورة، بل إنه يقوم بهجوم ثقيل خطير، سواء في اسلوب النشاط الفكري او التنظيمي او بأية صورة أخرى تستهدف مقارعة الظالمين

(١) بحار الانوار ٤٧: ١٣، باب ٣ الرواية ٦، ط بيروت.

ومهاجرتهم. فالإمام الباقر عليه السلام يركز هنا على مفهوم تهوض الإمام الصادق عليه السلام بمسؤولية كبيرة تجاه السلطة القائمة، ولا يركز على النتيجة..  
 بن في رواية أخرى يتحدث بلغة تكاد تكون يائسة من إمكان انتصار حركة الإمامة على الوضع السياسي القائم.

ومن الروايات التي يركز فيها الإمام الباقر عليه السلام على الدور الذي سينهض به الإمام الصادق عليه السلام ما رواه أبو الصباح النكتاني قال: نظر أبو جعفر إلى ابنه أبي عبد الله فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله تعالى: ﴿وَأُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(١١)</sup>.

ولعل تصريحات الإمام هذه هي التي أشاعت فكرة قيام الإمام الصادق وخلافته بين الشيعة: وجعلت أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام يترقبون ساعة انصراف بين آونة وأخرى.  
 في رجال الشيخ الكشي رواية يمكن أن نفهم منها هذه الحالة السائدة بين اتباع أهل البيت آنذاك:

روى ابن مسكان عن زرارة، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن رجل من أصحابنا مختفٍ من غرامة، فقال: اصنحك الله، إن رجلاً من أصحابنا كان مختفياً من غرامة، فإن كان هذا الأمر قريباً صبر حتى يخرج مع القائم، وإن كان فيه تأخير صالح غرامة؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يكون، فقال زرارة: يكون إلى سنة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يكون إن شاء الله، فقال زرارة: يكون إلى سنتين؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يكون إن شاء الله، فخرج زرارة

(١١) بحار الأنوار ٥٧، ١٣، باب ٣ الرواية ٤ عن الإرشاد: ٢٨٩.



فوطن نفسه على أن يكون الى سنتين فلم يكن، فقال: ماكنت أرى جعفرأ إلا اعلم مما هو (١).

وعبارة «هذا الأمر» في عرف اتباع أهل البيت كناية عن المستقبل الموعود لهم، أي استلام زمام الحكم أو القيام بما يقربهم من ذلك كالثورة المسلحة مثلاً. والقائم هو الذي يقود تلك العملية.

وفي رواية أخرى يذكر هشام بن سالم، وهو أيضاً من وجوه الشيعة المعروفة، أنّ زرارة قال له: لا ترى على اعمادها غير جعفر، قال: فلما توفي أبو عبدالله عليه السلام أتيت فقلت له: تذكر الحديث الذي حدثتني به؟ وذكرته له، وكنت أخاف أن يجحدنيه، فقال: إني والله ماكنت قلت ذلك إلا برأيي (٢).

من مجموع ما تقدم نفهم أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان في نظر أبيه وفي نظر الشيعة مظهر آمال الامامة والتشيع، وكان سلسلة الامامة قد اذخرته ليجسد مساعي الإمام السجاد والإمام الباقر عليهما السلام. كأنه هو الذي يجب أن يعيد بناء الحكومة العلوية والنظام التوحيدي، يجب أن ينهض نهضة اسلامية أخرى. الامامان السابقان طويبا المراحل الصعبة الشاقة لهذا الطريق اللاحب، وعليه أن يقطع المرحلة الاخيرة، والظروف - كما ذكرنا - قد تهيأت، والامام استثمر هذه الظروف لينهض برسائته الجسيمة.

منذ بداية استلام المسؤولية حتى الوفاة، قضى ٣٣ عاماً في جهاد متواصل، وخلال هذه الاعوام كانت الظروف في مد وجزر، مزة نتجه

(١) رجال الكشي: ١٥٨ ط: مصطفوي.

(٢) رجال الكشي: ١٥٦ - ١٥٧ ط: مصطفوي.

لصالح مدرسة اهل البيت، ومرة اخرى تعاكسها، مزة تبعث على التفاؤل وعلى أن النصر قريب، ومرة اخرى تشتد الضغوط وتختنق الانفاس، فيخيل الى أصحاب الامام أن كل الآمال قد تبددت، والامام الصادق عليه السلام في كل هذه الاحوال ماسك بدفة القيادة بعزم وتصميم، يجتاز بالسفينة عبر هذه الامواج المتلاطمة الممزوجة بالامل واليأس، لا يفكر الا بما يجب قطعه في المستقبل من أشواط، باعثاً الجذ والنشاط والإيمان في قلوب اتباعه للوصول الى ساحل النجاة.

ويلزمنا هنا أن نشير الى ظاهرة مؤسفة تواجه كل الباحثين في حياة الامام الصادق عليه السلام، وهي الغموض الذي يكتنف السنين الاولى لبديات إمامة الصادق عليه السلام التي اقترنت بأواخر أيام نبي أمية. كانت حياة صانعة متلاطمة مليئة بالحوادث الجسام: يمكن أن نفهم بعض ملامحها من خلال مئات الروايات. غير أن المؤرخين والمحدثين لم يعرضوا لنا هذه القشرة بشكل مرتب منسجم مترابط، ولا بد لباحث أن يعتمد على القرائن، وأن يلاحظ التيارات العامة في ذلك الزمان، ويقرن كل رواية بما حصص عليه من معلومات مسبقة، ليفهم محتوى الرواية وتفاصيلها.

ولعل أحد أسباب هذا الإبهام يكمن في سرية حركة الامام واتباعه.. فالتنظيم السري القائم على أسس صحيحة يجب أن تبقى المعلومات عنه سرية مخفية، وأن لا يطلع عليها من هو خارج التنظيم، ولا تنتشر هذه المعلومات الا بعد أن تحقق الحركة انتصارها. ومن هنا تتوفر لدينا معلومات وافية عن تفاصيل الاتصالات السرية في حركة العباسيين، لأن حركتهم انتصرت. ولا شك أن حركة اهل البيت لو قدّر لها أن تستمر وتسلم زمام الامور! لاطلعنا اليوم على أسرار تنظيمها الواسع.

وثمة سبب آخر يمكن أن يكون عاملاً في هذا الغموض، هو أن المؤرخين كانوا يدوّنون عادة ما يرضي السلطان، ولذلك نرى في كتبهم تفاصيل حياة الخلفاء ولهولهم ولعبيهم وسهراتهم ومجالس طربهم؛ بينما لا نرى شيئاً يؤبه له بشأن الثائرين والمظلومين والمسحوقين؛ لأنّ مثل هذه المعلومات تحتاج من الباحث أن يتحرّى ويبحث ويخاطر، بينما حياة الخلفاء مادة جاهزة، وغنيمة باردة تكسب الرضا وتستدر العطاء.

والمؤرخون الخاضعون للخلافة العباسية استمروا يكتبون على هذا المنوال مدة خمسمائة سنة بعد حياة الامام الصادق عليه السلام، ومن هنا لا يمكن أن نتوقع العثور على شيء معتد به من المعلومات عن حياة الامام الصادق عليه السلام أو أي إمام من أئمة الشيعة في مثل هذه المصادر.

الطريق الوحيد الذي يستطيع أن يهدينا الى الخطّ العام لحياة الامام الصادق عليه السلام هو اكتشاف المعالم الهامة لحياة الامام من خلال الاصول العامة لفكر الامام وأخلاقه. ثم نبحث في القرائن والأدلة المتناثرة التاريخية والقرائن الاخرى غير التاريخية لتتوصل الى التفاصيل.

#### معالم حياة الامام الصادق عليه السلام

والمعالم الهامة البارزة في حياة الامام الصادق عليه السلام وجدتها من منظار بحثنا تتلخص بما يلي:

- ١ - تبين مسألة الامامة والدعوة إليها.
- ٢ - بيان الأحكام وتفسير القرآن وفق ما ورثته مدرسة أهل البيت عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
- ٣ - اقامة تنظيم سرّي ايدولوجي - سياسي.

وطريقة بحثنا أن ندرس كل واحد من هذه المعالم، ونضع في النهاية فهرساً لنشاطات الإمام عليه السلام، وأن يكون ذلك قدر المستطاع بأسلوب المؤرخين لا بأسلوب المحدثين.

### ١- تبين مسألة الإمامة والدعوة اليها

هذا الموضوع بشكل أبرز خصائص دعوة أئمة أهل البيت، منذ السنوات الأولى التي اعقبت رحيل النبي الأكرم عليه السلام. كانت مسألة إحياء إمامة أهل البيت عليهم السلام تشكل طبيعة الدعوة في كل أعصار الامامة. هذه المسألة نشاهدها أيضاً في ثورة الحسين بن علي عليه السلام، ونشاهدها بعد ذلك أيضاً في ثورات أبناء أئمة أهل البيت، مثل زيد بن علي. ودعوة الامام الصادق عليه السلام لم تخرج عن هذا النطاق أيضاً.

قبل أن نستعرض وثائق هذا الموضوع، يجب علينا أن نعرف أولاً مفهوم «الإمامة» في الفكر الاسلامي، وما معنى الدعوة الى الامامة؟ كلمة «الامامة» تعني في الاصل القيادة بمعناها المطلق، وفي الفكر الاسلامي تطلق غالباً على مصداقها الخاص، وهو القيادة في الشؤون الاجتماعية، الفكرية منها والسياسية.

وأينما وردت في القرآن مشتقات لكلمة الامامة (امام، أئمة)، فيراد بها هذا المعنى الخاص لقيادة الأمة. ففي بعض المواضع يقصد بها القيادة الفكرية وفي مواضع أخرى يراد بها القيادة السياسية، او الاثنين معاً.

بعد رحيل النبي عليه السلام وظهور الانشقاق الفكري والسياسي بين المسلمين اتخذت كلمة الإمامة والإمام مكانة خاصة، لأن مسألة القيادة السياسية شكّنت المحور الاساس للاختلاف، والكلمة كان لها في البداية مدلولها السياسي اكثر من أي مدلول آخر، ثم انضمت اليها بالتدريج معاني

أخرى، حتى أصبحت مسألة «الإمامة» تشكل في القرن الثاني أهم مسائل المدارس الكلامية ذات الاتجاهات الفكرية المختلفة، وكانت هذه المدارس تطرح آراءها بشأن شروط الامام وخصائصه، أي شروط الحاكم في المجتمع الاسلامي، وهو معنى سياسي للإمامة. إن الإمامة في مدرسة اهل البيت - التي يرى أتباعها أنهم يمثلون أفضى تيار فكري اسلامي - لها المعنى نفسه، ونظرية هذه المدرسة بشأن الامامة تتلخص فيما يلي:

الإمام والزعيم السياسي في المجتمع الاسلامي. يجب أن يكون منصوباً من الله، بإعلان من النبي، ويجب أن يكون قائداً فكرياً ومفسراً للقرآن وعالمياً بكل دقائق الدين ورموزه، ويجب أن يكون محصوماً مبرأً من كل عيب خلقي وأخلاقي ومسيبي، ويجب أن يكون من سلالة طاهرة نقية و...

وبذلك فإن الإمامة كانت في العرف الاسلامي خلال القرنين الاول والثاني تعني القيادة السياسية، وفي العرف الخاص بأهل البيت تعني، اضافة الى القيادة السياسية، القيادة الفكرية والاخلاقية أيضاً.

فالشعبة تعترف بإمامة الفرد حين يكون ذلك الفرد متمتعاً بخصائص هي - اضافة الى قدرته على ادارة الامور الاجتماعية - مقدرته على التوجيه والارشاد والتعليم في الحقل الفكري والديني، والتزكية الخلقية، وإن لم تتوفر فيه هذه المقدرة لا يمكن أن يرقى الى مستوى «الإمامة الحققة». وليس بكاف - في نظرهم - حسن الإدارة السياسية والاقتدار العسكري والفتوحات وأمثالها من الخصائص التي كانت معياراً كافياً لدى غيرهم. فمفهوم الامامة لدى اتباع أهل البيت - اذن - يتجه الى اعطاء امامة

المجتمع صفة قيادة ذلك المجتمع في مسيرته الجماعية والفردية. فالإمام رائد مسيرة التنعيم والتربية وقائد المسيرة الحياتية. ومن هنا كان «النبي» ﷺ إماماً أيضاً لأنه القائد الفكري والسياسي للمجتمع الذي أقام دعائمه. وبعد النبي تحتاج الأمة إلى إمام يخلفه ويتحمل عبء مسؤولياته، (بما في ذلك المسؤولية السياسية). ويعتقد الشيعة أن للنبي نَصْر على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تنتقل الإمامة بعده إلى الأئمة المعصومين من ولده<sup>(١)</sup>.

ولا بد من الإشارة إلى أن تداخل المهام الثلاث للإمامة: القيادة السياسية، والتعليم الديني، والتهديب الأخلاقي والروحي في الإمامة الإسلامية ناشيء من عدم وجود تفكيك بين هذه الجوانب الثلاثة في المشروع الإسلامي للحياة البشرية. فقيادة الأمة يجب أن تشمل قيادتها في هذه الحقول الثلاثة أيضاً. وبسبب هذه السعة وهذه الشمولية في مفهوم الإمامة لدى الشيعة كان لا بد أن يعين الإمام من قبل الله سبحانه.

نستنتج مما سبق أن الإمامة ليست كما يراها أصحاب النظرة السطحية مفهوماً يقابل «الخلافة» و«الحكومة» أو منصباً منحصرأ بالأمور المعنوية والروحية والفكرية، بل إنها في الفكر الشيعي «قيادة الأمة» في شؤون دنياها، وما يرتبط بذلك من تنظيم للحياة الاجتماعية والسياسية (رئيس الدولة). وأيضاً في شؤون التعليم والإرشاد والتوجيه المعنوي والروحي، وحل المشاكل الفكرية وتبيين الأيديولوجية الإسلامية. «قيادة فكرية».

(١) راجع تفاصيل أدلة هذه المسألة في مظانها.

وهذه المسألة الواضحة أصبحت - مع الأسف - غريبة على أذهان أكثر المعتقدين بالإمامة، ولذلك نرى من الضروري عرض بعض النماذج من مئات الوثائق القرآنية والحديثية في هذا المجال:

في كتاب «الحجة» من «الكافي» حديث عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يذكر فيه بالتفصيل ما يرتبط بمعرفة الإمام ووصف الإمام، ويتضمن معاني عميقة ورائعة.

من ذلك ما ورد بشأن الإمامة بأنها: «هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول، ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليه السلام، إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين، إن الإمامة أسس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام: ومنع الشفور والأطراف»<sup>(١)</sup>.

وحول الإمام أنه:

«التجم الهادي، والماء العذب، والمنجي من الردى، والسحاب الماطر، ومفرغ العباد في الذاهية، وأمين الله في خلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله، ونظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين، وبواز الكافرين»<sup>(٢)</sup>.

كل ما كان يمارسه النبي ﷺ من مسؤوليات ومهام يتحملها علي عليه السلام

(١) أصول الكافي.

(٢) المصدر نفسه «عبارات متفرقة مختارة من النص».

والأئمة من ولده<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن الامام الصادق عليه السلام نرى تأكيداً على إطاعة «الأوصياء» وتوضيح الرواية أن الأوصياء هم أنفسهم الذين اعتبر عنهم القرآن بأولي الامر<sup>(٢)</sup>.

مئات الروايات المتفرقة في الابواب المختلفة تصرّح أن مفهوم الامام والامامة في الفكر الشيعي ما هو الا القيادة وإدارة شؤون الأمة المسلمة، وأن أئمة أهل البيت عليه السلام هم الاصحاب الحقيقيون للحكومة. وتدل جميعاً بما لا يقبل الشك على أن أئمة أهل البيت عليه السلام في ادعائهم الإمامة كانوا لا يقتصرون بالمطالبة على المستوى الفكري والمعنوي، بل كانوا يطالبون بالحكومة أيضاً. ودعوتهم على هذا النطاق الواسع الشامل إنما هي دعوة لحركة سياسية عسكرية لاستلام السلطة.

هذه الحقيقة ظلّت خافية على الباحثين في العصور التالية<sup>(٣)</sup>، بينما كانت في فهم اصحاب الأئمة والمعاصرين لهم من أوضاع الحقائق، حتى أن «الكُميت» في احدي قصائده الهاشميات يصف أئمة أهل البيت عليه السلام بأنهم ساسة؛ يقودون الناس بطريقة تختلف تماماً عن الطريقة التي

(١) جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد عليه السلام (... وقد حملت على مثل حملته...) وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد.. الكافي، ج ١: ١٩٦.

(٢) الكافي، ١: ١٨٧، ١٧٠، ١٨٩، ح ١٦.

(٣) في العقود الاخيرة صدرت عن المستشرقين والعلماء المسلمين الشيعة والسنة كتابات تصوّر الدور السلبي للأئمة تجاه مسألة الحكم، او الدور المعاهد، او المداهن، بل الدور البعيد كل البعد عن السياسة. راجع مثلاً: نظرية الامامة لدى الشيعة، والتشيع والتصوف، والامام الصادق والمذاهب الاربعة، والعباسيون الاوائل.



يمارسها الحكام الظلمة الذين يعامنون الناس كالبهائم<sup>(١)</sup>.

نعود الى الموضوع الأصلي، وهو أن بيت القصيد في دعوة الامام الصادق عليه السلام وسائر أئمة اهل البيت عليه السلام كان يدور حول «الإمامة». ولإثبات هذه الحقيقة التاريخية، أمامنا روايات متضافرة تنقل بوضوح وصراحة عن الامام الصادق عليه السلام ادعاءه الامامة. وكما سنوضح فيما بعد، أن الامام حين يعلن دعوته هذه كان يرى نفسه في مرحلة من الجهاد تستدعي أن يرفض بشكل مباشر صريح حكام زمانه، وأن يعلن نفسه بأنه صاحب الحق الواقعي، وصاحب الولاية والامامة. ومثل هذا التصدي يعني عادة اجتياز سائر المراحل الجهادية السابقة بنجاح. ولا بد أن يكون الوعي السياسي والاجتماعي قد انتشر في قاعدة واسعة، وأن الاستعداد محسوس بالقوة في كل مكان، وأن الارضية الإيديولوجية قد توفرت في عدد ملحوظ من الافراد، وأن جمعاً غفيراً آمن بضرورة إقامة حكومة الحق والعدل، وأن يكون القائد - أخيراً - قد اتخذ قراره الحاسم بشأن هذه المواجهة الساخنة. وبدون هذه المقدمات فإن اعلان الإمامة شخص معين، وقيادته الحققة للمجتمع أمر فيه تعجل ولا جدوى منه.

المسألة الاخرى، التي لا بد من التركيز عليها في هذا المجال، أن الإمام ما كان يكتفي في بعض الموارد بإثبات إمامته وحسب، بل يذكر الى جانب اسمه أسماء أئمة الحق من أسلافه أيضاً، أي إنه يطرح في الحقيقة سلسلة أئمة اهل البيت بشكل متصل غير قابل للتجزئة والانفصال.

هذا الموقف يشير الى ارتباط جهاد أئمة أهل البيت عليه السلام وتواصله من الأزمنة السابقة الى عصر الامام الصادق عليه السلام. إن الإمام الصادق عليه السلام يقرر امامته باعتبارها النتيجة الحتمية المترتبة على إمامة اسلافه، وبذلك يبين جذور هذه الدعوة وعمقها في تاريخ الرسالة الاسلامية؛ وارتباطها بصاحب الدعوة الرسول الاكرم عليه أفضل الصلاة والسلام. ولنعرض ببعض نماذج دعوة الامام:

أروع رواية في هذا الباب عن «عسرو بن أبي المقدم»: وفيها تصوير لواقعة عجيبة:

في يوم التاسع من ذي الحجة اذ اجتمع الحجاج في عرفة لأداء منسك الوقوف، وقد توافدوا على هذا الصعيد من كل فج عميق.. من أقصى خراسان حتى سواحل الاطلنطي.. والموقف حساس وخطير، والدعوة فيه تستطيع أن تجد لها صدى في أقاصي العالم الاسلامي. انضم الإمام عليه السلام الى هذه الجموع الغفيرة المحشدة، ليوصل اليها كلمته، يقول الراوي: رأيت الامام قد وقف بين الجموع ورفع صوته عالياً ليبلغ أسماع الحاضرين، ولينتقل الى آذان العالمين وهو ينادي:

«أيها الناس، إن رسول الله كان الامام ثم كان علي بن ابي طالب، ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم...» فينادي ثلاث مرات لمن بين يديه، وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه، اثني عشر صوتاً (١).  
ورواية أخرى عن «أبي الصباح الكناني» أن الإمام الصادق عليه السلام يصف نفسه وأئمة الشيعة بأن لهم «الانفال» و«صفو المال»..

(١) البحار، ٤٧: ٥٨، ح ٦٠٧.

عن ابي الصباح قال: قال لي ابو عبد الله عليه السلام: «يا أبا الصباح، نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الاتفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المسحودون الذين قال الله في كتابه»<sup>(١)</sup>.

و«صفو المال» هو من الاموال ذات القيمة الرفيعة في غنائم الحرب، وكان لا يقسم كما تقسم الغنائم بين المجاهدين؛ كي لا يستأثر به أحد دون آخر؛ ويكون كرامة كاذبة لأحد من الناس، بل إنه يبقى لدى الحاكم الاسلامي يتصرف به لما يحقق مصلحة عامة للمسلمين. وكان الحكام الظلمة يستأثرون بهذا المال ويجعلونه مختصاً بهم غصباً. والامام يصرح بأن «صفو المال» يجب أن يكون لهم؛ وهكذا الاتفال. وهذا يعني أنه يعلن نفسه بصراحة حاكماً شرعياً للمسلمين مسؤولاً عن استثمار هذه الاموال وفق ما يراه تحقيقاً لمصلحة الأمة.

وفي حديث آخر يذكر الامام الصادق عليه السلام اسماء اسلافه من الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً، ويشهد بإمامتهم ويوجب طاعتهم، وحين يصل الى نفسه يسكت، والمخاطبون يعلمون جيداً أن ميراث العلم والحكم بعد الامام الباقر عليه السلام وصل الى الامام الصادق عليه السلام. وبذلك يعلن الامام حقه في قيادة الامة بأسلوب يجعله مرتبطاً بجذده علي بن ابي طالب عليه السلام<sup>(٢)</sup>. وفي ابواب كتاب الحجّة من «الكافي» وكذلك في الجزء ٤٧ من «بحار الانوار» أحاديث كثيرة من هذا القبيل، تتحدث بصراحة أو بكناية عن ادعاء الإمامة والدعوة اليها.

(١) البحار، ٢٣: ١٩٩، ح ٣٢. كذلك راجع الرواية ٢٠ من نفس الباب.

(٢) الكافي، ١: ١٨٦.

ولإثبات هذه الحقيقة التاريخية أمامنا شواهد عن شبكة منظمة لدعوة الإمام عليه السلام في جميع أرجاء العالم الإسلامي، والوثائق الكثيرة المتوفرة في هذا المجال تجعل وجود هذه الشبكة أمراً حتمياً لا مراء فيه. وهذه الشواهد تبلغ من الكثرة والوثوق بحيث يمكن أن نستدل بها على موضوعنا استدلالاً قاطعاً، ولو لم يتوفر حديث صريح واحد في هذا المجال.

نحن في هذا المجال أمام ظواهر تاريخية ثابتة:

١- ثمة ارتباط منظم فكري ومالي بين الأئمة عليهم السلام وأتباعهم، وكانت الأموال تُحمل من اطراف العالم الى المدينة كذلك، والاسئلة الدينية تتقاطر عليها.

٢- اتساع الرقعة الموائية لآل البيت عليهم السلام خاصة في البقاع الحساسة من العالم الإسلامي.

٣- تجمع عدد غفير من المحدثين والرواة الخراسانيين والسيستانيين والكويتيين والبصريين واليمانيين والمصريين حول الإمام عليه السلام.

فهل إن هذه الظواهر المنسجمة المتناسبة مع بعضها قد حدثت بالصدفة؟

ولا بد أن نضيف أن هذه الظواهر حدثت في ظل سيطرة سياسية كانت جاذبة كآلة الجذب في إلغاء حتى اسم علي وآل علي عليهم السلام، بل وسب علي على المنابر، وتسيط انواع البطش والارهاب على أتباعهم. فكيف أمكن في مثل هذا الجو خلق قاعدة شعبية عريضة موائية لآل البيت تطوي آلاف الاميال للوصول الى الحجاز والمدينة، لتتلمذ على أئمة أهل

البيت عليه السلام وتأخذ عنهم فكر الإسلام في الحياة الفردية والاجتماعية، وتتحدث معهم في موارد كثيرة وعن مسائل الثورة على الوضع الفاسد، أو بعبارة الروايات، تتحدث معهم عن مسائل القيام والخروج!!  
فلو كان دعاة أهل البيت يقتصرون في حديثهم على علم الأئمة عليه السلام وزهدهم فلماذا يدور الحديث في وسط هؤلاء الاتباع دائماً عن الثورة المسلحة؟

ألا يدل كل هذا على وجود شبكة منظمة للدعوة إلى إمامة أهل البيت عليه السلام بالمعنى الكامل للإمامة، أي الفكرية والسياسية؟  
وهنا يطرح سؤال عن سبب سكوت التاريخ عن وجود مثل هذه الشبكة المنظمة في دعوة أهل البيت عليه السلام، لماذا لم يذكر التاريخ صراحة شيئاً عنها؟

والجواب ما أشرنا إليه سابقاً، يكمن في التزام أصحاب الأئمة بالمبدأ التحركي الحكيم المستمى بالتنقية، الذي يحول دون نفوذ أي عنصر أجنبي في تنظيم الإمام. كما يكمن أيضاً في عدم استطاعة الحركة الجهادية الشيعية من تحقيق أهدافها ومن استلام زمام الحكم.

لو أن بني العباس لم يستولوا على السلطة؛ لبقيت دون شك كل نشاطاتهم السرية وذكريات دعوتهم، مزها وحلوها، حبيسة في الصدور، دون أن يعلم بها أحد ودون أن يستغلها التاريخ.

ومع ذلك، ليست قليلة هي الروايات التي تصرح إلى حد ما بوجود دعوة واسعة لإمامة أهل البيت عليه السلام. ونكتفي برواية تقول:

قدم رجل من أهل الكوفة إلى خراسان، فدعا الناس إلى ولاية جعفر ابن محمد عليه السلام، ففرقة أطاعت وأجابت، وفرقة جحدت وأنكرت، وفرقة

ورعت ووقفت... ثم تقول الرواية: فخرج من كل فرقة رجل فدخلوا على أبي عبد الله عليه السلام، فكان امتكلم منهم الذي ورع ووقف. فقال: أصلحك الله، قدم علينا رجل من أهل الكوفة فدعا الناس إلى طاعتك وولايتك، فأجاب قوم وأنكر قوم وورع قوم ووقفوا. قال الإمام عليه السلام: فمن أي الثلاث أنت؟ قال: من الفرقة التي ورعت ووقفت. قال: فأين كان ورعك ليلة كذا وكذا (وذكره بسقوطه في موقف شهواني)، فارتاب الرجل (١).

الداعية كما ترى من أهل الكوفة، ومنطقة الدعوة خراسان، واسم الرجل مكتوم، ودعوته إلى إمامة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وولايته وطاعته.

ثمة وثائق أخرى تبين محتوى دعوة أئمة أهل البيت عليه السلام وشيعتهم إلى الإمامة، تعرضها المناقشات والمجادلات بينهم وبين خصومهم السياسيين (الأمويين والعباسيين). هذه المنازعات كانت تدور أحياناً بلغة الاستدلال الكلامي والديني، وأحياناً بلغة الأدب الرفيع المتمثل بالشعر. وكان كلى الججاج يقوم على أساس إثبات حق الإمامة السياسية والحكم لأئمة أهل البيت عليه السلام، ومقارعة المتربعين ظلماً وغضباً على كرسي حكومة المسلمين. إن عصر الإمام الصادق عليه السلام - لمعاصره حركة بني العباس وانتصار هذه الحركة - كان مفعماً بهذا اللون من الججاج.

كان شعراء بني العباس يحاولون إثبات حق الحكم لبني العباس استناداً إلى الأدلة نفسها التي يقدمها عادة انظامعون إلى السلطة والمتشبثون بكرسي الحكم. ويقف شعراء الشيعة مقارعين لحججهم

(١) البحار، ٤٧: ٧٢ عن بصائر الدرجات ٥: ٦٦.

مستدلين على زيف الحكم العباسي من منطلق إسلامي، يقوم على أساس رفض الظلم والاجرام والخيانة بحق الأمة الإسلامية.

وللحجاج الشعري بين العباسيين والعلويين أهمية في هذا المجال، لما كان ينهض به الشعر آنذ من دور كبير في التعبير عن العواطف والافكار، ولما كان يؤديه في القاعدة الشعبية من تأثير. يذكر صاحب كتاب «العباسيون الاوائل» دور الادب في القرنين الاول والثاني فيقول: «.. كان الادب يؤثر في النفوس ويكسب عواطف الناس وميولهم الى هذه الفئة أو تلك، وكان الشعراء والخطباء بمثابة جريدة العصر، يعتبر كل منهم عن رأي سياسي ويدافع عن حزب معين، مبرزاً الدليل تلو الدليل على صحة دعواه، مقتداً آراء الخصوم بكلام مؤثر وأسلوب بليغ»<sup>(١)</sup>.

شعراء البلاط العباسي كانوا يجتهدون في اثبات حق العباسيين في الخلافة، باعتبار ارتباطهم بالنبي عن طريق العمومة، مستدلين على ذلك بأن الارث لا ينتقل الى أبناء البنت مع وجود الأعمام، فالخلافة بعد النبي من حق العباس عم النبي ومن بعده أبنائه من بني العباس:

قال مروان بن أبي حفصة:

أنى يكون وليس ذلك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام

وقال ابان بن عبد الحميد اللاحقي:

فأبناء عباس هم يرثونه

كما العم لابن العم في الارث قد حجب

(١) د. فاروق عمر، العباسيون الاوائل، ١٠٤.

منطلقين من عاطفة الشعور بالظلم للرد على هذه الأدلة، بالمنطق نفسه، وأحياناً بمنطق آخر للاستدلال على حق أئمة أهل البيت في الإمامة، من ذلك استدلالهم بحديث غدير خم كقول السيد الحميري:

من كنت مولاه فهذا له مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا  
ويرد محمد بن يحيى بن أبي مزة التغلبي على استدلال الشاعر العباسي بشأن وراثة الأعمام فيقول:

لستم لا يكون وإن ذلك لكائن لبني البنات وراثة الأعمام  
لنبتت نصف كامل من ماله والعلم متروك بغير سهم  
ما للطلق وللمتراه وإنما صلى الطليق مخافة الضممام  
ويرى دعبل أن كل ما حل بأهل البيت عليهم السلام من مصائب إنما هو لأنهم ورثوا النبي، فتكالب على هذا الارث الطامعون، وأضروا بمن له الحق في الإمامة:

أضرت بهم إرث النبي فأصبحوا تساهم فيهم خيفة ومنون  
دعتهم ذناب من أمية وانتحت عليهم ذراكاً أزمة وستون  
وعاشت بنو العباس في الدين عيشة تحكّم فيها ظالم وخؤون  
وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده وها ذلك مأمون وذلك أمين  
فما قبلت بالرشد منهم رعاية ولا لولي بالأمانة دين  
وليس من العسير على الباحث في العصر العباسي الأول أن يجد مئات النماذج من المحاورات والمناظرات السياسية بلغة الشعر في هذا المجال، وكان شعراء الشيعة وخصومهم يقيمون الحجج على دعواهم، وليس من المهم أن نعرف في هذه المواجهة مقدار صحة هذه الحجج



واستقامتها، ولكن من المهم أن نعرف المحور الذي يدور حوله النزاع، والحق الذي يدعيه الجانبان.

هناك حق يدعيه كل جانب، وهذا الحق هو وراثة رسول الله صلى الله عليه وآله في الحكم وفي قيادة المسلمين.

ليس النزاع بين الجانبين العلوي والعباسي في وراثة الخصال الاخلاقية والمعنوية والفكرية للنبي صلى الله عليه وآله. ليس الخلاف في أحقية هذا أو ذلك في وراثة هذه الخصال، لأن هذه الخصال لا تشكل حقاً يتنازع عليه فريقان، النزاع حول «حق» يدعيه الجانبان. وقد رأينا أن الشعراء في زمن الإمام الصادق عليه السلام يدافعون عن حق الإمام في قيادة الامة المملعة. وفي حكم المجتمع الاسلامي، ويخوضون حرباً ضد من ليست لهم صلاحية حكومة المسلمين، ولذلك شواهد كثيرة في شعر القرن الثاني الهجري.

وقبل أن نختم هذا القسم من المناسب أن نشير الى لغة حجاج أخرى، هي لغة الرسائل. هذه الرسائل الاحتجاجية كانت تتضمن من جهة أهداف الفرقاء بشكل واضح دون لبس، وكانت تجد لها من جهة أخرى صدقاً شعبياً بعد انتشار مضمونها، وتأثيراً قوياً على الأنصار والخصوم. تذكر من ذلك رسالة محمد بن عبدالله بن الحسن ذي النفس الزكية الى المنصور العباسي. هذا العلوي الثائر يذكر بصراحة ووضوح أنه يطلب نزع الخلافة من خصومه لتكون في أبناء علي عليه السلام، يقول:

«وإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده

أحياء؟»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هذا الاستدلال أوردته العلوي رداً على استدلال العباسيين في وراثتهم الخلافة، لأنّ بني العباس لم تكن لهم حجة سوى هذا الإرث المزعوم، فأراد أن يسدّ عليهم الطريق ويردّ عليهم بنفس منطقهم. ويلاحظ في العبارة أنّ ذا النفس الزكية يركّز على إمامة علي عليه السلام انطلاقاً من فهمه لمعنى الامامة، ثم يركّز على طبيعة دعوة البيت العلوي التي يمثلها هذا الثائر.

٢ - بيان الأحكام وتفسير القرآن وفق ما ورثته مدرسة أهل البيت: عن رسول

الله صلى الله عليه وآله

هذا النشاط يمكن ملاحظته أيضاً في حياة الامام الصادق عليه السلام بشكل متميز عما نراه في حياة بقية أئمة آل البيت عليهم السلام، حتى سمّي فقه الشيعة باسم «الفقه الجعفري». حتى الذين يفضّون الطرف عن النشاط السياسي للامام الصادق عليه السلام يجمعون على أنّ الإمام كان يدير أوسع، أو واحدة من أوسع الحوزات الفقهية في زمانه، والذي بقي مستوراً عن أعين أغلب الباحثين في حياة الإمام، هو المفهوم السياسي ومفهوم المواجهة لهذا اللون من نشاطات الإمام، وهذا ما ستعرض له الآن.

لا بدّ أن نذكر أولاً، أنّ منصب الخلافة في الاسلام له خصائص متميزة تجعل الحاكم متميزاً عن الحكام في أنظمة الحكم الاخرى.

(١) تاريخ الطبري ٦: ١٩٥

فالخليفة ليست جهازاً سياسياً فحسب، بل هي جهاز سياسي - ديني. وإطلاق لقب الخليفة على الحاكم الاسلامي يؤيد هذه الحقيقة، فهو خليفة رسول الله ﷺ في كل ما كان يمارسه الرسول من مهام دينية ومهام قيادية سياسية في المجتمع.

والتخليفة في الاسلام يتحمل المسؤوليات السياسية والمسؤوليات الدينية معاً. هذه الحقيقة الثابتة دفعت الخلفاء الذين جاءوا بعد الخلفاء الأولين والذين كانوا ذوي حظ قليل في علوم الدين، أو لم يكن لهم منه حظ أصلاً، دفعتهم الى سد هذا النقص عن طريق رجال دين مستقرين لهم؛ فاستخدموا فقهاء ومفسرين ومحدثين في بلاطهم؛ ليكون جهازهم الحاكم جامعاً أيضاً للجانبين الديني والسياسي.

والفائدة الأخرى من وجود وعطاء السلاطين في الجهاز الحاكم، هي أن الحاكم النظام المستبد كان قادراً متى ما أراد أن يغير ويبدل أحكام الدين وفقاً لمصالحه؛ وكان هؤلاء المأجورون يقومون بهذه العملية ارضاءً لأولياء نعمتهم، تحت غطاء من الاستتباب والاجتهاد ينظلي على عامة الناس.

الكتاب والمؤرخون المتقدمون ذكروا لنا نماذج فظيعة من اختلاق الحديث ومن التفسير بالرأي كانت يد القوة السياسية فيها واضحة، وسنشير الى جانب منها في اقسام حديثنا التالية. هذا العمل الذي اتخذ غالباً في البداية (حتى أواخر القرن الهجري الاول) شكل وضع رواية أو حديث، راح تدريجياً يأخذ طابع الفتوى. ولذلك نرى في أواخر عصر بني أمية وأوائل عصر بني العباس ظهور فقهاء كثيرين استفادوا من

أساليب رجراجة في أصول الاستنباط، ليصدروا الاحكام وفق أذواقهم التي كانت في الواقع أذواق الجهاز الحاكم.

هذه العملية نفسها أنجزت أيضاً في حقل تفسير القرآن. فالتفسير بالرأي اتجه غالباً الى إعطاء مفاهيم عن الإسلام، لا تقوم على أساس سوى ذوق المفسر ورأيه المستمد من ذوق الجهاز الحاكم وإرادته.

من هنا انقسمت العلوم الإسلامية: الفقه والحديث والتفسير منذ أقدم العصور الإسلامية الى تيارين عامين:

التيار الأول: تيار مرتبط بجهاز الحكومة الظالمة الغاصبية، ويتميز بتقديم الحقيقة في موارد متعددة قرباناً على مذبح «المصالح» التي هي في الواقع مصالح الجهاز الحاكم، ويتميز أيضاً بتحريف أحكام الله لقاء دراهم معدودات.

والتيار الثاني: التيار الاصيل الامين الذي لا يرى مصلحة أرفع وأسمى من تبين الاحكام الإلهية الصحيحة، وكان يصطدم - شاء أم أبى - في كل خطوة من خطواته بالجهاز الحاكم ووعاظ السلاطين، ولذلك اتجه منذ البدء اتجاهاً شعبياً في إطار من الحيطة والحذر.

انطلاقاً من هذا الفهم نعرف بوضوح أنّ اختلاف «الفقه الجعفري» مع الفقهاء الرسميين في زمن الإمام الصادق لم يكن اختلافاً فكرياً عقائدياً فحسب، بل كان اختلافاً يستمد وجوده من محتواه الهجومي المعارض أيضاً.

أهم أبعاد هذا المحتوى إثبات خواء الجهاز الحاكم، وفراغه من كل مضمون ديني، وعجزه عن ادارة الشؤون الفكرية للأمة، وبعبارة أخرى،

عدم صلاحيته للتصدي لمنصب «الخلافة». والبعد الآخر تشخيص موارد التحريف في الفقه الرسمي.. هذه التحريفات القائمة على أساس فكر «مصلحي» في بيان الاحكام الفقهية ومداهنة الفقهاء للجهاز الحاكم. والامام الصادق عليه السلام بنشاطه العلمي وتصديده لبيان أحكام الفقه والمعارف الاسلامية، وتفسير القرآن بطريقة تختلف عن طريقة وعناظ السلاطين قد اتخذ عملياً موقف المعارضة تجاه الجهاز الحاكم. الامام عليه السلام بنشاطه هذا قد يلغي كل الجهاز الديني والفقهي الرسمي الذي يشكل أحد أضلاع حكومة الخلفاء، ويفرغ الجهاز الحاكم من محتواه انديتي.

ليس بأيدينا سند ثابت يبين التفات الجهاز الأموي الى هذا المحتوى المعارض لما قام به الإمام الصادق عليه السلام من نشاط علمي فقهي. ولكن أغلب الفن أن الجهاز الحاكم العباسي - وخاصة في زمن المنصور الذي كان يتمتع بحنكة وذكاء وتجربة اكتسبها من صراعه السياسي الطويل مع الحكم الأموي قبل وصوله الى السلطة - كان يعي المسائل الدقيقة في نشاطات البيت العلوي. وكان الجهاز الحاكم العباسي يفهم الدور القاعلي الذي يستطيع أن يؤديه هذا النشاط العلمي بشكل غير مباشر.

والتهديدات والضغوط والمضايقات التي كانت تحيط بنشاطات الامام الصادق عليه السلام التعليمية والفقهية من قبل المنصور المنقولة إلينا في روايات تاريخية كثيرة ناتجة من هذا الالتفات الى حساسية المسألة. وهكذا اهتمام المنصور بجمع الفقهاء المشهورين في الحجاز والعراق في مقر حكومته - كما تدل على ذلك النصوص التاريخية العديدة - فإنه ناشئ عن هذا الالتفات أيضاً.

في حديث الإمام عليه السلام وتعاليمه لأصحابه ومقربيه كان يستند إلى «خواء الخلقاء وجهلهم»؛ ليستدل على أنهم في نظر الإسلام لا يحق لهم أن يحكموا. ونحن نشهد هذه الصيغة من الهجوم على الجهاز الحاكم بوضوح وصراحة في دروسه الفقهية.

يروى عنه قوله عليه السلام: «نحن قوم فرض الله طاعتنا وأتمت تأتمون بمن لا يُعذر الناس بجهالتهم»<sup>(١)</sup>.

أي إن الناس انحرفوا بسبب جهل حكامهم وولادة أمورهم. وسكوا سبيلاً غير سبيل الله. وهؤلاء غير معذورين لدى الله، لأن اطاعة هؤلاء الحكام كانت عملاً انحرافياً، فلا يبزر ما يستتبعها من وقوع في الانحرافات<sup>(٢)</sup>.

في تعليمات الأئمة عليهم السلام قبل الإمام الصادق عليه السلام وبعده نرى أيضاً تسكريزاً على ضرورة اقتران القيادة السياسية بالقيادة الفكرية والأيديولوجية. ففي رواية عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن جده الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، وإنما دار التابوت دار الملك (تأمل بدقة المعنى الرمزي في التعبير) وإنما دار السلاح فينا دار العلم.. وفي رواية أخرى: حشما دار

(١) الكافي، ١، ١٨٦، ح ٣.

(٢) القرآن الكريم يدين أيضاً بأساليب متعددة هذا اللون من الاتباع المؤذي إلى الضلال. ويرد كل عذر يتوسل به التابعون في انحرافهم. راجع سورة البقرة: ١٦٧، انشراء: ٩١-١٠٢، سبأ: ٣١-٣٣، انشاء: ٩٧.

السلاح فينا فتمّ الأمر (الحكم)»<sup>(١)</sup>.

ويقال الراوي الإمام: فيكون السلاح مزايلاً (مفارقاً) للمعلم؟  
قال الإمام: لا. أي إن قيادة المجتمع المسلم يجب أن تكون في من  
بيده السلاح والعلم معاً.

الإمام عليه السلام إذ يرى أن علم الدين وفهم القرآن بشكل صحيح شرط  
من شروط الإمامة، ومن جهة أخرى فهو بنشاطه العلمي، وجمع عدد  
غضير من مشتاقه علوم الدين حوله، وتعليمه الدين بشكل يختلف تماماً  
عن الطريقة المعتادة لدى العلماء والمحدثين والمفسرين المرتبطين  
بجهاز الخلافة، يثبت عملياً أصالة المحتوى الديني لمدرسته، وزيق  
الظاهر الديني الذي يتقصد جهاز الخلافة ومن نفّته من علماء  
بلاطه. وعن هذا الطريق انهماجم المستواصل العميق الهادي يضيفي  
عنى جهاده بعداً جديداً.

وكما ذكرنا من قبل، فإنّ الحكام العباسيين الأوائل الذين قضوا سنين  
طوالاً قبل تسلمهم السلطة في نفس أجواء الجهاد العلوي وإلى جانب  
أنصار العلويين، كانوا على علم بكثير من الخطط والمنعطفات، وكانوا  
متفهمين لدور الهجوم والمواجهة الذي يؤذيه هذا النشاط في الفقه  
والحديث والتفسير أكثر من أسلافهم الأمويين. وقد يكون هذا السبب  
هو الذي دفع المنصور العباسي في مواجهاته مع الإمام الصادق عليه السلام أن  
يمنع الإمام زمناً من الجلوس في حلقات التدريس وعن تردّد الناس عليه.

(١) الكافي، ١: ٢٣٨.

حتى أن المفضل بن عمر يقول: «إن المتصور قد كان همّ يقتل أبي عبدالله عليه السلام غير مرة، فكان إذا بحث إليه ودعاه ليقته فإذا نظر إليه هابه ولم يقتله، غير أنه منع الناس عنه ومنعه من التعود للناس، واستقصى عليه أشد الاستقصاء، حتى أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه في نكاح أو طلاق أو غير ذلك فلا يكون علم ذلك عندهم، ولا يصلون إليه فيعتزل الرجل أهله، فشق ذلك على شيعته وصعب عليهم...»<sup>(١)</sup>.

### ٣- إقامة تنظيم سري إيديولوجي - سياسي

مر بنا أن الإمام الصادق عليه السلام قاد في أواخر العصر الأموي شبكة إعلامية واسعة استهدفت الدعوة إلى إمامة آل علي عليهم السلام، وتبيين مسألة الإمامة بشكنها الصحيح. وهذه الشبكة نهضت بدور مشمر وملحوظ في أقاصي بقاع العالم الإسلامي، وخاصة في العراق وخراسان لنشر مفاهيم الإمامة.

ونشير هنا إلى جانب صغير من هذه المسألة، مسألة التنظيمات السرية في الحياة السياسية للإمام الصادق عليه السلام وباقي الأئمة من أهم المسائل وأكثرها حساسية؛ وهي في الوقت نفسه من أغمض فصول حياتهم وأشدها إيهاماً. وكما ذكرنا؛ لا يمكن أن نتوقع وجود وثائق صريحة في هذا المجال، حيث لا يمكن أن نتوقع من الإمام أو أحد أصحابه أن يعترف صراحة بوجود هذه التنظيمات - السياسية - الفكرية.

(١) المناقب، ابن شهر آشوب: ٢٣٨ ط: بيروت.



فهذا مما لا يمكن انكشاف عنه. الشيء المعقول هو أن الإمام ينفي بشدة وجود مثل هذا التنظيم السري، وهكذا أصحابه، ويعتبرون ذلك تهمة وسوء ظن فيما لو تعرضوا لاستجواب جهاز السلطة. هذه هي خاصية العمل السري، والباحث في حياة الأئمة عليه السلام أيضاً من حقّه أن لا يقتنع بوجود مثل هذا التنظيم دون دليل مقنع. إذن فلا بد أن نبحث عن القرائن والشواهد والحوادث التي تبدو بسيطة لا تلفت نظر المطالع العادي، لنبحث عن دلالاتها في هذا المجال. بهذا النون من التدقيق في حياة الأئمة عليه السلام خلال قرنين ونصف القرن من حياتهم يستطيع الباحث أن يطمئن إلى وجود مثل هذه التنظيمات التي تعمل تحت قيادة الأئمة عليه السلام.

ما المقصود بالتنظيم؟ ليس المقصود به - طبعاً - حزباً منظمًا بالمفهوم المعروف اليوم، ولا يعني وجود كوادر منظمة ذات قيادات اقليمية مرتبطة ارتباطاً هرمياً، فلم يكن شيء من هذا موجوداً، ولا يمكن أن يوجد. المقصود بالتنظيم وجود جماعة بشرية ذات هدف مشترك تقوم بنشاطات متنوعة تتجه نحو ذلك الهدف، وترتبط بمركز واحد وقلب نابض واحد ودماغ مفكر واحد، وتسود بين أفرادها روابط عاطفية مشتركة.

هذه الجماعة كانت في زمن الإمام علي عليه السلام (أي خلال السنوات الخمس والعشرين بين وفاة الرسول الاكرم وبعثته للخلافة) كان يجمعها الإيمان بأحقية الامام علي عليه السلام في الخلافة، وكانت تعلن وفاءها الفكري والسياسي للامام، غير أنها كانت تحذو حذو الإمام علي عليه السلام في عدم إثارة

ما يزلزل المجتمع الإسلامي الوليد، كما كانت تنهض بما كان ينهض به الإمام علي عليه السلام في تلك السنوات من مهام رسالية تستهدف صيانة الإسلام ونشره، ومحاولة الحد من الانحرافات، واتخذت لولائها هذا اسم «شيعه علي»، ومن وجوههم المشهورة: سلمان وعمار وأبو ذر وأبي بن كعب والمقداد وحذيفة وغيرهم من الصحابة الأجلاء.

ولدينا شواهد تاريخية تثبت أن هؤلاء كانوا يشيعون بين الناس فكرهم بشأن إمامة علي عليه السلام بشكل حكيم. وعملهم هذا كان مقدمة لالتفاف الناس حول الإمام وإقامة الحكم العنوي.

بعد أن استلم الإمام علي عليه السلام مقاليد الأمور سنة ٣٥ هجرية؛ كان حول الإمام علي صنفان من الناس؛ صنف عرف بالإمام ومكاتبه وفهم معني الإمامة وآمن بها، وهم شيعة الذين تربوا على يد الإمام بشكل مباشر أو غير مباشر، وعامة الناس الذين عاشوا أجواء تربية الإمام ونهجه، ولكنهم لم يكونوا مرتبطين فكرياً وروحياً بالجماعة التي ربّاهها الإمام تربية خاصة.

ولذلك نجد بين اتباع الإمام صنفين من الافراد بينهما تفاوت كبير؛ صنف يضم عمّاراً ومالكاً الأشتر وحجز بن عدي وسهل بن حنيف وقيس بن سعد وامثالهم، وصنف من مثل ابي موسى الأشعري وزياد بن أبيه ونظرائهم.

بعد حادثة صلح الإمام الحسن عليه السلام كانت الخطوة الهامة التي اتخذها الإمام نشر فكر مدرسة اهل البيت، ولم تمتاز الموالين لهذا الفكر، إذ اتبحت الفرصة لحركة أوسع بسبب اضطهاد السلطة الأموية. وهكذا كان

دائماً، فالاضطهاد يؤدي الى انسجام القوى المضطهدة وتلاحمها وتجدّرها بذل تبعثرها وتشتتها. واتجهت استراتيجية الامام الحسن عليه السلام الى تجميع القوى الاصلية الموالية، وحفظها من بطش الجهاز الأموي، ونشر الفكر الاسلامي الاصيل في دائرة محدودة، ولكن بشكل عميق، وكسب الافراد الى صفوف الموالين، وانتظار الفرصة المؤاتية لثورة على النظام وتفجير أركانه، وإحلال الحكم العلوي مكانه.. وهذه الاستراتيجية في العمل هي التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام أمام خيار واحد وهو الصلح.

ومن هنا نرى أنّ جمعاً من الشيعة برئاسة المسيب بن نجبة وسليمان ابن سرد الخزاعي يقدمون على الإمام الحسن عليه السلام بعد حادثة الصلح في المدينة، حيث اتخذها الامام قاعدة لعمله الفكري والسياسي بعد عودته من الكوفة، ويقترحون عليه إعادة قواهم وتنظيماتهم العسكرية والاستيلاء على الكوفة والاشتبك مع جيش الشام، والامام يستدعي هذين الاثنين من بين الجمع، ويختلي بهما ويحدثهما بحديث لا تعرف فحواه، يخرجان بعده بقناعة تامة بعدم جدوى هذه الخطوة. وحين يعود الاثنان الى من جاء معهم يقفهمانهم باقتضاب أنّ الثورة المسلحة مرفوضة، ولا بدّ من العودة الى الكوفة لاستئناف نشاط جديد فيها<sup>(١)</sup>.

هذه حادثة مهمة لها دلالات كبيرة حدثت ببعض المؤرخين المعاصرين الى اعتبار ذلك المجلس الحجر الاساس في إقامة التنظيم الشيعي.

(١) المعنى نفسه جاء في كتاب الشيخ راضي آل ياسين، صلح الامام الحسن عليه السلام: ٣١ - ٣٢ ط: بيروت.

والواقع أن الخطوة الأولى لإقامة التنظيم الشيعي لو كانت حقاً قد اتخذت في ذلك اللقاء بين الإمام الحسن عليه السلام والرجلين القادمين من العراق؛ فإن مثل هذه الخطوة قد أوصى بها الإمام علي عليه السلام من قبل حسين أوصى المقربين من أصحابه بقوله: «لو قد فقدتموني لرأيتم بعدي أشياء ينقئ أحدكم الموت مما يرى من الجور والعدوان والأثرة والاستغفاف بحق الله والخوف على نفسه، فإذا كان ذلك:

- فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..

- وعليكم بالصبر والصلاة.

- والتقية.

واعلموا أن الله عز وجل يبغض من عباده (الظُلُون) لا تزولوا عن (الحق وأهله) فإن من استبدل بنا هلك، وفاته الدنيا وخرج منها آتماً<sup>(١)</sup>.

هذا النص الذي يرسم بوضوح الوضع المأساوي في العصر الأموي، ويوجه المؤمنين إلى التلاحم والتعاقد والتنسيق والانسجام، يعتبر أروع وثيقة من وثائق الجهاز التنظيمي في حركة آل البيت عليه السلام. وهذا المشروع التنظيمي يتبلور في شكله العملي في اللقاء بين الإمام الحسن عليه السلام وأئمة من الشيعة الخالص. ومما لا شك فيه أن أتباع أهل البيت لم يكونوا جميعاً مطلعين على هذا المشروع الدقيق. ولعل هذا يبرز ما كان يصدر من بعض صحابة الإمام الحسن عليه السلام من اعتراض وانتقاد. وكان المعترضون يواجهون قول الإمام الذي مضمونه: «...من يدري، لعله اختبار لكم ونفع

(١) تحف العقول: ١١٥، ط ٢.

ذاتل لأعدائكم...»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الإجابة إشارة خفية إلى سياسة الإمام وتدييره<sup>(٢)</sup>.  
 خلال الاعوام العشرين من حكومة معاوية بكل ما احاط فيها البيت  
 العلوي من إعلام مكثف مضاد، بلغ درجة لعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام  
 على منابر المسلمين، ويكل ما شهدتها من انسحاب الإمامين الحسن  
 والحسين عليه السلام من ساحة النشاط العلني المشهود، لا نرى سبباً في انتشار  
 فكر أهل البيت واتساع القاعدة الشيعية في الحجاز والعراق سوى وجود  
 هذا التنظيم.

ولنلق نظرة على الساحة الفكرية في هذه المناطق بعد عشرين عاماً  
 من صلح الامام الحسن عليه السلام.

في الكوفة نرى رجال الشيعة من ابرز الوجوه وأشهرها، وفي مكة  
 والمدينة بل وفي المناطق النائية نرى أتباع أهل البيت مثل حلقات  
 مترابطة يعرف بعضها ما يتم بالبعض الآخر.

حين يستشهد بعد اعوام أحد رجال الشيعة وهو «حجر بن عدي»  
 ترتفع أصوات الاعتراض في مناطق عديدة من البلاد الاسلامية، على  
 رغم الارهاب المفروض على كل مكان، ويبلغ الحزن والأسى بشخصية  
 معروفة في خراسان أن يموت كمدماً بعد إعلان الاعتراض الغاضب<sup>(٣)</sup>.

(١) ينابيع المودة للفندوزي، ٢٩٣، طبعة اسلامبول.

(٢) هذا الوضع يمكن مقارنته وتشبيهه الى حد ما بوضع المجتمعات المعاصرة التي  
 تحكمها الانظمة الحزبية.

(٣) مات الربيع بن زياد الحارثي غماً لمقتل حجر، وذكر ذلك ابن الاثير في الكامل

وبعد موت معاوية ترد على الإمام الحسين عليه السلام آلاف الرسائل تدعوه أن يأتي إلى الكوفة لقيادة الثورة. وبعد استشهاد الإمام يلتحق عشرات الآلاف بمجموعة «التوايين»، أو ينخرطون في جيش المختار وإبراهيم ابن مالك ضد الحكم الأموي.

ومن حق الباحث في التاريخ الإسلامي أن يسأل عن العوامل الكامنة وراء شيوع هذا الفكر والتحرك الموالي لآل البيت عليه السلام. هل يمكن أن يتم دون وجود نشاط مكثف محسوب منظم متحد في الخطة والهدف؟!

الجواب: لا طبعاً. فالإعلام الهائل، الذي وجهته السلطة الأموية عن طريق مئات القضاة والولاة والخطباء؛ لا يمكن إحباطه وإنشاله دون إعلام مضاد مخطط مرسوم؛ ينهض به تنظيم منسجم موحد غير مكشوف. وقيل وفاة معاوية تزايد نشاط هذا الجهاز العلوي المنظم، وتصاعدت سرعة عمله. حتى أن والي المدينة يكتب إلى معاوية ما مضمونه: «أما بعد، فإن عمر بن عثمان (عثن والي المدينة على الحسين عليه السلام) أخبرنا بأن رجلاً من العراق وبعض شخصيات الحجاز يترددون على الحسين بن علي، وتدور بينهم أحاديث حول رفع راية التمرد والعصيان... فاكثبوا لنا ماذا ترون»<sup>(١)</sup>.

بعد واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام تضاعف النشاط التنظيمي لشيعة العراق على أثر الصدمة النفسية التي أصيبوا بها في مقتل

→ ٣: ١٩٥، وكان سبب موته أنه سقط قتل حجرين عدي... وذكر ذلك في الاستيعاب، وأسد الغابة، والتدرجات الرفيعة، وغيرها. صلح الحسن عليه السلام: ٣٢٨.  
(١) ثورة الحسين، ١٦٨، نقلاً عن أعيان الشيعة والأخبار الطوال.

الامام الحسين عليه السلام؛ حيث بوغتوا بهذه الجريمة التي سلبتهم قدرة الالتحاق  
بركب الحسين وأهل بيته في كربلاء. وكان هذا التحرك مؤطراً بالألم  
والحسرة والأسف.

يقول الطبري: فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال  
ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين، فكان  
يجيبهم القوم بعد القوم والثغر بعد الثغر، فلم يزلوا كذلك حتى مات يزيد  
ابن معاوية<sup>(١)</sup>.

وحقاً ما قوله مؤلفه جهاد الشيعة إذ تعلّق على قول الطبري بالقول:  
وظهرت جماعة الشيعة بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام كجماعة منظمة،  
تربطها روابط سياسية وآراء دينية. لها اجتماعاتها وزعمائها، ثم لها  
قواتها العسكرية، وكانت جماعة «التوايين» اول مظهر لذلك كله<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من دراسة أحداث التاريخ ورأي المؤرخين في تلك البرهة  
الزمنية، أنّ الشيعة كانوا يتولون مسؤولية القيادة والتخطيط، أما القاعدة  
العريضة الساخطة على بني أمية، فكانت أوسع من المجموعة الشيعية  
المنظمة، وكانت هذه القاعدة تنضم الى كل حركة ذات صبغة شيعية.

من هنا فإن المتحرّكين ضد بني أمية، وإن رفعوا شعارات شيعية، لا  
ينبغي أن تصورهم جميعاً بأنهم في عداد الشيعة، أي في عداد الجهاز  
التنظيمي لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

انطلاقاً مما سبق، أودّ التأكيد على أن اسم الشيعة بعد شهادة الإمام

(١) الطبري ٧: ٤٦، نقل عن د. سميرة مختار اللبتي، جهاد الشيعة: ٢٨.

(٢) سميرة اللبتي، جهاد الشيعة: ٢٧.

الحسين عليه السلام أطلق فقط على المجموعة التي كانت لها علاقة وثيقة بالامام الحق، تماماً كما كان الحال في زمن امير المؤمنين عليه السلام.

هذه المجموعة هي التي عمدت بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام الى تأسيس التنظيم الشيعي بأمر الامام، وهي التي نشطت في كسب الافراد الى التنظيم ودفع أفراد أكثر، لم يرتفعوا في الفكر والنضج العملي الى مستوى الانخراط في التنظيم، نحو التيار انعام للحركة الشيعية.

والرواية التي اوردها عن الإمام الصادق عليه السلام في بداية هذا الحديث، والتي تذكر أن عدد المؤمنين بعد حادثة عاشوراء لم يتجاوز الثلاثة أو الخمسة، إنما تقصد أفراد هذه المجموعة الخاصة.. أي هؤلاء الذين كان لهم الدور الرائد الواعي في مسيرة حركة التكامل الثورية العلوية.

وعلى اثر النشاط المستمر الهادئ الذي قام به الإمام السجاد عليه السلام، توسعت قاعدة هذه المجموعة؛ والى هذا يشير الامام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة: «ثم لحق الناس وكثروا». وسنرى أن عصر الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام شهد تحرك هذا الجمع تحركاً اثار الرعب والفرع في قلوب الحكام الظالمين، ودفع هؤلاء الحكام الى ردود فعل قاسية.

وبعبارة موجزة، فإن اسم الشيعة في القرنين الاول والثاني الهجريين وفي زمن الأئمة عليهم السلام ما كان يُطلق على الذين يحبون آل بيت النبي صلى الله عليه وآله أو المؤمنين بحقهم وبصدق دعوتهم فقط، من دون اشتراك في مسيرتهم الحركية. بل إن الشيعة كانوا يتميزون بشرط أساسي وحتمي، وهو عبارة عن الارتباط الفكري والعملي بالامام، والاشتراك في النشاط الفكري



والسياسي، بل والعسكري الذي يقوده لإعادة الحق إلى نصابه، وإقامة النظام العلوي الإسلامي. هذا الارتباط هو نفسه الذي يطلق عليه في قاموس التشيع اسم «الولاية».

جماعة الشيعة كانت تطلق في الواقع على أعضاء حزب الإمامة.. هذا الحزب الذي كان يتحرك بقيادة الإمام عليه السلام، وكان يتخذ من الاستتار والتقية خندقاً له مثل كل الأحزاب والتنظيمات المضطهدة التي تعيش في جو الإرهاب. هذه خلاصة النظرة الواقعية لحياة الأئمة عليهم السلام، وخاصة الإمام الصادق عليه السلام. وكما ذكرنا من قبل لا يمكن أن يكون لمثل هذه المسألة دلائل صريحة، إذ لا يمكن أن نتوقع من بيت سزي أن يحمل لافتة تقول: «هذا بيت سزي»! وكذلك لا يمكن أن نطمئن إلى النتيجة دون قرائن حاسمة.

من هنا ينبغي أن نستبع القرائن والشواهد والإشارات من العبارات العميقة التي تلفت نظر الباحث المدقق في الروايات المرتبطة بحياة الأئمة عليهم السلام، أو في كلام مؤلفي القرون الإسلامية الأولى، عبارة «باب» و«وكيل» و«صاحب السر» وهي عبارات تطلق على بعض أصحاب الأئمة. فمثلاً، يقول ابن شهر آشوب المحدث الشيعي الشهير في سيرة الإمام السجادة عليه السلام: «وكان بابه يحيى بن أم الطويل» وفي سيرة الإمام الباقر عليه السلام يقول: «وكان بابه جابر بن يزيد الجعفي»، وفي ترجمة الإمام الصادق عليه السلام يقول: «وكان بابه محمد بن سنان». وفي «رجال الكشي» ترد حول زيارة وبريد و محمد بن مسلم وأبي بصير عبارة: «مستزوع سزي». وفي كتب الحديث تروى عن الإمام الصادق عليه السلام عبارة «وكيل»

بشأن المعلّى بن خنيس. وكل واحد من هذه التعبيرات؛ إن لم تكن صادرة عن الإمام؛ فإنها دون شك حصيلّة دراسة موسعة في حياة الأئمة، نهض بها المؤلفون الشيعة القدامى. واختيار هذه التعبيرات العميقة على أي حال ينطلق من معالم بارزة في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولو تأملنا في هذه التعبيرات لألفينا أن كل واحد منها يدنو على وجود جهاز فعال مستتر وراء النشاط الظاهري للأئمة عليهم السلام.

#### مستودع السر

إذا لم يكن لأحدٍ «سرٌّ» فليس له مستودع سر. فما هو هذا السر في حياة الأئمة؟ ما هذا الذي لا يتحمّله أصحاب الأئمة عامة، بل ثمة نفر معدود له لياقة وصلاحيّة تحمّنه، وبذلك نأى شرف اسم «مستودع السر»؟!

ولقد راحت الذهنية المتأخّرة البعيدة عن واقع الأحداث وتمحيصها تفسر هذا السر بأنه «سر الإمامة». كما راحت تفسر سر الإمامة بأنه الاسرار الغيبية والقدرة على الخوارق والمعاجز.

أنا أو من بقدره هذه الصفوة المقدسة من أهل البيت، الذين اختارهم الله لمواصلّة مهمة حمل الرسالة وتبليغها بعد رسول الله، أن يحموا مثل هذه القدرة ومثل هذه العلوم، كما أو من بأن تحلّيهم بهذه القوى والعلوم لا يتنافى أصلاً مع نظرة الاسلام إلى الانسان والتواضع الطبيعية وسنن الكون. ولكن هذه القوى والعلوم ليست هي «سر الإمام». فمثل هذه القوى والعلوم أوضح دليل على الإمامة وعلى صدق دعوى الإمام. لماذا

يكتم الإمام هذه الامور ويوصي اصحابه بكتمتها في روايات كثيرة،  
تصافرت حتى أصبحت الكتب الحديثية الشيعية تتضمن باباً يحمل  
عنوان: «باب الكتمان»<sup>(١)</sup> لا بد أن يكون هذا السر مما لو شاع لشكل  
خطراً كبيراً على الامام وأصحابه، وهذا شيء غير الغيبات والخوارق.

هل السر هو معارف أهل البيت؟ هل هو رؤية مدرسة أهل البيت  
للإسلام وفقهها وأحكامها؟ لا ننكر أن معارف مدرسة أهل البيت كانت  
تنشر في عصر الاضطهاد الأموي والعباسي وفق منهج الحكمة والتدبير،  
لكي لا يخوض فيها كل من هب ودب، ولكن هذه المعارف لا يمكن أن  
تكون هي سر الامام. فمع كل ما أحاط بهذه المعارف من اختصاص،  
كانت تدرس في مئات الحوزات الفقهية والحديثية في عدد من كبريات  
مدن الصقع الاسلامي آنذاك، كان الشيعة يتناقلون هذه المعارف  
ويشرحونها ويتداولونها. بعبارة أخرى كانت هذه المعارف خاصة لا  
سرية.

واختصاصها يعني أن رواجها كان محدوداً بالدائرة الشيعية، لكنها  
كانت تصل الى غير الشيعة أيضاً في ظروف خاصة. لم تكن أبداً محدودة  
بأفراد محدودين من أصحاب الأئمة وخافية على غيرهم.

الحق أن الأسرار هي ما يتعلق بالمعلومات المرتبطة بالجهاز  
التنظيمي للامام.. بالجهاز الذي يخوض معتركاً سياسياً باتجاه هدف  
ثوري.. بالثكتيك الذي ينتجه الجهاز... بالعمليات التي ينفذها.. بأسماء

(١) رجال الكشي: ٣٨٠ ط مصطفوي.

ومهام اعضاء الجهاز.. بمصادر التمويل.. بالأخبار والتقارير المتعلقة بالاحداث الهامة.. هذه وأمثانها من الاسرار التي لا يجوز أن يطلع عليها سوى القائد والكوادر المسؤولة. ربما تحين الظروف المناسبة عاجلاً أم آجلاً لإعلان هذه الاسرار وكشفها، ولكن قبل أن تحين تلك الظروف لا يمكن أن يطلع على هذه الاسرار سوى من يرتبط عمله مباشرة بها، وهم «مستودع السر». وكلّ تسريب لهذه المعلومات الى أوساط الشيعة فيانه يفتح ثغرة تسربها الى الاعداء، وهو خطأ كبير لا ينتظر، خطأ قد يؤدي الى انهدام الجهود والاعمال والمجموعة المنتظمة. ومن هنا نفهم ما يعنيه الامام عليه السلام إذ يقول: «ليس الناصب لنا حرياً بأعظم مؤنة علينا من المذبح علينا سرتنا. فمن اذاع سرتنا الى غير اهله لم يفارق الدنيا حتى يعصه السلاح»<sup>(١)</sup>.

### الباب والوكيل

في الارتباطات السرية بين الامام عليه السلام والشيعة قد يتطلب الامر إيصال بعض المعلومات الى الشيعة عن طريق «واسطة»، وهذا تدير معقول وطبيعي. العيون المتلصصة على كشف ارتباطات الامام عليه السلام تترصد التقاءاته بأتباعه في موسم الحج في مكة والمدينة حين تؤمها القوافل من أقاصي العالم، وقد يؤدي رصد هذه اللقاءات الى اكتشاف خيوط الجهاز المركزي لتنظيم الإمام؛ لذلك نرى أن الإمام عليه السلام كان يُبعد عنه بعض الافراد بلهجة لينة أحياناً، ومعاتبة تارة أخرى. يقول نسيان الثوري مثلاً:

(١) رجال الكشي: ٣٨٠، ط مصطفىوي.

«أنت رجلٌ مطلوب وللسلطان علينا عيون فأخرج عنا غير مطروود»<sup>(١)</sup>.

ويترحم الامام عليه السلام على شخص صادق في الطريق وأعرض بوجهه عنه، ويذم شخصاً آخر رآه في ظروف مشابهة فسم عليه باحترام وإجلال<sup>(٢)</sup>.

مثل هذه الظروف تستلزم وجود فرد يكون واسطة بين الإمام عليه السلام وبين من يحتاج الى معلومات تصل اليه من الامام، وهذا الواسطة هو «الياب»، ويجب أن يكون من أخلص أتباع الإمام، وأقربهم اليه، وأغناهم بالمعلومات والخطط. يجب أن يكون مثل «نحلة» إذا عرفت الحشرات المضرة ما تحمله من عسل قطعتها وأغزت على شهدها<sup>(٣)</sup>. وليس صدفة أن نرى تعرّض هؤلاء «الابواب» غالباً للمطاردة وأقسى ألوان البطش والتنكيل.

إن يحيى بن أم الطويل «باب» الامام السجاد عليه السلام يُقتل بشكل شيعي<sup>(٤)</sup>. وجابر بن يزيد الجمعي باب الإمام الباقر عليه السلام يتظاهر بالجنون ويشيع عنه ذلك فينتجيه من القتل الذي صدر الأمر به من الخليفة قبل أيام من اشتهاار جنونه. ومحمد بن سنان، باب الإمام الصادق عليه السلام، يتعرّض لطرده ظاهري من الامام رغم أن الإمام أبدى رضاه عنه في مواضع أخرى وأثنى عليه:

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٢٤٨.

(٢) الكافي ٢: ٢١٩.

(٣) هذا التعبير مقتبس من أحد نصوص الامام عليه السلام.

(٤) قُطعت رجله وهو حي لم يمت. للتعرف على هذه الشخصية الكبيرة راجع: رجال الكشي وسائر كتب الرجال.

وما ذلك إلا لتعرض محمد بن ستان لمثل هذه الأخطار. كما أن إعلان الإمام براءته من راي معروف مشهور حظي بإعلان رضا الإمام عليه السلام مراراً يعود على الاقويى الى تكتيك تنظيمي.

مثل هذا المصير يواجهه «الوكيل» أيضاً. مسؤول جمع الأموال المرتبطة بالإمام وتوزيعها، يملك أيضاً كثيراً من الاسرار وأقربها أسماء الدافعين والقابضين، وليست هذه المعلومات والتي يستهين بها أعداء الإمام، وأفضل دليل على ذلك مصير المعنى بن خنيس وكيل الإمام الصادق عليه السلام في المدينة، وتعبيرات الإمام القائمة على أساس التقية بشأن المفضل بن عمر وكيل الامام في الكوفة.

هذه العناوين الثلاثة (الباب، الوكيل، صاحب السر) التي نجد مصاديقها في وجوه بارزة من رجال الشيعة تلقي ظلالاً على واقع الشيعة وارتباطهم بالإمام والحركة التنظيمية الشيعية.

يمكننا بهذه النظرة أن نفهم الشيعة بأنهم مجموعة من العناصر المنسجمة الهادفة النشطة المتمركزة حول محور مقدس يشع بتعاليمه وأوامره على القاعدة، والقاعدة ترتبط به وتنقل اليه المعلومات، وتضبط مشاعرها وتسيطر على عواطفها بتوصياته الحكيمة، وتلتزم التزاماً دينياً بأساليب العمل السري، مثل حفظ الاسرار، وقمة الكلام، والابتعاد عن الاضواء والتعاون الجماعي والزهد الثوري.





# مختصات الإمام الصادق عليه السلام وانجازاته

آية الله السيد محمد باقر الحكيم

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله  
الطيبين وأصحابه المنتجبين.

والسلام عليك يا سيدي ومولاي يا أبا عبدالله وعلى الأرواح التي  
حلت بفنائك، عليكم مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا  
جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين  
وعلى أصحاب الحسين والسلام على بقية الله في أرضه الحجة ابن الحسن  
عجل الله تعالى فرجه الشويقف، والسلام على شهداء الإسلام من أول عصر  
الإسلام إلى هذا العصر والسلام على إخواني وأخواتي الحاضرين.

قال الله سبحانه في محكم كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَئِمَّةً يَفْهَمُونَ بِأَمْرِنَا  
وَأَوْعَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْغَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>

في البداية، أتقدم بالتعازي الحارة للسادة الأفاضل بمناسبة هذه  
الأيام الشريفة أيام ذكريات سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، أتقدم  
بالشكر الجزيل للأخوة القانمين على هذا المؤتمر وعلى دعوتهم  
وراتحتهم لي هذه الفرصة والحديث عن موضوع الإمام الصادق عليه السلام ،  
وإحياء الإسلام وتجديده، ولا سيما ونحن بحاجة إلى هذه الموضوعات

في عصرنا الحاضر.

أيها السادة الأفاضل والسيدات، نحن عندما نتحدث عن مثل هذا الموضوع (الإمام الصادق عليه السلام) ليس من باب التكريم فحسب، وإنما نريد من ذلك أيضاً أن نستلهم العبر والدروس في حياتنا المعاصرة، لأننا بحاجة إلى مثل هذه الدروس في هذه الحياة، ولا سيما الدروس التي يمكن أن يقدمها لنا الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك أحاول في هذه المقالة<sup>(١)</sup>، أولاً: أن أشير بصورة موجزة إلى دور أئمة أهل البيت عليهم السلام المشترك، ثم إلى الإمتياز الذي اختص به الإمام الصادق عليه السلام من دون أئمة أهل البيت، ثم بعد ذلك: أشير إلى العمل الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام، في موضوع تجديد الإسلام وإحيائه والمدة التي تولى فيها الإمامه.

### الأدوار المشتركة لأئمة أهل البيت عليهم السلام

القطعة الأولى: أنا أعتقد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام - عندما نتحدث عن هذا الاعتقاد لا نريد أن نشير الحساسيات المذهبية والطائفية، وإنما نريد أن نبين التصوير العام عن الأئمة في حياتهم، في تاريخهم هناك أدوار مشتركة وأدوار يمتيز بها كل إمام في عصره وفي ظروفه.

الأدوار المشتركة يمكن أن نلخصها في هذه العناوين:

أولاً دور الإمامة: نحن نعتقد أن الأئمة قد نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الله في أن يتولوا الإمامة، والإمامة لها مدلول واسع لا تعني الخلافة

(١) إن شاء الله، والتي لم أوفق مع الأسف لكتابة مقال في هذا الموضوع، إنما أعددت هذه الكلمة في عجائز مما ابتدئت به من ظروف خاصة يعرفها السادة والسيدات.

وحدتها والتي عرف بها تاريخ المسلمين؛ وإنما لها معنى واسع، وأئمة أهل البيت يشتركون في هذا الدور جميعاً.

والدور الثاني: في مشتركات أهل البيت، هو دور المرجعية الفكرية والدينية والذي يتمثل في الحديث الشريف، حديث الثقلين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيته، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي العوض»<sup>(١)</sup>.

والدور الثالث: في أئمة أهل البيت هو إدارة شؤون المسلمين وهو من الأدوار التي تولّاها بعض أئمة أهل البيت كالإمام علي عليه السلام، وولده الإمام الحسن عليه السلام، وسوف يتولاها - حسب معتقداتنا - في تاريخ البشرية، بصورة كاملة الإمام الحجة (عج) مضافاً إلى تولّيه للأدوار الأخرى.

والدور الرابع: لأئمة أهل البيت عليهم السلام من الأدوار المشتركة هو: المحافظة على الرسالة الإسلامية، بحيث تبقى هذه الرسالة رسالة بكل خصوصياتها وأصولها، تبقى معروضة لمن يريد أن يصل إلى الحق والهدى في معرفة هذه الرسالة، وذلك في مقابل ما تعرّضت له الرسائل السابقة من تحريف، بحيث انتهى الأمر إلى أنّ الباحث لو أراد أن يبذل كل ما في وسعه للتعرف على معالم الرسائل السابقة بكل خصوصياتها، فلا يتمكن من ذلك بسبب ذلك التحريف الذي تعرّضت له تلك الرسائل.

أئمة أهل البيت أحد الأدوار والمسؤوليات التي تحمّلوها في التاريخ الإسلامي هو المحافظة على هذه الرسالة الإسلامية.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک، ٣/١٤٨، قال: (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ٢٣٤، ٢٨١، ط ١ بطهران، عتبات الأنوار قسم حديث الثقلين: ١/١٣٦.

والدور الخامس - الذي يمكن الإشارة إليه بهذا الصدد - هو أن أهل البيت عليهم السلام بصورة مشتركة، تحمّلوا مسؤولية المحافظة على الأمة الإسلامية، ووجودها ووحدةها وقدرتها وبقائها كأمة تتحمل مسؤولية حمل الرسالة الإسلامية وإبلاغها.

والدور الأخير - الذي أُشير إليه بهذا الصدد - هو دور القدوة المتحركة والمتجسدة في تاريخ الإسلام والإنسان، بحيث يمكن للإنسان المسلم أن يرى الإسلام مجسداً من خلال الإنسان الذي يعايشه ويعاصره ويؤاكله ويشرب معه ويعيش معه. ولا يرى الإسلام فقط من خلال المفاهيم الكلية التي تطرح عادة في الرسائل الإلهية.

وقضية القدوة هي قضية مهمة جداً، والبحث في كل واحد من هذه الأدوار يحتاج إلى فرصة واسعة، وتستحق عقد مؤتمرات تُقيمها من أجل أن نعرف هذه الأدوار.

لكن مع كل هذه الأدوار المشتركة، هناك أدوار اختص بكل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام دون غيره من سائر الأئمة. والإمام الصادق عليه السلام الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام اختص من بين أئمة أهل البيت بمجموعة من الخصوصيات والإمتميازات، إمتياز في ظروفه التي عانى منها، وفي مسؤولياته وواجباته التي قام بها، وإلا فإن الأئمة عليهم السلام كلهم من نور واحد، ولا نريد أن ندخل في بحث التفضيل والإعجاز فإن له مجالاً آخر.

مختصات الإمام الصادق عليه السلام

في هذا المجال نحن نرى الإمام الصادق عليه السلام واجه مجموعة من الخصوصيات والظروف التي جعلته يتميز عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الخصوصية الأولى: في الإمام الصادق عليه السلام: هي أنه كان أطول أئمة أهل البيت عليهم السلام عمراً، وهذه الخصوصية أعطت للإمام الصادق عليه السلام فرصة واسعة لأن يقوم بدور لم يكن من الممكن لبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يقوموا بمثل هذا الدور، لأنّ الزمن له تأثير في الحوادث والنشاط والعمل وأداء المسؤوليات وما يمكن أن يحدث من خلال هذا الفعل.

الخصوصية الثانية: كان من أطول أئمة أهل البيت عليهم السلام عمراً في الإمامة والتصدي للإمامة، ولقد كان أربعة من أئمة أهل البيت يتقاربون في هذا الوقت والزمن، حيث امتدت إمامة الإمام الصادق عليه السلام بمدة أربعة وثلاثين عاماً، وإذا أضفنا إلى هذه الأعوام التي تصدى فيها للإمامة أيضاً ما كان يمكن أن يقوم به من عمل في زمن إمامة أبيه الإمام الباقر عليه السلام، حيث كان كبير السن نسبياً في زمن هذه الإمامة يمكن أن تعرف آنذاك أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يتميز على بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام الآخرين الذين لم تتاح لهم مثل هذه الفرصة.

فالإمام الحسن العسكري الذي كان أقصر أئمة أهل البيت عليهم السلام إمامة، لم تتح له مثل هذه الفرصة، كما أتاحت لأبيه الإمام الهادي الذي كانت مدة إمامته طويلة.

والخصوصية الثالثة - التي يمكن أن نذكرها - : بهذا الصدد هي

الخصوصية الأسروية، فالإمام الصادق عليه السلام كبقية الأئمة ينتمي إلى رسول الله ﷺ بالنسب، فهو من ناحية الأب ينتمي إلى علي عليه السلام، ولكن من ناحية الأم ينتمي إلى رسول الله وهوؤلاء هم جميعاً أبناء رسول الله، ولكن مضافاً إلى هذه الخصوصية - التي هي أشرف خصوصية في النسب، إذ لا يوجد نسب أشرف من الإنتساب إلى نسب رسول الله ﷺ - كان انتساب الإمام الصادق عليه السلام إلى الخليفة الأول أبي بكر، كما أشير إليه قبل قليل في بعض المقالات وهذا الإنتساب مع قطع النظر عن الشرف في المقاييس الحقيقية الواقعية، فهذا الحديث له حديث آخر، لكن كان له دور كبير جداً في التأثير من الناحية النفسية والروحية في أوساط المسلمين بصورة عامة، حيث أن المسلمين بصورة عامة يرون في أبي بكر أنه الخليفة الأول ويقدمون هذا الخليفة وكانوا يحترمونه، والإمام الصادق عليه السلام هو ابن هذا الخليفة أيضاً من ناحية النسب.

وهذا الأمر له دور عظيم جداً في تأثير الإمام الصادق في هذه الأوساط العامة من ناحية، وفي إتفتح هذه الأوساط عليه من ناحية أخرى، ولذلك فإن الإمام الصادق من أجل أن يعبر عن هذه الخصوصية وأنه في موقفه من الخلافة والخلفاء لا يتطرق من منطلقات شخصية وأسرية أو ذاتية، وإنما يتطرق من منطلقات فكرية وعقائدية، كان يقول: «لقد ولدني أبو بكر مرتين» حيث كانت أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمه أيضاً أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فهذه الخصوصية أيضاً كانت من الخصوصيات التي لا نعرفها لأي واحد من أئمة أهل البيت عليه السلام.

والخصوصية الرابعة: التي عاصرها الإمام الصادق هو تداخل الوضع السياسي في طول مدة الإمام الصادق واقترب هذا الوضع السياسي العام في الأوساط الإسلامية، حيث عاصر الإمام آخر فترة الحكم الأموي أي حالة إنهيار وتدهور الحكم الأموي، وسقوط فكرة العِدَاء لآل النبي محمد عليه السلام، الذي كان يقوم عليها الحكم الأموي، لأنَّ الحكم الأموي كان يقوم على مجموعة من الركائز والأسس المركزية، التي عندما نتحدث عنها الآن نرى بعض المسلمين لا يحسن بالارتياح من مثل هذا الحديث، لكن هذا هو الواقع الذي كان يقوم ظاهراً في بداية التاريخ، وهو أنَّ الحكم الأموي كان أحد ركائزه الرئيسية هو العِدَاء لآل رسول الله، ولم يكن العِدَاء لرسول الله، وكان سب علي عليه السلام وهو من أفضل أصحاب رسول الله لدى عامة المسلمين وأفضل أصحاب رسول الله لدى بعض المسلمين، كان سبته يمارس بصورة رسمية من قبل هذا الحكم، وعلى منابر المسلمين.

هذا الموضوع كان من الموضوعات التي سقطت في آخر أيام الحكم الأموي، وأصبحت هذه القضية في مرحلة السقوط، حيث كان الشعار الرئيسي الذي كان يحمله المسلمون بصورة عامة والذين تمكنوا بعد ذلك من خلال التيار القوي الواسع الذي شكلوه أن يطيحوا بالحكم الأموي، كان شعارهم الدعوة لحكم (الرضى من آل محمد)؛ الدعوة الى وجود حاكم يكون من آل رسول الله، بمعنى أنَّ شعار العِدَاء لآل رسول الله كان قد سقط في ذلك الوقت، أو كان على وشك السقوط، وكان الإمام الصادق عليه السلام قد عاصر بداية الحكم العباسي، التي كانت أيضاً فترة مضطربة وكان النزاع فيها قوياً بين التيارات السياسية، التي ترفع هذا الشعار شعار (الرضى من



آل محمد)، حيث بدأ الصراع في داخل التيارات السياسية والتي تتبنى هذا الشعار، وكان الحسينيون الذين ينتسبون من الناحية المذهبية الى الزيدية في ذلك الوقت كانوا يدعون بأنهم أقرب الناس الى رسول الله، وهم أولى الناس بهذا الحكم، لأنهم ينتمون الى عبدالله المحض، وعبدالله المحض أمه وأبوه كلاهما ينتميان الى رسول الله وينتمون الى الحسن بن علي السبط المجتبي، وهو الولد الأكبر لعلي عليه السلام وكانوا يطرحون الحق وأنهم أولى بالخلافة لأنهم الأقرب، والعباسيون أيضاً كانوا يرون أنهم أولى بالخلافة بادعاء أنهم يرثون العباس والعباس أقرب الى رسول الله من علي عليه السلام، فكانوا يحفظون موقع فاطمة عليها السلام وأنهم أبناء رسول الله عن فاطمة ويحاولون أن يقربوا أنفسهم الى النبي صلى الله عليه وآله من ناحية العم، لأن العم أقرب من ابن الأخ الى ابن أخيه. والنشق الثالث الإماميون يرون أن الخلافة هي في آل رسول الله، ولكنها ليست من ناحية الأقرية، وأن الخلافة من ناحية رسول الله من ناحية النص من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهناك صراع سياسي كان قائماً في بداية الحكم العباسي والصراع محتدم، أيضاً، وسالت فيه الدماء، بعد ذلك تحول هذا الصراع الى صراع كلامي بعدما توطن الحكم لبني العباس. فكان الإمام الصادق يعيش هذه الحالة السياسية المضطربة في آخر العهد الأموي وفي بداية الحكم العباسي. وهذه الخصوصية لا نعرف لها نظيراً في سائر أئمة أهل البيت بهذه الصورة وبهذا الشكل.

والخصوصية الخامسة: التي تتميز بها الإمام الصادق عليه السلام هو أن الإمام الصادق عليه السلام - بسبب الأوضاع السياسية التي أشرت إليها من ناحية وبسبب

أمور أخرى يطول الحديث فيها - كان يعيش فيها فترة الاهتزاز كما أعبر عنها، اهتزاز الأصول والقواعد والأسس والثوابت في الفكر الإسلامي وفي الحركة الإسلامية.

كان هناك مجموعة من الأصول والثوابت المقررة لدى المسلمين، هذه الثوابت بالتدريج ولأسباب عديدة بدأت تتخلخل حتى وصلت الى عصر الإمام الصادق عليه السلام، فاهتزت اهتزازاً واسعاً يشبه هذا الاهتزاز الذي نشاهده الآن من اهتزازات في أوضاعنا الإسلامية بالنسبة الى مسائل كانت تعتبر من المسلّمات والثوابت، والآن توجد أحاديث كثيرة في عصرنا ولا سيما بعد الحرب العالمية الأولى وحتى يومنا الحاضر، توجد أحاديث كثيرة جداً حول أصولنا الإسلامية.

وهناك مجموعة من القضايا مثل قضية الإمامة حيث وجدت حولها أحاديث كثيرة، أو أنه ماهو الطريق الى معرفة الإمام؟ كانت الإمامة في البداية تدور بين نظريتين؛ نظرية النقص وهي نظرية الإمامة الاثني عشرية، ونظرية الشورى ومن كان يحتال على الشورى والتي هي الأساس؛ ولكن يحتال على الشورى بطريقة أو بأخرى، أو يحاول أن يفضّ النظر عنها.

أما في عصر الإمام الصادق، فقد طرحت هناك مجموعة من النظريات الأخرى، حول مفهوم الإمامة منها مذهب الزيدية، الذين لم يكونوا يتحدثون عن النقص ولا عن الشورى، وإنما الإمام هو ذلك الشخص الذي يقوم بالسيف ويقا تل ويدعو للحكم وفق الحكم الشرعي، وكذلك الخوارج بذلوا جهوداً كثيرة في هذا المجال. إن الحاكم هو الذي

يتقيد بظواهر الأحكام الشرعية وأنه محدد الصلاحيات. وكان لهم تأثير في هذا المجال.

وكانت نظرية العباسيين هو أن الإمامة للأقرب ولذلك حاولوا أن يدخلوا من هذا الباب، وأصبحت هذه القضية (الإمامة) تهز العالم الإسلامي في خصوصياتها. وهكذا فإن الصراعات الفكرية أدت التي اهتزاز كبير من هذه الثوابت الإسلامية والدينية حتى في داخل الإماميين أنفسهم، وكان هناك مجموعة من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام - مثل جماعة أبي الخفاف - هؤلاء الذين كانوا مقررين إلى الأئمة يتحولون بعد ذلك إلى أصحاب نظريات فكرية، تقول هذه النظريات: إن المهم في الإنسان هو وصوله إلى الدرجات العالية من معرفة الله تعالى، أما الالتزام بالأحكام الشرعية وتفصيل هذه الأحكام وتطبيقها فهي ليست قضية مهمة، إنما المهم أن يصل الإنسان إلى مرحلة اليقين. عندما يصل إلى اليقين تسقط عنه جميع التكاليف والواجبات الأخرى.

هؤلاء كانوا يطرحون مثل هذا الفكر في داخل خط الإمامية فكيف الحال بالنسبة للحالة الإسلامية العامة، فهؤلاء أدى بهم تفكيرهم في مسألة الإيمان إلى حد أن وصلت الحال ببعضهم إلى المساواة في درجة الإيمان بين الأنبياء وبين إبليس، لأن الأنبياء وإبليس كانوا على درجة واحدة من المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وإنما يختلفون ويتفاضلون في مسألة العمل والسلوك وبذلك يفصلون الإيمان عن العمل فصلاً كاملاً بحيث أصبحت المسألة مهتزة إلى درجة لا شيء تثبت عليه ويكون الإيمان بهذا الطريق. وهكذا وجود القدرية والمرجئة والمعتزلة وغيرها. فهناك حالة فكرية ممزقة ومهتزة وليس لها قرار. هكذا واجه الإمام الصادق هذا

الاهتزاز الفكري.

وأيضاً ظاهرة أخرى على مستوى السلوك - إضافة إلى ذلك - كانت هناك حالة من عدم الاستقرار في السلوك حتى وصل بعضهم إلى حالة الرهينة التي أدانها القرآن الكريم. كان يذهب بعضهم إلى هذا المذهب وتحوّلت الحالة الصوفية في بعض درجاتها إلى حالة شبيهة بحالة الرهينة التي نعرفها في التاريخ المسيحي.

وفي مستوى السلوك بحيث يأتي بعض الشخصيات الكبيرة في العالم الإسلامي وهو عمرو بن عبّيد ويعترض على الإمام الصادق: كيف تلبس هذا اللباس يا بن رسول الله اللباس الأبيض الناصع الجميل الذي يغري العيون؟ فيرد عليه الإمام: ما هو الضير من ذلك؟ صحيح أن هذا ليس لباس آبائي وليس لباس أجدادي، ولكن الأوضاع السياسية والاجتماعية آنذاك تختلف عن الأوضاع الفعلية وهذا ينسجم مع الوضع الفعلي.

هذا، ينتقد الإمام الصادق ويبيّن الحكم الشرعي وما يتمنق بهذا الموضوع.

وأيضاً نرى ذلك الرجل الآخر عندما يرى الإمام الباقر عليه السلام يعمل في بستان وفي حز الصيف يقول له: كيف تنعّب نفسك وتنصب عرقاً هكذا من أجل الدنيا مع الدنيا؟! وهذا الرجل هو محمد بن المنكدر وهو من كبار العلماء.

فالحالة السلوكية كانت حالة سلوكية منحرفة في المجتمع الإسلامي؛ ومجالات أخرى يطول الحديث فيها.

هذه قضية مهمة جداً في معرفة موقف الإمام الصادق في هذا الموضوع أيضاً.

المخصوصية السادسة: التي يتميز بها الإمام الصادق عليه السلام، ولم نكن نعرف لها مثيلاً في سائر أئمة أهل البيت، هو هذا الارتباط الواسع الذي تمكن أن يحققه الإمام الصادق عليه السلام بمختلف الأوساط، سواء الاجتماعية أو السياسية، فقد كان له ارتباط بكل الأوساط السياسية في ذلك الوقت من العباسيين والزبيديين والوسط الأموي، كما تشير بعض النصوص، وهكذا الأوساط العلمية كان له ارتباط واسع لا مثيل له في أئمة أهل البيت ما عدا الإمام الرضا عليه السلام باعتبار أن الإمام الرضا عليه السلام أخذ موقفاً معيئاً في الحكم في ولاية العهد أتاح له مثل هذا الانفتاح، أما الارتباط الواسع العملي الثماني ومنه ارتباطه الوثيق بأئمة المذاهب وعلماء المذاهب في ذلك الوقت، وفي ذلك العصر هذا أيضاً من الامتيازات التي تميّز بها عصر الإمام الصادق عليه السلام، ولذلك نجد أن الإمام الصادق عليه السلام في عمله هنا تحمّل مسؤولية كبيرة لفترة حساسة ودقيقة وخطيرة في التاريخ الإسلامي، وقام بواجباته الكاملة تجاه هذه الفترة.

#### انجازات الإمام الصادق عليه السلام

أما النقطة الثالثة: ونحاول أن نختم بها الحديث، هي الأعمال التي قام بها الإمام الصادق عليه السلام، لمعالجة هذه الأوضاع الحساسة الخطيرة التي كان قد عاشها.

واجه هذه الأوضاع من خلال خطين رئيسيين:

الخط الأول: هو خط الأفكار والمفاهيم والتصورات الإسلامية الصحيحة، ودعوة الناس إليها من أجل جعل الناس يلتفتون حول خط إسلامي واضح، في وقت اهتزت فيه كل المفاهيم.

والخط الثاني: أن يوجد خطأ إسلامياً متحركاً في المجتمع الإسلامي، ولا يزال هذا الخط الإسلامي مؤثراً في حياة المسلمين جميعاً، باختلاف مذاهبهم مع شيء من التفاوت والاختلاف في الهامش، لكن الأصول بقيت محفوظة.

وقد قام بعدة أعمال لتحقيق ذلك:

**العمل الأول:** الذي طرحه الإمام الصادق في هذا المجال، هو قضية التأكيد على الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وإلى أهل البيت كناقلي هذه السنة، ومعرفيها ومبينيها لها باعتبار أنهم المستودعون لهذه السنة من قبل النبي صلى الله عليه وآله.

وبهذا الصدد ينبغي مراجعة الحوارات التي كانت تدور بين الإمام الصادق عليه السلام ومعاصريه، لترى أن السبب في التركيز على هذا الجانب كان من أجل أن يغطي هذا المفهوم، لأن المشكلة الحقيقية في هذا الأمر كانت واضحة والناس كلهم يقبلون هذا الأمر، إذ لا يقولون إن السنة غير مقبولة، بل لأن السنة مفقودة وغير موجودة بين أيدينا في ذلك العصر، وكان يقال إن العلم قد سُدَّ علينا إذ لا نعرف من السنة شيئاً، لأن السنة لم تكن قد دونت وكان وقت التدوين متأخراً، وهنا حديث واسع حول منع التدوين.

بعد ذلك: تأتي قضية الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي قضية واسعة جداً أيضاً وأسباب أخرى لأريد أن استغرق في الحديث عنها، مما جعل قضية السنة محل شك، وأصبح هناك من يدعو إلى أن يكون المرجع هو القرآن والاعتماد على الرأي من أجل أن نصير إلى النتائج المطلوبة في هذا الموضوع، حتى بعض الناس يقول: إن الرجوع إلى القرآن أمر غير ممكن،

لأنه مبهم وغير واضح ولا بد أن نحكم العلم والعقل في المسيرة، ولا نأخذ من القرآن إلا الكليات وروح الدين. أما التفاصيل والخصوصيات فهذا الأمر لا يمكن الوصول إليه، إلى غير ذلك من الطروحات التي تطرح في ذلك العصر.

والآن في عصرنا نواجه هذه الأطروحات أيضاً، فالإمام الصادق عليه السلام هنا أكد على مفاهيم القرآن ودور القرآن، تفسير القرآن بالقرآن، ودور السنة، فالسنة محفوظة وموجودة، ومن يشك بذلك فليرجع إلينا، ثم يبين لنا الإمام عليه السلام كل تفاصيل السنة.

وبعد الإمام الصادق بدأت هذه الحركة الواسعة في تدوين السنة، وفي وجود المجموعات الفقهية الحديثية الواسعة الكبيرة، من صحيح البخاري إلى الكافي، وكان لرجال الإمام الصادق عليه السلام ولأصحابه ولأصحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام دور رئيسي في هذه العملية التدوينية، التي حفظت لنا السنة لهذا اليوم وأصبح لا يمكن لأي واحد أن يقول: لا نرجع إلى السنة - لا من السنة ولا من الشيعة - أمامنا كثير من الروايات والأحاديث التي تعتبر موثوقة ومعتبرة، يمكن أن نستقي منها المعين الصافي للإسلام ونستلهم منها الأحكام الشرعية.

العمل الثاني: هو التأكيد على المقاييس والضوابط، فإن الإمام في هذا الطرف بالذات لاحظ إهمال مسألة المقاييس، الإمامة مثلاً، لذا كان يقول الإمامة لها مقاييس، وهذه المقاييس يجب أن تفهم، وهي مقاييس العلم، يجب أن يكون الإمام أعلم الناس بشؤون الدين والدنيا، وهكذا مقياس التقوى والعدالة، يجب أن يكون الإمام على درجة عالية من التقوى، وهكذا مقياس العقل والخبرة كان يؤكد على هذا الجانب وهذه

المقاييس. فلا تفتح الآن أي مدونة للأحكام الشرعية لأي عالم من علماء الإسلام في هذا العصر وهذا الزمان إلا وتجد هذه المقاييس، التي أكد عليها الإمام الصادق عليه السلام مثبتة ومدونة، بالرغم من أن التاريخ الإسلامي كله كان على خلاف مع هذه المقاييس، لكن نرى علماء الإسلام يرون الآن هذه المقاييس أنها الأساس والثابت.

العمل الثالث: في هذا الموضوع هو قضية العلاقات الإنسانية بين الشعوب والجماعات، حيث إن هناك قضية كانت مهتزة كقضية انطبقات في المجتمع الإسلامي، مثل قضية دور قريش والعرب، وموضوع قريش لم يرد أي حديث لرسول الله من أوله إلى آخره - على أن ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووصلنا هو عشرات الآلاف من الأحاديث - لم يرد في حديث رسول الله ولا رواية بخصوص مدح قريش، إلا التزور القليل وعددها لا يتجاوز عدد الأصابع.

فلو كان لقريش هذا الدور العظيم - على ما يروا - لوجدنا هناك مئات الأحاديث التي تتحدث عن هذا الموضوع، ولكن أصبح الحال على كل حال يتحدث عن أن الدين لهم دور، وللعرب أيضاً لهم دور، والموالي أيضاً يقسمون ولهم دور إلى غير ذلك، والشعوب أيضاً لها أدوار حتى غير الشعوب العربية، الفرس أيضاً لهم شريحة واسعة ودور وكذلك الترك، الترك مقدمون على الفرس والجهات الفلانية مقدمة على غيرها، عملية معقدة كان يعيشها المجتمع الإسلامي، نتيجة امتيازات الأمويين الاجتماعية والسياسية وارتباك العباسيين في التعامل مع هذه القضية وعدم قدرتهم على ضبط هذه الحالة.

هنا الإمام الصادق عليه السلام أكد في هذا الدور على قضية العلاقات الإنسانية



القائمة على الأصول الإنسانية. هذا ليس كلاماً للإمام الصادق، وإنما هو كلام القرآن الكريم، ولكن من حيث الواقع الخارجي العملي كان هناك اهتزاز في هذا الجانب. كان الإمام الصادق يؤكد على هذه الأصول عملياً وقولياً، ولذلك كان هذا الانفتاح من الشعوب غير العربية عنى أهل البيت عليهم السلام، هذا الانفتاح الواسع على حب أهل البيت عليهم السلام، حتى أولئك الذين لا يتمذهبون بمذهب أهل البيت ولا يلتزمون بمذهبهم ولا يلتزمون بفقههم، ترى حب أهل البيت في الشعوب غير العربية هو أعلى وأكثر من الشعوب العربية. لماذا؟! وإذا كان الحديث عن العرب فهم سادة العرب، وإذا كان الحديث عن العلم والفضل والجهاد فهم سادة العلماء والفضلاء والفقهاء والمضحين ولا يشك أحد في ذلك. لكن نرى الحب - حب أهل البيت - في الأوساط غير العربية أكثر من الحب الموجود في الأوساط العربية. نحن نتكلم عن الوسط العام، لا أتكلم عن الأفراد والأشخاص.

نجد هذا النوع في الانفتاح لأهل البيت عليهم السلام، يرجع إلى الحالة الإنسانية بصورة عامة، بحيث نرى أنّ رؤساء العرب يأتون إلى الإمام علي عليه السلام ويقولون غلبتنا عينك الحمراء، ويقصدون هؤلاء الأعاجم غلبونا، أو بعض النصوص تقول غلبتنا عينك الموالي، الموالي أيضاً مرجعها إلى حالة الأعاجم، يقولون هؤلاء تساويهم معنا في العطاء، في المناصب؟! هذه الأقاويل كانت مطروحة في المجتمع الإسلامي. فالإمام الصادق عليه السلام أكد على أن العلم والعلوم الطبيعية من المسائل الحساسة المطروحة في المجتمع الإسلامي، وتبدو من خلال المناقشات أنّ بعض العلماء الطبيعيين من قبل الأطباء، والكيميائيين، أو الفلك، أو غير ذلك من العلوم

في ذلك العصر، هؤلاء كانوا على الأغلب من غير المجتمع الإسلامي، هؤلاء أخذوا يطرحون مسألة العلم أنه هو الأساس، ولا نحتاج إلى الدين، الدين دوره دور روجيه معنوي أخلاقي، أما العلم فهو الذي يمكن أن يكون الأساس للمجتمع الانساني. الإمام الصادق عليه السلام كان له دور عظيم جداً أيضاً في هذا المجال ومن جانبين، جانب طرح المفاهيم، وأن العلم يتكامل مع الدين، وجانب أن العلم لا يمكن أن يكون على خلاف الدين. العمل الرابع: هو تأكيد التقيد بالأوامر الشرعية، وأن الحكم الشرعي يمثل الأصل، كما أن الإيمان يمثل أصل الإيمان، والالتزام بالحكم الشرعي أصلاً به يتكامل الإيمان وبدون العمل يتنازل الإيمان ويتنازل حتى يتحول إلى الكفر والنفاق، ومسألة الإيمان ليست مسألة اعتقاد فقط، وإنما التزام الحكم الشرعي يمثل تكامل في حركة هذا الإنسان وهناك تأكيد كبير جداً في هذا الموضوع.

والعمل الخامس: الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام هو الانفتاح على مذاهب الجماعات الإسلامية، وليس العمل على الوحدة بينها، لأن نظرية أهل البيت عليه السلام، أن الأمة الإسلامية هي أمة واحدة تشترك في قضايا كثيرة جداً، وأن هذه الأمة الواحدة فيها هامش واسع من الاختلاف، وأن هذا الهامش الواسع في اختلاف الرأي والنظرية لا يؤثر على الودة والعلاقة والمحبة بين المسلمين أنفسهم ولا يؤثر على وحدتهم، هذه الحالة من الحالات المهمة جداً التي اهتم بها الإمام الصادق، والإمام الصادق انفتح على هذه الجماعات الإسلامية عملياً بمختلف اتجاهاتها، وبعض هذه الجماعات على ما يبدو كانوا من النواصب الذين يتصبون العداة لأهل البيت، لكن الإمام الصادق انفتح عليها ليعبر عن هذه الوحدة المعنوية

لهذه الأمة والمحافظة على وحدة الأمة الإسلامية.

وأعتقد أنه لولا الإمام الصادق وبعض أئمة أهل البيت عليهم السلام ، الذين كانوا قبله وبعده كان من الممكن أن تنقسم وتتجزأ أمتنا الإسلامية مشما تميزت الأمم الأخرى الدينية، وكان كل جماعة من جماعات المسلمين الآن يمثلون أمة مقابل الأمم الأخرى.

هذه مجمل المفاهيم التي أكد عليها الإمام الصادق عليه السلام ، هذا في الخط الأول.

أما في الخط الثاني: فلم يقيم الإمام الصادق بطرح المفاهيم: بل قام بالإنجازات العملية الإجرائية من أجل تجسيد هذه القضية، ونلخصها في نقاط خمسة:

١- أقام الإمام الصادق علاقات سياسية ميدانية واقعية لم تكن تطرح كمفهوم فقط، بل مارس شخصياً هذا العمل مع مختلف الأوساط العلمية، ولذلك نجد هذا الاحترام البالغ له من أئمة المذاهب كآبي حنيفة رغم النقاشات الحادة والقاسية، ومع ذلك كان الاحترام بين الإمام وآبي حنيفة احتراماً متبادلاً والعلاقة قائمة. إذاً، هذه النقاشات الحادة لا تمنع من العلاقات القائمة على الاحترام.

وهكذا كان احترام الإمام الصادق لمالك بن أنس المعروف الذي سمعته أحاديثه عن الإمام الصادق، وهكذا البقية كسفيان الثوري المعروف، الذي كان يتحدث معه الإمام الصادق بقسوة من أجل ترسيخ تلك المفاهيم، ومع ذلك كانت له علاقات طيبة معه، هذه المسألة مهمة جداً في العمل السياسي، يعني تقول رأياً في موضوع وتعطي موقفاً تجاهه، ولكن في نفس الوقت عليك أن تحترم الجانب الآخر وتحترم

موقعه وتحدث معه بما تراه من أمر صحيح، هذه مسألة مهمة جداً وقد مارسها الإمام الصادق ليس على صعيد المفاهيم فحسب، وإنما على مستوى الواقع أيضاً.

٢ - أعداد وتربية عدد كبير جداً من العناصر المنضبطة المتقيدة بهذه الحركة؛ بحيث أصبح لها تأثير كبير على الحالة الإسلامية وعلى المجتمع الإسلامي.

الإمام شرف الدين عليه السلام يذكر وجود مائة شخصية شيعية من كبار الشيعة لهم وجود في أسانيد الصحاح. وحين نرجع لهؤلاء نجد أنفسنا أمام حالة واسعة مثل إسماعيل بن يزيد، هذا الإنسان عنصر شيعي يعتبر من كبار قتهاء أصحاب الإمام الصادق وأصحاب الإمام الباقر، وفي نفس الوقت كان يعمل في ديوان المنصور الدوانيقي. وقد حضر أمثال هذا الإنسان في بلاط الحكومات من أجل أخذ المعلومات، وإيجاد هذا التيار المفاهيمي من الناحية العملية داخل الجسم الإسلامي الكبير، وأبان بن تغلب وغيرهما من كبار التابعين.

٣ - اجتناب الدخول في الصراعات السيامية. هناك تساؤل لازال يطرحه ويتبناه المستشرقون، ويتبناه أيضاً بعض مفكري أهل السنة، وكذا بعض الشيعة ومفاده: لماذا لم يتصد الإمام الصادق عليه السلام لقيادة التيار السياسي في ذلك العصر الحساس، الذي اضطربت فيه الأوضاع السياسية أثناء فترة الأمويين والعباسيين. والإمام الصادق عليه السلام بعظمته وكثرة شيعة أهل البيت آنذاك لماذا لم يدخل الإمام الصادق عليه السلام المعادلة السياسية باعتباره يمثل تياراً رئيسياً فاعلاً في حياة الأمة، في الوقت الذي تسمح به الظروف لمثل هذا الدور؟ ولماذا يترك الأمر السياسي الذي هدفه

الانقلاب ولا يمسك بزمام الحكم؟

أنا ألتخص ما توصلت له - وأنا احتمل الخطأ فيما توصلت إليه (والله أعلم) فأنا لم أبحث بصورة دقيقة وواسعة - فالإمام الصادق عليه السلام كان يرى في ذلك الوقت من الناحية العملية، أن لا يدخل في الصراعات السياسية التي توصل إلى السلطة والحكم، وإنما يدخل في الصراع السياسي ضد الاستبداد والطغيان عندما يتعدى حدوده، وأشار بعض الأخوة لذلك إلى بعض هذه المعالم بأن الإمام الصادق كان يرى أن لا يدخل في الصراعات السياسية، وإنما يتخذ موقفاً يتيح له أن يواجه الطغيان والاستبداد، أو عندما يتجاوز الطغيان حدوده، أما الصراعات الجارية فليس من المصلحة أن يدخل بها، ثم إن من مهام الإمام في هذه الفترة هي المحافظة على ثوابت الإسلام، ثم المحافظة على الأمة الإسلامية، هذا بما يجاز موقف الإمام عليه السلام.

٤ - الالتزام العالي العملي لتطبيق الشريعة، يعني إعطاء الصورة المجسدة للحياة الإسلامية لهذه المفاهيم بغية إيضاح المفاهيم من الناحية العملية؛ فنجد حينما يتحدث عن الرهينة يعالجها من جهة المفهوم أولاً، وثانياً يمارس السلوك الإسلامي المضاد لها، وهكذا في الأمور الأخرى.

٥ - الاهتمام البالغ بقضية العلوم الطبيعية، لقد اهتم الإمام الصادق بالعلوم الطبيعية اهتماماً بالغاً، مثل: علم الكيمياء، وعلم الطب، وعلم الفلك، وعلوم الفلسفة التي هي ليست من العلوم الطبيعية، وإنما هي علوم إنسانية وليست هي علوم مرتبطة بالدين ولكنها تطورت بعد ذلك وكان لها ارتباط بالدين، لكن الإمام الصادق عليه السلام اهتم بهذه العلوم التي يتداولها الناس، والتي كانت من اهتمامات غير المسلمين مما دفع بالإمام الصادق

الى أن يهتم بهذا الجانب وسلح أصحابه من خلال تخصيص مجموعة من أصحابه لتولّي ردّ الشبهات ودفع الشكوك التي تعرض إليها الفكر الإسلامي، في تلك الفترة، وعليه تمكن الإمام الصادق عليه السلام أن يحقق هذا التجاح.

وفي واقعنا الراهن نجد هذا التحدي، قد أعاد نفسه وجاء بمخططات أكثر شراسة وأدق تخطيطاً، ولهذا نجد القضية الفلسطينية التي مر عليها أكثر من نصف قرن تشهد هذه الأيام عدواناً وحشياً مكشوقاً، يلاحظه كل العالم من خلال جهاز التنفّاز. وهذا الاستهتار لم يشهد له التاريخ مثيلاً قط، فهناك مشترك آخر بين عصر الإمام وعصرنا ذلك هو الاهتزاز في القيم والثوابت، فالأمس يعقد مؤتمر القمة العربية في بيروت ويتحدثون عن العمليات الاستشهادية في فلسطين وعن جهاد الشعب الفلسطيني (أنه عتف في مقابل عتف)، هذا الاهتزاز في الواقع وفي المواقف يجري في ساحتنا، نحتاج فيه الى مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، إذا كنا جادين أن نحيي دور الإمام الصادق، فإنه ليس إماماً نشيعة أهل البيت عليهم السلام فحسب، لكن الإمام الصادق هو إمام المسلمين عامة وقد سمعتم (آراء) أئمة المذاهب في الإمام الصادق عليه السلام. هذا الإمام يمكن أن يستلهم كافة المسممين من عطاءه وأفكاره وأسلوبه وطريقته وتضحياته، ومن الممكن أيضاً أن يستلهموا وأن يردوا هذا المنبع الصافي الذي يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن القرآن الكريم.

فلنأخذ من هذه المدرسة ونوظفها في حياتنا فنأتي الى ثوابتها الإسلامية من أجل أن نرسخها في هذا العصر ونترك صراعاتنا الجسانية، من أجل أن نوطد الصراع مع العدو الرئيس الموجود أمامنا، وينبغي أن

يأخذ المسلمون أقوى الأساليب ومنها أساليب العلم والرجوع للقرآن الكريم والسنة من أجل استنباط الأحكام والمواقف الملائمة لحل مشكلاتنا المعاصرة.

وعليه، فنحن نحتاج الرجوع الى مدرسة الإمام الصادق عليه السلام والى القرآن الكريم والى السنة النبوية التي نقنها لنا أئمة أهل البيت، ونستنبط الحلول للمشاكل التي يواجهها العالم الإسلامي، هذا النوع من الحركة في الحقيقة استلهام من هذه المدرسة وإحياء حقيقي وتكريم حقيقي للإمام الصادق عليه السلام.

لا شك أن أحاديثنا وحديثكم عن الإمام الصادق هو من أجل تكريم هذا الإمام العظيم ثم استلهام الدروس من فكره وسلوكه ودعم مسيرتنا وحركتنا، حتى تحقيق الكمال المنشود.

أسأل الله السداد لكل العاملين؛ ولدولتنا المباركة دولة الإمام الصادق عليه السلام والحمد لله رب العالمين.



حياة الإمام الصادق عليه السلام  
وقبس  
من أخلاقه وآدابه

الدكتور محمد حسن تبرائيان

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ليس بالأمر اليسير، لأننا نتحدث عن شخصية إسلامية فذة وعلاقة، استطاعت أن تثبت قواعد الدين الإسلامي الحنيف وتقدم الإسلام للأمة ناصحاً نقيماً متألقاً من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام، تلك المدرسة التي فتح الإمام الصادق عليه السلام بابها على مصراعيه نكافة عشاق الإسلام والمتطلعين إلى فهم الحقيقة وإدراكها بعد أن حاول الطغاة والمستبدون من الأمويين والعباسيين أن يمحوا معالم هذه المدرسة ويغلقوا أبوابها إلى الأبد.. لقد تمكن الصادق عليه السلام بما يملك من علم غزير، وذهن وقاد، وحكمة رائعة: ونفس وأناة وأسلوب عمل مدروس ناجح، وصبر على الشدائد والأهوال أن يرسم معالم هذه المدرسة الأصبغة، ويسمع صوتها إلى كل العالم رغم ما يمتلكه المناهضون من إمكانات لا تحصى ووسائل إرهاب وتضليل.

الإمام الصادق هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام. ولد بالمدينة المنورة سنة (٨٠ هـ) وقيل (٨٣ هـ)، والتاريخ الأول أصح حسب بعض الروايات<sup>(١)</sup>. وكانت ولادته عليه السلام في عام الجحاف وهو العام الذي جاء فيه سيل بمكة

(١) كشف الغمّة، علي بن عيسى الإربلي؛ ١٥٥.

ذهب بالحجاج ففرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مر به<sup>(١)</sup>.

أُمه أم قروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر<sup>(٢)</sup> واسمها قريية، وأُمها (أبي جدته لأمه) هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. ولذلك قال الصادق عليه السلام: «لقد ولدني أبو بكر مرتين»<sup>(٣)</sup>.

كنيته أبو عبدالله، وقيل أبو اسماعيل إلا أن الأولى أشهر، ويسلقب بالصادق والصابر والفاضل والظاهر؛ واشتهر بالصادق لصديق حديثه<sup>(٤)</sup>.

توفي عليه السلام سنة (١٤٨ هـ)<sup>(٥)</sup> أو (١٤٧ هـ)<sup>(٦)</sup> أو (١٤٩ هـ)<sup>(٧)</sup>، ويبدو أن التاريخ الأول هو الأقوى وقد أكد عليه المسعودي في مروج الذهب بقوله: لعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة (١٤٨ هـ) ودفن بالبقيع مع أبيه وجده وله ٦٥ سنة (أخذاً بنظر الاعتبار رواية ولادته سنة (٨٣ هـ)؛ وقيل إنه سُمي. وكان على قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي

(١) تاريخ الطبري: حوادث سنة ٨٠ هـ.

(٢) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٣٤٦.

(٣) كشف الغمّة: ١٦٦.

(٤) في رحاب أئمة أهل البيت، محسن الأمين العاملي: ٣٠ / ٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) العبادي العامة للفقّه الجعفري، هاشم معروف الحسني: ١٦.

(٧) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني: ٢٣٣.

ابن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ومحمد بن علي  
وجعفر بن محمد عليهما السلام <sup>(١)</sup>.

وبدأت إمامة الصادق عليه السلام بعد وفاة أبيه سنة (١١٧ هـ) وقد أمضى منها  
(١٥) عاماً في حكم الأمويين حيث عاصر هشام بن عبدالمك والوليد بن  
يزيد بن عبدالمك، ويزيد بن الوليد الملقب بالناقص، وإبراهيم بن الوليد  
ومروان الملقب بالحمار آخر خليفة أموي. والسنين الباقية من حياته في  
عهد السفاح والمنصور العباسيين <sup>(٢)</sup>.

لقد بدأ الإمام الصادق عليه السلام إمامته في ظل مرحلة انتقالية؛ أي مرحلة  
انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين، وهي مرحلة ذهبية ولاشك  
بالنسبة للإمام الصادق عليه السلام حيث إن الحياة السياسية غير المستقرة تعني في  
جملة ما تعنيه انشغال السلطة عنه وعن أهل البيت عليه السلام مما يسمح له  
بالتحرك بحرية لأداء الرسالة الملقاة على عاتقه والنهوض بالمسؤوليات  
الجسام، وفي مقدمتها الكشف عن الوجه الإسلامي الناصح، وطرح  
الإسلام على حقيقته وتعريف الناس به، وإزاحة كل زيف وزيف وضلال  
حاولت السلطة الأموية المنقرضة أن تقدمه للناس على أنه الإسلام!

لقد وجد الإمام الصادق عليه السلام في انحسار الكاهوس الأموي الذي كان  
يلاحق بسيفه آل البيت وأنصارهم ومحبيهم وكل من يشتم ولاؤه لهم، لقد  
وجد الإمام الصادق في تلك المرحلة التي أسميناها بالانتقالية فرصة

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ٧٩.

(٢) السبائك العامة للشيخ الجعفري: ١٧.

عظيمة لم تسنح للأئمة الذين سبقوه، لكي يتقدم بخطوة وثيدة وامتزنة على طريق الكشف عن كنوز المدرسة العلوية التي تمثل الامتداد الطبيعي للإسلام ولنهج الرسول ﷺ .

واتبرى الإمام الصادق عليه السلام لممارسة دوره الإلهي، ولكن نيس على صعيد رسم ملامح مدرسة أهل البيت فحسب، بل على صعيد مجابهة بعض التيارات الفكرية المنحرفة كالزنادقة والغلاة والتيارات الأخرى كأهل الرأي والدهريين والجدليين وغيرهم... هذا في وقت وصل فيه الضمير الإسلامي الى درجة كبيرة من الجمود والغفلة<sup>(١)</sup>.

غير أن تلك الفترة الانتقالية لم تدم طويلاً سيما بعد وفاة أبي العباس السفاح ومجيء أخيه المتصور.. فقد واجه الإمام الصادق عليه السلام في عصره من المحن والشدائد ما لم يواجهه في العهد الأموي. وكان وجوده ثقيلاً عليه لأنه أينما ذهب وحيثما حلّ يراه حديث الجماهير، ويرى العلماء وطلاب العلم يتزاحمون من كُنْ حذب وصوب على بابيه في مدينة الرسول يزودهم بتعاليمه ويلقي عليهم دروسه وارشاداته<sup>(٢)</sup>.

لهذا كان العباسيون أشدّ وطأً على أهل البيت من الأمويين.. فقتربوا إليهم جماعة من العلماء وفرضوا على الناس آراءهم بالسيف ليصرفوهم عن آراء الأئمة من أهل البيت وفتحهم.. حتى أنّ الأمر قد وصل بالمنصور أن يأمر مالك بن أنس: «أفت برأي من شئت من الصحابة والتابعين ولا

(١) الأئمة الاثني عشر، عادل الأديب: ١٩ .

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢٢٧ .

تفتين برأي عليّ وابن عباس»<sup>(١)</sup>.

وقد أذكت الأحقاد والوشايات تلك النزعة الارهابية والممارسات القائمة على الظلم الموجه نحو آل البيت عليه السلام ، وعلى رأسهم الإمام الصادق عليه السلام ، وكان الناس يتقربون بتلك الوشايات الى الخليفة العباسي «فلا حرمة للنفوس ولا قيمة للدين ولا نظام يشمل الرعية، بل هي فوضى، والأمراء يحكمون بما شاؤوا والرعية بين أيديهم العوبة لأغراضهم»<sup>(٢)</sup>.

وكان المنصور العباسي لا يرى لمنكحة بقاء إن بقي أحد من آل محمد في الوجود، وكان الفتك بهم هو شغنه انشاغل ولا يتوقف في تنفيذ إرادته مهما كلفه الأمر<sup>(٣)</sup>. وكان يقظاً لا يفوته ما لجعفر بن محمد من المنزلة في المجتمع، ويعظم عليه اتجاه الأنظار إليه.. فهو على حذر دائم لأنه يعرف مقام الإمام ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية<sup>(٤)</sup>.

وفي مثل تلك الظروف الخائفة والمتسمة بالرعب - حيث سعى المنصور لقتل الإمام عدة مرات - حاول الإمام قدر الامكان أن يخفي نشاطه السياسي عن الجهاز الحكومي ويمارس دوراً فكرياً وعلمياً بحثاً، لهذا نراه يركز على جهوده على الجانب الفكري والعلمي، أو ما يمكن أن نعتبر عنه بالثورة الفكرية الى جانب عمل سياسي شديد التكتم عليه. وأهم

(١) المبادئ العامة للفقه الجعفري: ١١.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر: ٣٦/١.

(٣) المصدر السابق: ٤٣.

(٤) المصدر السابق: ٤٥.

الخطوط العريضة في ثورته الفكرية تلك:

- ١- العمل على توعية الأمة بالاحتكاك بها بشكل دائم ومنظم.
- ٢- إرساء قواعد مدرسة لتقديم الفكر الإسلامي الأصيل في رحابها، وتخريج القياديين من الفقهاء والرواة والمحدثين ليكونوا عقل الأمة ومرجعها في التفكير.
- ٣- الرد على الشبهات وتفنيدها بالمزاعم الإلحادية التي يثيرها الزنادقة وجماعة الوضاعين في الحديث مثلاً<sup>(١)</sup>.

لقد آثر الإمام الصادق عليه السلام بالثورة.. لكن ثورته لم تكن بقوة السلاح، بل كانت قائمة على نشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى التحلي بالخلق الإسلامي الرفيع الذي يفرض على المسلمين اجتناب المعاصي والمنكرات وحسن الصحبة والنجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس أجمعين. وأراد من أصحابه أن يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس إلى هذه الخصال بأعمالهم قبيل أقوالهم، وكان يقول لهم: مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا أجلاً ولم يبعدا رزقاً.. ثم يقول: ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٢)</sup>.

ونتيجة لأعمال الإمام الدؤبة وجهوده المتواصلة التي لا تعرف الكن والملك فقد تخرج على يديه عدد كبير جداً من الطلبة الذين كان

(١) الأئمة الاثني عشر: ١٦٩.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢٤١.

كلّ منهم استاذاً وعالمأ قادراً على أداء دوره الرسالي وإيصال صوت الحق وإعطاء الإسلام على أنصع صورة في أجمن حلة. وقد بلغ مجموع تلامذة الإمام عليه السلام أربعة آلاف تلميذ<sup>(١)</sup>، وهو رقم ضخم إذا ما قيس بالأوضاع آنذاك والامكانيات المتاحة والظروف التي كان يعيشها الإمام الصادق، وهو يكشف بنفس الوقت عن مدى الجهود العظيمة التي بذلها الإمام وعزمه الراسخ على بلورة مدرسة أهل البيت وتوضيح معالمها التي كاد الجور أن يدرسها. وكان ممن تخرج على يديه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري؛ وابن جريح، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري؛ وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة بن الحجاج، وأيوب السجستاني، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طهمان وغيرهم<sup>(٢)</sup>. وقد روى عنه أبان بن تغلب لوحده ثلاثين ألف حديث<sup>(٣)</sup>. كما روى التجاشي في رجاله عن الحسن بن علي الوشائري أنه قال: أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد<sup>(٤)</sup>.

وانطلاقاً من خشية المنصور من تلك الثورة الفكرية الثقافية التي قادها الإمام الصادق دون هوادة، فقد سعى إلى توجيه ضربة فكرية وثقافية للإمام وإسقاطه علمياً في أعين العلماء كمحاولة أولى على طريق

(١) الأئمة الاثني عشر: ١٧٢.

(٢) كشف الغمّة: ١٥٤، ١٨٦.

(٣) في رحاب أهل البيت: ٣٤.

(٤) المصدر السابق.



التخلص من الإمام وإزاحته جانباً، لهذا عمد إلى إحضار أبي حنيفة وقال له: يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيء له من المسائل الشداد، فهيأ له أبو حنيفة أربعين مسألة. ثم بعث إليه فلما حضر عنده وجد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام جالساً عن يمينه، فدخلته من الهيبة للإمام ما لم تدخله للمنصور. ثم التفت إليه المنصور قائلاً: يا أبا حنيفة الق مسائلك على أبي عبدالله، فجعل يلقي عليه فيجيبه فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا. يقول أبو حنيفة: فربما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أدخل منها بمسألة واحدة<sup>(١)</sup>.

فلما أسقط في يد المنصور راح يتصيد التهم لكي يأخذ بها الإمام الصادق، إلا أنه عليه السلام كان حذراً جداً في تحركه ومحتاطاً إلى درجة بعيدة لما يعرفه عن ترصد المنصور له وإحصائه لأنفاسه. وقد أراد المنصور أن يوقع بالإمام يوماً فدعا رجلاً يسمى ابن مهاجر وقال له: خذ هذا المال وآت المدينة وائق عبدالله بن الحسن وجعفر بن محمد وأهل بيتهم وقل لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان من شيعتكم، وقد وجهوا إليكم بهذا المال، فادفع إلى كل واحد منهم على هذا الشرط كذا وكذا، فإذا قبض المال قل: إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبض ما قبضتم مني. ومضى فلما رجع قال له المنصور: ما وراءك؟ فقال أتيت القوم وهذه خطوطهم ما خلا جعفر بن محمد فإني أتيتهم وهو يصلي في مسجد

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٣١٥/١ - ٣١٦.

الرسول صلى الله عليه وآله، فجلست خلفه وقلت: ينصرف وأذكر له فعجل وانصرف، فالتفت إلي وقال: يا هذا، اتق الله، ولا تغرن أهل بيت محمد، وقل لصاحبك اتق الله ولا تغرن أهل بيت محمد<sup>(١)</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فقد كان الإمام عليه السلام شديد التأكيد على قضية كتمان السر، بل أصبحت هذه القضية جزءاً لا يتجزأ من تحركه السياسي آنذاك وأسلوبه في العمل وكان يؤكد ويحزم على أصحابه الالتزام بهذا المبدأ، لأنه يدرك بعين البصيرة أن السلطة الحاكمة تتصيد كل كلمة تخرج من أفواه أصحابه لتحولها إلى وثيقة إدانة كبرى ولتضرب على أساسها ضربتها.. لهذا نراه يوصي محمد بن النعمان وصية طويلة منها: «المديع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفعه تحت قدمه.. يا ابن النعمان إن المديع ليس كفاتنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً.. لا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فاذعتموه، فأخره الله، والله ما لكم سر إلا وعدوكم أعلم به منكم...»<sup>(٢)</sup>.

كما كان يوصي أصحابه بالاستمرار بالدعوة الصامتة فيقول: «كوتوا لنا دعاة صامتين»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام الصادق والتمذاهب الأربعة: ٤٦/٦.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة: ٢٧٧ - ٢٢٩.

(٣) الأئمة الاثني عشر: ١٧٧.

## شخصيته وأخلاقه

بما أن الإمام الصادق عليه السلام هو فرع من فروع الشجرة المحمّدية الطيبة، وغرسة إلهية نمت بعين الله ورعايته، فقد كان شخصية فذة وعظيمة جسدت الإسلام بأروع صورة، بل كان إسلاماً يتحرك، ومفاهيم ومبادئ إلهية مترجمة.. كان ينبوعاً للعلم، ووعاءً للمعرفة، وشمساً تشع الخير والمطاء.

وليس غريباً بعد هذا أن يصفه الجاحظ بأنه قد فتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل وقد ملأ الدنيا بعلمه<sup>(١)</sup>.

ووصفه ابن حجر الهيثمي بأن الناس قد نقلت عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان<sup>(٢)</sup>.

وورد في كشف الغمة: «كان الصادق من بين اخوته خليفة أبيه ووصيه والقائم بالإمامة من بعده، ويرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبيهم ذكراً وأعظمهم قدراً وأجلهم في العامة والخاصة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان. وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه.. ولا نقلوا عنهم ما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام في أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقة على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. وكان له من

(١) رسائل الجاحظ، السندي: ١٠٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

الدلائل الواضحة في إمامته ما بهرت العقول واخرست المخالفة عن الطعن فيها بالشبهات»<sup>(١)</sup>.

وقال عنه الشهرستاني في الملل والنحل: «كان أبو عبدالله الصادق ذا علم عزيز في الدين وأدب كامل في الحكمة، وزهد في الدنيا، وورع تام عن الشهوات»<sup>(٢)</sup>، فيما أورد اليعقوبي أنه كان أفضل أهل زمانه وأعظمهم بدين الله وكان أهل العلم إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم<sup>(٣)</sup>.

فيما ذكر صالح بن الأسود: «سمعت جعفر بن محمد يقول: سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي»<sup>(٤)</sup>.

وقد انعكس علمه عليه السلام على معرفته بالله، فكانت معرفة نقيه صافية لا تشوبها شائبة، لهذا كان عليه السلام يقول: «وجدت علم الناس كلهم في أربعة أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك». وهذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف، لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربه جل جلاله، فإذا علم أن له إلهاً وجب أن يعرف صنعه إليه، فإذا عرف صنعه عرف به نعمته، فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره، فإذا أراد تأدية شكره وجب عليه معرفة مراده ليطيعه بفعله، فإذا وجبت طاعته وجب عليه معرفة ما يخرج به عن دينه ليجتنبه فتخلص لربه طاعته وشكر أنعامه<sup>(٥)</sup>.

(١) كشف الغمّة: ١٦٦.

(٢) المبادئ العامة للفقه الجعفري: ١٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١٧٧.

(٤) كشف الغمّة: ١٦٢.

(٥) المصدر السابق: ١٧٧ - ١٧٨.

وانطلاقاً من معرفته الحقّة، فقد كانت عبادته لله تعالى عبادة العبد العارف.. وهي أسمى أنواع العبادة. حيث يتجلّى فيها الصدق والرغبة والدّوبان في الله تعالى. ونهَذَا ورد عن مالك بن أنس أنّه قال: ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً؛ وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال إما صائماً وإما قائماً وإما ذا كراً. وكان من عظماء العباد وأكابر الزهاد الذين يخشون ربهم وكان كثير الحديث، طيب المجالسة، كثير القوائد. فإذا قال، قال رسول الله ﷺ: أخضر مرة واصفر مرة أخرى حتى ينكره من يعرفه: ولقد حججت معه سنة فنما استوت به راحلته عند الإحرام: كلما كان هم بالتلبية انتطح الصوت في حلقه وكاد أن يحز من راحلته فقلت: يا ابن رسول الله، لا بد لك من أن تقول: فقال ﷺ: يا ابن أبي عامر كيف أحسر أن أقول ليك اللهم ليك وأخشى أن يقول عز وجل لا ليك ولا سعديك<sup>(١)</sup>.

وذكر منصور الصيقل أنّه رأى أبا عبد الله ﷺ ساجداً في مسجد النبي ﷺ، قال: فجلست حتى اطلت ثم قلت: لاسجدنّ مادام ساجداً فقلت: سبحان ربي وبحمده استغفر ربي وأتوب إليه، ثلاثمائة مرة ونيفاً وستين مرة، فرقع رأسه<sup>(٢)</sup>، وهذا نابع من اهتمامه بالصلاة وإيمانه بأنّها مفتاح الدخول إلى أبواب الله الواسعة والمروج إلى آفاقه الرحيمة، وقد قال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا عبد الله ما أصبرك على الصلاة؟ فقال ﷺ: ويحك يا نعمان! أما علمت أنّ الصلاة

(١) حثية الأبرار، هاشم البحراني: ١٤٠.

(٢) في رحاب أئمة أهل البيت ﷺ: ٤٦.

قربان كل تقى (١).

ورغم ما تميّز به الإمام عليه السلام من إيمان وعبادة، إلا أنه كان يقف بين يدي المولى تعالى وقفه المذنب العاصي، لأنه يدرك عظمة الله وهيبته، فكان يقول: «إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك، وكيف لا أدعوك وقد عرفتك، حثك في قلبي، وإن كنت عاصياً، مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة وعيناى بالرجاء ممدودة، مولاي أنت عظيم العظمة وأنا أسير الأسراء، أنا أسير بذنبي، مرتين بجرمي، اللهم لئن طالبتني بذنبي لأطالبك بكرمك، ولئن طالبتني بجريرتي، لأطالبك بعفوك ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهلها إنني كنت أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. اللهم إن الطاعة تترك والمعصية لا تترك فهب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك» (٢).

وسمّت تلك العبادة العارفة والمعرفة الخالصة بأخلاقه وسلوكه حتى اعتلى ذروة الخلق الرفيع، وتألّق في سماء مكارم الأخلاق حتى أصبح يشار إليه بالبنان، بل كان مفخرة من مفاخر الإسلام. ويتجسّد سمو خلقه ونبله في وصيته لبعض ونده إذ قال عليه السلام: «يا بني أقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها عشت سعيداً ومث شهيداً أو حميداً. يا بني الله من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينيه إلى مال غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن كشف حجاب عورة غيره اتكشفت عورات بيته، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن احتقر لأخيه المؤمن قليباً أوقعه الله فيه

(١) كشف الغمّة: ٢٠٧.

(٢) أماني الصدوق: ٣٥٧.

قريباً، ومن داخل السفهاء حقراً، ومن خالط العلماء قريراً، ومن دخل مداخيل السوء اتهم، يا بني فقل الحق وإن كان مرّاً لك وعليك، وإنيك والنعمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال، وإذا طلبت الجود فعليك بمعادته»<sup>(١)</sup>

فليس عجباً أن يتمتع الصادق عليه السلام بأروع الأخلاق وأسنائها وهو غصن تلك الدوحة النبوية الوارفة المعطاء. ولا بأس أن نورد هنا نماذج لذلك الخلق الصادقي الرفيع المعبر عن سمو نفسه وجمال ذاته.

فقد روى الزمخشري عن الشقراني أنه قال: خرج العطاء أيام المنصور ومالي شبيع، فوقفت على الباب متحيراً وإذا بجعفر بن محمد قد أقبل، فذكرت له حاجتي فدخل وخرج وإذا بعطائي في كمي فناولني إياه وقال: إن الحسن من كل أحد حسن وأنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحد قبيح وأنه منك أقيح لمكانك منا. وعلق سبط الجوزي: وإنما قال له ذلك لأنه كان يشرب الشراب فوعظه عمى وجه التعريض، وهذا من أخلاق الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

ونام رجل من الحاج في المدينة فتوهم أن هميانه سرق، فخرج فرأى جعفر الصادق عليه السلام مصلياً ولم يعرفه فتعلق به وقال له: أنت أخذت همياني! قال: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار، فحملة الإمام إلى داره ووزن له الف دينار. ولما عاد الحاج وجد هميانه، فعاد إلى الإمام معتذراً بالمال، فأبى قبوله وقال: شيء خرج من يدي لا يعود إلي. فسأل الرجل عنه فقيل هذا جعفر الصادق، فقال: لا جرم هذا فمال مثله<sup>(٣)</sup>. وروى الآبي في نشر الدرر أن

(١) تذكرة الخواص: ٣٤٣.

(٢) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٢٧٤.

رجلاً مزم بالإمام وهو يتغدى فلم يسلم؛ فدعاه الإمام الى الطعام، فقيل له: الستة أن يسلم ثم يدعى وقد ترك السلام عن عمد، فقال: هذا لفته فيه بغل (١).

ومن سجايا الإمام الصادق عليه السلام صبره واستلامه للقضاء الإلهي وهي صفة ضرورية ولازمة في الشخصية الرسالية؛ لأنها تعتبر عن الإيمان من جهة وعن قابليتها على تحمل المشاكل والخطوبة. فقد روي أنه قد نعي الى الإمام ابنته اسماعيل أكبر أولاده وهو يريد أن يأكل وقد اجتمع ندماءؤه. فتبسم ثم دعا بطعامه وقعد معهم وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ويحدث ندماءه ويضع بين أيديهم ويعجبون منه أن لا يرون للحزن عليه أثراً. فلما خرجوا قالوا: يا بن رسول الله لقد رأينا منك عجباً، أصبت بمثل هذا الابن وأنت كما نرى. قال: ومالي لا أكون كما ترون وقد جاءني خبر أصدق الصادقين إنني ميت وإياكم. إن قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم ولم ينكروا من يخطفه الموت منهم وصلوا الأمر خالقهم عز وجل (٢).

وذكر قتيبة الأعشى: أتيت أبا عبد الله عليه السلام أعود ابناً له فوجدته على الباب فإذا هو مهتم حزين، فقلت: جعلت فداك كيف الصبي؟ فقال: إنه لما به. ثم دخل فمكث ساعة ثم خرج وقد أسفر وجهه وذهب التغير والحزن، فطمعت أن يكون قد صلح الصبي، فقلت: كيف الصبي جعلت فداك؟ فقال: قد مضى لسيله. فقلت: لقد كنت وهو حي مغتماً حزيناً وقد رأيت

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤٥.

(٢) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤٦.



حالك الساعة وقد مات غير تلك الحال فكيف هذا؟ فقال: إنا أهل البيت إنما نجزع قبل المصيبة، فإذا وقع أمر الله رضينا بقضائه وسألنا لأمره<sup>(١)</sup>.

وعُرف الإمام الصادق عليه السلام بالحلم والصفح، وهي خصلة خلقية لا يبدآن تتوفر في القائد المسلم، لأنه في تماس دائم مع الجماهير والناس، ولا بد له في هذه الحالة من استيعابهم كافة والتغافل عن الهفوة والزلل والصفح عن الخطأ.. وهذا لا يتحقق إلا من خلال الحلم؛ هذه السجية التي توصف بأنها من سجايا الرب. وقد أورد الحافظ عبدالمزني في كتاب معالم العترة: وقع بين جعفر بن محمد وعبدالله بن الحسن كلام في صدر يوم فأغلظ له في القول عبدالله بن الحسن، ثم افترقا وراحا إلى المسجد فالتقيا عنى باب المسجد، فقال أبو عبدالله له: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ فقال: بخير، كما يقول المغضب! فقال: يا أبا محمد أما علمت أن صلة الرحم تخفف الحساب؟ فقال: لا تزال تجيء بالشيء لا نعرفه. فقال: إني اتلو عليك به قرآناً. قال: وذلك أيضاً؟ قال: نعم. قال: فهاته؟ قال الله عز وجل ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾ قال: فلا تراني بعدها قاطعاً رحماً<sup>(٢)</sup>.

وروى الكليني أن الصادق عليه السلام بعث غلاماً له في حاجة فابطأ فخرج عنى أثره لما أبطأ عليه فوجده نائماً فجلس عند رأسه يروّجه حتى انتبه. فلما انتبه قال له الإمام عليه السلام: يا فلان والله ما ذاك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار<sup>(٣)</sup>.

(١) في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام : ٤٦.(٢) في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام : ٤٠.

(٣) المصدر السابق: ٤٦.

وقد اشتهر الصادق عليه السلام كآبائه بالكرم والتصدق، فقد كان يُطعم حتى لا يبقى لبياله شيء<sup>(١)</sup>.

وروي أنه نزل عليه قوم من جهينة فأضافهم. فلما أرادوا الرحلة زودهم ووصلهم وأعطاهم ثم قال لعلمانه: تتخولا تعينوهم. فلما فرغوا جاءوا ليعينوه فقالوا له: يابن رسول الله لقد أضفت فأحسنيت الضيافة وأعطيت فأجزلت العطية، ثم أمرت غلمانك أن لا يعينونا على الرحلة. فقال عليه السلام: إنا لأهل بيت لا نعين أضيفنا على الرحلة من عندنا<sup>(٢)</sup>. ويضهم من كلامه عليه السلام أنه لا يرغب في انصراف الضيف من عنده.

أما على صعيد تصدقه وإعانتة للفقراء والمعوزين فقد قال عمرو بن المقدم: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين. وقد كان إذا صلى العشاء وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم فحملة على عنقه، ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه. فلما مات ودفنوا ذلك عرفوه<sup>(٣)</sup>.

وورد أيضاً أنه كان يتصدق بالسكر فقيل له: اتصدق بالسكر؟ فقال: نعم أنه ليس شيء أحب إليّ منه فأنا أحب أن اتصدق بأحب الأشياء لي<sup>(٤)</sup>.

وبما أن أخلاقه عليه السلام ترجمة عملية للقرآن الكريم وانطلاقاً من الآية القرآنية الكريمة القائلة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فقد كان عليه السلام يقول: إذا

(١) تذكرة الخواص: ٣٤٢.

(٢) روضة الواعظين، ابن القفال النيسابوري: ٢١١.

(٣) في رحاب أئمة أهل البيت: ٣٦.

(٤) حلية الأبرار: ١٧٩.

أنعم الله على عبده بنعمة أحسب أن يراها عليه لأنه جميل يحب الجمال، إن الله عز وجل يحب الجمال ويغض البؤس والتباؤس، لأكره للرجل أن يكون عليه من الله نعمة فلا يظهرها إلبس وتجميل فإن الله جميل يحب الجمال وليكن من سلال<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان عليه السلام يلبس اللباس الجيد مما أثار اعتراض البعض. فقد دخل عليه يوماً سفيان الثوري واعترض صلى لباس الإمام عليه السلام قائلاً: يا بن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك؟

فأجابه الإمام: يا ثوري! كان ذلك زمان افتقار وافتقار وكانوا يعملون على قدر اقتاره وافتقاره. وهذا زمن قد أسبل كل شيء عز إليه. ثم حسر الإمام ردى جيبته فإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن، وقال: يا ثوري لبسنا هذا لله تعالى وهذا لكم. فما كان لله اخفيناه وما كان لكم أبعدينه..<sup>(٢)</sup>.

والإمام الصادق عليه السلام ورغم ما عليه من عظمة في العلم والتقوى والسلوك حتى قال فيه كمال الدين محمد بن طلحة: «هو من عظماء أهل البيت عليه السلام وساداتهم، ذو علوم جمّة وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، وقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه. رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والافتداء بهداء يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلاله

(١) في رحاب أئمة أهل البيت: ٣٢.

(٢) كشف الغمّة: ١٥٧.

التبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة<sup>(١)</sup>، رغم هذا فقد كان متواضعاً يأكل من كد يديه، ويشغل بأشق الأعمال وأضناها، وقد قال اسماعيل بن جابر: أتيت أبا عبد الله عليه السلام فإذا هو في حائط له بيده مسحة وهو يفتح بها الماء وعليه قميص شبيه الكرايس كأنه مخيط عليه من ضيقه.

وذكر أبو عمرو الشيباني: رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط والعرق يتصاّب عن ظهره. فقلت: جعلت فداك اعطني أكفك. فقال لي: إني أحب أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة<sup>(٢)</sup>.

لقد آثر الإمام أن يعيش حياته عزيزاً محتسباً؛ مبتعداً عن بلاط السلطان الذي كان يشتري آنذاك الضمائر بالأموال والصلوات والخلع، فوقع الكثيرون ممن يحسبون على الإسلام في شركه وأصبحوا في خدمة الدين. غير أن الإمام ليس ممن يخدع أو يركن إلى الدنيا أو يطلب حاجته عند السلطان. وقد كتب المنصور إليه يوماً: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فأجابه الإمام: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فتهتك، ولا نعمة فنضرك بها. فما نصنع عندك؟ فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتنصحننا. فأجابه الإمام: من أراد الدنيا لا يتصحبك ومن أراد الآخرة لا يصحبك<sup>(٣)</sup>.

(١) كشف الغمّة: ٦٥٤.

(٢) حلية الأبرار: ٦٦١.

(٣) كشف الغمّة: ٢٠٨ - ٢٠٩.

وللإمام مواقف أخرى قوية وعنيفة من المنصور سجنها التاريخ بأحرف من ذهب، منها: وقع الذباب على وجه المنصور وكان الإمام حاضراً عنده، فلم يزل الذباب يقع عليه حتى ضجر. فقال المنصور للإمام: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب؟ فأجاب الإمام جواباً ألجمه به: ليذل به الجبابرة<sup>(١)</sup>.

لقد كانت حياة الإمام حياة مشرقة حافلة بالعطاء والخير.. لازالت ترفد البشرية بذلك العطاء والخير حتى يومنا هذا. ولا زال صوت الصادق عليه السلام ملعلاً في مساء الخلود، رغم أنوف حكام الجور وعتاد الدنيا الذين حاولوا عبثاً خنقه وتبديده.. لكن الصوت الإلهي لا يخفق.

(١) تذكرة الخواص: ٣٤٣.

## المصادر

- ١- كشف الغمّة، علي بن عيسى الأربلي.
- ٢- تاريخ الطبري، حوادث سنة ٨٠ هـ.
- ٣- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي.
- ٤- كشف الغمّة.
- ٥- في رحاب أئمة أهل البيت، محسن الأمين العاملي.
- ٦- المبادئ العامة للفقّه الجعفري، هاشم معروف الحسني.
- ٧- سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني.
- ٨- في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام.
- ٩- المبادئ العامة للفقّه الجعفري.
- ١٠- الأئمة الاثني عشر، عادل الأديب.
- ١١- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر.
- ١٢- في رحاب أهل البيت عليهم السلام.
- ١٣- تحف العقول، ابن شعبة.
- ١٤- رسائل الجاحظ، السندوبي.
- ١٥- تاريخ يعقوبي.
- ١٦- حلية الأبرار، هاشم البحراني.
- ١٧- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب.
- ١٨- روضة الواعظين، ابن القتال النيسابوري.





**لمحات من قيادة  
الإمام الصادق عليه السلام للأمة**

الدكتور السيد علاء الجوادى

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الصادق عليه السلام من أكبر القيادات الإسلامية في التاريخ نماله من أدوار علمية واجتماعية وسياسية وتربوية في الأمة الإسلامية، وفي هذه الكلمات نسعى لتسيط الضوء على جوانب من قيادته للأمة، ودوره في توجيه المسيرة الإسلامية في ظرف من أصعب الظروف التي مرت بها الأمة الإسلامية والنخبة الصالحة بعد رسول الله والأنمة المتقدمين من آل محمد صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الأطهار.

### التشيع والإسلام

التشيع والإسلام مصطلحان مترابطان ومتلازمان، فالإسلام هو الدين المختامي في حركة الأديان، ونبيته خاتم الأنبياء والمرسلين في تلك النسلة المطهرة التي بدأت بآدم عليه السلام مروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وما بينهم من الأنبياء الكرام مستحفظاً بعد مستحفظ، ومستودعاً بعد مستودع ونوراً فوق نور.

إن الإسلام من حيث كونه ديناً مطروحاً في الكتاب والسنة يحتاج الى مجموعة من الناس يحافظون عليه ويصونونه من التحريف وطمس الحقائق. وهذه المجموعة من الناس ينبغي لها أن تحمل الصفات الإسلامية والفنية والحركية التي تؤهلها للقيام بهذا الدور الكبير، ولا بد

لهذه المجموعة من قيادة تمتلك من المواصفات العلمية والأخلاقية والتكاملية الأخرى ما يجعلها قادرة على قيادة هذا المركب السائر في حمل الإسلام حركة فاعلة في المجتمع الإسلامي.

إن الأئمة عليهم السلام هم المرشحون لهذا الدور، ولقد رشحهم الله تعالى وصدع به الرسول الكريم.

من هذه النظرة تتعامل مع التشيع كحركة جسدت الإسلام، فالتشيع هو حزب الله والشيعة هم جند الله، وبين من نسوق لهم هذه الفكرة من راح يبحث عن الحركة التي تجسد الإسلام ككائن حي متحرك، أو من راح يبحث عن مواصفات جند الله بعيداً عن مدرسة أهل بيت العصمة.

ومن هنا نلغي النظرة التي تعتبر عن أتباع أهل البيت (الشيعة) بأنهم أصحاب مذهب مقابل للمذاهب الأخرى كالحنفية والشافعية والمالكية والظاهرية... الخ.

فالتشيع ليس مذهباً من المذاهب، بل هو الجهاز الحركي للإسلام الذي يستوعب ضمن منظور الأخوة الإسلامية جميع أبناء المذاهب الأخرى لغرض السير في طريق تطبيق الإسلام الذي بشر به رسول الله ﷺ.

لقد انبثق التشيع يوم كان الرسول ﷺ يلجأ إلى غار حراء وإلى جنبه ابن عمه علي بن أبي طالب والناس من حوله في جاهلية جهلاء.

وانبثق يوم وقف الرسول يدعو عشيرته الأقربين، فكان الإمام هو المستجيب من دون الأقربين، فكان هو الوزير والخليفة من بعده.

وانبثق عبر مواقف الولاء والنصرة والذويان بالرسالة على طول

## المسيرة النبوية الشريفة.

وتقرح هذا الاتباق بالبيان النبويّ الواضح في خطبة الوداع يوم غدِير خَمْ، فكان لسان حال المؤمنين على طول الأزمان، يقول ما قاله الشيخان في حديث «البخبة» المعروف.

لقد رفع لواء هذه المدرسة الإسلامية الحركية رجالٌ بلغوا الذروة في تطابقهم مع الإسلام ومن نماذجهم: سلمان الفارسي المحمدي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي... الخ.

## مسيرة التشيع

إن الإسلام يحتاج إلى أن يتمثل في كائن حيٍ يحمله، وهذا الكائن الحي هو التشيع، وكل كائن يمرّ بمراحل نمو وتطور، وهكذا كانت مسيرة التشيع في حمل الإسلام، ومن مراحل هذه المسيرة:

## ١- المرحلة الأولى:

وكان الموالون أفراداً قلائل فيها، وهذه المرحلة كانت زمن

رسول الله صلى الله عليه وآله.

## ٢- المرحلة الثانية:

وقد تعمق وجود أولئك الأفراد في كيان الأمة، فظهرت العوائل والعشائر الموالية، وكانت هذه العوائل والعشائر تنتشر في مختلف الحواضر الإسلامية خصوصاً الكوفة واليمن والمدائن ومصر.

وبدت بوادر هذه المرحلة بعد زمن الرسول صلى الله عليه وآله وتعمقت في خلافة الإمام علي عليه السلام، والأئمة المتقدمين من ولده عليه السلام.

## ٣- المرحلة الثالثة:

وقد تحوّل هذا الولاء المتمثل بالعوائل والمثائر الى ولاء ممثل بالمدن المموالية.

إنّ ظاهرة المدن المموالية يعتبر عن نقلة نوعية في حركة التشييع، ويمثل استقراراً بدرجة جيدة للسائرين على خط أهل البيت، فما أن انتهت الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عج) إلّا وقد ظهرت مدن واضحة الولاء لهذا الخط مثل الكوفة والمدائن و قم... الخ

## ٤- المرحلة الرابعة:

قيام الدولة الشيعية ضمن مراحل تطويرية مختلفة.

## نظرة في الفرق الشيعية

يختلف استيعاب الناس للتشييع من فئة الى أخرى ابتداء من الولاء والحب العاطفي لآل محمد ﷺ، وانتهاء بالوعي العميق لحركة التشييع واستيعاب تاريخها وأهدافها المرحلية وآفاقها المستقبلية والمساهمة في بنائها وقيادتها.

وتنتيجة لوجود هذه الاختلافات بالمستويات نلاحظ ظهور اختلافات في صفّ الموالين في فهم معنى التشييع مع بقاء الولاء لآل محمد ﷺ العقد الذي يوحد مشاعرهم.

وكما أنّ الكيان الاجتماعي للموالين يتطور مع الزمن، كذلك الفهم العقائدي - العقيدة لا تتغير - متطور مع هذا العامل ومتربط مع العامل

الاجتماعي. لذلك فمن المتوقع أن تفرز في كل فترة نواتج عرضية لحركة الفكر في المجتمع، وبذلك تظهر الالتشاقات والتكتلات في الكيان الحركي للإسلام. وسنمزم على نماذج من ذلك:

### ١- الكيسانية

إن الاتجاه الكيساني هو أول اتجاه انشقاقي عن الحركة الشيعية، وهو يتناول ببساطة باللغة قضية التشيع معتبراً عن مرحلة بسيطة من الطرح الشيعي عندما كانت الدعوة تركز على أشخاص الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام والهاشميين، لذلك نلاحظ على الخط الكيساني بعد تشييته للمقولة الأولية وهي الالتزام بأهل البيت يشطح شطحات كبيرة في:

أ- العقائد، بتبني مقولات تخالف الكتاب والسنة.

ب- الممارسات السياسية، عندما تحولت الدعوة من العلويين إلى العباسيين، وعندما أصبحت الكيسانية وعاءً لتحتزكات الهادمة للإسلام. لم يستطع بعض الموالين فهم الدور المرحلي الذي قام به السيد الجليل محمد بن الإمام علي عليه السلام (محمد بن الحنفية) من الظهور على ساحة العمل كواجهة لتحرك القيادة الشرعية، فظهرت الكيسانية كمذهب منحرف ونواتج سنيي عرضي للتحرك الإسلامي الأصيل.

لقد شخص الإمام الصادق عليه السلام تخلفهم الحركي بقوله: مازال سزونا مكتوماً حتى صار في يدي ولد كيسان فتحدثوا به في الطريق وقرى السواد.

## ٢- الزيدية

وقد اقتضت التطورات المرحلية في بعض الفترات قيام بعض آل محمد بالعمل المسلح ضد السلطة، فكان خروج زيد بن علي عليه السلام وابنه يحيى عليه السلام وبعض من آل الحسن عليه السلام وتحت اشراف القيادة الشرعية في معظم الأحيان، ولكن عدم استيعاب المهتمات المرحلية أدى بجماعة من الموالين الى التثوق على هذا المفهوم فاشترطوا في إمامة الإمام أن يكون خارجاً على السلطة وحاملاً للسلاح.

## ٣- الإسماعيلية

ولم تستطع جماعة أخرى من الموالين فهم المعنى التنظيمي للسرية والدرجات الحركية، فراحوا يلجئون أبواباً من المطلسمات والتأويلات التي أدت بهم الى الانحرافات.

إن قوام كل مذهب أو اتجاه من هذه المذاهب أو الاتجاهات العناصر التالية:

أ- قائد من آل محمد: فالكيسانية اتخذت محمد بن الحنفية إماماً، والزيدية اتخذت من زيد بن علي بن الحسين عليه السلام إماماً، والإسماعيلية اتخذت اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام إماماً.

ب- جماهير من الموالين المخلصين الذين ينفذون عملهم المرحلي دون أن يعرفوا التفاصيل المتعلقة بالقيادة.

ج- عناصر ذكية منتفعة تسمى الى تحقيق مصالحها تحاول استقلال

الملايسات في خلق انشاقات وانحرافات تخدم أهدافها.

فمثلاً كان محمد بن الحنفية مكلفاً بالقيام بعمل معين زمن انسجاده عليه السلام، ولا بد أن يساعده مجموعة من الناس للقيام بعمله هذا، يتبعونه ويطيعونه دون أن تكشف لهم العلاقة الحقيقية بين الإمام وعمه، وبطبيعة الحال إن مثل هؤلاء القوم مع اخلاصهم لأهل البيت لا يطيعون سوى محمد بن الحنفية ويعلم من القيادة المعصومة.

ومن هنا يمكن للمنحرفين أن يدخلوا فيستغفون هذا النولاء من جهة، ووفاء للقائد من جهة أخرى، فيخترعون مذهباً جديداً وانشقاقاً في الخط الأصيل .  
روي في رجال الكشي ما يفيد أن شخصيات موالية مهمة ما كانت تعرف القيادة الحقيقية، وإنما كان اتصالها عن طريق قيادات ثانوية وما كان يتاح لها من معرفة القيادة إلا بعد مدة طويلة وثقة عميقة.

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهرًا وما كان يشك في أنه إمام حتى أتاه ذات يوم فقال له: جمنت فذلك إن لي حرمة ومودة وانقطاعاً؛ أسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟

قال، فقال: يا أبا خالد حنفتني بالمعظيم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وعليك وعلى كل مسلم.

فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية. جاء الي علي بن الحسين عليه السلام فلما استأذن عليه فأخبر أن أبا خالد بالباب، فأذن له ولما دخل



عليه دنا منه، قال: مرحباً يا كنكر ما كنت لنا بزاز ما بدا لك فينا؟

فختر أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى مما سمع من علي بن الحسين عليهما السلام، فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى عرفت إمامي.

فقال له علي عليه السلام: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟

قال إنك دعوتني باسمي الذي سميتني أمي التي ولدتني، وقد كنت في عمياء من أمري، ولقد خدمت محمد بن الحنفية دهرأ من عمري ولاشك إلا وأنه إمام حتى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين فأرشدني إليك وقال: هو الإمام علي وعليك وعلى جميع خلق الله كلهم، ثم أذنت لي فجئت فدنوت منك سميتني باسمي الذي سميتني أمي فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته على كل مسلم <sup>(١)</sup>.

وبعد هذه المقدمات نرغب بتثبيت أهم المراحل التي مز بها تحرك الأئمة، وهي كما تتصور أربع مراحل نلخصها بما يلي:

#### ١- المرحلة الأولى

الإمام الأول علي بن أبي طالب المرتضى عليه السلام.

الإمام الثاني، الحسن بن علي المجتبي عليه السلام.

الإمام الثالث، الحسين بن علي الشهيد عليه السلام.

ومن أهم ممارسات وتوجهات هذه المرحلة ما يلي:

أ- كشف عدم شرعية الخطوط الحاكمة وتبيان انحرافها للأئمة.

(١) اختيار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال انكشي) لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، تصحيح وتعليق السيد ميرداماد الاسترآبادي، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام

ب - إيقاف عملية التحريف وكشف الأشياء المحترفة.  
 ج - إيقاف الأمة وتحريك ضميرها باتجاه القيادة الشرعية.  
 لقد كانت شهادة الإمام الحسين عليه السلام قمة نضج هذه المرحلة، فقد كشفت  
 الحكام المنحرفين وكشفت التحريف وشدت الناس بأهل البيت عليهم السلام.

### ٢ - المرحلة الثانية:

الإمام الرابع، علي بن الحسين السجاد عليه السلام.  
 الإمام الخامس، محمد بن علي الباقر عليه السلام.  
 الإمام السادس، جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.  
 ومن أهم توجهات وممارسات هذه المرحلة ما يلي:  
 أ - نشر علوم أهل البيت وبحث الإسلام الصحيح بين أبناء الأمة.  
 ب - كسب الأمة فكرياً للخط الصحيح وانتقاء قطاعات مناسبة منها  
 لإعدادها بموجب خط أهل البيت.

لقد كان تحرك الإمام الصادق عليه السلام القمة في تكامل هذا التوجه، فقد نشر  
 العلم الإسلامي في أوسع مساحة ممكنة، وأوضح الكثير من المفاهيم  
 الإسلامية للأمة، كما أنه استطاع أن ينتقي الطليعة القادرة على نقل  
 توجهات القيادة الشرعية للأمة.

### ٣ - المرحلة الثالثة:

الإمام السابع، موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

الإمام الثامن، علي بن موسى الرضا عليه السلام.

الإمام التاسع، محمد بن علي الجواد عليه السلام.

ومن أهم توجهات وممارسات هذه المرحلة ما يلي:

أ- اتساع الممارسة السياسية للخط في معارضته للحكم المنحرف.

ب- قيادة الجماهير الناقمة على السلطة ومحاولة ترشيدهم تحزكها ضمن توجهات الخط الرسالي القائد.

ج- بث الوكلاء في أرجاء العالم الإسلامي وتضييق خطوط تحرك الخواص من أبناء الأمة، لذلك سجن الإمام الكاظم عليه السلام تلك المدة الطويلة لكن ابنه الرضا عليه السلام أجبر على استلام ولاية العهد، وبعده ابنه الجواد عليه السلام زوج بابنة رأس النظام القائم، كل ذلك لاحتواء تحركهم السياسي المضاد للحكومة القائمة آنذاك.

وتعتقد أنّ الإمام الجواد عليه السلام يمثل اكتمال ونضج هذه المرحلة.

#### ٤- المرحلة الرابعة:

الإمام العاشر، عني بن محمد الهادي عليه السلام.

الإمام الحادي عشر، الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي (عجل الله تعالى

فرجه الشريف).

ومن أهم توجهات وممارسات هذه المرحلة ما يلي:

أ- اكتمال بناء الأمة القائدة (الشيعة) وزرع بذور تنامي التحرك فيها.

ب - اكتمال وتبلور بناء الجهاز المرجعي النائب عن الأئمة عليهم السلام في غيبة قائمهم.

ج - إعداد الأمة لغيبة الإمام الثاني عشر وتوليد حالة الانتظار عندها نظهوره.

ولا يخفى أن الإمام المهدي سلام الله عليه لم ينتقل إلى غيبته الكبرى إلا وقد أعدّ الأمة إعداداً كاملاً قواعد وقيادة، فأصبحت قادرة على تسيير أمورها حتى ظهوره وقادرة على توضيح المسيرة الإسلامية للدرجة التي تتأهل الأمة والعالم لتقبل الحكومة الإسلامية العالمية.

هذه المقدمة تبيّن لنا طبيعة العلاقة التلازمية بين التشيع والإسلام؛ ومراحل تطور المسيرة الشيعية والفرق المستنقعة من الخطّ الأصلي؛ وعلاصات عملية الانشقاق وهي مساحة واسعة من تاريخ المسيرة. ويحتل الإمام الصادق عليه السلام دوراً مركزياً في كل آفاق هذه المساحة الواسعة.

إن الإمام الصادق عليه السلام نجم لامع في سماء العلم والإمامة والقيادة، وكان له دور ريادي في بناء الأمة الإسلامية وفي إعداد المجتمع الصالح، وإذا أردنا أن نبحث عن ملامح دور الإمام الصادق في المسيرة الإسلامية وحركة الإيمان فإننا سنجد عطاءات هذا الإمام عبر محطات نذكر منها:

- ١ - الحفاظ على سلامة الرسالة الإسلامية ومحاربة محاولات ومشاريع التحريف.

- ٢ - تربية الأمة على الصعيد العام (عموم المسلمين) والصعيد الخاص

## (التخية الواعية المؤتمنة).

٣ - تقديم المثال الصالح للأمة من خلال التجسيد لمفاهيم وعلوم الإسلام.

٤ - دعوة الأمة للالتزام بالنهج الشرعي والقيادة الرشيدة ممثلين بالأئمة من أهل البيت.

٥ - التصدي السياسي عبر الأساليب المختلفة.

٦ - إعداد العنماء وبناء المدرسة العلمية لعلوم أهل البيت عليهم السلام.

٧ - إيضاح مستقبل المسيرة الإسلامية (القضية المهدوية).

ومستطع الضوء على هذه المحطات من خلال مستويين هما عموم حركة الأئمة، وخصوص حركة الإمام الصادق عليه السلام.

## الحفاظ على سلامة الرسالة الإسلامية

من أهم الأعمال التي تصدى لها الأئمة في حياتهم الشريفة هو حفظ الرسالة الإسلامية من التحريف والطمس وتبيان معالمها.

إن مفردة حفظ الأطروحة الإسلامية حية في عقول أبناء الأمة الإسلامية بمعية عن التحريف والطمس والإخفاء عمل مركزي في التحرك الإسلامي، فلا نستطيع القيام بالتحرك الإسلامي الصحيح بدون امتلاكنا للرؤية الإسلامية الصحيحة، فإنه بدونها سيكون تحركاً به جزء ضئيل من الحقيقة الإسلامية كما هو حال الرسائل التي جاء بها إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ولم تصل كاملة للأجيال التي جاءت من بعدهم.

لقد مارس جميع الأئمة هذا الدور فطرحوا كامل الرسالة على الأمة وصانوها من التحريف، فأصبحت الأمة بفضل الأئمة قادرة على معرفة أحكام الله على طول خط تحزكها، وضمن هذا العنوان قام الأئمة بعدة ممارسات نذكر منها:

### الأئمة وطرح الإسلام

إن الجانب الإيجابي من حفظ الإسلام هو طرحه وترسيخه في الأمة، وقد تصدى أئمتنا سلام الله عليهم وفي جميع فترات ولايتهم التي عرض الإسلام، ذلك الإسلام الذي صدق به رسول الله عن الله وبصورة دقيقة وكاملة ومفضلة، ومن معالم ذلك:

تبييت أن الأئمة هم مصدر العلم الإسلامي

دأب الأئمة عليه السلام على تأكيد هذه الحقيقة عند الأمة، وأن الأمة إذا أرادت أن تأخذ الإسلام فلا يمكنها أخذه بصورة كامنة إلا منهم، وكانوا يسيئون للأئمة أنهم هم الراسخون في العلم.  
عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده»<sup>(١)</sup>.

وقال الصادق عليه السلام: «إن سليمان ورث داود، وأن محمداً ورث سليمان، وأنا ورثنا محمداً، وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزيور وتبيان ما في الأرواح»<sup>(٢)</sup>.

(١) أصول الكافي: ١/٢١٣، باب الراسخون في العلم، ح ٣.

(٢) أصول الكافي للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني: ١/١٧٥، تحقيق نجم الدين الأملي وعلي الغفاري، المكتبة الإسلامية طهران، ١٣٨٨ هـ.

## طرح العلم

بعد كُنْ تلك التهيئة التي قام بها الأئمة فلا بد أنْ قسّمت منها ستمد أعناقها إليهم تطلب منهم العلم، وهذا ما كان يريدُه الأئمة، وقد قدّموا للأئمة جواهر من علومهم، وقد اشتركوا جميعاً بهذا النهج فنقوا العلوم للأئمة في مختلف حقول المعرفة الإسلامية، فخلّفوا لنا روائع في ميادين كثيرة يتنت رؤية الرسالة في أمور العقيدة السليمة، بأمر الفقه الصحيح، وأمور الأخلاق القويمه، وأمور التاريخ الموثوق... الخ

وكتب الحديث والفقه والعقائد تقدم نماذج كثيرة جداً ومفضلة مما روي من علم عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، كانت معالم الطريق لشيعة آل محمد، ولنضخامة التراث الإسلامي المروري عن الإمام الصادق اكتسب أتباع أهل البيت اسم الجعفرية نسبة لهذا الإمام العظيم.

## مكافحة التحريف والمحرفين

ما ذكر أعلاه يمثل الجانب الإيجابي من حفظ الإسلام، ولكن حفظه يحتاج إلى ممارسة أخرى وهي محاربة المحرفين للدين. لقد شنت السلطات الحاكمة وأتباعهم من علماء سوء حرباً شديدة على حديث رسول الله فراحوا يحرفون الكلم عن مواضعه، ويبدلون الحق بالباطل، فافتروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدداً ضخماً من الأحاديث، ويبدو أن المناقضين كانوا قد شرعوا بعملهم هذا منذ عهد رسول الله مما جعله - صلوات الله عليه وآله - يتبه من ظاهرة كثرة الكذبة عليه، كما أنه نبه إلى

أن هذه الظاهرة ستستفحل وتتسع في المستقبل.

لقد تصدى خط الإمامة إلى مكافحة التحريف وكشف زيف المحرّفين أمام الأمة، وقد ابتدأ هذا العمل أمير المؤمنين عليه السلام.

كما أن الأئمة عليهم السلام حاربوا المناهج المنحرفة عن الإسلام في استنباط الأحكام، وما موقف الأئمة من القياس إلا مصداق على هذا التوجه، ومن ذلك ما قاله الإمام الصادق عليه السلام لرجل من أهل القياس: لا تقس فإن أول من قاس إبليس لعنة الله عليه حين قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (١).

وكذلك موقف الإمام الصادق عليه السلام من المعتزلة يدخل ضمن هذا الخط، فقد روي أنه دخل وفد من المعتزلة على الإمام الصادق عليه السلام فيهم عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وحفص بن سالم، وأناس من رؤسائهم.. فتكلموا فأكثروا وخطبوا فأطالوا، فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: إنكم قد أكثرتم علي فأظلمت فأسندوا أمركم إلى رجل منكم فليتكلم بحجبتكم ويوجز. فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد، وبعد أن قالوا ما عندهم، فشد الإمام جميع مدعياتهم وأثبت لهم تهافتها وبطلانها، ثم حذرهم، وحذر منهم فقال:

«أتق الله يا عمرو وأنتم أيها الرهط فاتقوا الله فإن أبي حدثنني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف» (٢).

وضمن محاربتهم للتحريف تراهم قد توجهوا إلى محاربة تحريف

(١) الشيخ أبو منصور أحمد الطبرسي: الاحتجاج، تحفيق السيد محمد باقر الخراسان، طبع منشورات النعمان: ١١٧/٢.

(٢) الاحتجاج: ١٢١/٢ - ١٢٢.



العقائد كمسائل الجبر والتفويض وصقات الله... الخ، كما أنهم حاربوا أهل العقائد الفاسدة من مدعي التشيع .

وعلى سعيد القضاء كان الإمام الصادق عليه السلام يؤكد على الخط السليم، فقد روى سعيد بن أبي الخصيب وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، كما في رجال الشيخ الطوسي، أنه قال:

دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إذ دخل جعفر بن محمد عليه السلام، فقمنا إليه فسألني عن نفسي وأهلي، ثم قال:

من هذا معك؟

فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين!

فقال: نعم، ثم قال له:

أأخذ مال هذا فتعطيهِ هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، ولا تخاف في هذا أحداً؟  
قال: نعم.

قال: فبأي شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن أبي بكر وعمر.

قال: فبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أقضاكم علي بعدي؟»

قال: نعم.

قال: فكيف تقضي بغير قضاء علي عليه السلام وقد بلغك هذا؟

قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى ثم قال: التمس مثلاً لنفسك، فوالله لا أكلمك

من رأسي كلمة أبداً<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج: ١٠٢/٢ - ١٠٣.

### حرب الأئمة للتحريف العقائدي لغير المسلمين

ما سبق كان يمثل خطوط الابتعاد عن المدرسة الإسلامية الأصيلة على الصعيد الإسلامي الداخلي ووقوف الأئمة أمامهم بكل صلابة وقوة، وهناك نوع آخر من المساعي مارسها الأعداء من خارج الدائرة الإسلامية، وهي ما قام به أهل الأديان أو اللادينيين من محاربة الإسلام، ومن هذه الاتجاهات: اليهود والنصارى والزندقة والشوية... الخ، ولا تخلو حياة إمام من موقف يمثل المقارعة العينية لهذه الاتجاهات الهدامة.

### الإمام الصادق والزندقة

خاض الأئمة صراعاً شديداً مع الزنادقة الذين كان لدعوتهم رواج في المجتمع الإسلامي آنذاك، وقد أفلحت مقارعة الأئمة لهؤلاء الزنادقة وردت كيدهم إلى نحورهم، وكان للإمام الصادق عليه السلام دور مهم في ذلك، فقد أفحم قادة الزندقة من قبيل عبدالكريم بن العوجاء، وأبي شاكر الديصاني، كما أن الإمام كان قد بث تلاميذه لملاحقة هؤلاء المنحرفين المفسدين، ومن أولئك التلاميذ هشام بن الحكم عليه السلام، ومن أمثلة ذلك:

عن هشام بن الحكم قال: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام عدم فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادقه بها، وقيل هو بمكة فخرج إلى مكة ونحن مع أبي عبدالله عليه السلام، فأنتهى إليه - وهو في الطواف - فدنا منه وسلم.

فقال له أبو عبد الله: ما اسمك؟

فقال: عبد الملك

قال: فما كنتك؟

قال: أبو عبد الله

قال أبو عبد الله عليه السلام: فمن ذا الملك الذي أنت عبده؟ أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء؟ واخبرني عن أيك أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض؟ فسكت. فقال أبو عبد الله: قل، فسكت.

فقال عليه السلام: إذا فرغت من الطواف فأتنا، فلما فرغ أبو عبد الله من الطواف أتاه الزنديق، فقعده بين يديه ونحن مجتمعون عنده، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أتعلم أن للأرض تحت و فوقاً؟

فقال: نعم.

قال: فدخلت تحتها؟

قال: لا.

قال: فهل تدري ما تحتها؟

قال: لا أدري إلا أنني أضن أن ليس تحتها شيء.

فقال أبو عبد الله: فالظن صجز ما لم تستيقن، ثم قال له: صعدت إلى السماء؟ قال: لا.

قال: أفتردي ما فيها؟

قال: لا.

قال: فأنت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟

قال: لا.

قال: فالعجب لك لم تبلغ المشرق، ولم تبلغ المغرب، ولم تنزل تحت الأرض، ولم تصعد إلى السماء، ولم تخبر ما هناك فتعرف ما خلفهن، وأنت جاحد بما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟

فقال الزنديق: ما كَلَّمَنِي بهذا غيرك.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنت من ذلك في شك فلعَلَّ هو ولعلَّ ليس هو.

قال: ولعلَّ ذلك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها الرجل ليس نمن لا يعلم حجة على من يعلم، ولا حجة للجاهل على العالم، يا أخا أهل مصر تفهم عني، أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ولا يستيقان، يذهبان ويرجعان، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإن كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعا؟ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً؟

اضطرا والله يا أخا أهل مصر، إن الذي تذهبون إليه وتظنون من الدهر، فإن كان هو يذهبهم فلم يردهم وإن كان يردهم فلم يذهب بهم؟ أما ترى السماء مرفوعة والأرض موضوعة، لا تسقط السماء على الأرض ولا تنحدر الأرض فوق ما تحتها، أمسكها والله خالقها ومدبرها.

قال: فأمن الزنديق على يدي أبي عبد الله فقال: هشام خذَه إليك وعلمه <sup>(١)</sup>.

### تربية الأئمة للأمة

من الأمور المهمة التي مارسها الرسل والأنبياء مع أممهم هي تربيتهم وتزكية نفوسهم، لذلك نرى أنَّ القرآن الكريم صدع بالضرورة للالتزام بالخلق الإسلامي القويم.

وباعتبار وراثته خطط الأئمة لخط الأنبياء كانت هذه المسألة تأخذ مأخذاً مهماً وجوهرياً في حركة الأئمة عليهم السلام، ولا نكاد نرى إماماً لم يمارس هذا

(١) الاحتجاج ٢ / ٧٢ - ٧٤.

الدور، ولهم في ذلك أساليب منوعة وطرق مختلفة يتوسنون بها لادخال التدين العميق في قلوب المسلمين، فقد استفادوا من الخطب الطوال والكلمات القصار والأدعية والزيارات والأشعار.

وقد ورثنا عن أئمتنا كنوزاً من التراث التربوي والعرفاني والأخلاقي، وقد تحرك الأئمة على عموم الأمة وبدلوا لها ما بدلوا وكنتنا نعرف مواقف أمير المؤمنين مع الأمة وكيف كان يدعوهم، وموقف الحسين واضح كذلك في نصحه للأمة وهو في ساحة المعركة.

ولا نريد أن نطيل في ذكر الأئمة عن الأئمة سلام الله عليهم للتدليل على ممارستهم جميعاً لهذا الدور، وإنما نحيل إلى المجاميع الحديثية التي عتيت بتقل أحاديث أهل البيت لتري ضخامة التراث التربوي.

#### الأئمة وتربية الخواص من أبناء الأمة

ينبغي أن نشير أن التربية عند الأئمة أخذت بعداً معقفاً مع الخصائص من أبناء الأمة الإسلامية، فقد بذل الأئمة جهداً مضاعفاً مع شيعتهم لجعلهم نماذج في جانب التدين والالتزام بالإسلام.

كان الأئمة يطلبون من شيعتهم باعتبارهم الطبيعة الواعية من أبناء الأمة الإسلامية أن يكونوا المقادة الى الله بسلوكهم وعملهم الصالح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«شيعتنا المتبادلون في ولائنا، المتعابون في مودتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاورهم، سلم لمن خالطوا»<sup>(١)</sup>.

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني، ١٦٧/٩، شرح الأخبار في فضائل الأئمة -

وفي كلمة للإمام الباقر يظهر منها القوة المطلوبة في بناء الإنسان المؤمن وربطه بالخط الصحيح، فقد خاطب جابر بن يزيد النخعي فقال له: «واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا إنك رجل سوء لم يعزتك ذلك، ولو قالوا إنك رجل صالح لم يسؤك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترفيحه خائفاً من تخويفه قانث وبشر، فإنه لا يضره ما قيل فيك»<sup>(١)</sup>.

«يا ابن حنبل بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم لا تذهبن بكم المذاهب، فوالله لا تنال ولا يتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس»<sup>(٢)</sup>.

ومن كلمات الإمام الصادق عليه السلام التي تعكس خصوصية اهتمام الأئمة بالطليعة الواعية من أبناء الأمة ما تذكره أدناه<sup>(٣)</sup>:

«شيعتنا أهل الهدى وأهل النقى وأهل الإيمان وأهل الفتح والظفر».

«إياك والسفلة فإنما شعبة علي من عَفَ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه ورجا نوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شعبة جعفر».

«إن شعبة علي كانوا خمص البطون ذبل الشفاة، أهل رافة وعلم وحلم، يعرفون بالرهانية فأعينوا على ما أتم عليه بالورع والاجتهاد».

لقد اهتم الإمام الصادق ببناء العناصر الواعية القادرة على الدفاع عن العقيدة الصحيحة، وقد قام أولئك الرواد بدورهم في حفظ الكيان

← الأظهار للقاضي النعمان المغربي: ٥-٤/٣، ح ١٤٤٩، والمحدث عن الباقر عليه السلام.  
 (١) للشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني: تحف العقول، طبع مؤسسة الاعلمي، ١٩٧٤، ص ٢٢٢.  
 (٢) تحف العقول، ٢٠٦.  
 (٣) أصول الكافي ٢ / ١٨٦.

ومواجهة الشبهات التي يبثها الأعداء، ومن أمثلة ذلك ما روي عن  
يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل  
الشام فقال له: إني رجل صاحب كلام وقفه وفرائض وقد جئت لمناظرة  
أصحابك، فقال له أبو عبد الله: كلامك هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أم من عندك؟

فقال: من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وبعضه ومن عندي بعضه.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: فأنت إذا شريك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا.

قال: فسمعت الوحي عن الله؟

قال: لا.

قال: فمتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلي وقال: يا يونس بن يعقوب هذا رجل قد خصم  
نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته.

قال يونس: فيا لها من حسرة، فقلت: جعلت فداك سمعتك تنهى عن  
الكلام وتقول ويل لأصحاب الكلام، يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد،  
وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي وذهبوا إلى ما يريدون،

ثم قال: أخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله.

قال: فخرجت فوجدت حمران بن أعين وكان يحسن الكلام، ومحمد  
ابن النعمان الأحمول وكان متكلماً، وهشام بن سالم وقيس الناصر، وكانا  
متكلمين فأدخلتهم عليه فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لأبي  
عبد الله عليه السلام على طرف جبل بالحرم، وذلك قبل أيام الحج بإيام، أخرج  
أبو عبد الله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب فقال: هشام ورب الكعبة،

قال: فظننا أن هشاماً رجلاً من ولد عقيل شديد المحبة لأبي عبد الله عليه السلام، فإذا هشام بن الحكم قد ورد وهو أول ما اختطت لحيته<sup>(١)</sup>.  
ومن ملامح عمل الإمام الصادق في صفوف الأمة هو الموازنة الدقيقة بين التحزك على العناصر الشعبية، وبناء النخبة الخاصة الصالحة.  
ففي موقفين يرتبطان بالإمام الصادق والمفضل بن عمر الجعفي والقواعد الشعبية والنخبة الواعية يتضح لنا النهج الحركي الذي كان يتبعه الإمام الصادق في تعامله مع العناصر الشعبية والعناصر القيادية ضمن جماعة الشيعة، الجماعة الإسلامية الصالحة.

#### الموقف الأول:

عن محمد بن ستان، أن عدة من أهل الكوفة كتبوا إلى الصادق عليه السلام فقالوا:

إن المفضل يجالس الشطار وأصحاب الحمام وقوماً يشربون الشراب، فينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألا يجالسهم، فكتب إلى المفضل كتاباً وختم ودفع إليهم وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل. فجاءوا بالكتاب إلى المفضل، منهم زيارة وعبد الله بن بكير ومحمد ابن مسلم وأبو بصير وحجر بن زائدة، ودفعوا الكتاب إلى المفضل ففكه وقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: اشتري كذا وكذا واشتر كذا، ولم يذكر قليلاً ولا

(١) الشيخ أبو الفتح الإربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الكتاب الإسلامي بيروت، ٢ / ٢٨٥ - ٢٨٦.



كثيراً منا قالوا فيه، فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة، ودفعه زرارة إلى محمد بن مسلم حتى أرى الكتاب إلى الكلب.

فقال المفضل: ما تقولون؟

قالوا: هذا مال عظيم حتى ننظر ونجمع إليك، ثم ندرك إلا نراك بعد أن ننظر في ذلك.

وأرادوا الانصراف، فقال المفضل: حتى تغدوا عندي، فحبسهم لغدائه ووجه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم فجاءوا فقرأ عليهم كتاب أبي عبد الله عليه السلام فرجعوا من عنده، وحبس المفضل هؤلاء ليتغدوا عنده، فرجع الثقتان وحمس كل واحد منهم على قدر قوته ألفاً وألفين وأقل وأكثر، فحضروا أو أحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء.

فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي، تظنون أن الله تعالى يحتاج إلى صلاتكم وصومكم؟<sup>(١)</sup>

### الموقف الثاني

في هذا الموقف تكاد تنقلب الصورة، فقد روي عن المفضل أن أبا عبد الله عليه السلام قال مرة وأنا معه:

يا مفضل كم أصحابك؟

قلت: قليل

فلما انصرفت إلى الكوفة أقبلت على الشيعة فمزقوني كل ممزق

يأكلون لحمي ويشتمون عرضي حتى أن بعضهم استقبلني فوثب في وجهي، وبعضهم فعد لي في سلك الكوفة يريد ضربني، ورموني بكل بهتان حتى بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام، فلما رجعت إليه في السنة الثانية كان أول ما استقبلني به بعد تسليمه علي أن قال: يا مفضل ما هذا الذي بلغني أن هؤلاء يقولون لك وفيك؟

قلت: وما علي من قولهم.

قال: أجل بل ذلك عليهم، أي غضبون، بؤس لهم، إنك قلت إن أصحابك قليل، لا والله ما هم لنا شيعة، ولو كانوا شيعة ما غضبوا من قولك وما اشمأزوا منه، لقد وصف الله شيعة بغير ما هم عليه، وما شيعة جعفر إلا من كَفَّ لساتته، وعمل لخالفه، ورجا سيده، وخاف الله حق خيفته، ويحهم أقبهم من قد صار كالحنايا من كثرة الصلاة، أو قد صار كالثآئنه من شدة الخوف، أو كالضربير من الخشوع، أو كالضني من الصيام أو كالأخرس من طول الصمت والسكوت، أو هل فهم من قد أذاب ليله من طول القيام وأذاب نهاره من الصيام، أو منع نفسه لذات الدنيا ونعيمها خوفاً من الله وشوقاً إلينا أهل البيت، أتى يكونون لنا شيعة وأنهم ليخاصمون عدوناً قينا حتى يزيدوهم عداوة وأنهم ليهزّون هرير الكلب، ويطمعون طمع الغراب، وأنا إني لولا أنني أخوف عليهم أن أعريهم بك لأمرتك أن تدخل بيتك وتغلق بابك ثم لا تنظر إليهم ما بقيت ولكن إن جاءوك فاقبل منهم، فإن الله جعلهم حجة على أنفسهم احتج بهم على غيرهم. <sup>(١)</sup>

قضي الموقف الأول يعتبر الإمام الصادق وممثله في الكوفة لقيادة

الشعبة عن ضرورة الافتتاح على القطاعات الشعبية، لأنها تستطيع القيام بأدوار مهمة لخدمة القضية يعجز عنها الكادر القيادي الواعي. لكن هذا الموقف لا يجعل القيادة الإسلامية غافلة عن تقييمها للأفراد وتحديداتها للمستويات، كما يظهر ذلك واضحاً في الموقف الثاني.

### الأئمة مثال صالح لأبناء الأمة

لكلام - لو كان صحيحاً - أثر على الناس ولكنه لا يبلغ أثره الإثبات من خلال الأمثلة العينية، وقد تحدث الأئمة كثيراً حول الفكر الصحيح وحول معالم الشخصية الإسلامية ولكن ذلك لم يؤثر على الأمة بدون تطبيق. لقد اشترك جميع الأئمة عليهم السلام بتقديم المثال الصالح للأمة في المسيرة نحو الله، فكانوا أمثلة للساثرين ودليلاً للمتحمسين.

إن هذه الحالة المثالية في حياة الأئمة إضافة إلى أنها تابعة من خلقهم الذاتي المرتبط بعصمتهم، فإن لها خصوصية أخرى وهي الجنبية الاجتماعية في التحرك.

فقد قدم الأئمة من خلال سلوكهم أمثلة رائعة للالتزام بالإسلام، فكانوا المثال في العلم والجهاد والشهادة والعبادة والأخلاق والتعامل، وقد استطاعوا أن يهدوا الكثير من أبناء الأمة إلى الطريق الصحيح من خلال التزامهم العميق بالإسلام.

لقد علمونا درساً من خلال هذه الحالة وهو أن الذي يتصدى للقيادة لا بد له من أن يكون مثلاً صالحاً لمن يقوده وإلا فالأفضل له وللأمة أن يتحنن جانباً عنها، لأن القائد هو المثال، فإن فسد المثال كان ذلك عاملاً في فساد الأمة وانحرافها.

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام في سلوكه الشخصي وسلوكه الاجتماعي وعطائه العلمي وخلقه الرفيع وحكمته في العمل الاجتماعي والسياسي المثال الصالح للإنسان المؤمن المسلم الرسالي وهو ما حكته عنه كتب عموم المسلمين من الشيعة والسنة، لذلك نظر إليه الجميع نظرة احترام وتقديس، وكان القدوة للنصالحين والعاملين.

#### دعوة الأمة للالتزام بالقيادة الشرعية

من المحاور الأساسية في الصراع مع المناققين هو محور الدعوة للقيادة الشرعية، وقد قدّم خط الإمامة التضحيات الجسيمة من أجل إيضاح مفهوم القيادة الشرعية ومواصفاتها ودورها وحقوقها وواجباتها للأمة، وقد اشترك جميع الأئمة في ممارسة هذا العمل وكان يشغل من حركتهم الموقع الأعلى لأهميته الكبيرة في تطبيق الأمة للإسلام، وحفظ هذا الإسلام بين ظهرائي الأمة سليماً نامياً حاكماً.

وقد اتخذت دعوة الأئمة للقيادة الشرعية عدّة توجهات تُشير إلى بعض منها:

#### أولاً: التأكيد على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تقطع الانطلاق في حركة الأئمة عليهم السلام وبدونها لا نستطيع أن نتعامل بصورة سليمة مع قيادية باقي الأئمة للأمة فهي الركيزة الأساسية في تحريك الإمامة وإثباتها، تنقلنا بصورة طبيعية إلى المسراجل اللاحقة وبدونها تنقطع السلسلة وتضيع القافلة.

لقد تحدث جميع الأئمة عليهم السلام حول حق أمير المؤمنين عليه السلام جرياً على خطى رسول الله في هذا الطريق، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول محدثاً زيد ابن الجهم الهلالي:

«لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلّموا علي علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم، يا زيد: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما: قوما سلّموا عليه بإمرة المؤمنين، فقالا: أئمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تعملون﴾ يعني به قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهما وقولهما: أئمن الله أو من رسوله، ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غرلها من بعدة قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون...﴾ «أئمة هي أركى من أئمتكم».

قال، قلت: جعلت فداك أئمة؟

قال: إي والله أئمة.

قلت: فإننا نقرأ أربى.

فقال: ما أربى؟ - وأوماً بيده فطرحها - «إنما يبلوكم الله به» يعني بعلني عليه السلام «وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون، ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها» يعني بعد مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي «وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله» يعني به علياً عليه السلام «ولكم عذاب عظيم»<sup>(١)</sup>.

(١) أصول الكافي: ٢٣٦/١.

ثانياً: التأكيد على أنهم خط واحد

وقد أكد الأئمة أن خطهم خط واحد ونورهم نور واحد، وأن أمر أولهم متصل بأمر آخرهم؛ وهم حنقات متصلة لا يتم الولاء الحقيقي إلا بالتمسك بهم جميعاً والقبول من أولهم إلى خاتمهم، ويتضح ذلك من خلال الروايات المختلفة التي رويت عن أهل البيت، والتي تتناول النص عليهم جميعاً.

إن وحدة خطهم ترتبط بمفردة أخرى وهي أنهم الشهداء على الأمة. يقول الإمام الصادق في شرح قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾<sup>(١١)</sup>، قال: نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم ومحمد صلى الله عليه وآله شاهد علينا.

وحول الموضوع نفسه عن بريد العجلي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل:

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾<sup>(١٢)</sup> قال:

نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه؛ وحججه في أرضه.

قلت: قول الله عز وجل: ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾.

قال: إنانا عنى خاصة، هو ستاكم المسلمين من قبل في الكتب التي مضت، وفي هذا القرآن ليكون الرسول عليكم شهيداً، فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب

(١١) النساء: ٤٦.

(١٢) البقرة: ١٤٣.

كذبناه يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

لقد اشترك الأئمة في طرح هذا التوجه، وهو وحدة خط الأئمة عليه السلام، يقول الإمام الصادق مخاطباً جدّه الحسين:

«وأشهد أنك الإمام البرّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أنّ الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والوجهة على أهل الدنيا، وأشهد الله أنّي بكم مؤمن وبإبابكم موقن، بشرايع ديني، وخواتيم عظمي، وقلبي لقلبيكم سلم، وأمري لأمركم متبوع، ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوّكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم»<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن مسلم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل قال لي أعرف الآخر من الأئمة ولا يضرك أن لا تعرف الأول. قال: لعن الله هذا فإني أبغضه ولا أعرفه وهل عُرف الآخر إلا بالأول.

ثالثاً: إحياء قضية الإمام الحسين تعزيزاً للقيادة الشرعية

لقد اهتمت الأئمة كثيراً في إذكاء عواطف الأمة باتجاه قضية الحسين، وقد استعملوا طرقاً متنوعة لإيجاد هذه الحالة، ويمكننا أن نستل من حياة كثر إمام موقفاً داعياً للتلاحم مع قضية الحسين، وسبب ذلك هو شدّة الأئمة بقادتها، وإنّ درجة شدتها مع الإمام الحسين ستعكس على شكل ولاء قومي لورثة الخط الحسيني، وسنشير فيما يلي إلى مثال من مواقف الإمام

(١) أصول الكافي: ١/١٤٦.

(٢) من زيارة الإمام الحسين يوم الأربعاء، عن صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام، مصابيح الجنان: ٢٩٩.

الصادق عليه السلام في طريق إحياء ذكرى الإمام الشهيد عليه السلام .

قال الإمام الصادق عليه السلام في إحياء ذكرى الحسين عليه السلام :

«لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي لكان تاركاً حقاً من حقوق الله، وحقوق رسول الله، لأن حق الحسين فريضة من الله واجبة على كل مسلم»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: معارضة أدعياء الإمامة

لقد ادعى بعض الناس الإمامة بغير حق أو ادعى لهم ذلك، وقد وقف الأئمة موقفاً صلباً ضد أولئك الأدعياء حتى لو كانوا ينتمون لرسول الله نبياً، وفي كتب الفرق وكتب الرجال إشارات واضحة إلى هذا المطلوب.

عن الإمام الصادق يروي عنه ابن أبي يعفور:

قال سمعته يقول: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم:

من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في

الإسلام نصيباً.

#### الأئمة والتنصدي السياسي

كان تحرك الأئمة عليهم السلام في الصميم من الصراع السياسي، وذلك لأن القيادة الإسلامية الشرعية للأمة وباعتبار دخول السياسة في الإسلام بصورة لا يمكن فصلها عنه، كان العمل السياسي من أهم أعمال الأئمة،

(١) من زيارة الإمام الحسين يوم الأربعين، عن صفوان الجمال عن الإمام



وقد تحرك أئمتنا عليهم السلام في الممارسة السياسية على عدّة أصعدة منها:

#### أ- الأئمة والتصدي للحكم

لقد سعى من سعى الى عزل الأئمة عن الحكم فأبعدوهم عن قيادة الدولة الإسلامية، وخططوا لذلك صيغاً دقيقة، وقد نجحت خططهم وتم خداع الأمة في الكثير من الأحيان، لكن الأئمة لم يستكينوا لهذا الوضع؛ وراحوا يظالبون بحقهم ولا يدعون الفرص تمرّ عليهم دون الاستفادة منها لإعادة الحكم الشرعي الى نصابه.

وهناك اتجاه خاطئ يظنّ أنّ الأئمة ابتمدوا عن الصراع من أجل الوصول للحكم وانشغلوا فقط بدفع التحريف عن الأحكام الإسلامية. ونحن في الوقت الذي نؤيد انشغال الأئمة بدفع التحريف عن الرسالة نؤكد على أنّهم كانوا في الوقت نفسه يسعون لإقامة حكم الله الصحيح في الأرض.

#### ب- الأئمة والثورات على الظالمين

قامت في البلاد الإسلامية ثورات عارمة كان يعود معظمها أولاد الأئمة عليهم السلام، وقد شجّع الأئمة هذه الثورات، لأنها الطريق لمنع الظالمين من الطغيان ومحاربة الإسلام. لقد حفقت ثورات أولاد الأئمة مقداراً كبيراً من معالم الدين؛ فقد كانت هذه الثورات كالسيف المسلط على رؤوس الحكام العنقاء تهددهم كلما أرادوا أن يسرفوا في انحرافهم، ومن جملة هذه الثورات التي أسهمت في دفع المسيرة الراشدة في التحرك ثورة زيد الشهيد عليه السلام.

لقد كان تفاعل الإمام الصادق عليه السلام إيجابياً مع ثورة الشهيد زيد بن

علي عليه السلام، وقد أعلن الحزن عليه بمد مقتله، وقال عليه السلام لأبي ولاد الكاهلي:  
أرايت عتي زبداً؟

قال: نعم رأيتَه مصلوباً ورأيت الناس بين شامت خنق وبين محزون  
محترق، فقال: أما الباكي فمعه في الجنة، وأما الشامت فشريك في دمه<sup>(١)</sup>.  
لقد كان موقف الإمام الصادق وبقية الأئمة تجاه ثورات العلويين أو  
غيرهم من المسلمين يُلخص بالنقاط التالية:

١- إنهم يؤيدون الثوار الممتلكين للشروط الإسلامية وإنما وجههم في  
ذلك زيد بن علي، ومنها أن يكون خروجه غضباً لله، وأن يكون عالماً  
بالإسلام.

٢- أن لا يدعي الإمامة أو القيادة، وإنما يدعو للقيادة الشرعية في  
ثورته، وهذا حال زيد الذي كان يدعو للرضا من آل محمد عليه السلام.

٣- يقول الأئمة: «ولو ظفروا في بسا دها إليه»، ونحن نربط هذه الملاحظة  
بمسألة سعي الأئمة لإقامة الحكم الشرعي في الأمة، ونقول إن قول الأئمة  
هذا يؤكد سعيهم لإقامة الحكم الشرعي تحت ظل القيادة، لذلك كان  
تحزُّرهم ممدوحاً، لأنه لو ظفر بالحكم لسلمه لأصحابه الشرعيين.

لكنهم في الوقت عينه كانوا يتحفظون على بعض الثورات، ومن ذلك  
موقف الإمام الصادق من ثورة محمد بن عبد الله الحسيني، قال عيسى بن  
عبد الله بن محمد: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا له فجتتهم ومحمد بن  
عبد الله يصني على طنفسة رحل مثنية، فقلت لهم: أرسلني أبي إليكم  
أسألكم لأبي شيءٍ اجتمعتم؟

(١) مصابيح الجنان: ٢٩٩.

فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله.

قال: وجاء جعفر بن محمد عليه السلام فأوسع له عبد الله بن الحسن التي جنبه فتكلم بمثل كلامه، فقال جعفر عليه السلام: لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد إن كنت ترى - يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أوثقه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأنا والله لا ندعك فأنت شيخنا نبايع ابنك في هذا الأمر. فغضب عبد الله وقال لقد علمت خلاف ما تقول، والله ما أطلعك على غيبه، ولكنه يحملك على هذا الحسد لايني.

فقال: والله ما ذلك بحمليتي، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إيه والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم وإن ابنيك لمقتولان، ثم تهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري<sup>(١)</sup>. وقال: رأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر - فقال له: نعم. فقال: إنا والله نجده يقتله.

فقال له عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم، فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة.

قال: ثم والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيت قتلتهما، قال: فلما قال جعفر ذلك ونهض القوم واقتربوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر، فقالا: يا أبا عبد الله تقول هذا، قال: نعم أقوله والله وأعلمه<sup>(٢)</sup>.

(١) التمشيح المفيد، الإرشاد: ٢٠٧.

(٢) كشف الغمّة: ٢ / ٣٨٧.

ومن هذا نفهم بعداً آخر من أبعاد علاقة الأئمة مع الثورات ضد الحكومات المتحرقة، فالإمام الصادق لم يكن ضد ثورة محمد بن عبدالله، وإتماما كان يريد أن يصحح مسارها ووضعها ضمن الحركة الرشيدة لخط الإمامة، لذلك كان يعترض على:

١- أن يتصور عبدالله بن الحسن المثنى أن ابنه سيكون هو الإمام الشرعي، وهو واضح من تلقيبه لابنه محمد بالمهدي.

٢- في الوقت نفسه لا يعترض على أن تكون هذه الثورة غضباً لله ورسوله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن في هذه الحالة يشترط لها توفر عناصر نجاحها لاعطاء الأثر الذي تقوم من أجله، لذلك قال لأبي محمد أنه لا يتركه ويباع ابنه محمداً باعتبار المكانة المرموقة التي يتمتع بها عبدالله بن الحسن المثنى بين المسلمين.

إن هذا التشخيص المبكر للإمام الصادق للمرحلة القادمة والذي ينبع من فهمه العميق لموازن القوى السياسية يوم ذلك بمثابة الركيزة التي انطلق منها تحركه السياسي في المرحلة اللاحقة.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي أحاطت بحركة الإمام الصادق إلا أنه استطاع أن يجتنبها من المخاطر التي كانت لها بالمرصاد، فقد استطاع الإمام عليه السلام أن يحقق أكبر المكاسب لحركة انتشيع ضمن الظروف المحيطة، وفيما يلي سنقدم موجزاً لأهم ملامح تلك المرحلة السياسية.

لقد أكد الإمام الصادق عليه السلام في تلك المرحلة الصعبة على مفهوم طاعة القواعد لقيادة، يقول أبو بصير سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: اتقوا الله، وعليكم بالطاعة لأنتمكم قولوا ما يقولون، واصمتوا عما صمتوا، فإنكم في سلطان من قال الله

تعالى: ﴿وإن كان مكروهم لنزول منه الجبال﴾ يعني بذلك وند العباس فاتقوا الله فإنكم في هدة، صلّوا في عشايرهم واشهدوا جنازتهم، وأثروا الامامة اليهم.<sup>(١)</sup>

لقد وضع المنصور العباسي الإمام الصادق وشيعته وكبار رجالات الحركة الشيعية تحت المراقبة الشديدة، وتتابعت التقارير الأمنية ضده، وصتم المنصور عدة مرات على قتله.

عن الربيع صاحب المنصور قال: بعث المنصور الى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يستقدمه لشيء يبلغه عنه، فلما وافى بايه خرج إليه الحاجب فقال: أعيذك بالله من سطوة هذا الجبار، فإني رأيت حرده عليك شديداً، فقال الصادق عليه السلام: علي من الله جنة واقية، تعيني عليه إن شاء الله.<sup>(٢)</sup>

وفي الحوار الذي دار بين الإمام الصادق والمنصور العباسي ركز الإمام على أن يفتير مجرى الاجراءات المضادة له ولشيعته الى مسار آخر يحقق به المكاسب لتقيادة الشرعية وقواعدها.

قال الإمام الصادق عليه السلام في معرض رده على التقارير المرفوعة للمنصور ضده:

لا تقبل في ذي رحمتك، وأهل الرعاية من أهل بيتك، قول من حرم الله عليه الجنة وجعل مأواه النار، فإن النمام شاهد زور، وشريك إبليس في الاغراء بين الناس، فقد قال الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ جَاءَكُمْ فَأَسِقُوا فَيَشْرَبُ فَأَن تَصِيَّبُوا قَوْمًا بَجَاهِلِيَّةٍ فَتَصِيَّبُوا عَلَيْنَ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ونحن لك أنصار وأعوان، ولملكك دعائم وأركان، ما أمرت بالمعروف والاحسان وأمضيت في الرعية أحكام القرآن، وأرغمت

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧ / ١٦٧.

(٣) الحجرات: ٦.

بطاعتك لله أنف الشيطان وإن كان يجب عليك في سعة فهمك، وكثرة علمك، ومعرفتك بأدب الله، أن تصل من قطعك وتعطي من حرملك، وتعفو عن ظلمك، فإن المكافي ليس بالواصل إنما الواصل من إذا قطعتة رحمه وصلها، فصل رحمك بزد الله في عمرك، ويخفف عنك الحساب يوم حشرتك.

فقال المنصور: قد صفحت عنك لقدرك، وتجاوزت عنك لصدقت، فحدثني عن نفسك بحدِيث أَتَعِظُ بِهِ وَيَكُونُ لِي زَاجِرَ صَدَقٍ عَنِ الْمَوْبِقَاتِ، فقال الصادق عليه السلام: عليك بالحلم، فإنه ركن العلم، وأملك نفسك عند أسباب القدرة فإنك إن فعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو تداوى حقدًا، أو يحب أن يذكر بالصولة، وأعلم بأنك إن عاقبت مستحقاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر.

فقال المنصور: وحظت فأحسنت وقلت فأوجزت<sup>(١)</sup>.

وقد يفهم من كلام الإمام الصادق نوعاً من المرونة في التعامل لتلبيين قسوة رأس النظام العباسي وهو في فورة قوته ممثلاً بالمنصور العباسي، إلا أننا يمكن أن نفهمها كذلك ومن خلال النصائح التي قدمها الإمام الصادق لهذه الدولة الغتية كنوع من أنواع ترشيد المسيرة انطلاقاً من أن الدولة الإسلامية مؤسسة أقامها رسول الله والأنسبة باعتبارهم الورثة القياديين لرسول الله ﷺ فإنهم مسؤولون عن استمرار وبقاء هذه المؤسسة، أما تقديمهم ومناهضتهم للحكام فإنه يمثل موقف الأئمة من الذين سرقوا هذه المؤسسة وتسلفوا إلى أعلى منصب فيها.

أما من المؤسسة نفسها، فكان للأئمة موقف آخر منها؛ كانوا يحاولون

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ٢٠٣ - ٢٠٤.

دائماً أن يزيلوا السلطة السارقة للمنصب القيادي دون أن يمسوا بالدولة، لأنها من تراث رسول الله ﷺ، فهو المؤسس الأول لدولة الإسلام، وهي الدولة التي ينبغي أن تبقى.

وفي حملة اعتقال أخرى نرى أن الإمام الصادق استعمل أسلوباً آخر في تعامله مع المنصور.

حدثنا صفوان الجمال قال: حمّنت أبا عبد الله الحملة الثانية إلى الكوفة، وأبو جعفر المنصور بها، فلما أشرف على الهاشمية مدينة أبي جعفر، أخرج رجله من غرز الزحل ثم نزل ودعا ببغلة شهباء، وليس ثياباً بيضاً وتكة بيضاء، فلما دخل عليه قال له أبو جعفر: لقد تشبهت بالأنبياء؟

فقال أبو عبد الله: وأنتي تبعدي من أبناء الأنبياء؟

قال: لقد هممت أن أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها، ويسبي ذريتها.

فقال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال: رفع إلي أن مولائك المعلى بن حنيس يدعوك إليك ويجمع لك الأموال.

فقال: والله ما كان

فقال: لست أرضى منك إلا بالطلاق والعتاق والهدى والمشى.

فقال: أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف؟ إنه من لم يرض بالله فليس من الله في شيء.

فقال: أنتفقه علي؟

فقال: وأنتي تبعدي من الفقه، وأنا ابن رسول الله ﷺ.

قال: فإني أجمع بينك وبين من سعى بك، قال فافعل، قال فجاء الرجل الذي سعى به فقال أبو عبد الله ﷺ: يا هذا، قال فقال: نعم والله الذي لا إله إلا

هو، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، لقد فعلت.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا ويلك تجلّل الله فيستحيي من تعذيبك، ولكن قل: برئت من حول الله وقوته وألجئت إلى حولي وقوتي، فحلف بها الرجل فلم يستتمّها حتى وقع ميتاً، فقال له أبو جعفر: لا أصدق بعدها عليك أبداً، وأحسن جائزته ورده <sup>(١)</sup>.

ولقد كان الإمام الصادق عليه السلام وفي مواقف أخرى وضمن ظروف مناسبة يمارس نقداً شديداً للمنصور يعتبر به الإمام الصادق عليه السلام عن شجبه لطيفان النظام العباسي الجديد، فقد روي عن الربيع صاحب المنصور قال: قال المنصور يوماً لأبي عبد الله عليه السلام: وقد وقع على المنصور ذباب فذبه عنه، ثم وقع عليه فذبه عنه فقال: يا أبا عبد الله لأي شيء خلق الله عز وجل الذباب؟

قال: ليذل به الجبارين <sup>(٢)</sup>.

#### الإمام الصادق ومقاطعة الظالمين

روى الإمام الصادق عن جدّه رسول الله قوله:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوأتهم، من لاط لهم دواة، وربط

كيساً، أو مدّ لهم مرة قلم فاحشروهم معهم».

كما أنه روى عنه كذلك: «ما اقترب عبد من سلطان إلا تباعد من الله، ولاكثر

ماله إلا اشتدّ حسابه، ولاكثرت تبعته إلا كثرت شياطينه».

(١) بحار الأنوار: ٤٧/٢٠٣ - ٢٠٤

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/١٦٦



وروى كذلك قوله عليه السلام: «إياكم وأبواب السلطان وحواشيها فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله تعالى، ومن آثر السلطان على الله تعالى أذهب الله عنه الروح وجعله حيراناً»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حمدون: كتب المنصور إلى جعفر بن محمد: لِمَ لا تغشانا كما يغشانا ساير الناس؟ فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجو لك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا تراها نعمة فنعزيزك بها، فما نصنع عندك؟ قال: فكتب إليه تصحبنا لتنصحننا.

فأجابه عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

فقال المنصور: والله لقد مئز عندي منازل اناس: من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وأنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا.<sup>(٢)</sup>

لقد كانت الهجمة العباسية شرسة على القيادة الشرعية وقواعدها، وكان الإمام الصادق وكبار أصحابه موضع الاضطهاد المستمر من قبل الدولة وجهازها الأمني.

عن صفوان بن مهران الجمال، رفع رجل من قریش المدينة من بني مخزوم إلى أبي جعفر المنصور، وذلك بعد قتله لمحمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن أن جعفر بن محمد بعث مولاة المعلى بن خنيس بجباية الأموال من شيعته، وأنه كان يمد بها محمد بن عبدالله، فكاد المنصور أن يأكل كفه على جعفر غيظاً، وكتب إلى عمته داود - وداود إذ ذاك أمير المدينة - أن يستر إليه جعفر بن محمد ولا يرخص له في التلوم

(١) الشيخ الصدوق، عقاب الأعمال: ٢٦٠.

(٢) كشف الغمة: ٢ / ٤٢٠ - ٤٢١.

والمقام، فبعث إليه داود بكتاب المنصور وقال: اعمل في المسير إلى أمير المؤمنين في غد ولا تتأخر. <sup>(١)</sup>

لقد كان رأس المعلى بن خنيس رضوان الله عليه مطلوباً للسلطة، وكان إعدامه نكبة كبيرة في تاريخ الحركة الشيعية يوم ذلك.

روى الأعمش والربيع، وابن سنان، وعلي بن أبي حمزة، وحسين بن أبي العلاء، وأبو المغراء، وأبو بصير، أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس لما قتل المعلى بن خنيس وأخذ ماله، قال الصادق عليه السلام: قتلت مولاي، وأخذت مالي، أما علمت أن الرجل ينام على الشك، ولا ينام على الحرب؟ أما والله لأدعون الله عليك. <sup>(٢)</sup>

ونال المعلى درجة الشهادة على يد العباسيين، قال أبو عبد الله عليه السلام: إن المعلى بن خنيس ينال درجتنا. وإن المدينة من قابل يليها داود بن عروة، ويستدعيه ويأمره أن يكتب له أسماء شيعتنا فيأبى فيقتله ويصلبه فينا، وبذلك ينال درجتنا، فلما ولي داود المدينة من قابل أحضر المعلى وسأله عن الشيعة، فقال:

ما أعرفهم.

فقال: اكتبهم لي والأضربت عنقك؟

فقال: بالقتل تهددني؟! والله لو كانت تحت أقدامي ما رفعتها عنهم، فأمر بضرب عنقه وصلبه، فلما دخل الصادق عليه السلام قال: يا داود قتل مولاي ووكلني وما كفالك القتل حتى صلته، والله لأدعون الله عليك ليقنك كما قننه، فقال له داود: تهددني بدعائك ادع الله لك، فإذا استجاب لك فادعه علي، فخرج

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق.

أبو عبد الله عليه السلام مغضباً فلما جنّ الليل اغتسل واستقبل القبلة ثم قال: يا ذا يا ذي يا ذوارم داود بهم من سهامك، تفلقل به قلبه، ثم قال لغلامه: أخرج واسمع الصائح فجاء الخبر أنّ داود قد هلك، فخرّ الإمام ساجداً وقال: لقد دعوت الله عليه بثلاث كلمات لو أقسمت على أهل الأرض لزلت بمن عليها. <sup>(١)</sup>

وعلى صعيد التنقيف العقائدي والسياسي المضاد شرّ النظام العباسي حملة شرسة على خطّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وقد تزامن ذلك مع القتل والتشريد والاضطهاد للملويين ولقيادات التشيع العاملة.

لقد كانت هذه الممارسة رسمية معتمدة من قبل السلطة نفذها كبار المسؤولين فيها، وكان للإمام الصادق عليه السلام دور فاعل في مجمل هذا الصراع، والرواية التالية توضح جوانب من تاريخ تلك الفترة:

لما قتل محمد وإبراهيم ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام صار إلى المدينة رجل يقال له شيبه بن غفالة، وولاه المتصور على أهلها، فدما قدمها، وحضرت الجمعة، صار إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن علي بن أبي طالب شقّ عصا المسلمين، وحارب المؤمنين، وأراد الأمر لنفسه، ومتع أهله، فحرمه الله عليه وأماته بغضته. وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد، وطلب الأمر بغير استحقاق له، فهم في نواحي الأرض مقتولون، وبالدماء مضرجون.

قال: فعظم هذا الكلام منه على الناس ولم يجسر أحد منهم يتنطق بحرف فقام إليه رجل عليه إزار قومي سخين فقال: ونحن نحمد الله ونصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، وعلى رسل الله وأنبياؤه أجمعين، أما ما قلت

من خير فتحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى فاختر يا من ركب غير راحلته، وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً، ثم أقبل على الناس فقال: ألا أنباكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة، وأبشهم خسراً، من باع آخرته بدنياه غيره، وهو هذا الفاسق فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرفه، فسألت عن الرجل فقيل لي: هذا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صنوات الله عليهم <sup>(١)</sup>.

### الأئمة وبناء جهاز المرجعية

ما نقصده هنا بناء خط المرجعية بغض النظر عن المصطلح اللفظي للكلمة، هو إعداد السماء وتوزيعهم على أماكن وجود الموالين من أبناء الأمة ليكونوا الصلة الحية بين القيادة الشرعية والجماهير.

ويخطأ من يظن أن بناء هذا الجهاز كان بعد غيبة الإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه)، والحقيقة أن هذا الجهاز بدأ بحركته القائدة بعد غيبة الإمام الثاني عشر، وبعدها ظهر الجهاز قائداً للمسيرة الإسلامية نيابة عن قيادة خط الأئمة، ونعتقد أن بناءه تطور من خلال تحرك الأئمة عليهم السلام.

لقد دأب الأئمة من علي بن أبي طالب عليه السلام حتى الإمام الصادق عليه السلام إلى بث العلم الإسلامي الصحيح بين أبناء الأمة، وبلغت هذه العملية ذروتها في عهد الإمام الصادق الذي تعتبر حوزته العلمية أعظم وأضحم وأهم حوزة علمية عرفها تاريخ المدارس الدينية.

لقد قطعت الحركة العلمية زمن الإمام الباقر عليه السلام شوطاً جيداً، لكنته مع

(١) بحار الأنوار: ٤٧ / ٦٦٥.

عمله هذا كان بهيئاً إكمال العمل العنمي عنى يد ابنه الصادق وكان يوصيه بذلك، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: لما حضرت أباي الوفاة قال يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً.

قلت: جعلت فداك والله لادعيتهم والرجل منهم يكون في المصر قلاً يسأل أحداً.<sup>(١)</sup>

كان للإمام الصادق مجموعة كبيرة من التلاميذ الذين يدرسون عليه مختلف العلوم الاسلامية.

يقول صاحب كتاب الإرشاد: (...ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العناء ما نقل عنه ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقة على اختلاف الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجلاً).<sup>(٢)</sup>

#### الأئمة ومستقبل المسيرة

من الأعمال المشتركة في تحرك الأئمة هو إجماعهم على التيشير بيوم ظهور مهدي آل محمد عليه السلام الذي يسود به الإسلام على كل بقاع الأرض ويقام به حكم الإسلام العادل فتسعد به الأمم ولا يظل للمظلم أثر، ذلك اليوم الذي ينتقم به لكل المظلومين في التاريخ من ظالميهـم.

(١) الإرشاد: ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق.

وللأئمة أحاديث طويلة تذكر الإمام القائم ودولته ذكرتها الكتب المعنوية بالموضوع، وقد رويت الكثير من الأحاديث حول هذه القضية عن الإمام الصادق ومن أمثلة ذلك: عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول:

إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل. قلت له: ولم جعلت فذلك؟ قال: لأمر لا يؤذن لي في كشفه لكم.  
قنت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من حرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلى وقت افتراقهما، يابن الفضل إن هذا الأمر أمر من الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج: ٢ / ١٤٠.

### خلاصة البحث

الهدف من البحث تسليط الضوء على جوانب من قيادة الإمام الصادق عليه السلام للأمة ودوره في توجيه المسيرة الإسلامية في ظرف من أصعب الظروف التي مزت بها الأمة الإسلامية، وطلبتها الصالحة شيعة أهل البيت عليه السلام.

ينطلق الباحث من أن الإسلام والتشيع مفهومان متلازمان، وأن التشيع هو الإطار الحافظ فكرياً وقيادة لحركة الإسلام.

كما أنه يعتبر التشيع الجهاز المحافظ على استمرارية الإسلام بقيادة الأئمة من أهل بيت النبوة، وأنه ليس مذهباً مقابلاً للمذاهب الإسلامية بل هو الحركة الترشيدية للأمة الإسلامية.

ويعتبر الباحث أن وجود المذاهب المختلفة في الجسم الشيعي يرتبط بالظروف التي واجهت حركة التشيع الأصلية ممثلة بالأئمة الاثني عشر من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام المهدي (عج) من آل محمد عليهم صلوات الله جميعاً، لذلك فهي إفرار جانبي لهذه الحركة، به ملامح إيجابية مرتبطة بأصالة خط الأئمة، وبه سلبات تابعة من ملابسات عقائدية وسياسية واجتماعية مختلفة.

يقسم الباحث مراحل عمل الأئمة الى أربعة مراحل، كل ثلاثة من الأئمة مثلوا مرحلة اتسمت بمواصفات معينة، الأولى كانت مرحلة التأسيس والصدع وتبيان الخطوط العامة، والثانية اتسمت بطرح العلم الإسلامي وبناء الكيان الصالح اللازم لحركة التشيع، والثالثة قدمت نموذج الصراع السياسي وما يلزمه من سجون وصراع قوي معقد، والرابعة وإن بدت وكأنها استمرار للمرحلة السابقة وهي كذلك إلا أنها امتازت بأنها

مرحلة إعداد لحركة التشيع بصورتها الكاملة لتنتقل بعد ذلك بصورة مستتقة عن الوجود الظاهر للأئمة، وبها تمت التهيئة الكاملة للقيادة النائية، أو ما يصطلح عليه بالمرجعية لاحقاً.

ومع هذه المرحلية؛ فإن للأئمة عليهم السلام عناصر مشتركة في التحرك مارسوها جميعاً في كل هذه المراحل المذكورة، وكان الإمام الصادق الذي يحتل الموقع الوسط في تسلسل خط الإمامة أبرز دور في تثبيت هذه العناصر المشتركة للخط الإمامي.

وحسب تصورنا فإن أهم ما ركز عليه الأئمة عليهم السلام والإمام الصادق عليه السلام هو ما يلي:

١ - الحفاظ على سلامة الرسالة الإسلامية من التحريف ومحاربة محاولات الانحراف .

٢ - تربية الأمة تربية إسلامية خالصة على صعيد عموم الجماهير الإسلامية وخصوص النخبة الصالحة.

٣ - تقديم المثل الصالح لتطبيق الإسلام من خلال التجسيد العملي له سلوكياً وعلمياً.

٤ - دعوة الأمة للالتزام بخط الأئمة من أهل البيت وأنهم هم ورثة خط النبوة وحملة الرسالة وعدلاء القرآن.

٥ - التصدي للعمل السياسي عبر مختلف الأساليب؛ من قبيل الحكم، المشاورة للحاكم، المشاركة في الحكم، الثورة، الترشيد، العمل السري... الخ.

٦ - إعداد العلماء والوكلاء وبناء الكيان القائد للشيعا بعد الأئمة عليهم السلام .

٧ - إيضاح مستقبل المسيرة الإسلامية بظهور قائم آل محمد (عج) والاعداد لظهوره المبارك.







**الإمام الصادق عليه السلام**  
**يقود الثورة الفكرية**

السيد صدر الدين القبانجي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الثورة الفكرية:

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد قاد سنة (٦٦ هـ) ثورة سياسية جهادية ضد الانحراف؛ فإن الإمام الصادق عليه السلام وخلال فترة إمامته وزعامته الدينية الممتدة من سنة (١١٤ هـ) وحتى سنة (١٤٨ هـ)؛ قد قاد ثورة فكرية ضد الانحراف أيضاً.

وإذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام قد رسمت منهجاً في المواجهة السياسية والجهادية؛ فإن حركة الإمام الصادق عليه السلام قد رسمت هي الأخرى مذهباً متكاملًا في مختلف المناحي الفكرية الإسلامية<sup>(١)</sup>.

(١) هذا الأمر هو الذي يفسر تسمية المذهب الشيعي بـ«المذهب الجعفري» حيث ارتبطت المدرسة العلمية - وعلي السنويات كافة - لشعبة أهل البيت عليهم السلام بالإمام الصادق عليه السلام وأخذت منه تفاصيل فنونها، واعتاداتها، وتراثها، وتعلمي، رغم أن التشيع لم يكن بالأصل وليدًا للإمام الصادق عليه السلام ولا ناشأ في عهده وإنما هو وليد عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ويرتبط بالإمام علي عليه السلام كمحور للإمامة الشرعية، إلا أن الموسوعة العلمية الهائلة التي قدّمها الإمام الصادق عليه السلام لأتباع هذا المذهب هي التي ساعدت علي تسميته بـ«المذهب الجعفري» وقد قال ابن حجر متحدثاً عن ضخامة الموسوعة العلمية التي قدّمها الإمام الصادق عليه السلام: «نقل الناس عنه - جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر حميته في

وإذا كان تحصين الأمة الإسلامية ضد الانحراف السياسي الشامل، والاستسلام المهين للظلمة مديناً للإمام الحسين عليه السلام؛ فإن تحصين الأمة الإسلامية ضد الانحراف الفكري الشامل مدين هو الآخر للإمام الصادق عليه السلام.

### ثلاثة خطوط في اتجاه واحد

إن عمل الإمام الصادق عليه السلام ونشاطه - كما سجله التاريخ - في خط (١)

→ أيلدان» الصواعق المحرقة: ١٩٩ - ٢٠١، الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليه السلام.

وقد بلغ مجموع ما كتب عنه عليه السلام من الأحاديث في الإجابة على مختلف الأسئلة العلمية أربعمائة كتاب سميت بـ «الأصول الأربعمائة» وهي التي اعتمدها فقهاء المذهب في تصنيف أضخم أربع موسوعات في الفقه والفكر الشيعي وهي: (التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي، الكافي للشيخ الكليني، من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق).

(١) كانت حركة الزنادقة والدعريين هي الخطر الفكري الطارئ على الأمة الإسلامية من خارج ديارها، وقد ساعدت مجمل الظروف السياسية على انتشار هذا المنحى الفكري والإعلان عنه وحرثه في التحرك في الوسط الإسلامي إلى مستوى ملاحقة علماء الإسلام ومحاولة مواجهتهم 'تعلنية' وتحديهم، حتى وأينا - كما يروي المؤرخون - أن زنديقاً بعصر بلغه عن الإمام الصادق عليه السلام علم فخرج إلى المدينة لينظره. فلم يصادفه فيها فقبل له هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ليلتقي بالإمام والنقاء بالفعل وكانت بينهما مناظرة رائعة انتهت إلى تسليم الزنديق واعترافه بالحق وإسلامه على يد الإمام عليه السلام الكافي: ٧٢/١ برواية هشام بن الحكم. وإذا كان الزنادقة يشتمون بعنق هذه الحرية والجرأة في التحرك فما بالك بأهل الكتاب من

مواجهة الانحراف الفكري الطارئ على الأمة الإسلامية من خارجها، ثم في خط<sup>(١١)</sup> تأسيس أسس المذهب الإسلامي الصحيح في كل المجالات

→ النصارى واليهود.

هذا الواقع هو الذي فرض على الإمام الصادق عليه السلام أن يخوض غمار المواجهة مع هذا الخط الانحرافي.

وقد برز الإمام جعفر بن محمد عليه السلام في هذا الأمر، وذاع صيته حتى رأينا ابن أبي العوجاء وهو أشهر مشاهير الزنادقة في عصره لَمَّا دخل في حوار مع أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام وهو «أبو جعفر الأحول» وغلبه أبو جعفر الأحول في الحوار المرتبط بالتحديد قال ابن أبي العوجاء:

«هذه والله ليست من أيرازك. هذه التي حملتها الإبل من الحجاز» مشيراً إلى الإمام الصادق عليه السلام وهو في المدينة. بحار الأنوار: ٤٧/٤٠٦، الباب الثاني عشر، مناقشات أصحابه عليه السلام مع المخالفين، الحديث ١٠.

(١١) في هذا المجال وجدنا الإمام الصادق عليه السلام واضحاً جداً وعلى أعلى مستوى من العزم والتصميم في بناء صرح المدرسة العلمية الشاملة للمذهب الإسلامي الصحيح حينما أوصاه أبوه الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً. فقال عليه السلام: «جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في مصر فلا يسأل أحداً» بحار الأنوار: ٤٧/١٥.

وفي هذا المجال كان الرواة عندهم عليه السلام أربعة آلاف رجل. وفي هذا المجال أيضاً يقول الحسن بن علي الوشاء: «أدركت في هذا المسجد - الكوفة - سعمانة شيخ كل يقول حديثي جعفر بن محمد».

وقد برز الإمام الصادق عليه السلام على السنومات الفكرية كافة وغطى على كل الشخصيات العلمية من أمة المذاهب الأخرى، ومملك وقائهم، حتى سمعنا المؤرخين يروون عن أبي حنيفة حين سأل عن آفته من رأى. أنه قال: «جعفر بن محمد»

ويروون عن مالك قوله: «ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد».

الشرعية والأخلاقية والعقائدية والسياسية؛ حيثما انفتحت الأمة على خط الاجتهاد بعد اعتمادها عن عصر التابيعين؛ ثم في خط<sup>(١)</sup> بناء القاعدة

— ويروون عن قاضي القضاة في عصره ابن أبي لبلبي قولته: «ما كنت تاركاً قولاً قلت له ولا قضاءً قضيته لقول أحد إلا رجلاً واحداً وهو جعفر بن محمد».

وهنا وجدنا مكر السلطة ومحاولات تحجيم حركة الإمام الصادق عليه السلام وموقفه في أعين الناس حتى أرسل المنصور العباسي على أبي حنيفة قائلًا له: «إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهبي له مسائلك الشداد». يقول أبو حنيفة: فهيات له أربعين مسألة. كلما سأله قال: أهل المدينة يقولون كذا، وأهل العراق يقولون كذا، وأنتم كذا، فما أحل بشيء تم قال أبو حنيفة: «أليس عندنا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس».

ويقل المؤرخون عشرات الروايات في مناظرات علمية جرت بين الإمام وبين أئمة المذاهب الأخرى مثل عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة، وأبي حنيفة إمام أهل القياس، وبلغت قوة مناظرات الإمام وتأثيره أننا أصبحنا نسمع عمرو بن عبيد بعد محاورة جرت بينه وبين الإمام يقول وقد صرخ باكياً: «هلك من سلب تراثكم، ونازعكم في الفضل والعلم».

ورأينا مناظرات الإمام ووقوفه بوجه تيار التصوف المنحرف يومئذ، حين كان رجال هذا التيار يتصدون الإمام لمناظرته، كما جاء في حكاية دخول سفيان الثوري وجمع من أصحابه على الإمام، قائلًا له وقد رأى الإمام يلبس ثياباً بيضاء: إن هذا اللباس ليس من لباسك... ثم تستطرد الرواية في بيان المناظرة الجميلة بين الإمام عليه السلام وبين سفيان وأصحابه.

(١) يمكن أن نشهد لنجاح الإمام في بناء القاعدة الجماهيرية المرتجة بأهل البيت عليه السلام بما رواه المؤرخون عن المنصور العباسي أنه بعث على أبي حنيفة قائلًا له: «إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد».

وما يرويه المؤرخون أيضاً عن حوار جرى بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة، حيث طلب أبو حنيفة من الإمام الصادق عليه السلام توجيه رسالته إلى شيعته بالكوفة وهم له مطيعون، حين قال له: «أصلحك الله إن عندنا بالكوفة من قوم يزعمون أنك تأمرهم

الجماهيرية لأهل البيت عليه السلام وتوسيع دائرتها وربط خيوطها، بعد النجاح في الخط الثاني والعبور من مرحلة الأصول الكبرى إلى مرحلة الربط التفصيلي .

إن عمل الإمام وجهوده التأسيسية في هذه الخطوط الثلاثة، والتي يمكن أن تستوعبها دراسة موسعة خارج هذا البحث - تؤكد أن الدائرة الفكرية هي التي تحرك فيها الإمام وكانت مجال نشاطه، رغم أن خطوطاً وإشارات سياسية قد نجدتها متناثرة في حركة الإمام عليه السلام - وهو ما يحتاج إلى دراسة خاصة به - إلا أن الإطار العام الذي ظل يؤطر حركة الإمام هو البعد الفكري في مختلف مناحيه ومجالاته الإسلامية.

→ بالبراءة من فلان وفلان...».

تم طلب منه عليه السلام أن يكتب إليهم بالكف عن ذلك. فقال عليه السلام: لا يطيعونني، قال: بلى أصلحك الله إذا كنت أنت الكاتب وأنا الرسول أطاعوني...» بحار الأنوار: ٢٩٢/٢.

إن الرواية تكشف عن قراءة لواقع امتداد تأثير الإمام وإرباط جمهور واسع به، فالمسألة التي ينقلها أبو حنيفة للإمام لم تكن خاصة بواحد واثنين ولو كان ذلك لما اهتم بها أبو حنيفة، إنما هي ظاهرة بارزة في الواقع الاجتماعي يومئذ ألحّت على أبي حنيفة أن ينقلها للإمام ويطلب منه علاجها ويؤكد له طاعة الناس في هذا الأمر.

إن سعة الامتداد الجماهيري للإمام عليه السلام هي التي جعلت بعض كبار الشيعة من أصحاب الإمام يدعون الإمام للنهوض والثورة وذلك ما وجدناه في حديث سدير الصيرفي حين قال للإمام: يا أبا عبد الله ما يسعك القمود؟ قال عليه السلام: ولِمَ يا سدير؟ قال: كثرة مواليك وشيعتك وأصهارك.



### خلفيات الثورة الفكرية

إننا لا نريد في هذا البحث أن نستعرض صور الثورة الفكرية التي قادها الإمام الصادق عليه السلام وتدلل عليها، وربما تغنيها عن ذلك أبحاث كثيرة وجيدة قد كتبت في هذا المجال. إنما نريد في هذا البحث أن نكتشف الخلفيات التي دعت الإمام الصادق عليه السلام لقيادة ما أسميناه بـ «الثورة الفكرية»، وماهي الأولويات التي فرضت عليه الابتعاد عن خوض «الحركة السياسية»؟

وهل كانت الظروف التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى قيادة الثورة الجهادية وخوض الحركة السياسية غير متوفرة في زمن الإمام الصادق عليه السلام؟!؟

قد يكون ذلك، ولكن قائلًا قد يقول: إن ظروف الإمام الصادق عليه السلام أكثر تأهيلاً لخوض ثورة سياسية، فالأنصار لديه أكثر مما كان لدى الإمام الحسين عليه السلام، والحكم الأموي ثم العباسي أكثر ضعفاً مما كان عليه في عهد يزيد بن معاوية. وإذا كانت الشهادة هي المنهج الذي اختطه الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة المنكر، فالإمام الصادق عليه السلام هو سليل هذه الدماء الزكية وورث الروح الحسينية، وفيه تجتمع البطولة العلوية، ومن هنا يعود السؤال مرة أخرى: لماذا اختار الإمام الصادق عليه السلام طريقاً آخر؟

ربما يرى البعض أن الإمام الحسين عليه السلام قد انطلق في ثورته من

تكليف تعبدني أوحى إليه عبر أحاديث جدّه وأبيه، وهو ما لم يحصل لغيره من الأئمة الأطهار عليهم السلام، وهذا هو ما أتجه إليه بعض العلماء في تفسير الثورة الحسينية.

وربما يرى بعض آخر أن البناء النفسي للأئمة الأطهار هو الذي تحرك هنا وهناك، فجعل من الحسين عليه السلام قائداً ثورياً، وجعل من الصادق عليه السلام إماماً فكرياً، كما قد توحي به بعض الأحاديث الشريفة<sup>(١)</sup> التي تحدثت عن الخصال الذاتية والوراثية لأهل البيت عليهم السلام.

ولكنّ الرأي الأكثر موضوعية هو أنّ المصلحة الإسلامية هي التي شخصت اتجاه التحرك لدى هذا الإمام وذلك وهم جميعاً معدن واحد، وشجرة واحدة: «ساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وعتره خيرة رب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

فما هو الصحيح من هذه الآراء الأربعة؟

إنّ الرأي الرابع والأخير هو الذي نعتقد بصحته.

فإنّ «مصلحة الإسلام» هي التي ترسم الموقف وتحدد معالمه، ولا يمنع ذلك بالطبع أن تكون أحاديث شريفة: وأخبار غيبية كانت قد

(١) مثل ما جاء في عدد من الأحاديث الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله ورث الحسين عليه السلام شجاعته وورث الحسن عليه السلام مهابته وسؤدده. راجع ذلك في بحار الأنوار: ٢٦٣/٤٣، مناقب آل أبي طالب: ٢/٤٦٥، نظم درر السمطين: ٢١٢، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: «أما الحسن فإنه هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له شجاعتي وجودي». (٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٢/٦١٠، الزيارة الجامعة.

أشارت من قبل الى نمط التحرك عند هذا الإمام أو ذلك<sup>(١)</sup>، أو تحدّثت عن موارد في العلم أو الشجاعة ظهرت في هذا الإمام أو ذلك . إن كل تلك الأحاديث، والنبوءات لها مواقعها المحفوظ من النصحة، لكن حركة الأئمة عليهم السلام من أهل البيت لم تكن تمثل سيراً في المجهول، أو تتعبداً بتكاليف دون وجود رؤية تحليلية واضحة للأحداث، وتشخيص مباشر من الإمام المعصوم لما هو التكليف الذي تقتضيه مصلحة الإسلام. وهذا هو ما ستوضحه في ما سيأتي.

#### لماذا كانت ثورة فكرية ؟

حينما نتحدث عن «ثورة» في عالم الفكر قادها الإمام الصادق عليه السلام؛ فإننا لا نتحدث بعيداً عن الواقع، ولا بشيء من المبالغة في المنجز الفكري والتحوّل العلمي الذي أوجده الإمام الصادق عليه السلام في الساحة الإسلامية.

حقاً كانت حركة الإمام عليه السلام وانجازاته الفكرية هي «ثورة» في الواقع المعاصر لها.

(١) مثل الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي أشار فيها الى صلح الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: «عسى الله أن يصلح به بين طائفتين من أمتي». أو الروايات النبوية المنسوبة الى قيام الحسين عليه السلام وقعود الحسن عليه السلام بالقول: «الحسن والحسين إمامان فاما أو قعدا»

## الثورة ماذا تعني؟

الثورة تعني «عملية تغيير شمولية تُستنهض فيها الأمة».

وهذه الأبعاد الثلاثة لمعنى الثورة أعني «التغيير» و«الشمولية» و«حضور الأمة» نجدها في حركة الإمام الصادق عليه السلام، بشكل واضح ولموس.

فهناك «تغيير»<sup>(١)</sup> و«تصحيح» جوهرى للمسارات الفكرية الموجودة يومئذ.

وهناك «شمولية»<sup>(٢)</sup> في هذا التغيير، لا تقتصر على حالة واحدة أو مجال واحد من مجالات الفكر الإسلامي.

وهناك «استحضار للأمة»<sup>(٣)</sup> وعدم تغييب لدورها، بل استهداف وعيها وحضورها ومشاركتها.

ومن هنا صح القول بأن الإمام الصادق عليه السلام أحدث ثورة فكرية ما يزال العالم الإسلامي مديناً لها، ومتأثراً بها، واعتبر شيعة أهل البيت عليه السلام هم

(١) تشهد لذلك عشرات المواجهات الفكرية التي خاضها الإمام مع زعماء

الاتجاهات الفكرية الأخرى، كما تجد كثيراً منها في «الاحتجاج» لتطيرسي.

(٢) حيث شملت تلك المواجهات الزنادقة، وأهل الكتاب، وأصحاب الرأي والقياس، والمتصوفة والفلاة والخوارج والتدرية والمرجئة وغيرهم.

(٣) وقد بلغ ذلك بمستوى جعل الزائر للإمام لا يستطيع لقاءه ومعاذته إلا بعد أيام لشدة زحام الناس عليه كما يروى ذلك محمد بن معروف الهلالي. يقول: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد فما كان لي من حيلة من كثرة الناس فلما كان اليوم الرابع رأني. انظر تاريخ الإسلام، للسيد منذر الحكيم: ٤٥٩/٢.

وزايت هذه الثورة، وحملة لوائها على طول التاريخ؛ كما كانوا وزايت الثورة الحسينية وحملة لوائها في المجال السياسي والجهادي.

### مكونات الواقع الإسلامي:

حينما نعرف بدقة ماهي مكونات الواقع السياسي يومئذ سوف يتضح لنا فلسفة قيادة الإمام الصادق عليه السلام للثورة الفكرية.

#### ١- الصورة السياسية :

إن أول نقطة يمكن تسجيلها في مكونات الواقع الإسلامي المعاصر للإمام الصادق عليه السلام والتي دعت الإمام لقيادة الثورة الفكرية بدلاً عن الثورة السياسية هي طبيعة الصورة التي يتمتع بها الحكم الأموي الذي عاصره الإمام الصادق عليه السلام من سنة (١١٤ هـ) وحتى سنة (١٣٢ هـ) وهو سنة سقوط الحكم الأموي.

إن الحكم الأموي في عهد الإمام الصادق عليه السلام وما سبقه على عهد الإمامين الباقر والسجاد عليهما السلام ومنذ تسلّم يزيد بن معاوية للسلطة ثم بعد ثورة الحسين عليه السلام وأحداث واقعة الحرة، واقتحام المدينة المنورة، ثم هدم الكعبة بالمنجنيق سنة (٦٣ هـ)، فالحكم الأموي في هذه المرحلة لم يكن يتمتع بأية شرعية في أذهان الناس، ومن هنا لم يكن الإمام الصادق عليه السلام وكذلك الإمام الباقر والسجاد عليهما السلام بحاجة إلى تحريك في هذا الشأن لشمزيق

الأقنعة الشرعية الكاذبة التي يتقنع بها الحكم حيث لا توجد مثل هذه الأقنعة.

لقد كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام كافية في تمزيق تلك الأقنعة، وسدب العرش الأموي إلى الأبد شرعته وقديسه في أذهان الناس.

ولكن حينما جاء العهد العباسي وكانت حكومة السفاح والمنصور - وقد عاصرها الإمام الصادق عليه السلام من سنة (١٣٢ هـ) وحتى (١٤٨ هـ) - وقبل أن تتضح الصورة الدموية والأخلاقية اللادينية لهذا الحكم؛ لم يكن بالإمكان تحقيق أي مكسب سياسي أو ديني لثورة يقودها الإمام عليه السلام لقلب نظام الحكم، خاصة وأن هذا الحكم جاء باسم الرضا من آل محمد عليه السلام؛ وقد تبدو المعركة حينئذ أمام الملامم معركة بين أجنة

عائنية، وتفقد حركة الإمام قديستها ودورها في توجيه الرأي الإسلامي وبنائه.

إذن فالصورة السياسية للحكم قد تختلف بين ما كانت عليه في عهد الحسين عليه السلام وما هي عليه في عهد الصادق عليه السلام، بين حكم لا يملك أي رصيد اجتماعي؛ وبين حكم يملك صورة ايجابية في قلوب الناس، بين حكم دموي واضح العدوانية وبين حكم جديد.

إذن كيف يستطيع الإمام الصادق عليه السلام أن يثور في هذا الواقع؟

## ٢- الروح الجهادية:

الفارق الثاني بين مرحلة الإمام الصادق عليه السلام ومرحلة الإمام الحسين عليه السلام هي قضية الروح الجهادية.

فلئن كان الإمام الحسين عليه السلام بحاجة الى زرع الروح الجهادية والتضحية في جسم الأمة لمواجهة الانحراف الداخلي، وبناء الخط الشرعي لخط الثورة الاستشهادية، فإن الإمام الصادق عليه السلام لم يمد بحاجة الى هذا التأصيل والتأسيس، فقد أضحت الروح الثورية والتضحية في الواقع الإسلامي ظاهرة طبيعية متكررة، حيث لاحظنا تتابع الثورات بعد الإمام الحسين عليه السلام من ثورة التوابين، الى المختار، الى ابن الزبير، الى زيد بن علي، ثم الى محمد ذي النفس الزكية وأخيه في العهد العباسي.

بل إن الحركة العباسية نفسها إنما نجحت في مجال الإطاحة بالحكم الأموي لأن الشارع الإسلامي كان معبأ بروح الثورة وشعاراتها وأهدافها. لقد كان الإمام الصادق عليه السلام بحاجة - ليس الى بث الروح الثورية الجهادية في الأمة - وإنما الى تصحيح مسار الثورات، وتشخيص هوية قياداتها، وربط الناس بمفاهيم وقيادات ثورية سليمة، وهذا هو أحد الأدوار التي مارسها الإمام كما سنقرأ.

إذن مشكلة الأمة على عهد الإمام الحسين عليه السلام هي إصابتها بروح انشد والهزيمة، وكان لابد للإمام الحسين عليه السلام أن يرسم الخط الصحيح في مواجهة، ولكن الأمة في زمن الإمام الصادق عليه السلام كانت تشكو من تنامي

روح الثورة لدرجة قد تبتعد بها أحياناً عن التوجيه الصحيح، وهذا الأمر هو الذي فرض على الإمام الصادق عليه السلام أولويات أخرى في التحريك.

### ٣- الخطر الثقافي:

عرفنا مشكلة الأمة الإسلامية على عهد الإمام الحسين عليه السلام هي إصابتها بروح الشك والهزيمة وكان على الإمام الحسين عليه السلام أن يرسم الخط الصحيح في المواجهة. والأمة في زمن الصادق عليه السلام كانت تشكو من تنامي روح الثورة لدرجة أنها كانت قد فقدت قدرة الاستنباط والتوجيه الصحيح حتى كان يؤخذ على الأئمة قعودهم!!

وفيما عدا ذلك فإن الخطر الثقافي الذي داهم الأمة الإسلامية بظهور اتجاهات مذهبية منحرفة من داخل الإطار الإسلامي، وظهور اتجاهات منحرفة في خارج الإطار الإسلامي، هذا الخطر لم يكن أيام الحسين بن علي عليه السلام، وكان على الإمام الصادق عليه السلام وهو يعيش هذه المداهمات الفكرية المتعددة الجوانب أن ينهض بأعباء المسؤولية، ويقود الثورة الفكرية حيث لا قادر غيره على قيادتها.



## النتيجة

إن هذه الخصائص الثلاثة لعهد الإمام الصادق عليه السلام والمرتبطة بلون الصورة السياسية التي يعيشها الحكم والأمة؛ ثم طبيعة المواجهات الفكرية الوافدة؛ ثم الواقع النفسي والفكري للأمة تجاه مسألة الثورة؛ هذه الخصائص قد دعت الإمام الصادق عليه السلام لقيادة ما سميناه بالثورة الفكرية بدلاً عن الثورة السياسية والجهادية.

## التحرك على الصعيد السياسي:

عنى أن الاتجاه الفكري العام لحركة الإمام عليه السلام لا تعني أن الإمام الصادق عليه السلام كان قد اعتزل الواقع السياسي، ولم يؤمن بشرعية التحرك في هذا المجال كما انتهجه المنتصرون أو المعتزلة، كلاً، فقد كان الإمام، مراقباً للواقع السياسي، وحاضراً في هذا المجال أيضاً بالمقدار الذي تسمح به الأولويات التي وضعها الإمام على أساس مصلحة الإسلام.

إن عدة خطوط رسمها الإمام في هذا المجال وعمل عليها. الخط الأول: مقاطعة سلاطين الجور، واعتبار التقارب معهم بأي مستوى كان تقارباً غير شرعي، ومداهنة محزنة<sup>(١)</sup>.

(١) وفي هذا الاتجاه وردت العديد من النصوص التاريخية ذات الجهد الفقهي عن الإمام الصادق عليه السلام والتي يقول فيها:

ولم يأخذ الإمام هذا الأمر كموقف لنفسه وإنما قام بعملية التثقيف عليه، ويبدو أن السلطان العباسي قد انزعج لهذا الموقف الذي أضحى يمثل ظاهرة سياسية فأرسل المنصور إلى الصادق عليه السلام يقول له: لم لا تفشاننا كما يفشاننا الناس .

الخط الثاني: تأييد الحركات الثورية السليمة، وعدم الوقوف بوجه أي حركة مناهضة للسلطة مهما كان اتجاهها طالما كانت تشترك في أصل المشروع التغييرى.<sup>(١)</sup>

«إياكم أن يحاكم بفسكم بعضاً أنى أهل الجور» فقد القرآن للراوندي: ٧/٢. راجع وسائل الشيعة: ٤/١٨ كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي. ويقول فيها وهو ينهى عن أي نوع من أنواع التعاون مع الحكام الظالمين: «إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سوادق من نار حتى يحكم الله بين العباد» وسائل الشيعة: ١٢/١٢٩، ج ٦، باب ٤٢.

(١) من ذلك ما نراه من موقف الإمام الصادق تجاه ثورة عمه زيد بن علي عليه السلام فإنه عليه السلام في الوقت الذي لم يشترك مباشرة في هذه الثورة إلا أنه وقف إلى جانبها رغم ما كان يقرؤه من إخفاقها.

تقد كان عليه السلام يقول: «مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه» أمالي الصدوق: ٢٦٨/١.

يل إن الإمام الصادق عليه السلام لم يقف بوجه الثورة العباسية ضد اتحكيم الأموي رغم علمه واعتقاده بانحراف هذه الثورة وعدم سلامة منطلقاتها. لذا فهو في الوقت الذي لم يقف إلى جانب العباسيين في حركتهم إلا أنه لم يقف ضدهم. وحسن أرسل إليه أبو مسلم الخلال رسوماً يطلب منه قبول البيعة له لم يزد على أن أحرق الكتاب مؤكداً لأصحابه أن أبا مسلم الخلال وأصحابه ليسوا شيعة لنا.

ومن ذلك أيضاً موقفه عليه السلام من مؤتمر الأيواء الذي عقده زعماء العباسيين وطلبوا فيه رأي الإمام الصادق عليه السلام.

الخط الثالث: الدعوة لإلتزام مبدأ النقية، وعدم خوض المواجهة مع السلطة، ولا استعدادها وإثارتها<sup>(١)</sup>.

الخط الرابع: ربط القواعد المؤمنة بالإمامة الشرعية الصحيحة، وتعميق أسس هذا الترابط على أساس الطاعة المطلقة لقراراتها، وانتظار الموقف منها<sup>(٢)</sup>.  
 إن تحرك الإمام الصادق عليه السلام في هذه الخطوط الأربعة هو الذي ساعد كثيراً على النهوض بأعباء الإمامة لأكبر فترة زمنية قياسية لسائر الأئمة عليهم السلام، وسجل له حضوره السياسي إلى جانب حضوره الفكري الرائد.

(١) مبدأ «النقية» الذي عُرف به شيعة أهل البيت عليهم السلام يعني في بعض جوانبها أن المواجهة مع الظالم الجائر لا تمثل ضرورة مطلقة وإنما تخضع لمقتضيات المصلحة الإسلامية والتي قد تفرض أحياناً الصمت والسكوت، وأحياناً الثورة والمواجهة. وقد برز الإمام الباقر والصادق عليهم السلام في تقعيد قواعد هذا المبدأ والدعوة لإلتزامه بعدما كان بالأصل مستلهماً من القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وبهذا الصدد يمكن أن تقرأ عشرات النصوص الواردة عن الإمامين الصادقين عليهم السلام في مختلف كتب الحديث والتاريخ. أنظر وسائل الشيعة / كتاب الجهاد وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) تقرأ في هذا الصدد جملة من النصوص الواردة عنه عليه السلام في وجوب البراءة والمقاطعة مع الظالمين من حكام الجور، ثم الرجوع إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام ورواية حديثهم وحملتهم عليهم باعتبارهم أصحاب الحق الشرعي. راجع في ذلك ما ورد في كتاب القضاء من «وسائل الشيعة» وغيره من الكتب الحديثية.



المنهج الاصلاحى

عند

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

السيد عبدالرحيم الموسوي

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المنهج الإصلاحي عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام

المدخل: تطور مناهج الدراسة عن أهل البيت عليهم السلام خلال قرن واحد  
تطور البحث والتحقيق والكتابة حول حياة الأئمة عليهم السلام بما فيها حياة  
الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام منذ مطلع القرن العشرين، وقد ساهم  
الباحثون بإنجاز أعمال علمية فريدة لإخراج تراثه المحبوس في داخن  
الموسوعات المطبوعة والمخطوطات، ذلك التراث الذي لم ير النور لولا  
تلك الجهود الذي بذلت بعناء.

والمتمتع لهذه الكتابات سيجد رغم تعدد منطقات واختلاف رؤى  
وأهداف مؤلفيها قد اتصفت بمبادئها الأسمى بالعرض السردي الذي  
يغلب عليه الطابع القصصي عن حياة الإمام، ثم أعقبتها كتابات موسوعية  
تحدث عما جاء عن الإمام، واعتنت بحفظ تراثه موزعاً ضمن أبواب،  
تلتها بعد ذلك كتابات وصفية دفاعية تحاول انتقاء النصوص التي تُبرز  
صفات الإمام، ثم نظمها بمنهج، يختاره الكاتب حسب ذوقه، ورافقها  
كتابات أخرى انتهجت العرض العبقري، أي طرح النموذج البطل الذي لا  
يقارن فيه أحد من حيث إنجازاته ومفاخره العلمية وتأسيسه لبعض العلوم  
كالكيمياء والطب والإحياء والفقه والاصول والفلسفة وغيرها، ثم ارتقت  
الجهود والأنشطة التحقيقية حول الإمام، فتناولت حياته بالدراسة

والتحليل إلا أنها تجزيئية في تحليلها، تتحرك بحدود النص وتفكيكه بلغة حديثة، وتداخلت مع تلك الجهود أيضاً جهود كتابية ذات إطار مذهبي تحت بالإمام، وشذبت حياته ليكون قائداً للمذهب فحسب، أو رئيساً له فسقطت الضوء على حياته بالمقارنة مع أئمة المذاهب الأخرى. فتركت انطباعاً يصاحبه جهد يجز به عليه السلام في زاوية يجعله مكافئاً لغيره من أرباب المذاهب. جاء هذا التكريس يدافع من اواقع الموضوعي وتأثيراته على ذهن الكاتب، الواقع الذي قسّم المسلمين الى شيعة وسنة أو قل الى مذاهب، مما جاءت الدراسات مستجيبة له، فتفرقت تحت ظل تلك العناوين.

بعد ذلك وتبعاً للنهضة الإسلامية النامية، ارتقت الكتابة التاريخية حول الأئمة بما فيهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام ضمن بُنية صيغت مع باقي الأئمة؛ باعتبارهم عليهم السلام قد مارسوا أدواراً إلهية في عدد من المراحل، تخضع لمخطط مدروس يستهدف تربية الأمة ويحافظ على الرسالة من جهة ثانية.

ولم يستعق هذا المنهج الذي فتحه السيد الشهيد الصدر عليه السلام في محاضراته التي نشرت باسم (أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف)<sup>(١)</sup> لأجل إعطاء ثماره، فبقيت بحوثه يتيمه، تقتصر الى الإضافة والتجديد، ظهرت بعد فترة ركود أصابت الابداع كتابات انطلقت من ذلك النهج مثل

(١) وقد رتب هذه البحوث وهذبها وحاول توثيقها بشواهد ومصادر تاريخية آسفاً عادل الأديب في كتابه: (الأئمة الاثني عشر).

الإتجاز الذي قدمه السيد محمد باقر الحكيم في كتابه: (دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة) ثم يادر السيد منذر الحكيم هو الآخر بانجاز يماثله من حيث التطوير، في مشروعه سلسلة أعلام الهداية الصادر عن المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام، وللأسف قد داخل المرحلة تلك كتابات لازالت أسيرة المنهج القديم لغة ومنهجاً، ولم ترتق الى مستوى الحاجة والمواكبة.

على أية حال إنَّ الغالب على الكتابات في هذه المرحلة هو الطابع الاجتراري المحجوز في الإطار النظري؛ رغم بعض الأعمال الفردية التي تستثنى من هذا الإطار، لقد اتسمت بميزة الاعتزاز والمفاخرة بشخص الإمام، فمازالت الغرب يطرح ابطاله، فعلام لا تطرح أبطلنا طرحاً يؤكد وجود عياقرة في تاريخنا الإسلامى؟ لكنها تبقى جهوداً تهدف الى ابراز قوة الحضارة والمعتقد، وهذه الانتاجات العلمية لا تخلو من أنها لازالت في موضع الدفاع وليس لها دور في البناء والتنمية والتغيير وكأنها تريد اقناع المسلم المعتقد بالمذهب وتتحرك تحت هذا الهدف. ولما كان الهدف بهذه الحدود - حدود الاعتزاز - فهذا من جهة يدعو الآخرين أن يعتزوا بباقرتهم أيضاً؛ سواء في داخل الصف الإسلامى من المذاهب الأخرى أو خارجه، فهي دعوى تؤول الى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»<sup>(١)</sup>، بينما تتطلب المرحلة هدفاً أعلى تريده وتستهدف أمراً أكبر من ذلك، لا بل ينبغي أن يستلَّ الهدف من العقيدة نفسها بمعنى طرح الإمام وسيرته حين

(١) الكافرون: ٦.



نخاطب أو حين نناقش أو نرد من جهة: «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشركه به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله...»<sup>(١)</sup>. طرح حياة وانشطة الإمام كمشروع ومرجع لحل مشكلاتنا وادراك سبل رقيتنا الحضاري، أي منهج يستهض الواقع ويساهم في تنميته.

ومن سمات إنتاجنا التحقيقية في هذه المرحلة أنها تناولت حياة الإمام بنعة الدين وعلم الكلام لا بلغة التاريخ، أي بمعنى عرض الإمام كدين يمثل اسناداً للرسالة، وهذا الجهد لا بد من إيفائه، لكن الطموح يدعو أن يكون التعامل مع رسالة الأئمة، ليس فقط بحدود هذه الرؤية بل ينبغي أن لا يكون الأخذ أخذاً تكرارياً بحدود المنقول، وبالتالي ستكون حياة الإمام عاجزة عن العطاء، والحال أن المرحلة تدعون في كل يوم أن نحاكي حياته، ونستنطقها لنحصل منها على الدروس بهدف البناء والإعمار.

من هنا حاولنا أن نلقي ضوءاً على خيارات الإمام ومنهجه الإصلاحية مع الأمة - بعيداً عن المؤلفات من المكتبات التي تعتنى بالسرد والتوثيق، أو توجيه النصوص ضمن مخطط قد أعد سلفاً - وبمستوى ما تتطلبه الحاجة ضمن عدد من الفقرات وبحدود ما تستوعبه المقالة.

أولاً: الإمام جعفر الصادق عليه السلام يلاحظ واقع الأمة مظهراً ومحتوىً  
أعرب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حين تصدى لموقع الإمامة

(١) آل عمران: ٦٤.

الإلهية في منتصف القرن الثاني الهجري حين أوصاه أبوه الباقر عليه السلام بصحابته، فأجاب قائلاً: «جعلت فداك والله لأدعتهنم والرجل منهم يكون في مصر، فلا يسأل أحداً» أو قال: «لا تركهم يحتاجون إلى أحد»<sup>(١)</sup>. فعزم الإمام الصادق عليه السلام على إصلاح الأمة من خلال وضع مخططه الكبير؛ الذي سيتبين لك شيء من فقراته في السطور اللاحقة من هذا المقال.

فقبل أن يباشر الإمام بتنفيذ مشروعه قد لاحظ عدّة مظاهر؛ قد سادت واقع الأمة في قرنهما الثاني؛ ذلك العصر الذي ملئ بالمتراكمات المتناقضة التي خففتها السياسات السابقة، ورمت بثقلها البائس في قلب هذه المرحلة العصيبة من حياة الأمة؛ في الوقت الذي يمثل خلص أصحاب أهل البيت في وسط الأمة عدداً يسيراً، وقد صرح عليه السلام بحجم معاناته، حيث الكثرة من الناس قد خذلتهم وجهنت حقهم، فقد كان هذا هو صريح قوله لوفد من أهالي الكوفة الذي التقاه حين تصديبه لموقع الإمامة في المدينة بعد وفاة أبيه إذ قال: «ما من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، لا سيما هذه العصابة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأجبتونا وأبغضنا الناس، ويا بعتونا وخالفنا الناس، وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محياناً وأماتكم معاننا»<sup>(٢)</sup>.

كما يعرف الإمام جيداً تفكير وسياسة الحاكم الاموي هشام بن عبدالملك القاتل لأبيه قبل أيام وجيزة، الذي مازال يتمادى في سياسته

(١) الإرشاد: ١ - ٤٠.

(٢) البحار: ٦٨ - ٢٠ ح ٢٤.

الرعناء ولم يتراجع عن خط أسلافه في الخصومة لخط أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام الورثة الشرعيين للخلافة وفق النص الإلهي عن لسان صاحب الرسالة، الذي لم يُعد هذا النص خافياً على هشام وأبيه عبدالمك وجمه مروان من قبل .

لاحظ شيخ السواد الأعظم من الناس - الذي لم يدرك بعد المعادلة، وقد قادته الفوضى وتجاذبه ثقافات خلفتها السياسة - يؤر ومراكز تدعي الأصالة والتجديد والمرجعية للفكر الإسلامي، كالخوارج والمرجئة، ومدرسة الحديث، والاعتزال، والتدرية، والزندقة، والغلاة وأصحاب الرأي والقياس في الكوفة وغيرها.

خلاصة الأمر هناك اهتزاز واضطراب عمّ الثقافة والعلم والعقيدة والاجتماع. وكل هذه الظواهر انتجت لنا ضميراً نفسياً مزدوجاً يأتس من الإصلاح، يبحث عن بديل يتقلب في خياراته وقناعاته؛ لا يمتلك معياراً ثابتاً يهديه للصواب وتراه مستجيباً للخطاب المتناقض و يتأثر بانطاري، فهو واقع بنذر بالعاصفة والانهيار، والأخطر من ذلك يُنبئ بموت الحضارة الناشئة.

تفحص الإمام بعينه الإلهية الثاقبة واقع الأمة، ولاحظ حاضرها بدقة وما ينبئ عن مستقبل خطير، أمة تتفاسمها ولاءات سياسية تسلحت بروى عقائدية، تتخذت ورسمت لها أهدافاً ووضعتم لها حدوداً وقواصل وسواتر حديدية مع خصومها؛ وعمدت إلى توظيف وجلب الأفكار واستيرادها من أجل تقوية معتقداتها السياسية. وتخرج من

مدارسها جيل ولّد قيادات، ضاعفت المحنة بجلب عناصر فكرية أجنبية نثرت عليها مساحيق إسلامية، ورثتها بيكور زائف؛ لا قناع دعائها من أجل بقائها صامدة؛ لئلا تذوب في هذا المعترك الصائب، لقد وظفت الآيات القرآنية والحديث الشريف لصالحها فاقتطعت واختارت وأولت ما يناسبها، ورمت عرض الحائط ما يخالفها، ووظف الغلاة أفكاراً غريبة لا صلة لها بالتوحيد، وقالت بوجود وسائل وعقول سماوية، تتوسط بين الله والعالم، وتتخذ من النجوم والكواكب مطايا لها. واستطاعت هذه الفكرة أن تجند الساخطين على النظام الأموي، وتغرر بهم، معتمدين التأويل الباطني لكثير من الآيات، وطبيعي لما كان لهؤلاء أنصار، فلهم خصوم أيضاً؛ فالحكومة كانت من خصومهم لتعارض أفكار الغلاة وعدم خدمتها لسلطانهم؛ لكونها لا تربط الدين بالسلطان الحاكم، وبالتالي فإنها تعتقد بعدم شرعية السلطان الأموي الحاكم، والخوارج من جهة يرفعون شعار تكفير مرتكب الكبيرة، ويهدرون دم مرتكبيها. وهذه الفرقة قد أتعبت الحكومة الأموية كثيراً، لأنها منظمة ثورية تتسلح بفكرة واعتقاد يبرر لها القتال؛ فليس من السهل القضاء عليها بقوة السلاح أيضاً.

ولما كان أكثر الحكام والملوك من أصحاب الكبائر فهم مشمونون بهذا القرار الخوارجي، وتقابلهم المرجئة التي أدت خدمات كثيرة إلى السلطات الأموية والعباسية؛ حيث تبيح ارتكاب كل الجرائم، ولإنسان كامل الحرية في ممارستها مثل شرب الخمر، القتل، الزنا، ولا يخرج صاحبها عن حظيرة الإيمان، فقد وقرت فيما بعد غطاءً لممارسات الأمويين

الظالمة، ومدرسة أهل السنة والحديث الذين يرون شرعية الحكم الأموي، فهم محافظون قد قدموا خدمات أخرى للطغاة، وفسروا الوضع القائم؛ بأن وجود حاكم ظالم وغير عادل على رأس الأمة لا يبرر الثورة ضده، لأنه ولي أمر للمسلمين، وقام هؤلاء بتضخيم الحديث ونفخه أكثر مما صدر عن صاحب الرسالة؛ بواسطة وعاظ السلاطين عن طريق الوضع والتزوير والتحريف حتى نشأت قبائلهم مدرسة الرأي وفرقة الاعتزال المعارضة لهم واتهمتهم بالجمود والتحجر وعدم تحكيم العقل، لعجز هذه المدرسة - أي مدرسة الحديث - عن استيعاب المستجدات والتساؤلات وتحولوا إلى معارضة زمن المنصور العباسي؛ مما دعاه أن يقرب مدرسة الرأي والقياس. عندها شنت المعتزلة حملاتها على مدرسة الحديث، فكانت في محتواها - أي المعتزلة - معارضة للحكومة الأموية.

ولما انتصر العباسيون أصبح الاعتزال يمثل النخبة التي تدعّم السلطان العباسي، فنظروا لشرعيته مثل ابتكار فكرة جواز تقديم المفضل على الفاضل؛ خصوصاً مدرسة الاعتزال في بغداد، نقضاً لمعتقد أهل البيت عليهم السلام الذي يرى وجوب تقديم الفاضل - بموجب نظرية النص - على المفضل، حتى التزمت هذه الفرقة الخصومة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام بهذا المحور الكلامي، الذي يعود بالفائدة للحكومة العباسية، ويبرر شرعية سلطتها وغيره من الأفكار؛ حتى حظي الاعتزال يومها بحماية الدولة فأصبح دينها الرسمي لمدة من الزمن.

والزندقة : حركة الحادية تجرأت على مقدسات الأمة، وطرحت

أفكارها بقوة في مركز الوحي مكة وغيرها من الحواضر الإسلامية ، وقد تبنت فلسفة الحادية ساقرة وهاجمت الفرق الأخرى معتمدة فلسفات أجنبية هي الأخرى كذلك.

ويدخل الى مراكز القوى في الساحة طرف آخر يفتخر المعادلة ويمزقها بين فترة وأخرى؛ ذلك هو الاتجاه العلوي الذي أصبح رمزاً للثورة والفكر، ومعقلاً لثقت سلاطين الحكم الأموي على طول الخط، ترى السلطة فيه الخطر والمنافس الوحيد. وفي زمن الإمام الصادق عليه السلام يفسر الأمويون وكذا العباسيون بأن التحركات والفعاليات الثورية تخضع الى توجيه مركزي للإمام أو هي احياءات منه عليه السلام؛ لكونه الوريث الشرعي للخلافة، وهذا الظن الذي لا تمتلك الدولة عليه دليلاً، كان صحيحاً بنسبة ما ولكن ليس على وجه الإطلاق، فقد يرى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام قبل تصديه للإمامة ان اجتثاث الظلم لا يتم إلا بالحل الثوري، وقد تبني زيد بن علي عم الإمام زعامة هذا الاتجاه، ولحقه الكثير من العلويين.

قد لاحظ الإمام عليه السلام تلك الشريحة الواسعة من الناس التي تتطلع اليهم، مع خبواتها ومحتواها من عنصر الثبات وتحرك بالعاطفة التي لا تصمد عند النزال، فولأؤها مهزوز لا يمكن العمل بموجبه؛ لأنه يتحرك كالرمال.

ثم لاحظ عليه السلام أيضاً مظاهر الفساد التي قد بُرمجت بوعي من سلاطين الجور وانفق عليها آلاف الدنانير من بيت مال المسلمين؛ مثل محافل الغناء ورقص الجوارى في ليالي حمراء، وإشاعة شراب الخمر بمحضر

الخلفاء، مع استهانة بالمقدسات، من خلال مغنين، شعراء ماجنين، وعاظ سلاطين، حضور يهودي سافر في البلاط الحاكم؛ حتى أصبح التوجه الإعلامية للدولة الإسلامية، ولهؤلاء وغيرهم أثر كبير في القرار السياسي. وتصل للإمام الأختيار عن مصير الناس في أطراف البلاد الإسلامية التي لم يصبها نور الهداية، ولم يعرف أهلها من الإسلام إلا اسمه، ولم يشاهدوا إلا أمرين فقط طبقاً بحقهم؛ فقد استبدلوا الحاكم بحاكم آخر، ولم ينعموا من وافر خيرات البلاد، هذا أولاً؛ وثانياً أداء الخراج بدل الضرائب.

نعم إنهم مازالوا على ثقافتهم القديمة؛ يفسرون الحوادث والظواهر بطرقهم الخرافية التي أنفوها قبل الإسلام، وعاداتهم وقيمهم لم تتبدل، ولاحظوا أمراً ثالثاً، وهو أن الحكومة قد وضعتهم في الطبقة الثانية وجعلت العربي فوقهم في الطبقة الأولى، وهذا انتهج هو الذي جاء بالشعبية فيما بعد كدرة فعل للنظريات والقرارات الجاهلية الغربية في محتواها عن جسم العقيدة الإسلامية ومبادئها السامية.

إن هذا الوضع بشكله العام ولد انتماءات قلبية وطائفية؛ تتنازع فيما بينها تحت ظل ديكتاتورية ظالمة، قوامها الظلم وقمع الآخرين بلا نظرية للحكم. وبمرور الزمن تخندقت القوى المتحاربة ثقافياً، وانتجت زعماء وأتباعاً وأصبحت ذات تاريخ وفلسفة. وبتعبير آخر أصبح النزاع فلسفة قبائل فلسفة، وفكراً قبائل فكر، وأملى هذا الاختلاف سلوكيات متباينة واهدافاً متقاطعة، ومواقف متناقضة أو متحدة فيما لو جمعتها المصلحة؛ وهناك متربصون وتجار سياسة يترقبون المعادلة؛ ويتصيدون

مواطن الفراغ السياسى ، يكون على ظلم أهل البيت (ع) فى المحافل نهاراً ويعتدون المكائد ضدّهم فى البيوت ليلاً ، وشخصهم الإمام جعفر الصادق (ع) ، وأشار الى أبعاد المؤامرة عند انصراف السياسيين من مؤتمر الأيواء ، مخاطباً عبدالله قائلاً: «لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد، وهو ليس بالمهدي - أي ابنه محمد ذي النفس الزكية- الى أن قال: ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم قال لعبدالله: ماهي إليك ولا الى ابنك الى أن قال: ولكنها لبني العباس، وإن ابنك لمقتولان»<sup>(١)</sup>.

هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الأمة لم يأت بها التاريخ اعتباطاً ، بل لها عواسمها، فقد ولدتها ارادات ومخططات وسياسات، فهي بتعبير مختصر: مرحلة صنعتها لنا الظروف السابقة عليها. وعليه فما الذي نتوقعه بعد هذه الفترة، والى أين يصير هذا الوضع؟ والى أين تسير بنا الظروف بعد هذه الفترة؟ أي أنّ هذا الحاضر ماذا يحمل للمستقبل بعد ثلاثين عاماً أو بعد أربعين عاماً، أو قل بعد مائة عام؟ ماذا سيكون والله سبحانه أبى ألا تجري الأمور إلا بأسبابها؟ فهل الضياع يؤدي الى الالتحام؟ والتفرقة والابتعاد عن خط الرسالة يؤدي الى الاعتزاز بها؟ وهل الطغيان يؤدّد الاستقامة ويهيئ الأمة لأن تطبق العدالة؟ وهل نترقب أن يتخنى الجميع عن خلافاتهم؛ ويتنازلوا عن معتقداتهم، فيذوب البعض فى الكلّ فتنع الحياة وتهطل السماء بخيراتها والأرض ببركاتها، فيحدث الوئام والمحبة والتراحم أم ماذا؟ كلّ هذه الأمور وغيرها قد لاحظها الإمام بعينه الإلهية

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٥٦.



التي تخترق حجب الغيب، فرأى أن الوضع المستقبلي كئيب، موت حتمي للإسلام، ذلك التشخيص الذي يكشف لنا عن ضخامة مسؤولية الإمام وماذا عليه من أمور سيعدها للمستقبل، ليواجه بها هذا الظلام الآتي من بعيد، ولا يبدأن يشدّ عزمه ويتحمل لأجل ذلك الصعاب.

### ثانياً: مستقبل الأمة المحتمل وقوعه لولا تدخل الإمام

سيمجز الحدث السياسي في المستقبل، ولا يمتلك القدرة على صياغة الخطاب الذي يُحشد قوى الأمة فتستجيب له، لأن الحدث السياسي يكون مؤثراً إذا خاطب الأفكار والقيم التي هي موضع تقديس واحترام عند الأمة.. ولما افترضنا أن القيم والأفكار قد تهشمت وتقطعت أوصالها، وأدت إلى توزيع الأمة إلى جماعات، فلا يرى الفرقاء خطاباً يجمعهم تحت هدف واحد، وعليه فإن الأمة حين ذاك تُباعد بها الاتجاهات والميول إلى حيث تريد.

ويضاف لو لاحظنا الاتجاهات التي تفسر الأحداث بأنها تجري بتقدير من الله، وأن قرارات الحاكم الظالمة تعبير عن ارادة السماء؛ فالمرجئة والجبرية والزنادقة والمتأثرون بهذه الأفكار أصحاب الموقف الايجابي أو الحيادي من تصرفات الحاكمين؛ فسوف ينقلب موقف هؤلاء مستقبلاً مع الحاكمين، لأن الأعمال الاجرامية المبررة وفق هذا التفسير ستبرر هي الأخرى الأعمال المضادة لها مازال الذي يجري كله بتقدير من الله، وكأن المتناقضات كلها بتقدير من الله، وعند ذلك لا

يستطيع أحد أن يوحد صف الأمة بخطاب جديد، وهذا ما سوف يطلق العنان لأهل الاطماع، فلا عودة للإسلام لا بواقعه فحسب بل بنظريته أيضاً، وهذا ما كان يدركه الإمام قطعاً.

وسيحده الانتحاح مطلقاً على الفلسفات المخالفة للإسلام، مع اقتباس شظايا منها بغية الرقع او التوظيف بشكل مستمر لغرض مواصلة الصراع، واحراز تقدم ضد الخصوم. ولأجل أن تحقق بالوقت نفسه قوة للمعتقد بالاضافة الى كونها مدعاة لانبهار الأتصار والمؤيدين، ودعوة الى مزيد من الاندكاك والتشريق داخل المعتقد، وضخها بوقود أمل يدفعها لمواصلة الطريق، ودعاية خارجية تفيد لكسب الآخرين ممن اكتشفوا ضعف عقائدهم الباحثين عن اعتقادات جديدة، ينتمون إليها في هذه المباريات والمزادات التي ستؤول مستقبلاً الى الانحراف المطلق عن خط الرسالة، فلا جامع ولا مشترك يوحد صفها، ولا أمل بالأفق يلوح الى ذلك، لا على المستوى القريب ولا على المستوى البعيد أيضاً، فهو تشاؤم مطبق بالمرة. وسيفقد العمل الثوري جدواه في المستقبل البعيد فقط، ولا أقول على مستوى المستقبل القريب، حيث ستتكلم عنه في فقرة لاحقة.

إن حاضراً الأمة إذا استمر كما هو عليه؛ سيفقد العمل الثوري أثره، ذلك لأن السبب في اختلاف الولاءات هو العامل الثقافى، والثورة المسلحة خطوة لاحقة تهدف الى استنهاض الضمير والقيم الحية في محتوى الأمة. ولما كانت الأفكار والقيم موزعة؛ فلا مشترك يعين الأمة ويوحد مصيرها، وستكون الثورة حين ذاك لغواً لا طائل وراءه.

وأخيراً أدرك الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّ حاضر الأمة يُنتهي عن موت حتمي قريب ما لم يتدخل هو لتفاديه. إن الأوضاع إذا بقيت على ما هي عليه ستحصل ظاهرة رفض أي مشروع يريد توحيد الأمة؛ لأنها يانسة من كل بديل، وتشكك في كل طرح جديد، أمة تفتقد الهدف الكفيل بتوحيدها وتتحرك نحو أهداف تجزيئية، حوّلتها الظروف بسرور الزمن الى مطلق، وسيصبح الفكر الإسلامي فكراً هامشياً في حياتها بعد أن كان الأصيل في حركتها، وستتمزق الى دويلات، كل قد تبنت فكرة يتعبد بها ويتخذق حولها ويقاقل من أجلها، ويصّر على عدم التفريط بها أو قبول الذويان في الفكر المضاد لها، وستنقسم البلاد الإسلامية أرضاً وفكراً الى أقاليم متباعدة، لا يربط بينها مشترك ولا تنظر للإسلام كعنصر للاعتزاز، وسيعود الإسلام غريباً، وستتحرك الجماعات التي استحكمت قناعاتها نحو مستقبلات متعددة، تعمق فجوة التباعد بمرور الزمن، وسيتم الطلاق الخُلعي بين الأمة وإسلامها طلاقاً لا رجعة فيه.

فإن قلت: إن هذه الأمور لم تحدث في أرض الواقع فهي لا تعدّ أكثر من تخيلات واستفراقات في النظر.

قلت: إنّ المرحلة التي عاصرها الإمام كان من المفروض أن تتج لنا ظواهر، سواء هذه الظواهر التي تحدثنا عنها أم غيرها، ولما لم تحدث؛ لا بد من وجود مانع قد حال بين وقوعها، وهذا المانع هو جهد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كما نعتقد نحن. وكما ستلاحظ ذلك في الفقرات التالية لجهد الإمام الذي صبّه بهذا الاتجاه.

ثالثاً: الخيارات والحلول الإصلاحية المطروحة في زمن الإمام الصادق عليه السلام

وقبل الحديث عن جهد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لتغيير مسار التاريخ وتفاذي ماكان يُتوقع أن يحدث؛ لايد من الحديث عن الحلول المقترحة والمناهج التغييرية التي لها القدرة في تغيير الوضع، أو الخيار الأسلم الذي يكفل لنا إعادة الأمة الى اسلامها على ضوء القراءة السريعة التي مزت عليك.

لقد كان يدور في أذهان القادة والعقول التي تراقب الأحداث - وذات الحضور السياسي والفكري في المعادلة - زمن الإمام الصادق عليه السلام عدد من الخيارات، وفي مقدمتها الخيار الثوري المسلح، وبعد أن نعرضها سنتناول خيار الإمام في التغيير والثورة.

#### الخيار الأول الثورة المسلحة:

إن بعض الوجوه الاجتماعية، وأهتها العقول القشرية من الإمام والمحيطه به؛ تتحدث عن ترجيح الحل الثوري، وهذه القناعة ناشئة من تحليل مظاهر الفساد بكل صورته الى فساد السلطة، ولا سبيل للقضاء عليه إلا بالقضاء على رأسه، وذلك هو السلطان المنحرف، وعلى هذا الأساس ترفض هذه الوجوه الحصول الأخرى، معتقدة بأن الشر لا يسكته إلا السيف.

والإمام جعفر الصادق عليه السلام يتفق مع هؤلاء من جهة، إلا أن الخلاف يقع

معهم من جهة الآتية أو عدم توفر مقدمات هذا الحل فضلاً عن كون الظلم وانشاعته في البلاد لا يتحملة الظالم وحده، وإنما تشاركه الأمة في ذلك، وعليه فإن للمشكلة علتين: مشكلة حاكم منحرف، ومشكلة أمة تخلت عن مسؤوليتها وتفاعلت مع أطروحات الضلالة. وبتعبير أصح أن المشكلة مشكلة أمة قبل أن تكون مشكلة سلطة، لأن فساد الحاكم معلول لفساد الأمة أو قبولها بالظلم والفساد. والنظرة المتوازنة للأمر تدعو إلى النظر بعين بصيرة. بهذه الدقة كان جواب الإمام لأحد أصحابه حين قال للإمام: والله ما يسعك القعود، فقال: «ولم يا سدير؟» قلت: لكثرة مواليك وشيعتك واتصارك إلى أن قال: «يا سدير وكم هسى أن يكونوا؟» قلت: مائة ألف، قال: «مائة ألف» قلت: ومائتي ألف، قال: «مائتي ألف؟!» قلت: نعم، ونصف الدنيا، قال: فسكت عني ثم قال: «يخف عليك أن تبلغ إلى سبع»، إلى أن قال: ونظر إلى غلام يرعى جداء فقال: «والله يا سدير لو كان لي شعبة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود». يقول الراوي: عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر<sup>(٦١)</sup>.

ودعا هذا التصور البعض إلى أن يرى أن مسؤولية الإمام عليه السلام هي القيام بالثورة. وليس بصحيح أن ينشغل الإمام بالفكر والحديث - أو على الأقل أن الإنسان بهذا الظرف لا يمتلك تفسيراً لأي خيار غير الخيار الثوري المسلح - ويترك الطغاة يعيشون في الأرض فساداً، ولا يكون هو المبادر للثورة فضلاً عن كونه المكلف بإزالة الظلم عن رقاب الناس، وبومع

(٦١) أصول الكافي ٢: ٢٤٢.

الإمام أن يسلك هذا الاتجاه، وعدم جواز سكوته واضح؛ لأنه يسر للظالمين انشطتهم وافعالهم المنحرفة، ولذا نجد الإمام الحسين عليه السلام قد جسّد هذا المنطوق حتى آخر لحظة من حياته، ثم لم ينقل لنا التاريخ أن علياً عليه السلام قد سكّت يوماً عن الظلم، وقد تجلّى ذلك خلال حياته كلها ومواقفه مع معاوية تشهد له بذلك.

وهذا التصور ترد عليه مؤاخذات، منها: أن ترجيح هذا الخيار دون غيره ناتج عن قصر النظرة، وعدم فهم دور الإمام وتحديد بهذا النمط، وهذا يعني أننا قد وضعنا خطة العمل والتحرك في المجتمع بهذه الصياغة للإمام، وافترضنا أن مسؤوليته تنحصر بهذا الخيار، وجننا بمرحلة ثانية لنرى مدى تطبيقه لهذه المسؤولية فيما إذا نجح فيها أم أخفق، والحال أن الأمر يقتضي العكس، كما هو ثابت في نظرنا للإمام عليه السلام.

أما مسألة مقارنة الإمام الصادق بجذّه الحسين فهي قياس مع الفارق، فمن اعتقادنا البديهية أن مسؤولية الإمام هي الهداية لا الثورة، فالثورة ليست أصيلة في حياة الإمام، وإنما الاصل للهداية. نعم قد تتحقق الهداية عبر وسيلة الثورة، وقد تتحقق بغيرها، فمسؤولية مكافحة الظلم وإزالته عن المستضعفين تقع على عاتقه بلا إشكال، ولكن من قال إن الظلم لا يرتفع إلا عن طريق الثورة والاقتصاص من شخص الظالم؛ فهذا إن صحّ في بعض الأحيان إلا أنه لا يصحّ مطلقاً.

وعنى فرض أن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قد اختار موقف المعارضة المسلحة، وشهر سيفه كعمته زيد ضد الظلم، لترتب عنى هذا الموقف

أمر، منها:

١ - وقوف الدولة وأجهزتها بكل ثقلها، لاجهاض ثورته مما يجعل احتمالات النصر ضئيلة جداً.

٢ - إن القوى التي سيستعين بها الإمام من الطبيعي أن تكون من العناصر الساخطة على النظام، والتي يتوقع لها أن تتحقق كامل أغراضها وأهدافها بمجرد انتصار الثورة، وأغراض هذه العناصر ليست موضع قبول الإمام ورضاه؛ وعند ذلك ستحدث تقاطعات مع الثوار أنفسهم، مما يكون حدث الثورة عاجزاً عن منح الإمام فرصة لطرح برنامج التغيير فيما بعد، والذي فجر الثورة على أساسه، وهذا يعني أنها ثورة بلا أهداف.

٣ - من الطبيعي أنه ستقف كل الفصائل والطوائف التي نمت وتطورت في الظروف السابقة وبنيت لها كيانات، بمجرد حدوث انقلاب مسلح يقوم به الإمام الصادق عليه السلام ستقف معارضة ضد النهضة الجديدة، لأنها تستهدفهم أيضاً وإن لم يبقوا ضدها، سيقفون مع الأمويين وإن عارضوهم قبل الثورة؛ انطلاقاً من وحدة المصلحة.

٤ - وعلى فرض أن الإمام قاد الثورة وتحقق النصر بالمعجزة؛ فما هو السبيل أو البرنامج الناجح الذي أعده الإمام ليكون ملائماً مع الوضع الجديد؟ ويتمبير آخر: هل الأرضية الاجتماعية والثقافية مهيأة، وأن الأمة كانت تتربح الحدود للتعامل مع الطرح الجديد؟ أم أن الأمة لا تعرف من أهداف الثورة شيئاً؟

٥ - إن قلت: إن الظروف آنذاك كانت تبحث عن قيام ثورة: والأمة

كانت تنتظر عود الثقباب الذي يفخر عبوة البارود.

قلنا: هذا التطلع الثوري إن صح فهو تطلع ليس أصيلاً وترقب غير واع، بل يتأثر بالدعاية والشعار البراق، وولاعاته متحركة، لا تعتمد الثابت وتغير بين لحظة وأخرى، وهذا يعني أنّ الإمام سيقود ثورة عاتمة لا تصمد أمام التحديات، وهذا الاحتمال له ما يؤيده حين قال الإمام لعبدالله الذي جاء يخبره بكتاب أبي سلمة المتضمن دعوته للخلافة - بمعنى أنّ الخلافة تكون لعبدالله - يا أبا محمد، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان؟ وأنت أمرتهم بلبس السواد؟ هؤلاء الذين قدموا العراق، أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟

هكذا كان الإمام يراقب الأوضاع وبموجبها يتخذ القرار.

٦ - بالتأكيد سيشارك العلويون من آل الحسن بالثورة مع الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مع اعتقادهم بأن القيادة لهم، وأنها كانت شعوراً أو هاجساً إلاّ أنّه سيتحول الى فعل، ولهذا فقد طرح محمد بن عبدالله بن الحسن نفسه خليفة للمسلمين، وممثلاً للاتجاه العلوي بحضور من الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فمن المحتمل أن يعارض الحسينيون سياسة الإمام الصادق، انطلاقاً من الاعتقاد بأهنتهم وتقديمهم على الإمام، وعند ذلك ستحدث حرب علوية علوية بدل من أن تكون علوية عباسية، أو من ثلاثة أطراف.

٧ - وتتميماً لمناقشة هذا الخيار قد يشور في الذهن سؤال وهو لماذا لا



يقوم الإمام الصادق عليه السلام بثورة حسينية مع العلم القطعي باستشهاده كثرة صاحب فخ وقيله زيد، رضوان الله عليهما؟

لا تصح المقارنة بين ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وثورة سيقوم بها الإمام الصادق عليه السلام، وذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام كان قريب عهد بالنبوة، ولإزالة بعض أصحاب رسول الله أحياء يُرزقون، والأمة لا تعرف ابن بنت للنبي بالمباشرة غير الإمام الحسين عليه السلام، كما لا يشك من أنه ابن الخليفة الرابع، وقد شارك في كثير من الحروب مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد توافرت شروط موضوعية لثورته كالتي هيئها الإمام الحسن عليه السلام له، ثم إن الإمام الحسين كان بصدد تزيف حكومة يزيد بفضح عدم شرعيتها ورفضه لها مهما كنف الثمن، وهذا المقدار حاصل في نظر الأمة مع الأحكام الأمويين زمن الإمام الصادق عليه السلام وادراكها عدم شرعيتهم مع عدم بيعتها للإمام الصادق عليه السلام كالتي أعلنتها مع جده الحسين عليه السلام، بالوقت الذي أصبحت ظاهرة الثورة عاجزة عن التعبئة الجماهيرية ككل. ولم تتكفل بحدوث انقلاب جذري يقلب مفاهيم الأمة رأساً على عقب، بل كانت الثورة زمن الإمام الصادق تمثل بعداً سياسياً لا أكثر من كونها رفض السلطان الحاكم وقيام سلطان آخر مقامه، وعليه فلا يعدو الإمام بثورته في نظر الأمة أكثر من كونه يريد السلطة بغض النظر عن كونه محقاً في طلبه، فهدف الثورة المستقر في ذهن الأمة والانجاز الذي تترقبه هو إزالة الحكم الأموي بلا بُعد استراتيجي وبلا طموح إلى بديل، وحتى هذا الشعور لم يكن سائداً بحيث يمثل قناعة عامة في نظر الجميع، وعليه فإن الإمام لو قام بثورة من

هذا التقبيل في المدينة الأكثر انصاراً له من غيرها أو بالكوفة وقتل هناك - وما أكثر الثورات - فلا تعرف الناس أكثر من كونه خرج ثم قتل، والإمام يُريد أن يدخل المعادلة من كل أبوابها؛ فلا يحصر نفسه بخيار واحد كزيد وغيره من الثوار.

### الخيار الثاني: البناء الطائفي (دولة داخل دولة)

أن يعمل الإمام بخيار الانفراد والتكريس المذهبي؛ وبناء الطائفة الشيعية كفرقة من الفرق الإسلامية ليتخذ منها طريقاً من طرق التغيير، ويركز على بناء الجماعة الصالحة، مبتعداً عن الأنشطة الأخرى التي تستنزف قواه وتهدر طاقاته، ويعتني بحفظ الحديث والتفسير والأخلاق على أمل أن تكون فرقة ذلك النموذج المؤثر في الأمة؛ مما يدعوها أن تحذو حذوه في هذا النشاط والبناء، وقد وردت تصاريح منه عليه السلام تؤكد هذا المعنى مثل: «شيعتنا من اتقى الله»، وقوله: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا».

فقد يقول قائل: إن هذا الخيار هو عين ما كان يعمل به الإمام؟

إن هذا الفهم لنشاط الإمام واطروحتة الإصلاحية غير صحيح، وتصور خاطئ من الأساس.

إننا لو تابعنا النهضة العلمية والثورة الاجتماعية والسياسية التي تبناها الإمام بوعي؛ لوجدنا أن النهضة قد احدثت انعطافاً تاريخية في حياة كل الأمة لا في حياة الطائفة الشيعية فقط، فقد تعاطت الأمة في حياته مفاهيم جديدة، وامتلكت وعياً جديداً، وأعيدت الثقة في نفسها واستردت

عاقبتها، وأصبح الذي يتبنى الفكر الصحيح مميزاً عن غيره أو موضع اقتداء بعد أن أكلها التناحر والتنافس المذهبي، فلا قدوة في نظر الأمة ولا أحد يمثل الاسلام، وكلُّ قد أعجب بنفسه وفرقتة.

فالفتوحات العلمية في كل الحقول قد أذهلت الجميع، وأصبحت موضع افتخار ودعوى للاعتزاز والانتماء للدين، وبهذا فبخر الإمام طاقات الأمة بعد فترة يأس وذبول، دعاها أن تسرق أفكار الغير وتتشبث بها مدعية إسلاميتها؛ ودعا هذا الخطاب سواد الناس الى الجمود والتحجر. فالنهضة التي فخرها الإمام الصادق عليه السلام قد أعادت ثقة الأمة باسلامها؛ وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الإمام لم يحصر تفكيره في الاطار المذهبي، بل كان هدفه أبعد من ذلك.

لا تقفل هذه دعوى خطيرة وفهم خاطئ؛ يُشم منها رائحة جواز تدويب أفكار الإمام واصالته المذهبية ودمجها بأفكار الآخرين المخلوطة، وذلك أن الإمام انطلق كمسؤول من قبل الله لحماية الرسالة ووحدة الأمة، وأكد الخصوصية كطريق لحمايتها معاً؛ من هنا نفسر تشديده في المحاسبة للخواص التي هي من أجل بناء تلك الجماعة، ومعنى الخصوصية هي طرد كل غريب من فكر وسلوك ليس له صلة بالاسلام مما دعا الأقربين أن يطلقوا على نهضة جعفر بالجعفرية التي هي احدى مفردات برنامجه الذي يهدف الى بناء قاعدة متينة، تمد الأمة بالعتاء والبقاء لا لغرض التكريس الطائفي (أمة داخل أمة)، وإنما كانت الوحدة من أساسيات عمل الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأولويات برنامجه.

الخيار الثالث: تقديم الأولويات (اصلاح الحاضر من أجل بناء المستقبل)

أن يعمل الإمام ويركز نشاطه على أساس تقديم الأولويات؛ كأن يكون هدفه المركزي هو الحفاظ على وحدة الأمة؛ لأنه كان يتخوف من حدوث طلاق بين الأمة والاسلام لا رجعة فيه؛ ولذا يمكن القول بأن الإمام تحرك باتجاه هدفه المركزي في مرحلته الراهنة. وعلى المدى البعيد أيضاً. وهو أن لا تتعرض الأمة للموت المحتتم كما هي سنن الله التي فعلت فعلها في الأمم الماضية، وإن كان وجود الإمام من قبل الله يمثل السنة الإلهية التي تحفظ الأمة من السقوط المطلق، والانهيار الكامل حسب اعتقادنا بالأئمة عليهم السلام. وهذا الخيار هو الذي تبناه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبالتحديد هو أن يبقى الإسلام محوراً جامعاً لفصائل الأمة وإن اختلفت في الجزئيات، الانحراف السياسي يأتي في المرحلة الثانية من اصلاحات الإمام؛ فالمهم عند الإمام أن يبقى الإسلام هو المقياس والمرجع الذي يحاكم الآراء فيما إذا خالفت خطوطه الحمراء.

فالأمة قد يصيبها المرض وتختع للظالمين إلا أنه يبقى أملاً في الإسلام، فالإمام يتخوف أن يضيع هذا الأمل؛ لهذا فهو يبحث عن ايجاد عناصره في ضمير الأمة، ويقطع الأمل ويسد الطريق أمام دعاة الالحاد كالزنادقة أو الغلاة، وقد تصدى لهم بقوة، بالوقت الذي كانت تمعز السلطات الأموية أو العباسية أن تجتث جذور هذه الدعوات الخطيرة على مستقبل الرسالة الإسلامية، والتي تنذر بتشتيت الأمة، ولذا كان يسعى الإمام الى لملمة حاضرها تحت سقف واحد، لا الانشغال بالماضي

اتقريب، وإنما ترميم الحاضر وبناء المستقبل بمعنى الانطلاق من الماضي الأصيل لا الماضي القريب المنحرف، ولا يريد إطلاقاً أن يتعامل مع الأمة لا من خلال حاضرها المتهرئ الخطير ولا من خلال ماضيها المنحرف القريب، هذه النقطة المركزية التي صب الإمام عليها كثيراً من جهوده، وكانت من أولويات أعماله، وقد أعطت ثمارها فوق التصور.

ولا يتم تحقيق هذه الأولويات إلا بإعادة ثقة الأمة برسالتها وإبعادها عن تعاطي الفكر الدخيل الذي وجد له في هذا الظرف مناخاً ملائماً، فأخذ يزحف برداته الإسلامي الكاذب تحت عناوين التجديد، والاصلاح الداخلي أو اصلاح النظام السياسي الذي يفقد الفلسفة الشرعية لحكمه، وقد خاض الإمام الصادق عليه السلام حرباً لا هوادة فيها؛ استهدف خلالها البنى الثقافية التحتية التي تتكى عليها تلك المعتقدات، وكذا الأفكار الأخرى التي تعارض النظام وتمتلك فلسفة وثقافة تبرر معارضتها الثقافية وليس السياسية كما هو في الظاهر.

نقد سلك الإمام مع كل الاتجاهات الفكرية والواجهات السيامية السائدة آنذاك أسلوب الهدم، فنزاهما في عقور ديارها، وناظرها وحاكمها وطرح الفكر الإسلامي الأصمق، وأبطل كل ادعاءاتها، وحقق نصراً ساحقاً للإسلام الأصيل، وحصل على موضع رضا الجميع، بل حتى الخصوم، فنجد المتصور العباسي يعني عنى الإمام، وثنائوه كان بمنطلق سياسي كما هي منطلقات الحاكمين، وهذا مما يكشف أن الإمام أعاد الكفة لصالح

الإسلام وأن حصل المنصور على مكسب آتى باعتباره رئيساً للبلاد. قال المنصور: إن جعفر بن محمد كان ممن قال الله فيه: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾، وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات<sup>(١)</sup> لكنه من جهة قال لأبي حنيفة حين أقدم بجعفر الصادق، فقال: يا أباحنيفة! إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهتئى له من مسائلك الشداد<sup>(٢)</sup>.

نعم، سعى الإمام لتخريب البنى الثقافية، وقد مهد لتحقيق الهدف الثانى الذى يريده الإمام وهو توحيد الأمة تحت مظلة الإسلام أرضاً وفكراً، وليس بهمهم أن تختلف الأمة في الجزئيات فيما بعد، ولذا فالخلافات الإسلامية التى نلاحظها بين المذاهب لم تهز خطوطه الحمراء، ولم تؤد الى ضياع الأمة كما حدث عند الديانات الأخرى فأحال مسؤولية ذلك الى الأمة الإسلامية نفسها لتقادي خلافاتها، ولا يعنى أن الإمام ابتعد عن الدخول في هذا المعترك، وهذا بالدقة ما أراد أن يحققه الإمام. والذى يدل على أن الإمام قد عمل بهذا الخيار هو نشاطه التالى.

وأبداً: التطبيقات العملية لمنهج الإمام جعفر الصادق عليه السلام

تحرك الإمام لتنفيذ نظريته في الإصلاح والتربية والتغيير وفق خطة؛ تسمح له أن يختار المتناقضات كما يبدو في ظاهرها، وبشعبير آخر تعددت أدوار الإمام لأجل تنفيذ مخططة لا عنى جبهة واحدة؛ وإنما قاد

(١) تاريخ ابن واضح ٣، ١٧.

(٢) انعه القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف الحلبي: ١٥٣.

الأمة إن صح التعبير وبما ينسجم مع الظرف والمرحلة مرة من خلال مواقع خلفية تنسم بالسرية والكتمان، ومرة من خلال مواقع أمامية ظاهرة وبيئة للجميع، يقودها تحت عنوان الإمامة مرة أو كونه الأعمل ثانية، أو كمحدث ثالثة، ورابعة كمفسر، وما الى ذلك تحت عناوين شتى.

كما اختار أسلوب الاتصال والانفصال مع الجماعات والأفراد المؤثرة في حياة الأمة سواء الواجهات الاجتماعية أو الفكرية أو السياسية لتحقيق غرضه الكبير ولا نتجاهل ثقل تلك الاتجاهات؛ فقد كانت تعتمد الى التحدي للإمام، وتقتحم كل ممنوع، بل كان أحدهم يأتي من البلاد البعيدة لمواجهة فكر الإمام، فقد مارس أسلوب الاتصال وعدم القطيعة مع الاتجاهات الفكرية؛ مستوعباً لأفكارها بقصد توجيهها وترشيدها نحو الأصالة، وهدم ما أعرج منه مبيئاً ومقارناً بينها وبين الفكر الأصيل، فكان يلتقي أمثال الزنادقة، قال هشام بن الحكم: كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبدالله عليه السلام فخرج الى المدينة يناظره فلم يصادفه، فقبل له هو بمكة، فخرج الزنديق الى مكة ونحن مع أبي عبدالله، فقاربنا الزنديق ونحن مع أبي عبدالله في الطواف، فضرب كتفه كتف أبي عبدالله فتم حوار مطول بينهما انتهى الى ايمان الزنديق على يدي الإمام، وقال الزنديق للإمام: اجعلني من تلامذتك. ومرة عبر الانفصال، كما حدث بينه وبين الفلاة.

عن عيسى الجرجاني قال: قلت لجعفر بن محمد: إن شئت أخبرتك بما سمعت القوم يقولون، قال: فهات، قال: قلت: فإن طائفة منهم عبدوك

اتخذوك إلهاً من دون الله، وطائفة أخرى قالوا لك النبوة، قال: فيكى حتى ابتلت لحيتي، ثم قال: إن امكنتي الله من هؤلاء فلم اسفك دماءهم، سفك الله دم ولدي على يدي.

وقوله: لعن الله أبا الخطاب ولعن من قتل معه، ولعن من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم. وانه اتصال مع الشرائح الثورية منظراً ومغذياً لها أو داعماً لها، كما حدث مع ثورة عمه زيد. قال الفضيل بن يسار أحد أصحاب الإمام: ذهبت الى المدينة بعد قتل زيد لألتقي بالإمام الصادق عليه السلام وأخبره بنتائج الثورة، وبعد أن التقيته وسمع مني مدار في المعركة قال: يا فضيل، شهدت مع عمي قتل أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتل منهم؟

قلت ستة قال: فلعلك شاك في دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم. ثم قال سمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه<sup>(١)</sup>، وعلاقة الإمام مع عمه زيد لها انعكاساتها على زيد نفسه، فكان يقول بحق الإمام الصادق: في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر، لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام عليه السلام: «لا تقولوا خرج زيداً فإن زيدا كان عالماً صدوقاً، ولم يدعكم

(١) أمالي الشيخ الصدوق ١: ٢٨٦.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٤٧.



الى نفسه، إنما دعاكم الى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم اليه<sup>(١)</sup>، وله علاقة انفصال معها من خلال تحذيره لعدد من أصحابه بضرورة عدم المشاركة مع الثورة لضرورات مستقبلية لصالح الرسالة، وله علاقة اتصال مع العلويين من آل الحسن، فقد حذر عليه السلام عبدالله بن الحسن من الترويج لابنه محمد علي أساس أنه المهدي لهذه الأمة، واخبره بمستقبل الأحداث، ونبه بأنها ستنتهي الى استشهاد محمد وأخيه ابراهيم، وأن الخلافة بعد أبي العباس السفاح ستكون للمتصور<sup>(٢)</sup>، وترحم عليهما حين استشهدا.

والجدير بالذكر أنهما لم يتجاوزا الإمام حينما كانا قد قررا الثورة على الأمويين، بالرغم من عدم ايمانهما بضرورة تسليم الحكم الى شخص الإمام عليه السلام.

كما كان له عليه السلام علاقة انفصال، فقد حذر بخطورة مستقبل مؤتمر الأيواء والقرارات التي أتخذت فيه، ولما ثار محمد بن عبدالله (ذوالنفس الزكية) ترك الإمام الصادق المدينة، وذهب الى أرض له بالفرع، فلم يزن هناك مقيماً حتى قتل محمد واطمأن الناس وأمنوا رجوع الى المدينة<sup>(٣)</sup>. وله علاقة انفصال مع الحكومة العباسية، وقد حزم التعاون معهم لأنهم ظلمة، فقال عليه السلام: «لا تعنهم (أي حكّام الجور) على بناء مسجد»، وقال لبعض أصحابه: «يا عذاقر، نبئت أنك تعامل أبا أيوب والربيع فما حالك إذا نودي بك في

(١) الجور العين: ١١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦: ١١٥.

(٣) كشف الغمة: ٢: ١٦٢.

أعوان الظلمة»<sup>(١)</sup> ورد الإمام جواباً لرسالة المنصور التي قال فيها للإمام تصحينا لتنصحتنا، قال الإمام: «من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك». وله علاقة اتصال، فقد كانت لقاءاته مع المنصور؛ اتسمت بالمرونة والاستيعاب. قال المنصور للصادق عليه السلام: اني عزمت على أن أشرب المدينة ولا ادع فيها نافع ضرمة فقال: «يا أمير المؤمنين، لا أجد بداً من النصيحة لك فاقبلها إن شئت أو لا ثم قال عليه السلام: إنه قد مضى لك ثلاثة أسلاف: أيوب عليه السلام أهتلى فصيبر، وسليمان أعطي فشكر، ويوسف قدر ففقر، فاقتد بأيهم شئت. قال: قد عفوت<sup>(٢)</sup>.

والجدير بالذكر أنه جاء ذلك بعد أحداث الثورة العلوية لآل الحسن. وقال ابو بصير: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اتقوا الله، وعليكم بالطاعة لأنتمكم، قولوا ما يقولون واصمتوا عما صمتوا؛ فإنكم في سلطان من قال الله تعالى: ﴿وان كان مكروهم يتزول منه الجبال﴾ يعني بذلك ولد العباس، فاتقوا الله فإنكم في هدنة، صلوا في عشايرهم واشهدوا جنازهم وأذوا الأمانة اليهم»<sup>(٣)</sup>. كما استوعبت مدرسته المخالفين له فقهاً وعقيدة. قال أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، وقال مالك ابن أنس أيضاً - وكان ممن يحضر عند الإمام ليتأدب بأدابه ويهتدي بهديه - : ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من

(١) وسائل الشيعة ٦: ١٢٨.

(٢) سير اعلام النبلاء: ٢٦٦٦.

(٣) الكافي ٨: ٢١٠.

جعفر بن محمد معلماً وعبادة وورعاً<sup>(١١)</sup>.

وله علاقة انفصال من جهة مهاجمته لأفكار القياس والجبرية، وكان الإمام قد واجه تيار القياس والرأي الذي تزعمه أبو حنيفة بشدة، ولما دخل أبو حنيفة على الإمام وتم حوار مطول بينهما قال الإمام: «يا أبا حنيفة! إذا ورد عليك شيء ليس في كتاب الله، ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟» فقال: أصلحك الله أقيس وأعمل فيه برأيي.

قال: يا أبا حنيفة! إن أول من قاس ابليس الملعون، قاس على ربنا تبارك وتعالى فقال: «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين»<sup>(١٢)</sup> فسكت أبو حنيفة.

وله علاقة انفصال مع الخطوط المائلة عن الحكم العباسي؛ من خلال موافقه من عروضاتهم، كعرضي أبي مسلم وأبي سلمة. كان أبو سلمة الخليل أحد الدعاة العباسيين النشطين في الكوفة، وقد لعب دوراً متميزاً في نجاح الدعوة العباسية وتكثير أنصارها في الكوفة، لما امتاز به من لياقة وعلم ودهاء وثراء؛ حيث أتفق كثيراً من ماله الخاص على رجال الدعوة العباسية، وكانت له علاقة خاصة واتصالات مستمرة بإبراهيم الإمام.

لقد أدرك هذا الرجل بعد موت إبراهيم الإمام بأن الأمور تسير على خلاف ما كان يطمح إليه، أو أنه كان قد تغير هواه واستجد في نفسه شيء، فقد لاحظ مثلاً أن مستقبل الخلافة سيكون إلى أبي العباس أو المنصور،

(١١) تاريخ ابن واضع ٣: ١٧.

(١٢) الأعراف: ١٢.

وهما غير جذيرين بالخلافة؛ أو لطمعه في السلطنة، فكتب للعلويين وفي مقدمتهم الإمام الصادق عليه السلام: بأنه يريد البيعة لهم.

نكتنا لا نفهم من رسالة - أبي سلمة - للإمام بأنها رسالة تدم أو اعتراض على النهج العباسي وخذيعتهم للعلويين، أو كشف اساليبهم في الاستيلاء على السلطنة.

والذي ذكره المؤرخون<sup>(١)</sup>، هو أن أبا سلمة الخلال أراد نقل الخلافة إلى العلويين ولم يوفق لذلك.

وقد احتمل البعض أن أبا سلمة فعلاً كان صادقاً في عرضه، كما احتمل آخرون أن هناك عوامل أخرى كانت قد دفعته لذلك، منها: أنه أراد أن يتخلص من خصومه فأحتمى بالعلويين.

وهنا لا بد أن نرجع إلى جواب الإمام عليه السلام على رسالة أبي سلمة؛ حيث نجد فيه أن الإمام عليه السلام قد رفض العرض، لا بسبب كون الظروف قلقة وغير مؤاتية فحسب، بل كان الرفض يشمل أبا سلمة نفسه، فقد قال عليه السلام: «مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري!»<sup>(٢)</sup>. وأكد الإمام عليه السلام رفضه القاطع عندما قام بحرق الرسالة جواباً لأبي سلمة.

قال المسعودي: كاتب أبو سلمة الخلال: ثلاثة من أعيان العلويين وهم: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وعمر الأشرف بن زين العابدين، وعبدالله المحض. وأرسل الكُتُب مع رجل من مواليهم كان يسمى محمد بن

(١) الطبري ٩، ١٢٤، وابن قتيبة: ١٢٨، والطقطقي: ١٢٧، وانفرد بعد الشدة: ٢٤٧ وغيرهم.

(٢) مروج الذهب، للمسعودي ٣: ١٨٤، الآداب السلطانية: ١٣٧.

عبدالرحمن بن أسلم مولى لرسول الله ﷺ. وقال أبو سلمة للرسول: العجل العجل! فلا تكونن كوافد عاد. وقال له: أقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين، وإن لم يُجب فألق عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر، وإن لم يُجب فألق عمر.

فذهب الرسول الى جعفر بن محمد أولاً، ودفع اليه كتاب أبي سلمة، فقال الإمام عليه السلام: «مالي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري!» قال له الرجل: اقرأ الكتاب. فقال لخادمه: ادن السراج مني، فأذناه. فوضع الكتاب على النار حتى احترق، فقال الرسول: ألا تجبه؟ قال عليه السلام: قد رأيت الجواب، عرف صاحبك بما رأيت»<sup>(١)</sup>.

وانطلق الإمام لتنفيذ مخططه هذا من خلال نافذة الجامعة العلمية وغيرها، تلك الجامعة التي كان قد زرع نواتها الإمام الباقر عليه السلام. أما أبو مسلم الخراساني الذي قاد الانقلاب على الأمويين في خراسان، وتم تأسيس الدولة العباسية على يديه، نجده في الشهور الأولى من انتصار العباسيين وإعلان البيعة لأبي العباس السفاح بالكوفة يكتب الى الإمام الصادق عليه السلام رسالة، يريد بها البيعة للإمام عليه السلام حيث جاء فيها: «إني قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاته بني أمية الى موالاته أهل البيت فإن رغبت فلا مزيد عليك»<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أنّ أبا مسلم الخراساني المعروف بولائه وإخلاصه للعباسيين -

(١) مروج الذهب، ٣: ١٨٤، الآداب السلطانية، ١٣٧.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني، ١: ٢٤١.

وهو صنيعتهم - يعتبر صدور رسالة من عنده بهذه اللهجة نوعاً من المفاجأة، ولا بد أنها تكون متأثرة بعوامل طارئة، كانت قد غيرت من قناعاته، سواء كانت تلك العوامل ذاتية أو موضوعية؛ وإلا فما هي الجهة التي تربطه بالإمام عليه السلام (١)؟

لم يحدثنا التاريخ عن أية علاقة بينه وبين الإمام عليه السلام، لا عمّانية، ولا سياسية، سوى لقاء واحد، لم يتم فيه التعارف بينهما أو التفاهم. نعم كان عليه السلام قد عرفه وذكر اسمه ومستقبله السياسي قبل إعلان العباسيين ثورتهم (٢).

أما موقف الإمام عليه السلام من عرض أبي مسلم الخراساني فيمكن معرفته من خلال جواب الإمام على الرسالة. فقد جاء في جوابه عليه السلام: ما أنت من رجالي ولا الزمان زمانى (٣).

إن أبا مسلم قبل أيام قد سفك من الدماء البريئة مئات الآلاف، حتى قيل لعبدالله بن المباركة: أبو مسلم خير أو الحجاج؟ قال: لا أقول أن أبا مسلم كان خيراً من أحد، ولكن الحجاج كان شراً منه (٤).

وكان لا يعرف أحداً من خطّة أهل البيت ومواليهم، وكانت علاقته محصورة بدائرة ضيقة كما حددها له مولاه إبراهيم الإمام عندما أمره أن لا

(١) يقول أحد الأفاضل ويحتمل هذا العرض جاء بمثابة فخ للإمام بتحريك من أسبده لفرض الإطاحة به في شرك السلطة إن كان له هوى في الخلافة.

(٢) إعلام الورى: ٣٧٩.

(٣) الملائم والتحليل للشهرستاني: ١: ٢٤٦.

(٤) وفيات الأعيان: ٣: ٦٤٥.

يخالف سليمان بن كثير: فكان أبو مسلم يختلف ما بين إبراهيم وسليمان<sup>(١)</sup>.

كما نجده بعد مقتل إبراهيم الإمام الذي كان يدعو له، يتحوّل بولائه لأبي العباس السفاح، ومن بعده لأبي جعفر المنصور، علماً بأن العلاقة كانت بينه وبين المنصور سيئة جداً، وكان أبو مسلم يتصغر المنصور أيام حكومة السفاح، إلا أن المنصور كتب ذلك، حتى ثار لنفسه منه أيام حكمته فقتله شر قتلة.

#### خامساً: مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلاقتها بمنهج الإمام الاصلاحى

انطلق الإمام جعفر بن محمد عليه السلام من خلال تطويره لمدرسة آباءه بهدف أن تكون أداة ونافذة لوعي الأمة واصلاحها، وبالتالي لتمتد الى الأمة فتكون تياراً واسعاً وعنصراً مؤثراً في حياتها سلوكاً واختلافاً وعملاً وجهاداً؛ وهذا يتطلب أن تكون النواة التأسيسية بمستوى المرحلة، ولها القدرة في العطاء والتحريك ومنسجمة مع متطلبات الأمة، ولهذا فقد امتازت مدرسة الإمام قائدة النواة الاجتماعية والثقافية بعدد من المميزات تبعاً لضخامة أهدافها التي أراد الإمام انجازها في هذه المرحلة، لتعطي ثمارها في المستقبل النهيذ فضلاً عن اصلاحها لحاضر الأمة.

١- منّا يميّز مدرسة الإمام الصادق عليه السلام عن باقي المدارس أنها لم تنفلق في المعرفة على خصوص العناصر الموائية فحسب؛ وإنما انفتحت لتضمّن

(١) تاريخ الخوئي ٢: ٣٤٩.

طلاب العلم من مختلف الاتجاهات . فهذا أبو حنيفة الذي كان يخالف الإمام عليه السلام في منهجه، باختياره - قد سلك في القياس مسلماً استوجب شدة الانتكار عليه وعلى أصحابه، وهو الذي أطلق على مؤمن الطائى (أحد أصحاب الإمام الصادق ومعتمديه) اسم شيطان الطائى - كان ممن يختلف الى الإمام الصادق عليه السلام، ويسأله عن كثير من المسائل، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام وحدث عنه واتصل به في المدينة مدة من الزمن، كما أنه كان قد ناصر زيد بن علي عليه السلام، وسأهم في الدعوة الى الثورة والخروج معه، وكان يقول: ضاهى خروج زيد خروج رسول الله يوم بدر<sup>(١)</sup>.

٢ - ولم يقتصر علم الإمام عليه السلام على حقل واحد - كالفقه أو الكلام مثلاً، ليكون سبباً لمخاطبة وجذب فئة محدودة من الناس - وإنما تناولت جامعته العلمية مجموعة العلوم الدينية وغير الدينية، وترتقى فيها كبار العلماء في مختلف فروع المعرفة الإسلامية والبشرية؛ بحيث نجد الحضارة الإنسانية أصبحت مدينة الى علوم الإمام ومعارفه ومنهجه التعليمي والمعرفي.

والعلوم التي تناولتها جامعة الإمام عليه السلام بالبحث والتدريس هي: علم الفلك، والطب، والحيوان، والنبات، والكيمياء، والفيزياء، فضلاً عن الفقه والأصول والكلام والفلسفة وعلم النفس والترقية والأخلاق والمنطق.

٣ - لم تتلوث جامعة الإمام عليه السلام بسياسة الحكومات الجائرة، فلم تكن

(١) حياة الإمام الصادق . القرشي.



موضع شبهة وكراهية من الناس؛ ليتصور أن المدرسة ماهي إلا أداة لخدمة الحكام كما يلاحظ في بعض المدارس المعاصرة لها، بل قد رأت الأمة أن هذه المدرسة على رأسها وريث النبوة وعملاق الفكر المحمدي الإمام أبو عبد الله عليه السلام المعروف بمواقفه الرسالية واستقامته على خط الشريعة الربانية المحمدية، وقد لقب بالصادق لصدقه وعدم مساومته وعدم خضوعه لسياسة الحكام المنحرفين، من هنا كانت جامعة الإمام عليه السلام تعتبر حصناً سياسياً وفكرياً يلوذ به طلاب الحقيقة.

٤- كما تميزت أيضاً جامعة الإمام عليه السلام بمنهجها العملي السليم، وعمقها الفكري واتجاهها العقائدي التربوي والاصلاحي، ولم تكف أطروحتها في الإعداد العلمي الاعتماد على حشو الذهن بالمعلومات فقط، وإنما خرجت هذه الجامعة شخصيات كبرى ونماذج مثلى عرفت بالمعطاء السخي للأمة.. بحيث أصبح الانتماء الى مدرسة الإمام وجامعته يعد من المفخرة، فقد وصل عدد طلابها الى أربعة آلاف طالب علم، واتسمت فيما بعد؛ لتشكّل عدة فروع لها في الكوفة والبصرة، وقم ومصر.

٥- والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام لم يجعل من الجامعة والجهد المبذول فيها نشاطاً منفصلاً عن حركته وأنشطته الأخرى، بل كانت جزءاً لا يتفصل عن برنامج التغيير؛ لأنها بالتأكيد كانت تساهم في خلق مناخ يمهد بدوره لبناء الفرد الصالح؛ ومن ثم المجتمع الصالح؛ لأن هذه الجامعة تشكّل امتداداً واهياً للخط الرسالي في وسط الأمة. ونشاط الإمام عليه السلام وإن تعدّد لكنه نشاط مترابط ومتداخل؛ حيث نجد الكادر

العلمي الحاضر في مدرسة الإمام عليه السلام هو الذي يحضر في نشاطات الإمام الخاصة وبعض نشاطاته العامة.

٦ - لقد حرص الإمام الصادق عليه السلام في هذه الفترة أن يحقق من خلال مدرسته إنجازاً في خصوص تدوين الحديث والحفاظ على مضمونه، بعد أن كان قد تعرض في وقت سابق للضياع والتحريف والتوظيف السياسي، بعد المنع من تدوينه. والأئمة المعصومون عليهم السلام لم يستجيبوا لقرار المنع، بمعنى ضياع الحديث ونسيانه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ عِنْدَنَا مَا لَا نَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى النَّاسِ وَأَنَّ النَّاسَ لِيَحْتَاجُونَ إِلَيْنَا، وَأَنَّ عِنْدَنَا كِتَابًا يَمْلَأُ وَسْوَاحَ الشَّامِ وَخَطَّ عَلِيٌّ عليه السلام وَصَحِيفَةً فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ...»<sup>(١)</sup>.

وجاء عنه عليه السلام أنه قال: «عَلَّمْنَا غَابِرًا وَمَزْبُورًا وَنَكْتًا فِي الْقُلُوبِ وَنَقَرْنَا فِي الْأَسْمَاعِ، وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَعْفَرِ الْأَحْمَرَ، وَالْجَعْفَرِ الْأَبْيَضَ، وَمَصْحَفَ فَاطِمَةَ، وَإِنَّ عِنْدَنَا الْجَمَاعَةَ فِيهَا جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ...»<sup>(٢)</sup> والجفر كانوا يكتبونده عن غيرهم.

٧ - وكان عليه السلام يأمر طلابه ويؤكد لهم ضرورة التدوين والكتابة، كما تجد ذلك في قوله عليه السلام: «احفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها»<sup>(٣)</sup>.

(١) أصول الكافي للشيخ الكليني: ١/٢٤٦ و ٢٤٢، ح ٦، كتاب الحجّة، باب ذكر الصحيفة.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٣٩٦، بحار الأنوار: ٤٧: ٢٦، الارشاد: ٣٠٧، الاحتجاج: ٢، ١٣٤، وزادوا فيه: فسل عن تفسير هذا الكلام، فقال أما لا الغابر فالعلم بما يكون

(٣) أصول الكافي: ١/٥٢، ح ١٠، بحار الأنوار: ٢/١٥٢، ح ٣٨.

وكان عليه السلام يشير الى نشاط زرارة في مجال الحديث ويقول: «رحم الله زرارة بن أعين، لولا زرارة لاندرست آثار النبوة وأحاديث أبي عليه السلام»<sup>(١)</sup> وقال عن زرارة وجماعة من أصحابه: «لولا هؤلاء ما كان أحد يتبسط هذا الفقه، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلاله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

وكان يأمر طلابه أيضاً بالتدريس والمباحثة، حيث يقول للمفضل بن عمر: «اكتب وبت علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بئيك، فإنه يأتي على اناس زمان حرج لا يأتسون فيه إلا بكتبهم»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس اهتم أصحابه بكتابة الأحاديث وتدوينها؛ حتى تألفت واجتمعت الأصول الأربعمائة المعروفة<sup>(٤)</sup>. والتي شكلت المجاميع الحديثية الأولى عند الشيعة الإمامية.

٨- اعتنى الإمام عليه السلام بالتخصص العلمي في تلك المرحلة، لأنّ للاختصاص دوراً كبيراً في إنماء الفكر الإسلامي وتطويره، بحيث يكون قادراً على استيعاب الطاقات الكثيرة الوافدة عن مدرسة الإمام عليه السلام من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وبالتالي تخصص وتنوع العطاءات، ويكون الابداع وعمق الانتاج. لذا وجّه الإمام التخصص العلمي، وتصدى للإشراف على كل تلك التخصصات.

(١) الاختصاص للمفيد: ٦٦، اختيار معرفة الرجال للطوسي: ٣٤٨/١، رقم ٢٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٧ - ٥٩.

(٣) أصول الكافي ١: ٥٢.

(٤) وسائل الشيعة ١٨: ٥٧ - ٥٩.

ففي الفلسفة وعلم الكلام ومباحث الإمامة؛ تخصص كل من هشام بن الحكم، وهاشم بن سالم، ومؤمن النطاق، ومحمد بن عبدالله الطيار، وقيس الماهر، وغيرهم.

وفي الفقه وأصوله وتفسير القرآن الكريم تخصص كل من: زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وجميل بن دراج، وبريد بن معاوية، وإسحاق بن عمار، وعبدالله الحلبي، وأبو بصير، وأبان بن تغلب، والفضيل بن يسار، وأبو حنيفة، ومالك بن أنس، ومحمد بن الحسن الشيباني، وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد، وسفيان الثوري.

كما تخصص في الكيمياء جابر بن الحيان الكوفي.  
وتخصص في حكمة الوجود المفضل بن عمر الذي أملئ عليه الإمام الصادق عليه السلام كتابه الشهير المعروف: (بتوحيد المفضل).

٩- ونشط طلاب الإمام عليه السلام في نتاجاتهم، كل حسب اختصاصه في التأليف والمناظرة، فقد جمع السيد حسن الصدر أسماء مؤلفات الشيعة في هذه الفترة، وذكر أنها وصلت إلى ستة آلاف وستمئة كتاب<sup>(١)</sup>.

كما يبرز في المناظرة هشام بن الحكم، وكان الإمام الصادق عليه السلام مسروراً بمناظرات هشام، ويحب أن يسمع مناظراته مع زعيم المعتزلة عمرو بن عبيد الذي تغلب عليه، وبعد أن قضها هشام للإمام عليه السلام قال له الإمام: يا هشام من علمك هذا؟ قال: يا ابن رسول الله جرى على لساني... قال الإمام:

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٨.

هذا والله مكتوب في صحيف إبراهيم وموسى <sup>(١)</sup>.

١٠- ومن الأهداف التي خطط لها الإمام عليه السلام في مدرسته هو إنشاء وتنشيط حركة الاجتهاد، وتخريج الفقهاء والمجتهدين في علوم الشريعة الإسلامية.

والاجتهاد ضرورة قرآنية التزم بها أهل البيت عليهم السلام، وعملوا على تحقيقه لأتباعهم لئلا يكونوا أتباعاً لغيرهم وليكونوا القدوة المثلى في كل عصر.

والاجتهاد المشروع هو: طريق الاستنباط الصحيح للحكم الواقعي أو الظاهري كما رسمه أهل البيت عليهم السلام، وقد تميزت روايات أهل البيت عن روايات غيرهم، كما أفصح عن هذه الحقيقة الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل» <sup>(٢)</sup> وقال عليه السلام: «إنا لو كنا نفسي الناس برأينا وهوانا؛ لكننا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، أصل علم نتوارثها كابر عن كابر، نكتزها كما يكتنز الناس ذهبهم وقضتهم» <sup>(٣)</sup>.

وعليه فالاجتهاد في مذهب أهل البيت عليهم السلام هو اجتهاد في دائرة النص الشرعي الواصل إلينا عن طريق أهل البيت عن الرسول صلى الله عليه وآله، أو النص

(١) راجع الاحتجاج تجد كامل المناظرة ٢، ١٢٥ - ١٢٨.

(٢) أصول الكافي: ٥٢ - ٥٨.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٩٩.

القرآني الذي لوحظت كل ملامحاته، ومن هنا رسم الإمام عليه السلام منهج الاجتهاد في فهم النص، وحارب اجتهاد الرأي المتمثل في القياس والاستحسان، كما حارب القرآن وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحاولوا إبعاده عن الشريعة وإبعاد أتباعهم عنه. ومن هنا رسموا لنا معالم هذا الاجتهاد وخطوطه المريرة. وبتوا أسسه وأساليبه ووقروا وسائله وأدواته وطبقوا منهجه، ودعوا أصحابهم إليه، وقدموا نماذج حية للمجتمع الإسلامي في هذا العدد، وهكذا انبثقت مدرسة الفقهاء الرواة التي اعتمدت منهج أهل البيت القمهي والتشريعي، وتميزت بذلك عن سائر المدارس الفقهية المتحزرة من هذا المنهج أو الجامدة على ظواهر النصوص.

هذا عرض مختصر لبعض أنشطة الإمام واطروحته التفسيرية، التي استطاع بواسطتها أن يحيي معالم الشريعة ويعيد للأمة علاقتها وثقتها بالاسلام بعد موجة خطيرة كادت أن تؤدي إلى موت الأمة المحتوم، هذا ما توصلنا إليه بنظرنا القاصر.

وخلاصة القول: بعد أن أدت الدراسات التاريخية حول حياة الأئمة عليهم السلام دورها خلال القرن المنصرم، وبمستوى متطلبات المرحلة؛ تتأكد الحاجة اليوم لاستنطاق مسيرتهم وادخالها كعنصر واعي ومصحح لحركة البناء والتغيير؛ ويضفي هذا العنصر بقدسيته وقوته على الأنشطة والفعاليات كعامل بقاء واستمرارية؛ انطلاقاً من ربط حلقة حاضر الأمة مع ماضيها الأصيل الذي يكفل لنا تحقيق المستقبل

المنشود بخطى واضحة الرؤى.

والإقلاع عن المناهج التي تتعامل مع تراثهم بطريقة الاختزال لمقاطع من تاريخهم يفرضها الاستشهاد، الأمر الذي يجعل منها تجربة عاجزة ومحدودة العطاء تتصف بالجمود وتستعصي عن الأخذ الدائم.

لقد لاحظ الإمام جعفر بن محمد دعوات التخريب المتناقضة بأهدافها تنخر جسم الأمة، الدعوات التي انتجتها ظروف الانحراف السياسي، التي وجدت في زمانه عليه السلام مناخاً سمح لها أن تدعو لنفسها تحت لافتات التجديد أو الأصالة؛ ضمن مبادئٍ تحمل في داخلها بذور التمزيق والشردمة للعالم الإسلامي وتفتته إلى أقاليم، تتقاطع فيما بينها فكراً وسلوكاً وأرضاً.

واستشرف الإمام في أن الحاضر يكشف عن صدام شامل، يجعل الأمة طرائق قديماً لا أمل في عودتها تحت سقف واحد، ولهذا كانت النخب الواعية زمن الإمام قد أشغلتها التفكير للخروج عن المأزق، وماهي الحلول والخيارات الكفيلة بتقادي المستقبل المخيف؟

وكان للإمام خياره المركزي الذي تبناه وركز فيه على اصلاح الحاضر عن طريق ايجاد عوامل قوة، تعيد للأمة ثقتها بالاسلام وتقضي على ظاهرة الانفعال الطارئ، واقناعها بالتنازل عن أهدافها التي ولدتها ظروف الانحراف ليعاد أملها بأهداف الإسلام الكبرى.

تلك العناصر التي تؤمن طول حياتها وبقائها خالدة بعد اجراء عملية استئصال لعناصر الانحراف التي توغلت في جسمها؛ لتعود بالتالي تحت

خيمة الإسلام مطمئنة مع قبوله عليه السلام بظواهر مرضية: يكفل بطردها وعي الأمة الجديد في زمن لاحق مازال بقاؤها - الأمراض - في نظر الإمام لا يؤدي إلى موت الأمة.

فاختار عليه السلام لنفسه برنامجاً يسمح له في أن يتحرك بخيارات وبدائل عبر نوافذ متعددة في آن واحد، تميزت أساليبه بانسجامها مع واقع الأمة المتناقض في اراداته وظواهره جاءت مدرسته كمشروع يجذب الأمة إليه، ويُعيد الأمل في اسلامها، ويحقق الانقلاب في حياتها، وبهذا يمكن القول بأن الإمام قد حقق أهدافه مع ضم أنشطته الأخرى إلى هذا المشروع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين







# جامعة الإمام الصادق عليه السلام

الدكتور محمد المنصور

المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة:

الأوضاع العلمية والحضارية في عصر الإمام عليه السلام:

تميز عصر الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بأنه عصر النمو والتفاعل العلمي والحضاري بين الثقافة والتفكير الإسلامي من جهة، وبين ثقافات وعقائد ومعارف أخرى، ففي عصره نمت الترجمة، ونقلت كثير من العلوم والمعارف والفلسفات من لغات أجنبية إلى اللغة العربية وبدأ المسلمون يستقبلون هذه العلوم والمعارف ويتقنونها أو يضيفون إليها، ويعتقون أصولها ويوسعون دائرتها؛ فنشأت في المجتمع الإسلامي حركة علمية وفكرية نشطة، فنشط التفكير في البحوث العلمية، واشتغل المسلمون بعلوم الطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات وغيرها من العلوم والمعارف، كما نقلت الفلسفة والمنطق وأصول التفكير والمعتقد عن اليونانية والفارسية وغيرها إلى اللغة العربية، فعرف المسلمون خطأً جديداً من التفكير العقائدي والفلسفي، ولم يكن هذا الغزو والتفاعل الحضاري ليمر دون أن ينتج أثراً أورد فعل في التفكير والمعتقد الإسلامي، لذا فقد نشأ تيار من النشك والإلحاد وفرق كلامية، وآراء شاذة واجهها موقف علمي وعقائدي إسلامي متين، استطاع بعد طول صراع، وكفاح علمي وعقائدي أن يوقف زحف الغزو الحضاري، ويكشف زيفه وهزاله إلى جانب هذا النمو والتوسع والتفاعل العلمي والحضاري في عصر الإمام عليه السلام، فإن المجتمع الإسلامي شهد نمواً

وتطوراً كبيراً، فاستجدت وقائع وأحداث وقضايا سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة تحتاج إلى بيان رأي الشريعة، وتحديد الموقف والحكم الشرعي منها، وكان حصيلة ذلك أن نشأت الآراء والمذاهب الفقهية، ونشط علماء الفقه والاجتهاد، وبهذا تتحدد الصور العامة للأجواء والتيارات الفكرية وظهور الجامعة الإسلامية للإمام عليه السلام.

### أسباب نهوض الإمام بالجامعة

عاش الإمام الصادق عليه السلام من نهاية خلافة عبد الملك بن مروان إلى منتصف خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة (٨٣ هـ) إلى سنة (١٤٨ هـ)؛ فقد أدرك فترة طويلة من العصر الأموي، وعاصر كثيراً من ملوكهم وشاهد من جورهم أعنف أشكاله، وقضى شطراً من حياته حتى الحادية عشرة مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ في ظلّهما يتغذى من تعاليمهما حتى تكاملت تربيته الدينية، وتخرج من تلك الجامعة، فاخصص بها بعد وفاة أبيه بالزعامة المطلقة سنة (١١٤ هـ) واتسع نشاط مدرسته في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية.

ومن مميزات هذا العصر ظهور الحركات الفكرية ووفود الآراء الاعتقادية الغربية إلى المجتمع الإسلامي لا سيما حركة الغلاة الهدامة، الذين تطلعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين المسلمين، وترعرعت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام، فقد اغتتموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي؛ فكانوا يبثون الأحاديث

الكاذبة، ويستندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغزوا به العامة، فكان المغيرة بن سعيد يدعي الاتصال بأبي جعفر الباقر عليه السلام، ويروي عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق عليه السلام كذبه والبراءة منه وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروى عنه فقال عليه السلام: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة»<sup>(١)</sup>.

كثرت الأكاذيب و ضغطت حكام بني أمية و بني العباس على أهل البيت إلا أنه شاء الله سبحانه وتعالى فضمعت الدولتان واشغل الظالم بالظالم، فنسحت الفرصة لأبي عبد الله الصادق في الاتساع والتصدي، وخلق تلك القاعدة العلمية العالمية.

شرع الإمام إعادة الأئمة من قبله بالرواية عن جده و آياته عندما اندفع المسلمون الى تدوين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان هذا من أكبر أقسام جامعته المباركة بعد الغفلة العلمية و اشتباك المتأمرين على أهل البيت عليه السلام إلى سنة (١٤٣ هـ) حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف، و تسربت إلى السنة الروايات الإسرائيلية و اليهود وغيرهم، بالإضافة إلى المختلقات والمجموعات علي يد علماء السلطة و مرتزقة البلاط الأموي. من هنا فقد وجد الإمام عليه السلام أن أمر السنة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد عليه السلام للتصدي لهذه الظواهر الخطيرة، و تفتيد الآراء الدخيلة على الإسلام، والتي تسرب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري و العقائدي بين المسلمين و غيرهم.

إن علوم أهل البيت متوارثة من جدّهم المصطفى محمد عليه السلام الذي

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي: ٤٨٩/٢، رقم ٤٠٦، بحار الأنوار: ٢/٢٥٠، ح ٦٢.

أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرائيل عليه السلام فلا غرو أن تجد الأمة ضالتها فيهم وتجدهم مرفأ أمان في هذه اللجج العظيمة ، ففي تلك الفترة حيث أخذ كل واحد عن مجاهيل ونكرات و رموز ضعيفة و مطعونة أو أسانيد مشوشة تجد أن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

هذا غيض من فيض وقيل من كثير مما قبل عن الإمام الصادق عليه السلام . ولو أردنا أن نستعرض كلمات المؤرخين والمحدثين والعلماء والمتخصصين حول الإمام الصادق عليه السلام لضاق بنا المجال، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة أقطاب كتب الاختصاص .

لقد أتس الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام جامعة علمية كبيرة لا نظير لها تخرّج منها آلاف العلماء في مختلف الاختصاصات .

#### الجامعة الإسلامية للإمام الصادق عليه السلام

إن جامعة الإمام الصادق عليه السلام من أعرق الجامعات الإسلامية وقد امتازت بالسعة و التخصص و القدم وقوة المباني وصحتها، فلها الأولوية في النهضة العلمية العارمة التي ليس لها مثيل لا في الجامعات القديمة ولا في الحديثة ، ولم تعتمد هذه الجامعة على النظريات والاحتمالات بل اعتمدت على الحقائق والثوابت والقطع واليقين. لذا لا نظير لها من حيث المبني و فريدة من حيث التخصص ، و نلاحظها حوت كافة التخصصات

(١) أصول الكافي: ٥٣/٦، باب رواية التكتب والحديث، ح ١٤، الإرشاد للمفيد:

العلمية ، و استقبلت نوادر الطلبة من كافة الأمصار الإسلامية، وقصدها العلماء والأدباء بكل اختصاصاتهم وعشقهم للدرس والوصول إلى أدق النتائج العلمية. وكما تعلمون لا وجود للجامعات المتخصصة آنذاك حيث سمت بالمجتمع نحو الرقي والازدهار العلمي وأصبحت الميزان العلمي لكافة العلوم، والأساس الفكري لكافة النظريات القديمة والحديثة ولا زالت لها وزنها العلمي بين كافة الجامعات العالمية الحديثة، بل لها السمو والعلو عليها؛ لعدم توصل مفكر العصر إلى حلّ طلاسم نظرياتها ومبانيها .

ومن مميزات هذه الجامعة وحدة المصدر العلمي فهو الأستاذ والمشرف والمحقق والمستنبط والمكتشف والمخترع فكان عليه السلام وحده المدرس لأئوف الطلاب ، ولعشرات العلوم والقروع والتخصصات، وحوث هذه الجامعة على أربعة آلاف طالب<sup>(١)</sup>.

وقال الطبرسي : إن أصحاب الحديث قد جمعوأسماء الرواة عنه من الثقة على اختلافهم في التخصص فكانوا أربعة آلاف رجل<sup>(٢)</sup>.

وقال السيد الأمين : فقد جمع الحافظ ابن عقدة الزيدي أسماء الرواة عن أبي عبد الله عليه السلام فكانوا أربعة آلاف ، و جاء ابن الغضائري فامتدرك على ابن عقدة فزاد عليهم<sup>(٣)</sup>.

(١) المناقب: ٣٢٤، كشف الغمة: ٢٢٦، أعيان الشيعة: ٤ ق ٢ / ١٧١.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ٥٣٧، الهامش حثتد الرجال للسفرسي: ١/ ١٥٩، الهامش ٢ عن كتاب أسماء الرجال الذين رروا، الفوائد الرجالية لبحر العلوم: ٦٧/٤.

(٣) أعيان الشيعة: ٤ ق ٢ / ١٧١.



ويحتمل أن للجامعة فرعاً في العواصم الإسلامية وقال الحسن بن علي النوشا: أدركت في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام.

والظاهر لقد تتلمذ على يد الإمام الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup> جلّ علماء المسلمين المعاصرين له؛ وتشرفوا في الجلوس تحت يديه، وأخذ الدرس منه؛ وحننوا إجازات تلك الجامعة المباركة إلى يومنا هذا.

وبعد مضي ما يقارب من ثلاثة عشر قرناً على تأسيس جامعة الإمام الصادق عليه السلام لا تزال العلوم العامة تعود إلى مباني تلك الجامعة، ومن التخصصات: الفقه، الحديث، التفسير، الفلسفة، الأخلاق، وغيرها من العلوم الغربية تستمد من آراء ومباني المؤسس الحكيم والجهيد العليم وإرشاداته القيمة، وهذا دليل على حيوية الجامعة وبيدهية مبانيها وثوابت قواعدها، فبقية ينبوع المغذي لكل مشروع علمي تخصصي في العالم على مر الدهور والأعوام.

شهادات العظماء لها: (للجامعة العلمية ومؤسساتها)

لقد خضعت أقلام العلماء والعظماء إلى عظمة الإمام الصادق وجامعته العلمية، ففاضت أقلام بالتعريف والتقريظ والتبنيان لما قدمت من خدمات علمية للأمة الإسلامية في وقت قلّ وجود المدارس العلمية فيها، ومالت الأمة إلى الإنحراف الفكري وأنقذها الإمام عليه السلام بجامعته. لذا شهد له القريب والبعيد والصديق والعدوّ، وإليكم بعض شهادتهم.

١- قال زيد بن علي بن الحسين عليه السلام: في كل زمان رجل منا أهل البيت

(١) الرجال للنجاشي: ٣١، ضحى الإسلام: ٣/٢٦٢.

يحتج الله به على خلقه ، و حجته في زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يفضل من تبعه ، ولا يهتدي من خالفه<sup>(١١)</sup>.

٢- قال أبو حنيفة : -إمام المذهب - جعفر بن محمد أفتقه من رأيت<sup>(١٢)</sup> وقال : ما رأيت أفتقه من جعفر<sup>(١٣)</sup> بن محمد.

٣- قال مالك بن انس : إمام المذهب - جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث: إما مصلِّ ، وإما صائم ، وإما يقرأ القرآن<sup>(١٤)</sup>.

وقال : ما رأيت عين ، ولا سمعت أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً و عبادة و ورعاً<sup>(١٥)</sup>.

٤- قال المنصور العباسي لابن مهاجر : اعلم أنه ليس من أهل بيت نبوة إلا فيه محدث ، وأن جعفر بن محمد محدثنا اليوم<sup>(١٦)</sup> وقال مخاطباً به : لا نزال من بحرك نفترف و إليك نزدلف ، تبصر من العمى ، و تجلو بنورك الطخياء ، فتحن نعوم في محاب قدسك ، و طامي بحرك<sup>(١٧)</sup> و قال أيضاً : سيد أهل البيت و عالمهم ، و بقية الأخيار منهم<sup>(١٨)</sup>.

(١١) بحار الأنوار: ٤٨/١١.

(١٢) جامع مسانيد أبي حنيفة: ٢٢٢/١.

(١٣) النجوم الزاهرة: ٩/٢.

(١٤) تهذيب التهذيب: ١٠٥/٢ ، حياة الإمام الصادق للسبتي: ١٧ ، أشعة من حياة الصادق: ٥٨/٣.

(١٥) المناقب: ٣٢٥/٢ ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٩/٤.

(١٦) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٧٩/٥.

(١٧) أصول الكافي: ٤٧٥/١ ، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام ، ح ٦ ، بحار الأنوار: ١١.

(١٨) أشعة من حياة الصادق: ٥٠/٣.

٥ - قال أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: جعفر بن محمد الصادق، وهو ذو عم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وله اسوار العلوم<sup>(١)</sup>.

٦ - قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم عليهم السلام ذو علوم جمة وأوراد متواصلة، وزهادة بيتنة، وتلاوة كثيرة يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحر جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب نفسه، رؤيته تذكر الآخرة واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة<sup>(٢)</sup>.

٧ - قال علي بن محمد بن أحمد المالكي: ابن الصباغ - كان من بين اخوته خليفة أبيه ووصيته، والقائم بالإمامة من بعده. برز على جماعتهم بالفضل، وكان أبيهم ذكراً وأجلهم قدراً.

وقال: مناقب إبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فاضلة وصفاته في الشرف كاملة وشرفه على جيهاث الأيام سائلة وأتدية المجد والعز بمفاخره ومآثره أهلة<sup>(٣)</sup>.

٨ - وقال عبد العزيز سيد الأهل: مفخرة من مفاخر المسلمين لم تذهب قط، وإنما بقي منها كل غد قادم حتى القيامة صوت صارخ من حرونها: يعلم الزهاد زهداً، ويكسب العلماء علماً، ويهدي المضطرب، ويشجع المقتحم بهذا الظلم، ويبني للعائلة<sup>(٤)</sup>.

(١) الملل والنحل بهامش الفصل في الملل لابن حزم: ٢٢٤/٦.

(٢) مطالب السؤل: ٥٥/٢.

(٣) الفصول المهمة: ٢٦٦.

(٤) النظر كتاب (جعفر بن محمد): ٦.

## من خريجي جامعة الإمام الصادق

المتخصصون منهم، وأشار إليهم بالبنان، و منهم إجازة النقل  
والرواية، و اهتم بهم فهم :

- ١- أبان بن عثمان الأحمر.
- ٢- أبو أيوب الخزاز.
- ٣- أبو الصباح الكناني، إبراهيم بن نعيم العبدي.
- ٤- السكوني إسماعيل بن أبي زياد.
- ٥- ثعلبة بن ميمون أبو إسحاق الفقيه.
- ٦- حريز بن عبد الله الأزدي السجستاني.
- ٧- زيد الشحام، أبو أسامة الأزدي.
- ٨- سماعة بن مهران الخضرمي.
- ٩- سيف بن عمير النخعي.
- ١٠- عاصم بن حميد الحنطاط.
- ١١- عبد الكريم بن عمرو بن صالح الخثعمي، الملقب بكرام.
- ١٢- عبد الله بن بكير ابن أعين الشيباني.
- ١٣- عبد الله بن يعفور العبدي.
- ١٤- العلاء بن رزيف القلاء.
- ١٥- عمران بن علي بن أبي شعبة الحلبي.
- ١٦- محمد بن علي بن أبي شعبة الحلبي.
- ١٧- مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان.

- ١٨ - محمد بن قيس البجلي .  
 ١٩ - الهراء معاذ بن مسلم بن أبي سارة .  
 ٢٠ - معاوية بن وهب البجلي .  
 ٢١ - المقضل بن عمر الجعفي .  
 ٢٢ - منصور بن حازم البجلي .  
 ٢٣ - يعقوب بن سالم الأحمر .  
 ٢٤ - جميل بن صالح الأسدي .  
 ٢٥ - يحيى بن سعيد الأنصاري .  
 ٢٦ - أبو حنيفة .  
 ٢٧ - معاوية بن عمار الذهني .  
 ٢٨ - سفيان بن عيينه .  
 ٢٩ - أبان بن تغلب .  
 ٣٠ - شعبة .  
 ٣١ - ابن جريح .  
 ٣٢ - حاتم بن اسماعيل .  
 ٣٣ - مالك بن أنس .  
 ٣٤ - حفص بن غياث .  
 ٣٥ - عبدالعزيز الدراوردي<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ الفقه الإسلامي: ١٤١ - ١٤٣.

## قسم الكيمياء في جامعة الإمام الصادق

يعتبر هذا القسم من أحدث الأقسام ابتكاراً. وضمّ خمسمائة رسالة علمية في مختلف فروع علم الكيمياء، وأبرز تلامذة هذا القسم هو: جابر ابن حيان الصوفي الطرسوسي، ويعتد من أصحابه وأحد أبوابه ومن كبار الشيعة ومن كبار مؤلفيهم، أنه كان من عجائب الدنيا، و نوادر الدهر وأن عالماً يؤتف ما يزيد على (٣٩٠٠) كتاب في علوم جلها عقلية و فلسفية، لهر حقاً من عجائب الكون، و مع ذلك يشتغل في صناعة الكيمياء<sup>(١)</sup>.

و قد لعم هذا القسم من الجامعة لما يحمل من بديهيات و مسائل مز عليها ثلاثة عشر قرناً، أو أكثر و لا زالت جديدة في وجودها، وقصر علماء العصر في حل رموزها والوصول الى نتائج علمية تفيد الأمة، وتعز هذه الجامعة و مؤسسها الإمام الصادق الجامعة الكاملة التي تحضر العقل الكامل في كافة التخصصات.

وقال بعض علماء الشرق والغرب في نسبة هذا العلم الى الإمام الصادق وجامعته وأبرز طلابه وأصحابه جابر بن حيان.

قال بطرس البستاني: لقب بالصادق في مقالاته، وفضله عظيم وله مقالات في صناعة الكيمياء<sup>(٢)</sup>. وقال خير الدين الزركلي: صنّف تلميذه جابر بن حيان كتاباً في ألف ورقة، يتضمن رسائل الإمام جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة<sup>(٣)</sup>، وقال (دونالدسن): إن جابر بن حيان تلميذ

(١) أعيان الشيعة: ١١٦/١٥.

(٢) دائرة المعارف: ٤٧٨/٦.

(٣) الأعلام: ١٨٦/١.

الصادق ، و هكذا في تاريخ الأدب (لهوارت) .

وقال: إن جابر بن حيان جمع ألفي ورقة في عمل أستاذه الصادق عليه السلام<sup>(١)</sup>. وقال (فانديك) الهولندي: إن جابراً اشتهر بالكيمياء، وتلمذ على يد الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد أبو زهرة: إن الإمام الصادق كان يلم بالعلوم الكونية والطبيعية، لأنه كان يحكم عليها - أي رسائل جابر - بالصدق أحياناً، وبالغفوض أحياناً، وإن ذلك بلا ريب تصرف العارف بموضوعها، وليس يتصرف الجاهل بموضوعها<sup>(٣)</sup>، وقال يوسف يعقوب مسكوني: هذا الإمام الذي اشتهر علاوة على دينه وتقواه بأمر عديدة منها صناعة الكيمياء فكان مثلاً للإمام<sup>(٤)</sup>.

#### رئاسة قسم الكيمياء في الجامعة

إن نكّل قسم من أقسام جامعة الإمام الصادق عليه السلام رئيساً يقوم بإدارته وله القدرة العلمية والتخصصية في ذلك العلم، فوجدنا أن لقسم الكيمياء قد رشح الإمام عليه السلام جابر بن حيان التوحيدي علماً من أعلام هذه الجامعة العلمية المباركة و قلماً من أقلامها ورمزاً من رموز الشيعة، وقد عرف لدقته و تبحره وسعة اطلاعه في علوم جمّة منها: علم الكيمياء، فبرز بروزاً واضحاً فاق أقرانه وامتاز عنهم فأشاروا له بالنيان أنه اسمه مرفوق

(١) حياة الصادق للسيدي: ١٦.

(٢) أعيان الشيعة: ١١٦/١٥.

(٣) الإمام الصادق الشهرستاني: ١٠٢.

(٤) أشعة من حياة الصادق: ١٢٠/٢.

بالكيميااء، عندما نقول جابر نقول الكيميااء ولا نظير له الى يومنا هذا،  
واليكلم أقول العلماء في جابر وإمامه الصادق عليه السلام.

جابر بن حيان بن عبدالله أشهر من يذكره التاريخ في العصر العربي  
من العلماء، فإن اسمه يقترن من حيث الشهرة و من حيث الأثر النافع  
باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران، و لقد قال فيه الأستاذ  
(برتيلو) المؤلف الفرنسي صاحب كتاب (تاريخ الكيميااء في القرون  
الوسطى) أن اسمه ينزل في تاريخ الكيميااء منزلة اسم (ارسطوطاليس)  
في تاريخ المنطق، فكان جابر عند (برتيلو) أول من وضع لعلم الكيميااء  
قواعد علمية تقترن باسمه في تاريخ الدنيا، وقد عرف جابر بن حيان في  
العالم اللاتيني باسم (جيبس) ثم ذكره ٩٢ كتاباً، مشيراً الى المطبوع منها و  
تاريخ الطبع<sup>(١)</sup>.

وقال خير الدين الزركلي: جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي  
أبوموسى فيلسوف كيميائي، كان يعرف بالصوفي ومن أهل الكوفة، له  
تصانيف كثيرة، قيل: (٢٣٢) كتاباً، وقيل: بلغت خمسمائة، ضاع أكثرها،  
وترجم بعض ما بقي منها الى اللاتينية<sup>(٢)</sup>.

وقال (لوبون) تتألف من كتب جابر موسوعة علمية، تحتوي على  
خلاصة ما وصل اليه علم الكيميااء عند العرب في عصره، وقد اشتملت  
كتبه على بيان مركبات كيميائية كانت مجهولة قبله، وهو أول من وصف  
أعمال التقطير والتبلور والتذويب والتحويل الخ<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الفكر العربي: ٧٠-٨٥.

(٢) الأعلام: ٩٠/٢.

(٣) الأعلام: ٩١/٢.



## المصادر والمراجع

- المناقب .
- كشف الغمة.
- أعيان الشيعة.
- رجال النجاشي.
- ضحى الإسلام.
- بحار الأنوار.
- جامع مسانيد أبو حنيفة.
- النجوم الزاهرة.
- تذهيب التهذيب.
- حياة الإمام الصادق.
- الإمام الصادق.
- أشعة من حياة الصادق.
- الأعلام للزركلي.
- الملل و النحل.
- دائرة المعارف.
- مطالب السؤل.
- الإمام الصادق / الشهرستاني.
- الفصول المهمة.
- تاريخ الفقه الإسلامي.

- تاريخ الفكر العربي.  
المناقب. كشف الغمة.  
أعيان الشيعة.  
إعلام النوري.  
الرجال للنجاشي.  
بحار الأنوار.  
جامع مسانيد أبي حنيفة.  
النجوم الزاهرة.  
تهذيب التهذيب.  
حياة الإمام الصادق للسبتي  
الملل و النحل بهامش الفصل في الملل لابن حزم.  
كتاب (جعفر بن محمد).  
دائرة المعارف.





# الإمام جعفر الصادق عليه السلام

في

مواجهة التيارات الفكرية الزائفة

فضيلة الشيخ جعفر الهادي

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الوضع العقائدي قبل الإسلام

جاء الإسلام والعالم انبشري يعاني من أزمات حادة في شتى مجالات الحياة أبرزها المجال الفكري والعقدي.

وكان أبرز مظاهر هذه الأزمة العقيدية هو:

١- تجسيم الله وتشبيهه سبحانه بالمخلوقين.

٢- الثنوية.

٣- التثليث.

٤- عبادة وتقديس الفرد.

٥- عبادة الأوثان والأصنام.

٦- انجبرية وسلب الاختيار من الإنسان.

وبكلمة واحدة: انعدام رؤية واضحة لمسألة الخالق، ومسألة الكون

والحياة والإنسان وفلسفة الوجود، والعالم الآخر.

وقد جاء وصف هذا الوضع المتدهور في المجال الفكري والعقدي

في ثنايا آيات لا تحصى من القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله محمد

المصطفى وحُطِب الإمام علي والزهاء، وبعض المعصومين صلوات

الله عليهم أجمعين، تعرض عن ذكر نصوصها ونكتفي بذكر عناوينها

رعاية للاختصار<sup>(١)</sup>.

(١) أما في القرآن فراجع جميع الآيات التي تندد بالكفار والمشركين واليهود

### النظام العقيدي أول ما طرحه الإسلام

وكان أول ما عرضه الإسلام على المجتمع البشري يومذاك هو نظام اعتقادي جامع وشامل، ويشتمل بالترابط والانسجام، ويقوم على العقائدية والواقعية.

ولقد كرس القرآن الكريم آيات عديدة جداً ربما تستأثر بثلاثي القرآن لإعطاء صورة واضحة ودقيقة وافية عن «المبدأ والمعاد» وما بينهما من مسائل وقضايا تمت إلى العقيدة بصحة.

وبذل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن بعده، وصيته الإمام علي بن أبي طالب، جهوداً كبيرة وواسعة لترسيخ دعائم وجذور هذا النظام العقائدي، في النفوس والقلوب، وبناء صرح المجتمع الإسلامي على قواعد فكرية

---

→ والنصارى الذين اتخذوا الأنداد والأصنام والأتبياء والرسل آلهة وعبدوهم أو أنكروا بالمرء وجود الله واليوم الآخر وغير ذلك من مسائل العقيدة.

وأما في خطب النبي، وكتبه وكلماته فليراجع ما كتبه أبي ملك الاسكندرية والي المفوس والنجاشي وما قاله صلى الله عليه وآله تفرش في مطلع دعوته وببذء الاعلان عن رسالته، أو ما قاله في الناس قبيل وفاته.

وأما ما ورد عن لسان الإمام علي فراجع خطبه في نهج البلاغة برقم ١ حيث قال: «إني أن بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله.. وأهل الأرض يومئذ ملئ متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبهه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة...».

وكذا راجع الخطبة رقم (٢) و(٢٦) و(١٩٠) على سبيل المثال لا الحصر وراجع أيضاً بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للأبوسي والأصنام للكليبي كشواهد تاريخية.

سليمة، تقيّة من أدراك الشرك والوثنيّة، ومن شوائب التشبيّه والثنويّة. وتنفّت الفطر السويّة والنفوس السليمة هذه الرؤية وهذا النظام العقائدي بالقبول، وإن استقبلها البعض - بعد شيء من العناد والتعصب للمباطل - وانفتحت بصائر الناس في مطلع الإسلام على أفق جديد ورائع في مجال العقيدة، خال عن التعميد، وبعيد عن الخرافة، فاعتنقوا الناس العقيدة الإسلامية، وأحبّوها ونظّموا سلوكهم وحياتهم على ضوء مبادئها، ودافعوا عنها بالنفس والنفيس، وبما منكوه من غاى ورخيص. واستمرّ هذا الوضع حتى أواخر القرن الأوّل الهجري وبالضبط مطلع القرن الثاني الهجري.

#### تردي الوضع العقيدي في مطلع القرن الثاني

ففي مطلع القرن الثاني الهجري على وجه التحديد شهدت الساحة الإسلامية ظهوراً قوياً، وتنامياً متزايداً لاتجاهات فكرية وعقيدية غريبة عن روح وطبيعة النظام الفكري والعقدي الذي جاء به الإسلام الحنيف، وبالأحرى شهدت الساحة الإسلامية في هذه البرهة من الزمان عودة إلى الجاهلية في أخطر أبعادها ومجالاتها وهو المجال الفكري والعقدي، ولكن هذه المرّة في ثوب جديد، وفي صورة آراء ونظريات مدعومة ببعض البراهين، ومكسوة بثوب فلسفي قشيب.

ولم تكن هذه الظاهرة على ما هي عليه من التكاثر لتشكّل خطراً على المجتمع الإسلامي بالغ الشدّة، لولا وقوعها وسيلة بأيدي السلطات



الجائرة، التي كانت تستخدم تلك الآراء المنحرفة والعقائد الزائفة لتبرير مواقفها، وإضفاء طابع الشرعية على سياساتها الهدامة، ونواياها الشريرة. أجل، لقد اتسم مطلع القرن الثاني الهجري بظاهرة ظهور وتنامي معتقدات زائفة كانت تشكل خطراً جدياً، وعظيماً على عقيدة الأمة التي اكتسبتها وأخذتها من العقل؛ ومن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم محمد المصطفى ﷺ ومن كلمات أئمة أهل البيت عليه السلام، وترسخت قواعدها وتجدرت جذورها في أعماق الناس بفضل الجهود الجبارة التي بذلها الرسول الأكرم والأخيار من أصحابه وطلّاح الأمة من الأئمة الأبرار. على أنّ هذه الظاهرة لم تأت بالصدفة، وبين عشية وضحاها طبعاً، ولا من دون أسباب خاصة.

فقد نشأت عوامل وأرضية ظهور الاتجاهات المنحرفة - في الحقيقة - في أعقاب الفتوحات المتلاحقة التي تمت من دون تحسب لمخاطر وآثار هذه الفتوحات التي كانت تتمثل في دخول العقائد والاتجاهات الفكرية الغربية عن طريق الأسرى والسبائا إلى الساحة الإسلامية، وفرض نفسها على ذهنية الأمة، في غياب مراجع الأمة الفكرين وقادتها الحقيقيين الذين اختيروا من قبل الله بعناية بالغة، وزودوا بالمعارف العميقة والواسعة<sup>(١)</sup>.

على أننا لا نشكر مزايا الفتوحات وثمارها الطيبة، إلا أننا ومعنا كل متتبع

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢١١/١، فقد روي عن النبي ﷺ: في كل خلق من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

منصف، لا يستطيع تجاهل آثارها السيئة المتمثلة فيما ذكرناه سلفاً، خاصة أن بعض هذه الفتوحات اقتترنت بالقهر والعنف الذي أورث حقداً، واستتبع كيداً من الأمم المقهورة المغنوب على أمرها، وبخاصة لدى أرباب أديانها، وقادتها الروحيين والدينيين، ونعني أحبارها ورهبانها. ولقد تسبب هذا - كما يتضح لمن يتتبع التاريخ - في حدوث خلط وتختبط في مجال العقيدة بدأت وظهرت بوادره بصورة خفيفة من أواخر المنتصف الأول، وتفاقم أمرها قليلاً قليلاً مع إشراف القرن الأول على الانتهاء، وتنامى - إلى جانب آراء أخرى حديثة الظهور - في المنتصف الأول من القرن الثاني الهجري.

ولقد ساعدت على ذلك عناصر من الذين ضُربت مصالِحهم، وفذت أفكارهم، ممن كانت لهم الكلمة الأولى في انجزيرة العربية وما حولها من اليهود والنصارى، خاصة، وأقطاب المشركين الذين تلفعوا برداء التقاطق. كما ساهمت في إذكاء هذه الفتنة العقائدية والتعجيل في ظهور هذا الإنحراف العقيدي، الحكومات الجائرة وغير الشرعية التي كانت ترى من مصلحتها تقوية ما يُبرر تصرفاتها الشخصية وسياساتها العامة، من العقائد الزائفة كالأمويين الذين كانوا يؤيدون الجبرية، وبكافحون القدرية بمعنى نفي الجبر، أو يؤيدون المرجئة الذين كانوا يبيحون للناس - بحكم عقيدتهم في مرتكب الكبيرة - ارتكاب الفساد في مأمِن من العقاب أو التشنيع في الدنيا، أو كان من مصلحتها اشغال الأمة بالأبحاث الساخنة، وضرب بعضها بالآخر في تنازع عقائدي عقيم في أكثر الأحيان،

لنبقى السنطات والحكام الجائرون المتغلبون في مأمین و منأئى من  
اعتراضات الناس وانتقاداتهم؛ وثوراتهم!!  
ولربما كان تنامي هذه الآراء والأفكار وما تبعه من التنازع والتصارع،  
والجدل الساخن بدافع من هوس بعض الحكام الذين رأوا في هذه  
الحوارات الساخنة والحادة متعة ونذة، كما تدلنا على ذلك شواهد من  
التاريخ .

ونؤكد على أنه كان لإقصاء وتغييب المرجعيات العلمية والفكرية  
الأصيلة المتمثلة في سادة أهل البيت عن الساحة الاجتماعية، وضرب  
الطوق عليهم، أكبر الأثر في تواجد وتنامي هذه الاتجاهات الغربية، وهذه  
الآراء المضادة للنظام العقيدى الإسلامى، وهذا الأمر يحتاج طبعاً إلى  
دراسة واسعة وبحث طويل للوقوف على حقيقة ما قلناه.

وللمثال نقول: ربما كان لأثمة أهل البيت عليهم السلام أسلوب آخر، غير  
الفتوحات العسكرية والدموية لنشر الإسلام وبت تعاليمه في شعوب  
العالم آنذاك.. أسلوب لا يقترن بذكريات وخواطر موزة، بل يقترن  
بذكريات جميلة، أسلوب ليس هدفه إلا نشر العقيدة لا بسط النفوذ،  
والحكم الذي يورث عادة الاحقاد والضغائن.. أسلوب كان أثره عميقاً  
ونقياً وخالداً في النفوس والضمائر، لأنه يقوم على الحجة والندليل، لا على  
السيف والقهر الذي من شأنه أن لا يقترن بالقناعة، والذي يكون بدوره  
متزناً لا مستقراً، لأن العقيدة ما لم تنشأ عن قناعة نفسية وقبول  
وجداني، لا تنفذ إلى الأعماق، ولا يكتب لها البقاء والدوام، لأنه لا تترتاح

اليها الأفئدة، ولا تستريح اليها النفوس.

لقد كان أسلوب الأئمة من أهل بيت النبوة في نشر العقيدة، ومعالجة مسائلها؛ يعتمد على الحوار الحُر، والمناقشة العلمية المصحوبة بالاحترام المتقابل؛ والانتعاق العميق، والزام الطرف الآخر بما التزم به، بعيداً عن السباب والشتائم، والاحتقار والازدراء بأحد أو بعمتد.

وفي هذه الحالة فقط يقترن الاعتناق بالصدق، والاعتقاد بالجد، والقبول بالإخلاص، والآلا تترن بالنفاق والتظاهر والمراوغة والتزوير والترقب لتوجيه ضربة انتقام.

أبرز الاتجاهات الفكرية الزائفة في مطلع القرن الثاني

لعل الجبرية كانت هي أبرز ما تنامي في مطلع القرن الثاني الهجري؛ واشتد دورها؛ وتفاهم خطرهما لشدة الدواعي اليها، وإن كان بروزها يرجع إلى ما قبل هذه الفترة بأعوام أو بعض العقود.

فالجبر الذي من شأنه أن يُبهرر عمل الخاطئين والعصاة، وينقي بالمسؤولية واللائمة على الله سبحانه لا على مرتكبي الذنوب ومقترفي المعاصي يعتبر أفضل وسيلة بأيدي السلطنات الجائرة لتبرير ممارساتها الظالمة بحق الرعايا والشعوب.

عنى أن تاريخ الجبر يعود - على الأقل - إلى ما قبل مجيء الإسلام أي إلى «العهد الجاهلي».

فقد كان الجاهليون الذين تعزفوا على هذه الفكرة يبررون كفرهم،

وإشراكهم للأصنام في الألوهية والربوبية والعبودية مع الله بإذعانهم أنهم مجبولون ومجبورون على الشرك من جانب الله، وأنه لا خيار لهم في ذلك كما قال الله تعالى حاكياً عنهم:

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾<sup>(١)</sup>

واستمرت هذه الفكرة ورواسبها في نفوس البعض حتى من كبار الصحابة والصحائبات، الذين برّروا بها بعض مخالقاتهم واخطأتهم وادّعوا أنها كانت قدراً مقدراً<sup>(٢)</sup>. رغم أن القرآن الكريم كافحها ضمن آيات عديدة فنّدت فكرة الجبر، ونفت أن يكون الله قد جبل أحداً على الكفر أو أجبره على المعصية والإثم، وأكدت على أن الإنسان حرّ في أفعاله، ومختار في تصرفاته، ولذلك يتحمل المسؤولية الكاملة عن أعماله، فيُتاب أو يعاقب بموجبه.

ثم اتخذت عقيدة الجبر وأن الإنسان مسير وليس بمختر كوسيلة لتبرير بعض السياسات التي كانت السفطات الأموية تمارسها، فكانت معاوية أول من اتخذ ذلك عقيدة بصورة رسمية حيث زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها<sup>(٣)</sup>. ولما سُئل عن سبب تنصيب ولده «يزيد» خليفة على رقاب المسلمين قال: إن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة

(١) سورة الأتصام: الآية ١٤٨، ومثلها الآية ٣٥ من سورة النحل، والآية ٢٠ من سورة الزخرف.

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للعلامة جلال الدين السيوطي: ٧٥، ومغازي الواقدي:

٩-٤/٣، وتاريخ بغداد: ١٦٠/١.

(٣) الأوائل لأبي حلال العسكري: ١٢٥/٢.

في أمرهم<sup>(١)</sup>!! وبهذا نفسه أجاب عبدالله بن عمر لما استفسر من معاوية عن تنصيبه يزيد خليفة، إذ قال: إنني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملاءهم وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم<sup>(٢)</sup>!!

والى هذه القضية التاريخية أشار الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة» حيث قال إن معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوة فحسب، ولكن بأيديولوجية تمس العقيدة في الصميم، ولقد كان يعلن في الناس أن الخلافة بينه وبين علي عليه السلام قد احتكما فيها الى الله ففضى الله له على «علي»، وكذلك حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن أن اختيار يزيد للخلافة كان قضاء من القضاء ليس للعباد خيرة في أمرهم، وهكذا كاد أن يستقر في أذهان المسلمين، أن كل ما يأمر به الخليفة حتى لو كانت طاعة الله في خلافه فهو قضاء من الله قد قدر على العباد<sup>(٣)</sup>!!!

بل ونسبوا مصرع الإمام الحسين بن علي في كربلاء الى ذلك أيضاً<sup>(٤)</sup>!!! ولهذا السبب أيضاً كتموا أفواه الذين كانوا يُصرحون بأن الناس مختبرون، وأنه ليست الحكومات الظالمة شيئاً قدره الله عليهم، وأنه ليس لهم الخيار في رفضها، بل وجلدوا وقتلوا أشخاصاً من كبار الشخصيات

(١) الأوتل لأبي هلال العسكري: ١٧١/١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد الكاتب: ١٤٨/٥ طبعة بيروت.

(٣) نظرية الإمامة: ٣٣٤.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد الكاتب: ١٤٨/٥ طبعة بيروت.

والتابعين كالحسن البصري<sup>(١)</sup>، وابن اسحاق<sup>(٢)</sup> وغيلان الدمشقي<sup>(٣)</sup> ومعبد الجهني<sup>(٤)</sup>.

وللأسف اختلقت أحاديث توفّر الغطاء الشرعي لهذا المعتقد على لسان رسول الله ﷺ، ورغم كونها تخالف جميع الأصول العقلية والنقلية التي تصرح بأن الإنسان مختير، وليس بمسير، وأنه مختار في أفعاله وليس بمجبور، نقلها كبار المحدثين الأوائل في صحاحهم ومسانيدهم.

فهذه الروايات التي تقول بوضوح لا إيهام فيه أن كلّ ما عمله الإنسان شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام، أي أنه من المقدرات التي لا مناص منها؛ وأنّ الإنسان - بحكم ذلك - يفعل ما يفعل لا بإرادة منه بل هو شيء جرت به المقادير، وأنه قد كتب عليه عمه كما كتب رزقه وأجله، فهو لا يزداد ولا ينقص، تفيد الجبر الصريح، والمحض والشامل لكنّ أمور الإنسان وشؤونه حتى أفعاله وأعماله الحسنة أو السيئة، وأنه مُيسر لما خلق له، فإن كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة فقط، وإن كان من أهل الشقاء فهو يعمل للشقاء فقط<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ بغداد: ١/١٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ٣٨/٩-٤٦.

(٣) لسان السیران للذهبي: ٤٢٤/٤.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي: ١٤١/٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٢٢٥/١٠.

(٥) راجع صحيح مسلم: ج ٨ كتاب القدر، وجامع الأصول: ١٠/٥١٦ و ٥١٧. وراجع أيضاً كتاب القدر لعبدالله بن وهب بن مسلم القرشي المتوفى عام ١٩٧ بتحقيق الدكتور عبدالعزیز بن عبدالرحمن العثیم مطبوع بمكة المكرمة عام ١٤٠٦، فقد جاء

وهذا لا شك يصيب في مصلحة السلطات الجائرة التي تسعى لتبرير أعمالها، والإيحاء الى الناس بأن الوضع الاجتماعي لا يمكن تغييره أبداً، لأنه شيء قد فرغ منه، فالظالم يجب أن يبقى ظالماً والمظلوم يجب أن يبقى مظلوماً، والقاهر الجابر يجب أن يبقى قاهراً جابراً، والمقهور المغلوب على أمره يجب أن يبقى مغلوباً على أمره.

كما أن هذه الأحاديث بمفادها تدفع بالناصي والمذنب الى مواصلة مسيره المنحرف، لأنه يعلم سلفاً أنه أريد له ذلك، وأنه غير قادر لا على تغيير مسيره ولا على تغيير مصيره.

#### الإمام الصادق في مواجهة الجبرية

وقد نهض الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مواجهة هذه العقيدة الفاسدة في سياق إحيائه لمقاهيم الإسلام الأصيلة وإبطال البدع، فرفع في وجه هذه الفكرة لواء الاعتقاد بحرية الإنسان واختياره في أعماله وتصرفاته، وأعلن بصوت عالٍ عن عقيدة «البداء» التي تعني في حقيقتها أمرين: أولاً: أن الإنسان مختار في أفعاله، وأن في مقدوره أن يغير مسيره وسلوكه إن شاء وأراد.

وثانياً: أن الله تعالى ليس مغلول اليدين، فهو قادر على تغيير مصير الإنسان ومقدوره إن غير الإنسان سلوكه ونهجه، ومسيره.

— في الأخير حديث يقول: إن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله: إن الله يقدر عليّ الشقاء ثم يعذبني عليه؟ قال: نعم!!



وهو تعالى سيدي للإنسان ما خفي عليه، مما كان الله يعلمه بعلمه الأزلي الذي لا تبديل فيه ولا تغيير ولا جهل فيه ولا ترديد<sup>(١)</sup>.

وانطلق الإمام جعفر الصادق عليه السلام في بيان هذا المعتقد والتأكيد عليه من القرآن الكريم والسنة الشريفة اللذين صرحا بكون الإنسان حراً في أفعاله، مختاراً في أعماله، وليس مجبوراً ومسيراً.

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال ثالثاً: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وجاء في تفسير الدر المنثور عن علي عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿يَعِزُّ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ﴾<sup>(٥)</sup> فقال: لأقرن عينك بتفسيرها، ولأقرن عين أمتي بعدي بتفسيرها:

الصدقة على وجهها، وبز الوالدين واصطناع المعروف، يحول الشقاء سعادة ويزيد في العمر، ويقي مصارع التوبة<sup>(٦)</sup>.

(١) لمعرفة حقيقة الهداء التي قال بها أئمة أهل البيت وعلماء مدرستهم كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد رحمه الله تعالى.

(٢) الرعد: ٦٦.

(٣) الأنتقال: ٥٣.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) الرعد: ٣٩.

(٦) الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للسيوطي: ٦٦/٤.

وغير ذلك مما يفيد أنّ فعل الإنسان مؤثر في مصيره، وأنّ الله يغيّر مصير الإنسان إذا غيّر الإنسان مسيره وسلوكه.

ولقد أكّد الإمام الصادق على مبدأ (البداء) في روايات قوية العبارة، صريحة الدلالة لتكون في مستوى عقيدة الجبر المنحرفة التي صار لها جذور عميقة في النفوس؛ بحيث صارت وكأنّها من عقائد الإسلام الأصيلة، واليك طائفة من هذه الأحاديث:

١- عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (الإمام جعفر الصادق): ما عُظِمَ الله بمثل البداء، أي بمثل الاعتقاد بالبداء<sup>(١)</sup>.

٢- عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) يقول: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما قُتروا من الكلام فيه<sup>(٢)</sup>.

٣- عن مرزوم بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول: ما تشأني قط حتى يقرّ الله بخصم خصالي: بالبداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة (أي لله تعالى)<sup>(٣)</sup>.

وغير ذلك من النصوص التي أكّد فيها الإمام جعفر الصادق عليه السلام على أهمية الاعتقاد بالبداء.

على أنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يغفل عن أن ينوّه بالمعنى الخاطئ الذي قد يسبق إلى بعض الافهام الناقصة، أو يحاول من هو من مؤيدي الجبر إلقاء في الأذهان وهو منافاة البداء مع العلم الأزلي الإلهي فقال: «إن الله لم

(١) أصول الكافي للكنيني: ج ١ باب البداء الحديث ١.

(٢) المصدر السابق، الحديث ١٢.

(٣) أصول الكافي ج ١ باب البداء الحديث ١٣.

ببدله من جهل»<sup>(١)</sup> وقال: «من زعم أن الله عز وجل يبدوله في شيء لم يعلمه أمس فأبرأوا منه»<sup>(٢)</sup>.

كما أنه  $\text{ﷺ}$  لم ينس أن يحذر من الوقوع في خطأ آخر عند تفسير البداء، وهو كون الإنسان مختاراً اختياراً مطلقاً كما ذهب إليه المعتزلة، حيث قال: في معرض الإجابة على سؤال من قال: هل الله فوض الأمر إلى العباد: «الله أهر من ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وهو يعني أن القول بأن للإنسان الاختيار المطلق، وأنه إذا اختار عملاً فليس لله مشيئة فيما يقوم به، وأنه يعمل - بعد اختياره - خارج الإذن والمشية الإنهية، تعجيز لله، وتحديد لقدرته المطلقة.

هذا، ولم يكتف الإمام بالأصحاح بمبدأ «البداء» في سياق مراجعته لفكرة الجبر الزائفة، بل صرح كذلك ببطلان الجبر إذ قال في الإجابة على سؤال من قال: أجبر الله العباد على المعاصي؟ «لا»<sup>(٤)</sup>.

وقال: إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم<sup>(٥)</sup>. وسأله آخر قائلاً: جعدت فذاك اجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها<sup>(٦)</sup>.

(١) أصول الكافي: ج ١، باب البداء الحديث ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤، باب انباء الحديث ٣٠.

(٣) أصول الكافي ج ١، الجبر والقدر والأمر بين الأمرين الحديث ٣.

(٤) المصدر الحديث: ٨.

(٥) أصول الكافي: ج ١، الجبر والقدر والأمر بين الأمرين. الحديث: ٩.

(٦) المصدر الحديث: ١١.

ولم يقف الإمام الي هذا الحد - بل تقرأ لأهمية المسألة وبالتالي خطورة فكرة الجبر على الصعيد الفردي والاجتماعي والسياسي - شنع على القائلين بالجبر قولهم بذلك، وحرّم التردّد عليهم ومصاحبتهم فقال: من زعم أن الله يجبر عباده على المعاصي أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته ولا تصلّوا وراءه، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً. (١)

هذه لمحة عابرة حول مواجهة الامام جعفر الصادق لفكرة الجبر الزائفة والتأكيد على المبدأ الاسلامي وهو حرية ارادة الانسان واختياره وقد توسعنا فيها نظراً لأهميتها.

ولم يقتصر عمل الامام الصادق في صعيد مكافحة الاتجاهات الفكرية الزائفة واحياء المبادئ الاسلامية في ما ذكرناه وشرحناه بل كان له مواقف مماثلة مع اتجاهات خطيرة اخرى منها:

#### ١ - المرجئة :

وهم الذين كان لهم رأي جدّ خطير في مرتكبي المعاصي يتلخّص في التركيز على مجزء الايمان القلبي والتقليل من أهمية العمل بل وحذفه من قائمة الايمان حتى أنهم قالوا: لا تضمر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة!!

ومعنى هذا أنهم لا يشترطون العمل في تحقق حقيقة الايمان، ويعتقدون بأن مرتكب المعاصي مهما كانت كبيرة كترك الصلاة والصوم بل وشرب الخمر واقتراض الزنا يكفيه أن يكون مؤمناً في قلبه. فالإيمان هو الملاك الوحيد لتتحقق عنوان المسلم المؤمن مهما خلا من

(١) أصول الكافي ج ١، الجبر.

العمل الصالح، بل وحتى لو اقترنت حياته بالمعصية. ولا شك أن هذا بمثابة اشعال النضوء الأخضر لكل من يرغب في اقتراء المعاصي، وبخاصة من ذوي الأهواء والشهوات الجامحة كالشباب.

كما أنه يصب في خانة الحكام الفسقة ويعزز موقعهم، ولهذا ساعدت السلطات الأموية على ترويح هذه الفكرة. بعد تأييدها. ولعل احجام الحسن البصري عندما سئل حول موقفه من هذه الفكرة وأصحابها عن الاجابة السريعة، هو تخوفه من السلطات التي كانت تدعم هذه الفكرة<sup>(١)</sup>.

وحيث أن هذه الفرقة والفكرة لا تقلان خطورة على الأمة وسلوكها مضافاً الى مضادتهما للمبدأ الإسلامي القائل: الإسلام اقرار وإيمان وعمل، لا إيمان فقط، ولا عمل فقط، لذا فقد نهض الإمام الصادق عليه السلام ضدهما (أي فكرة وفرقة) يوم اشتد ساعدهما وصار لهما أتباع وانصار، وللأسف حتى من كبار الشخصيات الإسلامية<sup>(٢)</sup>!!!

وتركزت مواقف الإمام الصادق من هذه الفكرة والفرقة على ثلاث خطوات:

الخطوة الاولى: بيان حقيقة الإسلام والإيمان وأبعادهما.  
الخطوة الثانية: تطويق هذه الفكرة والفرقة بلعنهم واظهار النفرة منهم بهدف الحجر عليهم وعزلهم عن الأمة.

(١) الفرق بين الفرق للبيهقي: ٢١.

(٢) راجع الإيضاح لابن شاذان المتوفى عام ٢٦٠.

الخطوة الثالثة: تحذير الناس من الاحتكاك بهم، وبخاصة الاولاد والشباب الذين كانوا اكثر تأثراً بهذه العقيدة الفاسدة.

أما في مجال الخطوة الاولى فنورد بعض الاحاديث التي أوضح فيها حقيقة الاسلام والايمان.

١ - عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عن الايمان؟ فقال: شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمداً رسول الله.

قلت: أليس هذا (أي الشهادة بالوحدانية والرسالة المحمدية والنطق بها لساناً) عمل؟

قال: بلى.

قلت: فالعمل من الايمان؟

قال: لا يثبت له الايمان الا بالعمل، والعمل منه (١).

٢ - عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال: سألته (أي سألت الصادق) عن الايمان؟ فقال: شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله، وما استقر في القلوب من التصديق بذلك.

قال: قلت: الشهادة أليست عملاً؟

قال: بلى.

قلت: العمل من الايمان؟

قال: نعم، الايمان لا يكون إلا بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الايمان إلا بعمل (٢).

٣ - عن ابن البخترى عن أبي عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال رسول الله:

(١) أصول الكافي: ٢ / ٣٨ نقل عنه المجلسي في البحار: ٦٩ / ٤٣.

(٢) بحار الانوار: ٦٩ / ٢٢ نقلاً عن الكافي: ٢ / ٣٧.

ليس الايمان بالتعلّي ولا بالتمنّي، ولكن الايمان ما خلص في القلب وصدق الأعمال<sup>(١)</sup>.

وأما الخطوة الثانية فنشير إلى طائفة من الاحاديث التي لعن فيها الامام الصادق (المرجئة) واستنكر عليهم فكرتهم.

١ - عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال «ملعون ملعون من قال: الايمان قول ولا عمل»<sup>(٢)</sup>.

٢ - عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة».

قال (الراوي): قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة، ولعنت هؤلاء (اي المرجئة) مرتين؟!؟

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قسنا مؤمنون قد ماؤنا متطهنة بشياهم الى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا بناء على أصلهم الفاسد وهو أنه لا تقصر مع الايمان معصية وإن كانت قتل نفس معصومة مؤمنة.

وأما الخطوة الثالثة وهي تحذير الناس والشباب خاصة من الاحتكاك

(١) بحار الانوار: ٦٩ / ٧٢ نقلاً عن معاني الاخبار: ١٨٧.

(٢) بحار الانوار ج ٦٩.

(٣) اصول الكافي: ٢ / ٣٠٠.

بهم ومرادتهم فنورد بعض الأحاديث الدالة عليها.

١ - عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: لا تجالسوهم - يعني المرجئة - لعنهم الله ولعن (الله) ملههم المشركه الذين لا يعبدون الله على شيء من الأشياء<sup>(١)</sup>.

٢ - عن جميل بن دراج وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم اليهم المرجئة<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن جميل بن دراج أيضاً عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: «بادروا أحداً منكم بالحديث قبل أن تسبقكم اليهم المرجئة»<sup>(٣)</sup>.

٤ - المعتزلة: وقد ناقشهم الامام الصادق عليه السلام في جملة من القضايا<sup>(٤)</sup>، كما أنه رد الناس عنهم ونهاهم عن اتباعهم<sup>(٥)</sup>.

٥ - الزنادقة والملاحدة والطيحون: مثل أبي شاعر الديصاني وعبد الملك وابن أبي العوجاء وابن المقفع، فقد ناقشهم الامام الصادق عليه السلام وأبطل معتقداتهم وفتد افكارهم الفاسدة، وخبب آمالهم في مواجهة القرآن ومفاهيمه العظيمة<sup>(٦)</sup>.

(١) فروع الكافي: ٥ / ٤١٠ الحديث ٦.

(٢) فروع الكافي للكليتي: ٦ / ٤٧، الحديث ٥.

(٣) التهذيب للطوسي: ٨ / ١١١ الرواية ٣٠.

(٤) فروع الكافي: ٥ / ٢٣ و ٨ / ٣٩٩ والتهذيب للطوسي: ٦ / ١٤٨.

(٥) أصول الكافي: ١ / ٣٥٦.

(٦) أصول الكافي: ١ / ٧٣ - ٧٥ و ١٢٥ والاحتجاج للطبرسي.



٤ - العلاة في رسول الله وعلي صلوات الله عليهما: فقد ردّ عليهم بشدة، وقد دعواهم<sup>(١١)</sup>.

٥ - بعض أئمة المذاهب الإسلامية كالإمام أبي حنيفة والقاضي أبي ليلى حيث أخذ عليهم منتهجهم في عملهم الفقهي<sup>(١٢)</sup>.

٦ - الزيدية: حيث ناقشهم في ما ذهبوا إليه من الإمامة، ونتبهم على خطأهم في هذا المجال.

وغيرهم، معن لا تسع هذه الرسالة كما لا يسع الوقت لذكرهم والندخول في تفاصيل ما دار بينه (ع) وبينهم.

على أن الإمام الصادق (ع) قام بأكثر هذا بنفسه، ولكنه رتب إلى جانب ذلك شخصيات علمية قوية قامت إلى جانبه بالدفاع عن أصول الإسلام ومبادئه.

كما وألف هو وتلامذته وأصحابه كتباً في هذه المجالات لتكون مرجعاً فكرياً للأمة ولشيعته خاصة من بعده.

هذا غيض من فيض من نشاطات الإمام الصادق (ع) في صعيد مواجهة التيارات والأفكار، والاتجاهات التي اختطت لنفسها عمداً أو جهلاً، عن قصد وعن غير قصد طريفاً غير الطريق الذي رسمه الإسلام في حقل

(١١) راجع بحار الأنوار ج ٢٥.

(١٢) راجع الاحتجاج للطبرسي: ١١١/٢ - ١٥٨، واحتجاجاته.

العقيدة وربما في بعض الحقول الأخرى.

وقد استقطب الإمام الصادق ونهجه في المنافحة عن حوزة الدين والعقيدة في الاغلب اهتمام العلماء واعجابهم، كما وساعدهم على تصحيح افكارهم، وتعديل آرائهم والعودة الى جادة الحق والصواب عن رضى وقناعة.

فكان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بحق حارساً أميناً لشريعة جده المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، بل والمجدد لدينه، والمحيي لتعاليمه، والمبقي على آثاره: وهو الأمر الذي اعترف به الكثير الكثير ولم يصل اليه من ذلك إلا القليل القليل.

وفقنا الله وإياكم لانتهاج نهجه، والاستفادة من علومه، والسير على خطاه، آمين رب العالمين.





**الدوافع السياسية  
وراء نشوء المذاهب والفرق  
ومواجهة الإمام الصادق عليه السلام لها  
«المرجئة نموذجاً»**

**مؤيد العبيدي**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل

أسباب نشوء الفرق في مقابل مدرسة أهل البيت عليهم السلام

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، وبعد نقض العهود وبنود الصلح التي أبرمها معاوية بن أبي سفيان مع الإمام الحسن عليه السلام، عاشت الأمة الإسلامية مخاضات عسيرة وتقلبات وتراجعات خطيرة، بسبب تطبيق الأطروحة الأموية التي كانت تستهدف إنهاء المشروع الإسلامي الذي أرساه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أرسله رب العالمين بشيراً ونذيراً ليقوم الناس بالقسط والاستقامة تحت ظل الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يُبْتَغِ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

وبعد أن استوسقت الأمور لمعاوية بن أبي سفيان استخدم عدّة وسائل لاختضاع الأمة الإسلامية إلى إرادته وإخماد أي صوت يعارض سلطته، فاعتمد منهجاً ذا خطوات خطيرة لتطبيق أطروحته ومشروعه لتبديل الإسلام بالجاهلية الأموية، ومن هذه الخطوات والأساليب ما يلي:

## ١. الارهاب المنظم

الذي يُسمى اليوم بمصطلح ارهاب الدولة، اعتمده معاوية بن أبي سفيان، والوثائق التي تؤكد ذلك هي أنه اعتمد على ولاية اربابيين يسومون الناس بالتنكيل والتعذيب كزياد بن أبيه والي الكوفة الذي قام خطيباً ومهدداً لأهلها بأنه سيأخذ البريء بالمسيء، وإن حادثة حجر بن عدي الكندي واعدامه مع أصحابه شاهد على ذلك، وقتل ميشم التمار وقطع لسانه وأطرافه، تلك أعمال ارهابية كان يعتمدها ولاية معاوية لاختضاع الأمة الى سلطانه عن طريق القهر والتسوية.

ذكر الثقيفي في كتاب الغارات ما نصه: «أرسل معاوية عام ٤٠ للهجرة بسر بن أرطاة على رأس جيش من ثلاثة آلاف مقاتل، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي الى اليمن، وقال له: لا تنزل على بليد أهله على طاعة عمي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنه لا نجاة لهم منك، وأنتك محيط بهم، ثم الحفن عنهم وأدعهم الى البيعة لي، فمن أبي فآقتنه واقتل شيعة علي حيث كانوا»<sup>(١)</sup>.

فأقبل بسر بن أرطاة بنفذ أوامر معاوية بحرق دورهم ويخزيها وينهب أموالهم؛ فقتل أثناء ذهابه ورجوعه الى الشام ثلاثين ألفاً، وعندما توجه الى حضرموت قال: «أريد أن أقتل ربع حضرموت».

وبهذه السياسة نجح معاوية في فرض سيطرته كأمر واقع، فاستخدم جميع وسائل الارهاب والارعاب من قتل وتخريب وحرمان وطررد وتهجير، فقد أجبر زياد بن أبيه والي العراق خمسين ألفاً على التزوح من

(١) الغارات، للثقيفي: ٥٩٨.

الكوفة الى خراسان بهدف القضاء على المعارضة في الكوفة وخراسان»<sup>(١١)</sup>.

وبذلك حاول معاوية أن يسلب إرادة الأمة ويكسر أفراسها لاشاعة سياسة ازهاب ائدولة المنظم، بالاضافة الى أسلوب التجويع واثارة النزعات القبلية بين العشائر ليسهل السيطرة عليها.

## ٢. أسلوب صناعة المذاهب والفرق المعادية للإسلام:

وهو من أخطر الأساليب الذي واجهته الرسالة الإسلامية وأبناؤها، فتعرضت الأمة ورسالتها الى انتكاسات خطيرة بفعل هذه الأساليب، وهو الأسلوب الذي يستهدف ضرب البنى التحتية للفكر الإسلامي، فاستهدف معاوية الاطار الفكري والمعائدي للإسلام محطماً بذلك الحالة الروحية والمقدساتية التي تربي عليها جيل الصحابة والتابعين بعد النبي صلى الله عليه وآله. ونعني بهذا الأسلوب: مواجهة الخصم بنفس المبادئ الفكرية والمعائدية التي يحملها وبنفس الشعارات التي يرفعها ليكون الصراع في داخل الاطار والنظرية، ويسمى هذا النوع بسياسة «الضد الشوعي»، وهو من المصطلحات السياسية الحديثة، ومن معالم هذا الاسلوب الذي اعتمده معاوية ما يلي:

أ- اختلاق ووضع الاحاديث ونشر الأكاذيب المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله محاولاً قلب الحقائق والمفاهيم المقدسة. وكان ذلك على مستويين، الأول: يستهدف ضرب آك بيت الرسول صلى الله عليه وآله وبالخصوص هلي

(١١) ثورة الحسين. محمد مهدي شمس الدين: ١٣.



ابن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام. والثاني: يستهدف إيجاد الشرعية والتمكين له من خلال مدحه هو وبني أمية في هذه الأحاديث الموضوعية وهم الأعداء التقليديون للإسلام.

فعلى المستوى الأول حاول معاوية تدمير الحالة المقدسة التي أرسها نبي الإسلام والقرآن الكريم في حق علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام الكرام، ذكر المرحوم محمد مهدي شمس الدين في كتابه: (ثورة الحسين): «كتب معاوية إلى ولاته بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرءون منه»<sup>(١)</sup>.

وأكد ذلك صاحب كتاب التحركات السرية في الإسلام قال: «إن هذه السياسة حققت نجاحاً في صورة تسليم تام وخضوع أعمى للحكم الأموي»<sup>(٢)</sup>.

ب- اختلاف مذاهب وفرق إسلامية في مقابل مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتستهدف هذه الخطوة إيجاد المبررات الشرعية للحكم الأموي لاضفاء الشرعية لما يمارسه معاوية من ارهاب وارعاب وتضليل وتزييف، فنراه قد تبنى ورعى فرقاً ومذاهب تحمل عناوين إسلامية تم صياغتها في إطار عقائدي يتحدث عن الإمامة والمعاد والجنة والنار والشقاعة والحساب. ومن أهداف هذه الخطوة هو تحطيم البناء الروحي والعقائدي والفكري للدين الإسلامي بحيث يأخذ الوعي الإسلامي بالانحسار ليصبح الإسلام

(١) ثورة الحسين، محمد مهدي شمس الدين: ١٦٤.

(٢) التحركات السرية في الإسلام، محمد اسماعيل: ٩٣.

في وجدان الأمة شيئاً هامشياً في حياة المسلمين يمكن التخلي عنه وعن مبادئه، يقول صاحب كتاب اليمين واليسار: «فمعاوية أول من قال بانحسار، ودافع عنه ليظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ليحمله عُذراً فيما يأتيه ويؤهم أنه مصيبٌ فيه وأن الله جعله إماماً وولاه أمره»<sup>(١)</sup>.

وقد كان معاوية يردد كثيراً الآية القرآنية: (قرئ الملك من نساء)<sup>(٢)</sup> وبناءً على ذلك فكل سلوك معاوية يستمد شرعيته من هذا الاختيار.

أما الأشعري فقد ذكر: «أما المرجئة فكانوا عوناً وسنداً للحكم معاوية جاءت آراؤهم ومعتقداتهم تبريراً لخلافته واقتناعاً للمسلمين بوجود طاعته، ويرى المرجئة في مرتكب الكبيرة التوقف في الحكم وارجاء الأمر له سبحانه وتعالى»<sup>(٣)</sup>.

فمعاوية بن أبي سفيان بنى القول بالارجاء الذي يبرر الجرائم الكبيرة التي يرتكبها في حق الإسلام والمسلمين، وهذا الأسلوب الذي اعتمده معاوية أدى إلى نشوء فرق ومذاهب واتجاهات مدعومة من السلطة الحاكمة وبدوافع سياسية بحتة تهدف إلى اضعاف الشرعية للحكم الأموي في مقابل مدرسة أهل البيت عليه السلام، وكان من نتائج الصراع الذي خاضه معاوية مع علي بن أبي طالب عليه السلام ظهور مدارس أخرى كالخوارج والمعتزلة، فترك معاوية - نتيجة هذا الأسلوب - الباب مفتوحاً أمام الطامعين والناهيين والماكرين لكي يجتهدوا حسب الأهواء والاطماع التي تفرضها السلطات الجائرة.

(١) اليمين واليسار في الإسلام: ١٥٨.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري: ١٤٦.

### دور أئمة أهل البيت عليه السلام تجاه هذا الانحراف

عند دراستنا لمسيرة الأئمة الأطهار عليه السلام نجد هذه المسيرة المباركة قد استهدفت جانبين يرسمان دور الأئمة عليه السلام في حركتهم كأمناء على الرسالة الإسلامية والأمة، وهذان الجانبان هما:

الأول: حماية الرسالة الإسلامية وتحصينها من الانحراف وتثبيت أحكامها الواقعية ونظريتها الشاملة والوقوف بوجه الانحراف العقائدي الذي أفرزته الأوضاع القائمة بعد تصدي غير المؤهلين للزعامة الإسلامية.

الثاني: حماية الأمة الإسلامية وتحصينها من الاعتراف والأخذ بيدها إلى الطريق المستقيم وربطها برسالتها المقدسة وتربيتها وتحديد وظيفتها ومسؤوليتها الشرعية.

إذن كان الأئمة الأطهار عليه السلام يمارسون دوراً عظيماً من أجل تحقيق هذين الهدفين الكبيرين وفي ظل ظروف سياسية عصبية ضاغطة ومواجهة محتدمة مع الظلمة وأهل الجور، فإن مهمة الإمام تتركز على الحفاظ على الرسالة والأمة من الاتدثار والتحلل، فهي مهمة صعبة وعسيرة للغاية فيصدق على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن...»<sup>(١)</sup>

لأن الإمام هو ممثل النبي عليه السلام وخليفته وأمينه على وحيه، وهو الفاروق بين الحق والباطل وهو معدن العلم والطهارة، وأمان أهل الأرض

(١) بصائر الدرجات: ٤٦.

كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفة.

اذن فالائمة الأطهار يمشون المشروع الإسلامي الحضاري الصافي لتبليغ رسالة الله تعالى، فقوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»<sup>(١)</sup>. إن الهداة هم أئمة أهل البيت عليه السلام كما أثبتت التجربة ذلك، كذلك يدل على ذلك قول هارون الرشيد لابنه المأمون عندما سأته عن الرجل الذي أكرمه وأجلسه الى جانبه وأمر وزراءه بأخذ الركاب له فوصف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قائلاً له: «يا بني هذا إمام الناس بالحق وأنا إمام الناس بالقهر والغلبة»<sup>(٢)</sup>.

والائمة الأطهار عليه السلام كانوا يمثلون المرجعية الفقهية والعلمية للأمة الإسلامية، فكان العلماء يفتون ويقصدون أهل البيت عليه السلام ويرجعون اليهم؛ وقد أحصي تلامذة الإمام الصادق عليه السلام فيبلغوا أربعة آلاف شيخ من شيوخ الحديث، فهذا حسن الوشا يقول: «دخلت مسجد الكوفة فوجدت تسعمائة شيخ كلهم يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق، وكانوا يقصدون الإمام من بلاد بعيدة جداً ما وراء النهر ويأتون الكوفة أو المدينة يتلمذون على يديه»<sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أنّ من جملة تلامذة الإمام الصادق عليه السلام كانوا أئمة المذاهب الإسلامية كمالك بن أنس، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني، ويحيى بن سعيد وغيرهم من

(١) الرعد: ٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٦ / ٤.

(٣) مقال العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي، مجلة البلاغ العدد (١٢) الصادرة في لندن.

العلماء والمحدثين والفقهاء أمثال أيوب السجستاني، وشعبة بن الحجاج، وعبدالمك بن جريح وغيرهم<sup>(١)</sup>.

فالإمام الصادق عليه السلام فتح باب التخصص العلمي في الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات والكيمياء.

وتخصص زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وجميل بن دراج، وحمزان بن أعين، وأبي بصير، وعبدالله بن سنان في الفقه وأصول التفسير.

كل ذلك كان ضمن النشاط الكبير الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام في إبراز وجه الإسلام العظيم المشرق، وحدد إطار الفكر الإسلامي ليشمل جميع جوانب الحياة، فكان بحق عليه السلام أميناً محافظاً على رسالة جده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فواجه في ذلك كل التيارات التغريبية الدخيلة على الرسالة الإسلامية.

الموقف المبني الحاسم للإمام الصادق عليه السلام تجاه السلطات الجائرة

نقل الشيخ الصدوق: قال الصادق عليه السلام: «أيتما رجل كان بينه وبين أخ له مارة في حق، فدماه إلى رجل من إخوانكم ليحكم بينه وبينه فأبى إلا أن يرفعه إلى هؤلاء، كان بمنزلة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾»<sup>(٢)</sup>

(١) الأئمة الاثنا عشر، عادل الأديب: ١٧٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ابن بابويه ٢، ٤.

إن أوامر الإمام وتوجيهاته التي أصحابه وشيعته بقرار المقاطعة مع الحكومات المنحرفة حيث كان يقول عليه السلام: «لا تعهم على بناء مسجد»<sup>(١)</sup> وكان يقول عليه السلام: «إياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، أما مؤمن قدم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر فتضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الحكم».

وهذه النصوص تبين أن الإمام الصادق عليه السلام كان حازماً وحاسماً في موقفه السياسي وتعامله مع السلطات الجائرة آنذاك، لأن حكوماتهم كانت غير شرعية وإنما جاءت عن طريق القهر والغلبة.

وهذا ما يبرز لنا بأن المعارضة الحقيقية لحالة الانحراف الذي يقوده الحكام الأمويون والعباسيون كانت تتمثل بمدرسة أهل البيت عليه السلام الذين كانوا يحملون مشروعاً حضارياً يتمثل في إعادة بناء الأمة الشاهدة والحفاظ على مبادئها السامية، ولذلك نرى أن السلطات القائمة آنذاك قامت في مواجهة مشروع الأئمة الأطهار ضمن الأساليب التالية:

١- العمل على حل وتفكيك هذا التيار الموالي الذي يمثل السند الحقيقي للأئمة الأطهار عليه السلام، فعملت السلطات على احتوائهم واختراقهم ولكنها لم تفلح، فقد سعى المأمون العباسي مثلاً لاحتواء ثورات العلويين من خلال إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام لكنه لم ينجح؛ لأن الإمام عليه السلام أعين أنه قابل بهذه الولاية بشرط أن لا يتقضى أمراً أو يبرمه ولا يعزل والياً أو ينصبه وصار معلوماً عند الناس بأنه قبل هذا المنصب تحت التهديد والاجبار، فانتجأت السلطات الأموية والعباسية إلى أساليب أخرى

(١) المكاسب المحرمة، الامام الخميني ٢: ١٠٢، الوسائل باب التجارة: ٤٢.

كالتشويه والتضليل، كما رأينا في الأسلوب الذي اعتمده معاوية بن أبي سفيان، فأعلن حكام بني العباس بأن محمد الباقر وجعفر الصادق قد تنصرا، هذا بالإضافة إلى أسلوب الاستدعاء والسجن والقتل. ولكن صمود الأئمة الأطهار بوجه الطغيان مع أصحابهم الهداة كان عاملاً مهماً في بقاء الإسلام إلى يومنا الحاضر<sup>(١)</sup>.

٢- العمل على احتواء جهود الأئمة الأطهار وتباعثهم في تقويض عروش الظلمة، وفي هذا الخصوص نقل في كتاب محاضرات في التاريخ الإسلامي ما نصه: والعباسيون لم تكن تنجح حركتهم بقلب نظام الحكم الأموي إلا بعد أن رفعوا شعار: «الرضا من آل محمد» واستغلوه استغلالاً ميكافيلياً لامتناس العواطف العلوية وقواعدها الشعبية باعتبار أن آل البيت يمثلون أقوى الوجودات المعارضة للسياسة الأموية من ناحية، فضلاً عن تبييتهم قضية العدالة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

ولكن الإمام الصادق أدرك خطورة استغلال هذا الشعار: «الرضا من آل محمد» الذي يؤكد أن الأمة عرفت أحقية أهل البيت وأن الجماهير ارتبطت وجدانياً مع قادتها الحقيقيين الذين طهرهم الله من الرجس. ولهذا فالعباسيون ركبوا موجة المد الثوري ضد الأمويين الذي صنعه الإمام الحسين في نهضته العملاقة التي أنقذت الإسلام وانتزعت الشرعية من الطغاة وحزرت إرادة الأمة فانطلقت الثورات تشرى حتى انتهت بتقويض الحكم الأموي. الإمام الصادق أدرك ذلك وهو يراقب

(١) مجلة البلاغ العدد (١٢١) مقال الشيخ محمد مهدي الآصفي، لندن ٢٣/٧/٢٠٠١م.

(٢) محاضرات في التاريخ الإسلامي ٣: ٢٢.

الأحداث ومسيرتها، فالعباسيون قلبوا ظهر المجن كما يقال؛ وعليه فإنه عليه السلام رفض كل العروض من قادة بني العباس؛ فهذا أبو مسلم الخراساني كان قد كتب للإمام الصادق عليه السلام كتاباً جاء فيه: «إني قد أظهرت الكفنة ودعوت الناس عن موالاته بني أمية إلى موالاته أهل البيت عليه السلام فإن رغبت فلا مزيد عليك»<sup>(١)</sup>.

ولكن كان جواب الإمام الصادق عليه السلام حاسماً مدركاً للأوضاع القائمة آنذاك، فانتزع الشرعية لحركة أبي مسلم الخراساني ولم يؤيدها محذراً الأمة من احتواء المعارضة الحقيقية المتمثلة بأهل البيت عليه السلام، فقال له: «مأت من رجالي ولا الزمان زمني»<sup>(٢)</sup>.

وللإمام الصادق عليه السلام موقف آخر مع تقيب العباسيين وهو أبو سلمة الخليل عندما راسله حول نفس الموضوع بقيادة الثورة فكان جوابه عليه السلام: «ما أنا وأبو سلمة وأبو سلمة شيعة لغيري» فأخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق وقال للرسول: عوف صاحبك بما رأيت»<sup>(٣)</sup>.

كل ذلك يكشف أن الإمام الصادق عليه السلام كان دقيقاً يتابع الأحداث السياسية ويدرس الأوضاع بدقة مشخفاً للظروف الموضوعية المحيطة به، فلا يتساق مع حالات الصراع السياسي مستنكراً لكل الأهواء والأطماع التي تحرك ذلك، فانصاح عليه السلام إمام هادي مهدي ليس من طبيعه المغامرة ولكنه ينهض بالأمر متى ما توفرت له الظروف المناسبة لذلك، كما قال لسدير عندما مشى معه إلى ينبع وهو ينظر

(١) الملل والنحل لشهرستاني ١: ٢٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مروج الذهب، المسعودي ٣: ١٨٤، الآداب السلطانية: ١٣٧.



اني قطع من الجداء «والله يا سدير لو كان لي شعبة بعد هذه الجداء ما وسعني القمود»<sup>(١)</sup>.

### مواجهة الإمام الصادق عليه السلام للفرق والمذاهب المنحرفة

في عصر الإمام الصادق عليه السلام كان هناك نشاط ونمو للمدارس التي اعتمدت القول بالرأي تارة والقول بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف تارة أخرى.

والملاحظ أيضاً نشوء تيارات مذهبية أخرى معادية لمدرسة أهل البيت عليه السلام، فتصدى كل من الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام إلى تفتيد مزاعم هذه التيارات الفكرية والعقائدية والسياسية وأبرزوا عقيدة الإسلام الحق في شتى المسائل. وفي هذا المجال ذكر صاحب الأصول العامة لنتفه المقارن: «يقول ابن جميع دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصيرة وفناء في أمر الدين، قال: لعنه يقيس أمر الدين برأيه؟ ثم قال الإمام عليه السلام لأبي حنيفة: يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: أقول من قاس أمر الدين برأيه ابليس... إتق الله ولا تقس الدين برأيك»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الاستاذ عادل الأديب: «وقد أفادت المعركة التي خاضها أهل البيت عليه السلام إلى التخفيف من حدة سير مدرسة الرأي كما أنها مهتدت لظهور مدارس معارضة لها وهي مدرسة الحديث... وقد قامت كرد فعل لما حصل لهذه المدرسة من التطرف في الأخذ

(١) الكافي، الكليني ٢: ٢٤٢.

(٢) الأصول العامة لنتفه المقارن، ٣٢٩.

بالرأي والاعراض عن الحديث، وقد وقف أهل البيت ضد هذه المدرسة ورفعوا شعارهم المعروف: «إن دين الله لا يصاب بالعقول»<sup>(١)</sup>.

وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام أيضاً نشطت آراء ودعوات فكرية إلحادية تغاضى عنها الحكام العباسيون، يقول فلهاوزن في كتابه الدولة العريية: «نشطت جميع المبادئ الهدامة على شكل حركات فكرية كمحركات الزندقة فقد جمع العباسيون الزنادقة حولهم ولم ينبذوهم إلا فيما بعد»<sup>(٢)</sup>. ويعتبر ذلك مؤشراً خطيراً في السماح لإدخال الفكر الهدام المنحرف داخل الوسط الإسلامي، يقول الدوري: «وقد انطلقت كثير من الدعوات الإلحادية باسم المانوية والمزدكية والخرميتية والزرادشتية»<sup>(٣)</sup>.

فكان للإمام الصادق عليه السلام دور التصدي لهذه الدعوات فاستغل فترة الانتقال بين نهاية الحكم الأموي وبداية ظهور الدولة العباسية جمعته في مأمن من بطش الحكام ورقابتهم ففند آراء الزنادقة والغلاة والوضاعين وأهل الرأي والمتصوفة، فقاوم الإمام الصادق عليه السلام هؤلاء جميعاً وصارعهم على صعيد العلم وكشف خطورة اتجاهاتهم للأمة<sup>(٤)</sup>.

ويقول حسين الشاكري: «كما أعلن عليه السلام براءته من الغلاة ويقول لأصحابه: «لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤازروهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأئمة الاثنا عشر، عادل الأديب: ١٦٤.

(٢) الدولة العريية، فلهاوزن: ٤٨٩.

(٣) الجذور التاريخية للشعبية لدوري: ٤٦.

(٤) الأئمة الاثنا عشر، عادل الأديب: ١٧٢.

(٥) نشر المذاهب والفرق، حسين الشاكري: ١٤٤.

### الدوافع السياسية وراء نشوء بعض الفروق والمذاهب «المرجئة نموذجاً»

#### عقيدة المرجئة وسبب التسمية

إنما سموا مرجئة لأنهم أخرروا العمل عن الإيمان، والإرجاء بمعنى التأخير، فقالوا: «إن الأصل في الدين الإيمان، أما المحاسبة على الذنوب والآثام مهما كبرت فيتبني أن تُرجأ أي تؤجل إلى يوم الحساب يوم يكون الحكم لله وحده»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الأثير: إن سبب التسمية بالمرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعديبهم على المعاصي<sup>(٢)</sup>.

#### الغلو في عقيدة المرجئة

أشار ابن حزم الأندلسي إلى غلاة المرجئة وانحرافاتهم العقائدية المخالفة لما جاء به الإسلام قائلاً:

«غلاة المرجئة طائفتان: إحداهما الطائفة القائنة بأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من أهل الجنة».

وهذا قول محمد بن كرام السجستاني وهو بخراسان وبيت المقدس .  
الثانية: الطائفة الغائلة أن الإيمان عقد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه بلاقية وعبد الأوثان ونزح اليهودية والنصرانية في دار الإسلام وعبد

(١) موسوعة المورد الكبير، منير العليبي، ٧: ٨٣.

(٢) للنهاية، باب المرجئة لابن الأثير.

الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ولبي الله عز وجل من أهل الجنة»<sup>(١)</sup>.

ثم يضيف ابن حزم قائلاً: إن هذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله ﷺ وخلاف إجماع أهل الإسلام المتيقن<sup>(٢)</sup>.

وفي الحقيقة والواقع إن هذه الأفكار تقطر كفراً وضلالاً، والذي يبدو أن هذه الفكرة لها علاقة واشتراك بما يطرحه الفكر اليهودي الذي يتبنى مبدأ تقويم وتسطيح قانون العقوبات الإلهية، فاليهود كانوا أسبق الناس إلى الدعوة بإسقاط قانون العقوبات الإلهية، فأشار القرآن الكريم إلى مبدأ اليهود هذا بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمُتَ النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إذن المسألة مسألة افتراء وتغريب في الدين وادعاءات كاذبة، فهذه العقائد تعطي اجازة مفتوحة للمتسطين وأهل الجور والمتفذين بأن يعيشوا في الأرض فساداً ولا شيء عليهم، فهم من أهل الإيمان وأهل الجنة وإن أعلنوا النصرانية والتثليث ولازموا اليهودية وأشركوا بالله!! انظر إلى مدى الخطورة والجرأة على الله وعلى الإسلام فكيف رعى الأمويون والعباسيون مثل هذه الأفكار وتبنوها في مقابل مدرسة أهل البيت عليه السلام.

(١) الفصل بين الملل والأهواء والنحل ٢: ١١٢، لابن حزم الأندلسي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) آل عمران: ٢٤.

## «الضد النرمي»

يعتبر العامل السياسي من أهم العوامل التي ساهمت في نشوء فكرة الإرجاء وخصوصاً في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي تبنته عقيدة المرجئة؛ لأنه وجد فيها ضالته التي تبرر سلوكه السياسي وتعامله في تطبيق المشروع الأموي الذي يستهدف هدم الإسلام وتقويضه كما ذكرنا سابقاً.

وفي هذا المضممار يقول الأشعري القمي: «وأما المرجئة فكانوا عوناً وسنداً للحكم معاوية، جاءت آراؤهم ومعتقداتهم تبريراً لخلافته وإقناعاً للمسلمين بوجوب طاعته، ويرى المرجئة في مرتكب الكبيرة التوقف في الحكم وإرجاء الأمر له سبحانه»<sup>(١)</sup>.

وفي عملية تبادل للأدوار بين معاوية وأهل الإرجاء يقول صاحب كتاب الحركات السرية في الإسلام: «وكان موقف المرجئة السابق من معاوية عندما انتهى الصراع السياسي بغلبته في اسناد حكمه وتجنيد الطاقات لتبرير خلافته واقناع المسلمين بطاعته الأثر الفعال في استمرار المرجئة، إذ الأمويون بطشوا بكافة الفرق الإسلامية باستثناء المرجئة وعاش شيوخهم مرفهين برعاية بني أمية في الشام والبصرة، لذلك كانت القرصة أمامهم كبيرة لنشر المذاهب بين أهلها»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الخصوص يقول الدكتور محمد جواد مشكور: «نشأت المرجئة بمناسبة الحملات التي حملها الشيعة والخوارج على بني أمية

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري القمي: ١٤١.

(٢) الحركات السرية في الإسلام: ٤٠.

وعملت على أنه يجب على الأمة الرضوخ لسلطة الأمويين وتأجيل الحكم عليهم بالشرك والتكفير إلى يوم الدين»<sup>(١)</sup>.

وهذه النصوص تؤكد لنا أن المرجئة نشأت بدوافع سياسية خبيثة وأن رجالات المرجئة وعلماءهم عملوا وعاظوا للسلطين وفقهاء في قصور الأمويين يبررون الجرائم والكبائر الأموية التي جرت على الإسلام والمسلمين الريلات والدمار؛ يقول أبو الفرج الاصفهاني: «ومن هنا لم نزل أن الأمويين اضطهدوا مرجئاً لارجائه كما كانوا يضطهدون المعتزلة لاعتزالهم والخوارج لخارجيتهم والشيعة لتشيعهم، بل كانوا يستعملون من عُرف بالارجاء في أعمالهم كما فعل القائل الأموي المعروف يزيد بن المهلب مع ثابت بن قظنة وهو أحد شعراء المرجئة فقد ولّاه أعمالاً من أعمال الثغور»<sup>(٢)</sup>.

أما الدكتور محمد عمارة فيستدل على أن مذهب الارجاء نشأ بدوافع سياسية ليبرر أعمال السلطات الأموية قائلًا: «تيار الارجاء نشأ نشأة سياسية وعاش في خضم الأحداث التي ولّدتها الصراعات على السلطة في ذلك التاريخ»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «أما القول بأن هذا المذهب لم يكن ينظر إلى أحداث السياسة الجارية في عصره ولم يكن يقصد أن يبرر سياسة الحكومة القائمة فهو قولٌ بعيدٌ عن الصواب».

ويضيف قائلًا: «فالارجاء كان دائماً موقفاً سياسياً وهو عند البعض

(١) العقيدة والشريعة، د. محمد جواد مشكور: ١٢٣.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني: ١٣، ٩٠.

(٣) الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية الدكتور محمد عمارة: ١٧٥، طبعة ٧٧.

تبرير لسياسة الحكومة القائمة وعند البعض كان موقفاً فكرياً وعملياً ضد مظالم هذه الحكومة»<sup>(١)</sup>.

أما العميد عبدالرزاق محمد أسود فقد ذكر ما نصه:

«يتبين أن المرجئة حزب سياسي من أحزاب الوسط تعاطف من اليمين دون أن ينضم إليه صراحة، ولما انتصر اليمين إنحاز له ولم يشارك اليسار معارضته»<sup>(٢)</sup>.

إذن نستنتج من كل هذه المقالات والدراسات في أسباب نشوء المرجئة أن العامل السياسي هو أبرز العوامل التي دعت إلى تأسيس ونشوء المرجئة، وليفود الأمويون صراعهم ضد خصومهم وبالأخص أهل البيت عليه السلام مستندين إلى مذهب المرجئة حيث ساهموا مساهمة فعالة في إبرازه وإيجاده واحتضانه. وإن كانت هناك جذور وظروف مساعدة على تشكيل النواة الأولى لمذهب الأرجاء في الفترة التي سبقت تسلّم معاوية الحكم.

كذلك يتضح لدينا أن مذهب المرجئة كان في خدمة السلطة الأموية لتبرير ما تقترقه من جرائم ونهب وسلب وتخريب واعتداء على المقدسات الإسلامية واستهتار بالقيم الإسلامية.

بالإضافة إلى ذلك فقد نقل الدكتور محمد عمارة قولاً للمأمون العباسي في تقييمه لمذهب المرجئة قال: «إن الأرجاء دين الملوك». وقال الدكتور محمد عمارة أيضاً: «لقد كان المأمون على مذهب أهل

(١) الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية الدكتور محمد عمارة، ١٧٥، طبعة ٧٧.

(٢) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، العميد عبدالرزاق محمد أسود ٣، ١٤٦.

العدل والتوحيد ولم يكن يقول بالارجاء وكان يعلم أنه كان مذهب معاوية وبني أمية، ومن ثم فلا يُستساع أن يمدح مذهب خصومه الفكريين والسياسيين»<sup>(١١)</sup>.

خلاصة القول: إن مذهب الارجاء كان «ضدًا نوعياً» أسسه الأمويون. ومفاد مصطلح الضد النوعي: أن الصراع يفترض أحياناً للتغلب على الخصم إنشاء أحزاب وتكتلات تحمل نفس الفكر الايديولوجي الذي يحمله الخصم ويتنادي به وربما يحمل نفس الشعار في خطابه السياسي والعقائدي، ولكن تكون هذه الأحزاب تحت رعاية ونظر الطرف الذي يترتب خصمه الدوائر ويخطط لاحتوائه والانتصار عليه.

ومن المعلوم أن مذهب الارجاء توسع بعد عهد معاوية تحت الرعاية الأموية حتى بلغ الذروة في زمن العباسيين الذي عاصره الإمام الصادق عليه السلام، فتوسع حتى تورط بعض أئمة المذاهب الإسلامية في الارجاء.

وفي هذا الخصوص يقول السيد هاشم معروف الحسني: «ومن الطبيعي أن تجد لهذه العقائد أنصاراً ومزيدين من الحكام الظلمة وأهل الجور والفسق؛ لأنهم لا يجدون فرقة من فرق الإسلام تمنحهم هذه الصفات وهذه الصلاحيات التي تضعهم في صفوف القديسين وتؤكد لهم شرعية ملكهم وتسلطهم على رقاب المسلمين مهما أسرفوا في المعاصي واستهتروا بتعاليم الإسلام ومقدساته»<sup>(١٢)</sup>.

(١١) الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، الدكتور محمد عمارة.

(١٢) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسيني: ١٠٤.



## الإمام الصادق عليه السلام في المواجهة مع مذهب الأرجاء

تصدى الإمام الصادق عليه السلام للمذاهب المنحرفة والدخيلة على الشريعة الإسلامية بوصفه إماماً معصوماً من وظيفته أن يحافظ على رسالة جده المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقام بتفنيد مدعىات الأرجاء بحزم من خلال مواقفه ومحاجاجاته معهم ومن هذه المواقف ما يلي:

روى القاضي النعمان، قال: «روينا عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهذا الذي لا يصح غيره لا كما زعمت المرجئة: أنه قول بلا عمل، ولا كالذي قالت الجماعة من العامة: أن الإيمان قول وعمل فقط، وكيف يكون ما قالت المرجئة: إنه قول بلا عمل وهم والأمة مجمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التي افترضها على عباده متكرراً لها أنه كافر حلال الدم ما كان مُصرّاً على ذلك وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه، إلا أنه يقول: هذه الفريضة ليست مما جاء به وقد قال الله عز وجل: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ وبذلك استحل القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دماء بني حنيفة وسي ذاربيهم وسموهم أهل الردة إذ منعوهم الزكاة»<sup>(١)</sup> انتهى.

وهذا الكلام للإمام الصادق عليه السلام فيه عملية إبطال وتفنيد لما تقولوه المرجئة: «الإيمان قول بلا عمل» وأوضح عليه السلام حقيقة الإيمان والإسلام ودور العمل وأداء الفرائض والتقصيد إليها وأدلة القرآن على ذلك والستة والعقل والمواقف والتاريخ، لأن المرجئة على هذه الأفكار التي ابتدعتها

(١) دعائم الإسلام، القاضي النعمان ١: ٢.

تعمل على تعطيل كل الحدود وتتجاوز كل القيم وتنسف الأساس الممتوي والانضباطي الذي يقوم عليه الإسلام في جزاء الأعمال وإقامة الحد وتنظيم المجتمع .

فعميدة المرجئة تقوم بتعويض قانون العقوبة الإلهي وتقول إن الإيمان قولٌ وقصدٌ من دون عمل لكي تبرر فسق واستهتار الظلمة وأهل الجور وعدم إقامتهم للقرائن.

الإمام يلعن المرجئة مرتين:

ولهذا ترى أن الإمام الصادق عليه السلام قد لعن المرجئة بلعن خاص كما لعنها رسول الله ﷺ وتنبأ بها وحذر المسلمين منها هو ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام كذلك، كما نقلت ذلك الروايات.

فالإمام الصادق عليه السلام حذر من مخاطرة عقيدة المرجئة، روى الكليني: «عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة، قال: قلت لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين؟ قال عليه السلام: إن هؤلاء يقولون: إن قتلنا مؤمنون! فدماؤنا مطلقحة بنبأهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم في كتابه: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِنَا بِقُرْيَانٍ نَكُلُّهُ النَّارَ فَإِذَا جَاءَكُم رِسَالٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي فَتِمْتُمْ فَلَيْمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال عليه السلام: كان بين القاتلين والمقاتلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا»<sup>(١)</sup>.

ودلالة هذه الرواية واضحة بأن المرجئة أجازت الظالمين وأعطتهم

(١) الكافي، الكليني ٢: ٤٠٩.

الأذن الشرعي الباطل بقتل أبناء الرسول ﷺ من الأئمة الهداة والاعتداء على المقدسات الإسلامية وملاحقة أتباع أهل البيت عليه السلام ومحبيهم أينما وجدوا؛ فالمرجئة يزعمون أن هؤلاء الظئمة القتنة مؤمنون موحدون من أهل الجنة!!

وتدك الرواية أيضاً أن الإمام عليه السلام ربط بين ما فعله المرجئة الذين كانوا في خدمة أسيادهم الأمويين، وبين ما كان عليه بنو إسرائيل من قتلهم الأنبياء وبنفس الحجج، وهذا موضع اشتراك بين الفكر اليهودي والمرجئي كما أشرنا إليه سابقاً.

#### احتجاج ذو دلالات دقيقة:

ومن احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام على المرجئة هو ما علمه لأحد أصحابه بحيث أبطل عليه ما تدعيه المرجئة بكفاية الاقرار في الإيمان قياساً الى كفاية الإنكار باللسان في الكفر. والرواية يرويها الكليني في الكافي فيقول: «روى محمد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والإيمان وقال: إنهم يحتجون علينا ويقولون: كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن، فقال عليه السلام: سبحان الله وكيف يستوي هذان والكفر اقراءً من العبد فلا يكلف بعد إقراره بيته فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من تية أو قول أو عمل، والأحكام تجري على القول والعمل في أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام

المؤمنين بظاهر قوله وعمله»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الرواية نرى أنّ الإمام الصادق عليه السلام أبرز عدة أمور منها:

١- إنّ الكفر إقرار من العبد وبعد إقراره لا يحتاج الى بيّنة.

٢- إنّ الإيمان هو دعوى من العبد كسائر الدعاوي فيحتاج في قبولها وإثباتها الى بيّنة، وبيّنة الإيمان هي النية والعمل والقول فتشكون دعوة الإيمان هذه مقبولة من العبد من خلال القصد والنية وعمل الجوارح وتجري عليه أحكام الإسلام بظاهر القول والعمل.

٣- ولكن ربما هو عند الله كافر ولا صحة لدعواه الإيمان على الرغم من صحة إجراء أحكام المؤمنين عليه لظاهر قوله وعمله.

وبهذا الاستدلال يكون الإمام الصادق عليه السلام قد أیطل مقولة المرجئة القائلة: «إقرار المؤمن بإيمانه أنه عند الله مؤمن والكافر عندهم هو الكافر عند الله».

احتجاج آخر للإمام مع وصية له عليه السلام:

وفي احتجاج آخر يكشف لنا الإمام عليه السلام انحراف هذه الفئة وأنهم أصحاب بدعة في الإسلام، روى الصدوق: «ما روى حماد بن عثمان عن... عن سفيان الثوري، قال سألت الصادق عليه السلام.. في حديث طويل.. قل عليه السلام: «... واللزوم لجماعتهم، فأني الجماعة؟ مرجئي يقول: من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل من جنباته ومذم الكعبة ونكح أمه فهو على إيمان جبرئيل»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، الكليني ٢: ٣٩ - ٤٠.

(٢) الخصال، للصدوق ٢: ٦١٤.

ونقل الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «علموا  
صياتكم ما يتفهم الله به ألا تغلب عليهم المرجئة برأيها»<sup>(١)</sup>.  
إذن فالإمام الصادق عليه السلام كشف لنا قناع أمثال هذه الفرق المضالّة المفضلة  
التي كانت سنداً لفراغة الأمويين والعباسيين. والحمد لله رب العالمين  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين...  
رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا..

(١) الخصال للصدوق: ٦٦٤/٢.



**تأملات في حديث**  
**الإمام الصادق عليه السلام**  
**لعنوان البصري**

محمد مهدي الأصفي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان البصري مع الإمام الصادق عليه السلام

قال المجلسي: وجدت بخط شيخنا البهائي عليه السلام هذا اللفظ، قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي: نقلت من خط الشيخ أحمد القراهاني عليه السلام عن عنوان البصري، وكان شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة. قال: كنت اختلف الى مالك بن أنس سنين. فلما قديم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المدينة أخذت اختلف إليه، وأحببت أن آخذ منه كما آخذ عن مالك.

فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراك في كل ساعة من آناه الليل والنهار فلا تشغلي عن وردي وغذ عن مالك واختلفه إليه كما كنت تختلف إليه. فاعتمعت من ذلك، وخرجت من عنده وقتت في نفسي لو تفرّس فيّ خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد الى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت: اسألك يا الله يا الله أن تعطف عليّ قلب جعفر وترزقني من عنمه ما أهدي به الي صراطك المستقيم، ورجعت الي داري مغتماً ولم اختلف الي مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حبّ جعفر، فما خرجت



من داري إلا أني الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري<sup>(١١)</sup>، فلما ضاق صدري تنغذت وترذيت وقصدت جعفرأ وكان بعدما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست بحذاء بابه فما ليبت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسئمت عليه، فرد السلام وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق ملياً؛ ثم رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت: أبو عبدالله؛ قال: ثبت الله كنيته ووثقك، يا أبا عبدالله ما سألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته التسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً. ثم رفع رأسه، ثم قال: ما سألتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف قلبك صني ويزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بالتعلم؛ إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستنهم الله يفهمك. قلت: يا شريف، فقال: قل يا أبا عبدالله، قلت: يا أبا عبدالله ما حقيقة العبودية؟ قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما حوَّله الله ملكاً، لأن العبد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما حوَّله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن يتفق فيه، وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المرء والمباهاة مع

(١١) في اللغة: عيل صبري أي قل.

الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هان عليه الدنيا واليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً، ولا يطلب ما عند الناس ولا يدع إمامه باطلاً، فهذا أول درجات النبي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

### قصة عنوان البصري مع الإمام الصادق عليه السلام

لا نجد ذكراً له (عنوان البصري) في كتب (الرجائ) و (الجرح والتعديل)... ولا نعرف عن هذا الرجل إلا ما ورد في هذه الرواية. فهو رجل في التسعينات من عمره (اربع وتسعون سنة) وهو عمر متقدم، ذووب في تحصيل العلم، يحرص ألا يفوته حضور مجالس شيوخ العلم في عصره، وكان يعيش في المدينة وكانت المدينة المنورة يومئذ تحفل بالعلماء، وكان الإمام الصادق عليه السلام مقدماً على الجميع، أخذ عنه شيوخ العلم في عصره، ومنهم مالك بن أنس، وكان مالك مقدماً عند الأمراء في المدينة، حتى كان والي المدينة يهابه، ويتهيب أن يسعى إلى بيته في حاجة، كما ورد في الرواية التي يرويها الشافعي في قصة طويلة يذكرها مترجموه.

وكان عنوان البصري يحرص ألا يفوته حضور مجالس شيوخ العلم في المدينة، وكان يأخذ عن مالك بن أنس، فمما أن قدم الإمام الصادق عليه السلام من العراق إلى المدينة حضر عنوان مجلسه، فوقع به، وانقطع إليه، وترك

(١) بحار الأنوار، ١: ٢٢٤ - ٢٢٦.

مجلس مالك،.. وتفهم من الحديث أن عنواناً أخذ يتردد على بيت الإمام الصادق عليه السلام ويكثر التردد على الإمام، وكان بيت الإمام يومئذ مراقباً من ناحية السلطة، إن الإمام الصادق عليه السلام كان ملتزماً بأوراداً وصلوات يحرس ألا تقوته في أوقاتهما، ولذلك كان الإمام عليه السلام يخلو في بيته إلى صلاته ودعائه وأذكاره التي يلتزم بها يومياً... فلما رأى أن عنواناً يتردد عليه في بيته ويشغله عن ورده وصلاته صارحه بذلك فقال له: «إني رجل مطلوب (يعني مراقب و مطلوب من قبل السلطة) ومع ذلك لي أواردي كل ساعة من آتاء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ من مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه». فاعتم عنوان لجواب الإمام عليه السلام له، وغلبه الأسى والحزن، وقال: (ولو تفرس في خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه).

فدخل الروضة النبوية، وصلى فيها، ودعا الله تعالى أن يعطف عليه قلب جعفر بن محمد عليه السلام وانقطع عن مجلس مالك، ولم يزل يدعو الله تعالى، حتى نفذ صبره، فلبس ملابسه وتعمّل وخرج قاصداً دار الإمام عليه السلام وكان ذلك بعدما صلى العصر.

فطرق الباب على الإمام عليه السلام فخرج إليه حاجب الإمام يسأله حاجته، فقال: السلام على الشريف (الإمام الصادق)، فقال له الحاجب: إنه قائم في مصلاه، ينتقل، كعادته كل يوم فلم يغادر عنوان باب دار الإمام، وجلس بحذاء الباب، لما أشرب قلبه من حب الإمام عليه السلام... فلم يلبث أن خرج الحاجب، وأذن له.

فدخل على الإمام عليه السلام وسلم عليه، فردّ عليه الإمام عليه السلام. وقال له: اجلس غفر الله لك.

فجلس عنوان، وكان الإمام عليه السلام لا يزال في مصلاه، فاطرق الإمام طويلاً، ثم رفع رأسه، وسأله عن كنيته، فقال له عنوان: (أبو عبدالله)، فدعا له الإمام عليه السلام. وقال له: تبت الله كنيته، ما مسألتك؟ فسره هذا الدعاء من الإمام. وقال لنفسه: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً.

فقال عنوان للإمام عليه السلام: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك، وأن الله تعالني أجابني في الشريف ما سألته.

وهذا كلام ملؤه عقل وحكمة. فقال له الإمام عليه السلام: يا عبدالله: ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه... وبقية الحديث نقرأه في النص الذي ذكرناه في مقدمة هذا المقال.

واليكم طائفة من التأملات حول هذا الحديث الشريف؛ وهو حديث جمّ الفوائد، فننتقي من قوائمه قدر ما يسعه صدر هذا المقال، وأهم ما فيه: العلم والمعرفة.

### العلم والمعرفة

المقصود بـ (العلم) في هذا الحديث (المعرفة) والعلم غير المعرفة. العلم: طائفة من المعلومات تشغل الذاكرة، وليس لها علاقة بالسلوك. أما المعرفة: فلها علاقة مباشرة بسلوك الإنسان وأخلاقه. وإذا أردنا أن نترجم المعرفة إلى مفرداتنا اللغوية الحديثة يمكننا أن نترجم هذه الكلمة بـ (الثقافة)، وبين (العلم) و(الثقافة) اليوم مثل ما بين (العلم) و (المعرفة) في تاريخنا الفكري.

وفي الآية الكريمة التالية نجد العلاقة بين المعرفة والسلوك والأخلاق بشكل واضح يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، والمقصود بالعلماء في هذه الآية أصحاب المعرفة، والآية الكريمة تشير الى العلاقة الطردية بين المعرفة وخشية الله تعالى.. وأن حظ الإنسان من خشية الله تعالى هو حظ من المعرفة، وكلما كان حظ من المعرفة أكثر كان حظ من خشية الله تعالى أعظم.

#### العلاقة بين المعرفة والخشية

في كتاب الله نلتقي حصريين في العلاقة بين (المعرفة) و (الخشية):  
تحصر الأولى خشية الله تعالى في أصحاب المعرفة وتحصر الثانية خشية أصحاب المعرفة في الله تعالى والحصر الثاني غير الحصر الأول .  
أما الأولى فهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهي تحصر الخشية في عباد الله العارفين، وليس يخشى الله إلا العارفون بالله، ولا يخشى الله من لا معرفة له، وكل إنسان يخشى الله بقدر معرفته وهذا هو الحصر الأول .

والآية الثانية هي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وهي تحصر خشية العارفين في الله تعالى . والذين يبلغون رسالات الله هم أصحاب المعرفة، وهؤلاء يخشون الله، ولا يخشون أحداً إلا الله، والسلب والإيجاب من أدوات الحصر، إثبات

(١) قاطر: ٢٨.

(٢) الاحزاب: ٣٩.

الخشية من الله، ونفي الخشية عند غير الله.

وقد يتحول العلم الى معرفة في الأوعية الواعية فالنجوم علم والنبات علم والحيوان علم والطب علم، إلا أن هذه العلوم قد تتحول في النفوس الواعية الى معرفة بالله تعالى وإيمان و يقين وخشية وخشوع وطاعة.

ولسنا نريد أن نتقص من قيمة العلم، وإنما نريد أن نفرق بين العلم والمعرفة، فإن الرياضيات والهندسة والصيدلة علوم نافعة ومفيدة، يجب أن نقتنيها ولكنها ليست بمعارف، أما الأخلاق والعقائد والعرفان فهي من المعارف.

والقرآن بصائر ومعارف وفقه، جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أصحابه أن يعلمه القرآن. فأقرأه الصحابي سورة الزلزال حتى إذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١) قال الأعرابي: يكفيني ما قرأت، وذهب لشأنه، فأخبر الصحابي رسول الله صلى الله عليه وآله بما حدث فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: - كما في الرواية - جاء أعرابياً ورجع فقيهاً (٢).

وشتان بين من رجع فقيهاً بآية من القرآن تلقاها وعابها وبين أولئك الذين يحملون علماً جماً من أسفار الأنبياء السابقين، ثم لا يهتدون الى الحق ويصدون عن سبيل الله، ويصفهم القرآن بهذا الوصف الغريب:

﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (٣).

(١) الزلزلة: ٧-٨.

(٢) رسائل الشهيد الثاني: ١٤٠، بحار الأنوار: ١٧/٨٩، باب فضل التذير في القرآن، والحديث «انصرف الرجل وهو فقيه».

(٣) الجمعة: ٥.

## العلاقة التبادلية بين المعرفة والسلوك

بين المعرفة والسلوك علاقة تبادلية (جدلية) يذكرها القرآن، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup> وهذه الآية تبيّن علاقة المعرفة بالسلوك، فإنّ الخشية من الله تعالى من نتائج المعرفة، وبقدر ما يكتسب الإنسان من المعرفة، يرزقه الله تعالى الخشية. والعكس أيضاً صحيح، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> وفيها يوضح القرآن العلاقة بين السلوك والمعرفة، فمن يتق الله يرزقه الله المعرفة، وهي واضحة في علاقة السلوك بالمعرفة.

الشيخ محمد عبده يستنكر في (المنار) تفسير الآية الكريمة على هذا النهج رغم أنّ هذا المعنى هو المعنى الذي يتبادر الى الذهن من الآية الكريمة، ويقول: إنّ هذا من قول الصوفية، وأنّ العلم يحصل بالدراسة، وليس التقوى هو سبيل الوصول الى العلم.

وكلام الشيخ صحيح إذا كان المقصود بـ (العلم) في هذه الآية المعنى المصطلح من العلم في مقابل المعرفة .

فليس للعلم علاقة بالتقوى، وإتّما له علاقة بالدراسة، فمن درس الرياضيات أتقن هذا العلم، اتقى الله أم لم يتق.. أمّا إذا كان المقصود بـ (العلم) في هذه الآية: المعرفة، وهو ما يظهر من جوّ الآية، فإنّ كلام الشيخ لا يخلو عن مؤاخذه، فإنّ الله تعالى جعل التقوى مفتاحاً للهدى

(١) فاطر: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٧٨.

والبصائر والإيمان في حياة الإنسان. فمن اتقى الله تعالى رزقه الله بصائر المعرفة، ومن لم يتق الله حُرِمَ من بصائر المعرفة.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيُغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢)

إن الله تعالى يهب هذا النور والفرقان لعباده بالتقوى، فمن آمن واتقى آتاه الله نوراً وفرقاناً في حياته، ومن لم يتق الله حجب عنه هذا النور، إن المعرفة نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

يقول تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَخْبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَتَمْنَا فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

إن هذا النور الذي يجعله الله لمن يحب من عباده، والذي يستتير به الصالحون من عباده في حركتهم وحياتهم وسلوكهم هو المعرفة.

والعلم ليس نوراً، وقد يكون العالم أعمى، عديم الرحمة، عديم المعرفة، عديم القيم، عديم الفطرة، يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، وهو يتبوأ موقعاً رفيعاً من العلم.

وكثير هم العلماء الذين سنب الله تعالى منهم كل نور ومعرفة. وقد رأينا في حياتنا علماء كثيرين وضعوا تجاربهم وخبراتهم العلمية في متناول مجرمي الحرب، هؤلاء عمماء، من غير شك، إلا أن علومهم

(١) الحديد: ٢٨.

(٢) الأنفال: ٢٩.

(٣) الأنعام: ١٢٢.



تحولت الى حجاب بينهم وبين الله. ورحم الله عنماءنا من السلف الصالح كانوا يقولون: العلم الحجاب الأكبر، وذلك أنّ العلم يبعث في نفس العالم، أوّل ما يبعث، العجب والغرور، وهما من أعظم الحُجب في حياة الإنسان .

#### رواقد المعرفة:

وفي هذا الحديث يذكر الإمام الصادق عليه السلام لـ (عنوان) ثلاثة رواقد للمعرفة، وهذه الرواقد الثلاثة هي:

١- اطلب في نفسك حقيقة العبودية.

٢- واطلب العلم باستعماله.

٣- واستفهم الله يفهمك.

وفيما يلي نشرح هذه الرواقد الثلاثة، كما ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري.

#### الراقد الأول: اطلب في نفسك حقيقة العبودية

ويُدرِك الإنسان حقيقة العبودية بمعرفة الله ومعرفة النفس والعلاقة بينهما، فإذا عرف الإنسان الله وعرف نفسه أدرك العلاقة بين النفس وبين الله وهذه العلاقة هي العبودية.

فإنّ النفس الإنسانيّة مخلوقة لله، والله خالقها وهي مملوكة لله، والله مالكها، وهو المهيمن على الإنسان وهذه النقاط مجتمعة هي (العبودية).

يقول تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (١) فهو مملوك لله لا يملك حتى نفسه، ولا يقدر على شيء إلا بإذن مولاه. فإذا أدرك الإنسان في نفسه حقيقة العبودية، في علاقته بالله، أدرك الحقائق التي تترتب على العبودية بنفس الوضوح والصفاء، في نفسه.. وهذه الحقائق كثيرة منها: الطاعة، والخشية، والدعاء، والرجاء، والحب، والذكر، ولهذه الحقائق وجهان: الوجه الأول هو طاعة الله، وذكوره، وحبته، والخشية منه. والوجه الآخر هو رفض الطاعة لغير الله، إلا بإذن الله وأمره، ورفض الخشية من غير الله، إلا بأمر الله ﴿وَيَخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (٢) ..

وكما يعي الإنسان الله، ويعي نفسه، ويعي العلاقة بينه وبين الله، وهي علاقة العبودية، كذلك يعي الإنسان في نفسه الحقائق المترتبة على العبودية وجهها.

والإنسان يدرك هذه الحقائق جميعاً، في نفسه وفي فطرته، دون حاجة إلى كتاب أو تعلم.. ويقرأ هذه الحقائق حكمها في كتاب النفس. وهذا هو ما نجده في حديث الإمام الصادق عليه السلام إلى عنوان البصري في روافد المعرفة (اطلب في نفسك...).

فإذا عرف الإنسان العبودية في نفسه بوضوح وصفاء عرف الإنسان في نفسه حقيقة العبودية، وعرف كلما يترتب على العبودية من الحقائق في علاقة الإنسان بالله، وهي حقائق خطيرة وهامة في حياة الإنسان، وهذا

(١) النحل: ٧٥

(٢) الأحزاب: ٣٩

هو الرافد الأول للمعرفة.

ولكي يتتهن الإنسان المعرفة من هذا الرافد بشكل كامل، عليه أن يعرف نفسه، ويتأقلم في نفسه، فإن التأمل في النفس مفتاح كثير من المعارف..

وهو مدرسة معروفة في (العرفان) المعاصر.

**الرافد الثاني: اطلب العلم باستعماله**

واستعمال العلم هو العمل بالعلم، ويتساءل السائل ما العلاقة بين العلم والعمل؟

والجواب في القرآن واضح ودقيق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup> ومعنى الآية الكريمة أن التقوى من روافد العلم.

وتصوّر الشيخ محمد عبده في (تفسير المنار) أن تفسير الآية الكريمة بهذه الطريقة يفتح للجاهلين الذين يلبسون لباس الصلاح ودعوى العلم بالله وفهم القرآن والحديث ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئاً، والعامّة تُسلم لهم بهذه الدعوى<sup>(٢)</sup>. وبناءً على ذلك فإن الشيخ يفسر هذه الآية على أن الآية الكريمة تعطف قضية عنى أخرى مغايرة لها (لأنّ عطف (يعلمكم) على (اتقوا الله) يناقضي أن يكون جزاءً له ومرتباً عليه لأنّ العطف يقتضي المغايرة)<sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) تفسير المنار ٣: ١٢٩.

(٣) تفسير المنار ٣: ١٢٩.

وما يقوله الشيخ صحيح، أن العطف يقتضي المعايرة ولا إشكال في المعايرة بين (اتقوا الله) و (يعلمكم الله) ولكن الذي كان ينبغي أن لا يفوت الشيخ أن العطف كذلك يقتضي المناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه، فما هي المناسبة بين (اتقوا الله) و (يعلمكم الله).

ولاشك أن العلم الثاني من علم الله، وليس بتعليم الكتب والمدارس. ولا شك في وجود مناسبة بين التقوى والعلم في هذه الآية حتى يصح العطف بينهما.

ولاشك أن التعميم الإلهي الوارد في آية البقرة، ليس بمعنى أن التقوى تغني عن دراسة القرآن والحديث والفقه.

وإذا ضمنا هذه النقاط الثلاثة إلى بعض نصل إلى نتيجة تختلف بعض الشيء عما وصل إليه الشيخ محمد عبده في تفسير هذه الآية. فإن الآية الكريمة تشير إلى حقيقة من رقائق الكتاب وهي أن التقوى تفتح قلب الإنسان لتلقي الحكمة من عند الله. فقد يقرأ القرآن اثنان فيتفاعل معه أحدهما ويتعظ به ويتحول القرآن في نفسه إلى سلوك، ويقرأ الآخر، فلا يتفاعل به، ولا يتأثر، ولا يتعظ به.

وقد يسمع الحديث اثنان فيفتح الله قلب أحدهما على ما فيه من حكمة ومعرفة ويتلقاه الآخر، تلقياً سطحيّاً فوقياً.

وقد ينظر اثنان إلى آيات الله في الكون، فتعمق هذه الآيات في نفس أحدهما (التوحيد)، ويمرّ الآخر على هذه الآيات بسطحية.

إن التقوى تمنح الإنسان وعي التوحيد والحكمة، ويمنح الإنسان نوراً في قلبه، ويرفع الله تعالى له به الالتباس، ويميز الله تعالى له به الحق

عن الباطل وانهدى عن الضلال، والصدق من الكذب، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> والشرطية والجزاء واضحتان في هذه الآية، وليست العلاقة بينهما بالمعطف، كما في آية البقرة: ٢٨٢.

ولسنا تناقش في أن التقوى يحصل بالعلم، وأن التقوى والخشية من الله من ثمرات العلم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُونَ ۖ وَيَزِيدُهُمْ شُحُوعًا﴾<sup>(٢)</sup>. ولكن العلم أيضاً من ثمرات التقوى. وبين العلم والتقوى علاقة تبادلية من الجانبين<sup>(٣)</sup>.

عن الصادق عليه السلام: «العلم مقرون بالعمل، فمن علم بعمل، ومن عمل علم»<sup>(٤)</sup>. ونكرر مرة أخرى: أن ليس معنى ذلك إطلاقاً أن التقوى يشي عن التعلم، وأن بإمكان الإنسان أن يستغني بالتقوى، عن المدرسة والكتاب والأستاذ، سواء كان في علوم الشريعة أم في العلوم العقلية، أم في العلوم التجريبية.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أن موسى عليه السلام لقي الخضر عليه السلام

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩.

(٣) تسمية الفلاسفة المعاصرة بـ (العلاقة الجدلية) وهي معروفة في الفلسفة الإسلامية بـ (الدور الـ «معني») وهو ليس من الدور الممتنع، لأنه ليس من توقف كل منهما على الآخر.

(٤) بحار الأنوار ٣: ٤٠.

فقال: اوصني؟ فقال الخضر: اشعر قلبك التقوى تنال العلم<sup>(١)</sup>.

وينسب الى الإمام الصادق عليه السلام: كما في مصباح الشريعة: أن التقوى

(ميزان كل علم وحكمة) وروى ثقة الإسلام الكليني عليه السلام في الكافي:

كتب أبو جعفر الباقر عليه السلام الى سعد الخير: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد

فإني اوصيك بتقوى الله، فإن فيها السلامة من التلف، والغبطة في العقب. إن الله عز

وجل يقي بالتقوى عن العبد ما عذب عنه عقله، ويحلي بالتقوى عنه عماه وجهله<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته أن الذي يعمل

بما يعلم يعلمه الله ما لا يعلم.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تعلم فعمل علمه الله ما لم يعلم»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «من عمل بما يعلم علمه الله ما لم يعلم»<sup>(٤)</sup>.

الرافد الثالث: استفهم الله يفهمك

يقول الإمام الصادق لعنوان البصري - كما في الرواية - «واستفهم الله

يفهمك».

فإن العلم نور يقع في قلب من يريد الله أن يهديه.

وهذا النور هو (المعرفة) والتي سبق أن وضحناها بداية هذا الكلام.

وهو من عند الله تعالى. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، يقول

(١) بحار الأنوار ١: ٢٢٦، منية المرید الشهيد الثاني: ١٤٠.

(٢) الكافي: ٥٢ / ٨.

(٣) كنز العمال للمفتي الهندي: ح ٢٨٦٦٦.

(٤) بحار الأنوار ٧٨: ١٨٩.

تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١).  
 فإذا أراد الإنسان قبساً من هذا النور، فيسب له سبيل إلى ذلك إلا إذا  
 طلبه من عند الله، ولا يجنده عند غير الله.  
 ولكن الطلب من عند الله لا ينفي السعي.  
 فإن النصر من عند الله. ليس في ذلك شك. يقول تعالى: ﴿وما النصر  
 إلا من عند الله...﴾ (٢).

النفى والاستثناء يفيدان الحصر ولكن الله تعالى يعلمنا مع ذلك أن  
 نسعى إلى تحصيل أسباب النصر بالاعداد والتحضير لوسائل التي تمكن  
 الناس من النصر، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾ (٣).  
 والأمر بالإعداد والتحضير للمعركة لا ينافي الإيمان بأن النصر من  
 عند الله. والأمر كذلك، فيما نحن فيه، فإن العلم (المعرفة) من عند الله ليس  
 في ذلك شك. ولكن ذلك لا ينفي ضرورة السعي للدراسة وطلب العلم من  
 العلماء.

#### حقيقة العبودية:

وهو أهم سؤال لـ (عنوان) بعد الحديث عن حقيقة العلم وروافده..  
 فيسأل (عنوان) الإمام عن حقيقة العبودية، قلت يا أبا عبد الله: ما حقيقة  
 العبودية؟ والعلاقة بين السؤال عن (حقيقة العبودية) و (العلم) لأن

(١) النور: ٤٠.

(٢) آل عمران: ١٢٦.

(٣) الأنفال: ٦٠.

العبودية من روافد العلم، كما شرحنا ذلك في حديث الإمام الصادق عليه السلام لعنوان، فلا بد أن يستتبع ذلك الحديث السؤال عن حقيقة العبودية. فنتأمل في جواب الإمام الصادق عليه السلام لعنوان عن حقيقة العبودية. قال: ثلاثة أشياء:

- ١- أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً، لأن العبيد، يرون المال مال الله، يضعونه حيث أمرهم الله به.
  - ٢- ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً.
  - ٣- وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه.
- وها نحن نتحدث عن الآثار الثلاثة للعبودية الواردة في حديث الإمام الصادق عليه السلام واحداً بعد آخر.

الآثر الأول: أن لا يرى العبد لنفسه ملكاً:

«أن لا يرى العبد لنفسه ملكاً فيما خوله الله»

من بصائر القرآن أن الملك لله تعالى وحده في السموات والأرض، يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١)

قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ (٢)

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣)

(١) البقرة: ١٠٧.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) آل عمران: ١٨٩.



﴿وَلَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>.

وآيات القرآن بهذه المعنى كثيرة.

ولهذه البصيرة القرآنية تأثير مباشر على سلوك الإنسان، فإن الإنسان إذا وعى أن الملك لله في السماوات والأرض وليس لغير الله ملك، وليس له فيما خوله الله من كآ. وإنما هو خليفة الله على ما خوله تعالى من ملك خف تعلقه بالدنيا، وهان عليه أمر هذه الدنيا، ولم يعد يتكالب على حطامها، كما يتكالب عليه المغرورون بها.

إن نوعي هذه البصيرة القرآنية تأثيراً مباشراً في تعديل علاقة الإنسان بالدنيا، وبالتالي على سلوك الإنسان، فيخف تعلقه بالدنيا، وهذا هو المعنى الذي يصفه علماء الأخلاق بـ (الزهد).

وفي مقابل (الزهد) التعلق بالدنيا.

وكل منهما سلوك نفسي، داخلي، يؤدي أحدهما إلى سقوط الإنسان، والآخر (الزهد) إلى عروج الإنسان.

ومن عجب أن يكون التعلق بالدنيا رأس كل خطيئة، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، كان الزهد رأس كل فضيلة وقيمة في حياة الإنسان.

وقد اختصر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الزهد في كلمة موجزة لا تعرف كلمة أجمل ولا أبلغ منها في التعريف بالزهد.

قال عليه السلام: الزهد بين كلمتين في القرآن: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا

تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) المائة: ١٨.

(٢) الحديد: ٢٣.

والأسى (الأسف) والفرح على ما يذهب، وبما يأتي حالة طبيعية في الإنسان، لا ينهى عنها القرآن، إلا أنهما يتبعان قهراً حالة الزهد عن الدنيا والتعلق بالدنيا. فمن زهد عن الدنيا لا يأس على ما فاته، ولا يفرح بما أتاه الله من الدنيا؛ ومن تعلق قلبه بالدنيا أسف على ما فاته منها وفرح بما أوتي منها.

وهذه الحالة هي التي يصححها الإسلام في نفس الإنسان. وليس الأسى والفرح. فإن الأسى والفرح حالتان طبيعيتان في النفس، لا يردع عنهما الدين.

والتعلق بالدنيا يشغل الإنسان، ويسلب صاحبه الخفة التي يتطلبه العروج والاصعود الى الله، ويعطي الإنسان حالة الترهل، وهي حالة مقبنة تمنع الإنسان من الحركة والعروج.

والآية الكريمة (٣٨) من سورة التوبة دقيقة في وصف هذه الحالة: ﴿مَالِكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَزَّؤُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (١).

فلا يمتع الإنسان من التغير في سبيل الله، إلا هذا التثاقل والترهل (أتأتلتم) وهي حالة مذمومة في النفس، تصد عن الإنسان عن الحركة، والكلمة توحى بالترهل، حتى من حيث جزمس الكلمة (: أتأتلتم). ومبعث هذا التثاقل في نفس الإنسان، أن يرضى الإنسان بالدنيا من الآخرة، ويتعلق بالدنيا على حساب الآخرة.. وما متاع الدنيا الى جانب

الآخرة إلا قليلاً.

وكيف لا يرى الإنسان لنفسه ملكاً فيما خوله الله؟  
 إذا كان الإنسان يرى نفسه عبداً لله تعالى وهذه سلسلة مترابطة،  
 متماسكة، من المعادلات، يذكرها الإمام عليه السلام لعنوان، في هذا الحديث.  
 والحلقة الأولى في هذه السلسلة أن يرى الإنسان نفسه عبداً لله، وأن  
 يعي معنى العبودية، وهي قوله تعالى: ﴿عَبْدًا مَلُوكًا لَا يَقْدُرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ (١).  
 وهو تعبير دقيق عن العبودية لا يملك ولا يقدر.  
 لا يملك إلا بتمليك وتخويل من الله، ولا يقدر إلا بتمكين  
 واذن من الله.

فإذا كان الإنسان كذلك، فلا يرى لنفسه ملكاً فيما خوله الله، وهذه  
 هي الحلقة الثانية في هذا المسلسل وهو نتيجة طبيعية للحلقة الأولى،  
 فليس لعبد أن يملك، وإذا كان الإنسان يرى نفسه عبداً لله تعانى فهو لا  
 يرى لنفسه ملكاً فيما خوله الله تعالى لا محالة.. يقول الإمام الصادق عليه السلام في  
 توجيهه وتفسير هذه المعادلة لعنوان: «لأن العبد لا يكون لهم ملك، يرون المال  
 مال الله، يضعونه حيث أمر الله».

والحلقة الثالثة من هذا المسلسل هو الزهد في الدنيا، فإن الإيمان بأن  
 المال مال الله، وليس للعبد فيما خوله الله ملكاً يؤدى، كما ذكرنا، إلى  
 تعديل في علاقة الإنسان بالدنيا، وهو (الزهد).  
 والحلقة الرابعة في هذا المسلسل، كما ورد في حديث الإمام

الصادق عليه السلام لعنوان: «فإنما لم يرَ العبد لنفسه فيما حوَّله الله ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق منه».

لأن المانع النفسي من الإنفاق هو التعلق بالدنيا، وهو سبب كل شعْخ وبخل في النفس، فإذا زال التعلق من نفس الناس هان عليه الإنفاق. الأثر الثاني: ولا يرى لنفسه تدبيراً.

لو أن الله تعالى أوكل أمر الناس إليهم لسقط الإنسان وسقطت حضاراته منذ أمد طويل، ووصل الإنسان إلى طريق مسدود، ولكن الله تعالى يتولى أمر تدبير الإنسان في كل صغيرة وكبيرة. ومن أنعم الله عليه بالبصيرة يرى يد الله تعالى في تدبير حياته في كل منعطف من منعطفات الحياة وفي كل سراء وضراء، والناس في ذلك سواء بزهم وفاجرهم، فلا يمكن أن يعيش الإنسان، ولا يمكن أن يستقيم أمر هذا الكون من دون تدبير الله تعالى.

والإنسان يحتاج إلى الله تعالى في الخلق والتدبير، وليس في الخلق فقط، كما أن الكون كله بحاجة إلى الله في الخلق والتدبير، ولا يستغني بالخلق عن تدبير الله.

ولكن ليس الناس سواء في وعي هذه الحقيقة، وقليل من الناس من يعي ويعرف ويرى يد الله في حياته، وتتجلى له رحمة الله وحكمته تعالى في تدبير أمر نفسه.

فالتصر من الله: ﴿وَمَا التَّصَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

والخذلان من الله: ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.  
 والرزق من الله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(٢)</sup>.  
 والله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق على من يشاء: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ويعز الله من يشاء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغِيْرَةَ فَلِلَّهِ الْغِيْرَةُ جَمِيعًا﴾<sup>(٥)</sup>.  
 ويذل الله من يشاء: ﴿وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup>.  
 ويملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٧)</sup>.  
 ويجعل التور في قلب من يشاء، ويحجب الله التور عن قلب من يشاء: ﴿يُؤْتِكُمْ كَيْفَ تَلْفَنُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَتَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾<sup>(٩)</sup>.

ولكن كل ذلك بسبب، فإذا نصر الله قوماً كان هذا النصر بسبب في سلوكهم وحياتهم، وإذا خذل الله تعالى قوماً، كان ذلك بسبب من سلوكهم وأفعالهم، وإذا بسط الله الرزق لقوم كان ذلك بسبب، وإذا قدر الله على

(١) آل عمران: ١٦٠.

(٢) هود: ٦.

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) الاسراء: ٣٠.

(٥) فاطر: ١٠.

(٦) آل عمران: ٢٦.

(٧) آل عمران: ٢٦.

(٨) الحديد: ٢٨.

(٩) التور: ٤.

قومٍ رزقهم كان ذلك بسبب، وإذا جعل الله النور في قلب عبد من عباده، كان ذلك بسبب من سلوكه وعمله. وإذا سلب الله تعالى النور من قلب عبد من عباده كان ذلك بسبب من سلوكه وعمله، وليس عفواً، واعتباطاً، وسببانه عن ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

لو أن الإنسان وعى هذه الحقيقة، وعرف يد الله تعالى في حياته في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وعرف أن لا غنى له عن تدبير الله أوكل أمر نفسه إلى الله تعالى في كل حال.

وفي حياة الإنسان ما لا يحصى من الأدلة على أن الإنسان لا يستغني عن تدبير الله، ويعجز من أن يدبر أمر نفسه ساعة واحدة، ولو أن الله تعالى أوكل أمر الإنسان إلى نفسه لهلك وسقط منذ حين.

وشتان بين ما يطلبه الإنسان لنفسه وبين ما يريد الله تعالى. ولو عرف الإنسان هذه الحقيقة، ودعاها أوكل أمره كله إلى الله، وفوض إليه تعالى كل أمره، عن الإمام الصادق عليه السلام: «سلوا الله التوفيق، فإن موسى عليه السلام خرج يطلب قساً من النار، فأتاه الله النبوة»<sup>(٣)</sup> وشتان بين ما كان يطلبه موسى عليه السلام لأهله في تلك الليلة المظلمة وبين ما كان يريد الله تعالى له.

(١) الرعد: ١١.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) نقلنا الرواية بالمضمون.

وقد خرج المسلمون إلى بدر، وقد وعدهم رسول الله ﷺ بأحد الأمرين: إما الغنيمة الباردة لغير قريش أو النصر في مقابلة ذات شوكة على قريش، وكان المسلمون يؤثرون الأول على الثاني، غير أن الله تعالى كان يريد لهم ذات الشوكة، ليكونوا سادة وأئمة على وجه الأرض: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (١).

#### التفويض:

وإذا عرف الإنسان هذه الحقيقة، وعرف أن الله بصير بالعباد، وعرف أنه عبد لله لا يملك من أمره شيئاً إلا بتملك الله وتخويله، ولا يتمكن من شيء إلا بتمكن الله تعالى وإذنه، وأن الله تعالى قائم بتدبير أمر عباده.. إذا عرف هذه الحقائق ففوض أمره لله تعالى.

والتفويض أن يرذ الإنسان أمره كله إلى الله، ولا يرى لنفسه فعلاً ولا حولاً ولا قوة إلا بالله، ويعرف أن السلطان كله لله تعالى، فالأمر أمره والتدبير تدبيره وكل حركة وسكون في هذا الكون بأمره وإذنه.

ويختلف (التفويض) عن (التوكل)، ففي التوكل يجعل العبد ربه تعالى مقامه، ويوكله أمر نفسه فيما يواجهه من شؤون حياته وعمله، ويجعل الله تعالى وكيلاً عنه في تدبير أمر نفسه، كما إن الإنسان يوكل غيره على أهله وأحواله وعقاره من منطلق الثقة، والله عز وجل نعم

الوكيل. يقول تعالى ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١).

وأما (التفويض) فهو - كما يقول العارف بالله عبد الله الأنصاري -  
الطيف إشارة وأوسع معنى من التوكل، لأن التفويض أن لا يرى العبد لنفسه  
حولاً ولا قوّة ولا سلطاناً ولا تدبيراً؛ فيفوض أمره كلّه إلى الله، واثقاً بأن الله  
يعسير بالعباد، وما يخفى عليه من صالح دنياه وآخرته يعرفه الله تعالى.  
يقول العلامة الطباطبائي رحمته الله:

(التفويض من العبد رذّة ما نسب إليه من الأمر إلى الله سبحانه، وحال  
العبد حينئذٍ حال من هو أعزل، لا أمر يرجع إليه، والتوكل من العبد جعله  
ربّه وكليلاً يتصرف فيما له من الأمر، والتسليم من العبد مطاوعته المحضة  
لما يريد الله سبحانه فيه ومنه.. فهي مقامات ثلاثة من مقامات العبودية:  
التوكل، ثم التفويض، وهو أدق من التوكل، ثم التسليم وهو أدق  
منهما) (٢).

ففي التوكيل يوكل العبد ربّه محله، وكأته يغيب ليكون الله تعالى  
حاضراً في شؤونه، وأما في التفويض، فلا يكون للعبد وجود ولا حضور،  
ولا يرى العبد غير إرادة الله تعالى وتدبيره وسلطانه وحوله وقوته، فيردّ  
الأمر كلّه إلى الله.

كما قال مؤمن آل فرعون، وهو يدعو قومه إلى الله تعالى، ويفوض  
أمره كلّه إلى الله ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣).

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ١٧: ٣٥٣.

(٣) غافر: ٤٤.



وأما التسليم فهو مطاوعة أمر الله تعالى في السراء والضراء، وفيما يكره الإنسان ويحب، وهو أرق منهما وأشمل.

وهذا الوعي للعلاقة التكوينية بين العبد وربّه سبحانه وتعالى يستتبع حالة نفسية عميقة هي أن يرذ الإنسان كلّ أمره وشؤونه لإرادة الله تعالى ومشيئته وحكمته في السراء والضراء، ويعتبر نفسه تحت تصرف سلطان الله بشكل كامل، وهذه الحالة النفسية هي (التفويض)، ثم لا يشعر بعد ذلك بتعلق أو ارتباك أو امتعاض أو اضطراب، هي من مكاره الدهر ومتاعبه وابتلاءاته فهو في قبضة سلطان أرحم الراحمين، بصير بعباده، حكيم، رؤوف ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ﴾.

كما يضع المريض نفسه تحت سكين الجراح الحاذق، يفعل به ما يشاء من دون قلق أو ارتباك أو اضطراب أو امتعاض، وإنما يضطرب ويقلق وينزعج الطفل الذي لا يدرك حذافة الجراح ورحمته به وإحسانه إليه.

ونتيجة هذه الحالة وأثرها على نفس الإنسان التسليم والرضا بقضاء الله وقدره في كلّ الأحوال وعدم الاعتراض والامتعاض.

وليس معنى ذلك أنّ الإنسان فاقده للإرادة والاختيار، وبالتالي لا يتحمل مسؤولية عن سلوكه وتصرفه، كما ليس معنى ذلك أنّ يجتمد الإنسان إرادته واختياره وسعيه وحركته باتجاه ما يصلحه في دنياه وآخرته.

فهذا وذاك خطأ ينشأ من عدم فرز هذه المعارف والحقائق، بعضها عن بعض بحدودها الدقيقة.

فإن لهذه المعارف والحقائق حدوداً دقيقة إذا وعاناها الإنسان وعرف،  
وميز فيما بينها وجد فيها مزيجاً من الحقائق والمعارف المتناسقة  
والمتناسقة والمتكاملة يجمعها إطار واحد.

وإذا لم يفرز الإنسان بعضها عن بعض بحدودها الدقيقة، تلتبس  
عليه وتتداخل، وتكون في ذهنه صورة مشوشة متخالفة.

إن الله تعالى خلق الإنسان بإرادة واختيار ووعي بالضرورة، ليس في  
ذلك شك، والذي يقرأ القرآن بإمعان ودقة ينتهي إلى هذه الحقيقة  
بالضرورة.

وعلى الإنسان أن يستخدم إرادته واختياره ووعيه باتجاه صلاح  
دينه وآخرته ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾<sup>(١١)</sup>... والقرآن صريح في هذه  
النقطة وتلك.

ولكن ما لا يمكن الشك فيه: أن حياة الإنسان تتعرض لسلسلة من  
الأمر السارة والضارة، وسلسلة من الابتلاءات، والصعود والهبوط،  
واليسر والرخاء.. رغم كل وعيه وإرادته وحركته وسعيه.. وهذه المساحة  
لا بد منها في حياة كل إنسان. البر والفاجر، على نحو سواء، وهذه هي  
مساحة التفويض، يسلم فيها الإنسان نفسه، ويرد أمره إلى مشيئة الله تعالى  
وحكمته، ويفوض نفسه وحياته له تعالى، شاعراً أنه في قبضة سلطان  
بصير حكيم أرحم الراحمين، وأن إليه اليد التي تعصر قلبه في المحن  
والابتلاءات هي يد أرحم الراحمين... وأن حوله وسلطانه في امتداد حول

الله و سلطانه، وأنه عبد مملوك لا يقدر على شيء إلا بتمكين الله و اذنه، فيستب أمره الى الله، ويطمئن الى قضاء الله و قدره. وقد ورد هذا المعنى كثيراً في الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام : «اللهم اجعلني بقسك راضياً قانعاً، وفي جميع الأحوال متواضعاً» «اللهم اجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك».

فإذا جرف موج البحر أحداً إلى عباب البحر... ليس معنى التفويض أن لا يسعى للنجاة، ولا يدعو، ولا يصرخ، ولا يستغيث. وإنما معنى التفويض أن يعلم أن سعيه وحركته ودعاؤه وصراخه واستغاثته في امتداد حول الله و سلطانه، وهو الذي إذا شاء أتجاهه: وإذا شاء ابتلغته أمواج البحر، وإذا شاء استجاب لدعائه، وأن لم يشأ لم يستجب لدعائه، وإذا شاء أسمع الناس صراخه فانقذوه، وإذا لم يشأ لم يُسمع أحداً استغاثته فلم ينقذوه. وأن نجاته و غرقه بيد الله وأنه تعالى على كل حال إذا أتجاهه وإذا أهلكه، حكيم رحمن رحيم بصير بصالح عباده، عندئذٍ يسعى ويدعو ويصرخ فإذا شاء الله واتجاه حمد الله و شكره، وإذا كانت مشيئة الله تعالى و تدييره في غرقه و هلاكه استسلم لمشيئة الله و قضائه و قدره. وائتمراً بـ «إن الله بصير بالعباد»، وأنه أرحم الراحمين، وأنه حكيم بصير، وأنه يراه ويسمعه.

وهذا هو التفويض، ووعي هذه الحقيقة والتمييز فيما بين هذه المعارف والحقائق من رقائق شافية القرآن و معارفه.

## أثر التفويض في سلوك الإنسان

التفويض بصيرة من بصائر القرآن؛ ولهذه البصيرة مردود واسع في سلوك الإنسان.

وعن هذه النتيجة السلوكية للبصيرة، يقول الإمام الصادق عليه السلام لعنوان: كما في هذه الرواية:

«وإذا فوّض العبد تدبير نفسه على مديره هان عليه مصائب الدنيا». كما يهون على المريض أن يتحمل آلام العمية الجراحية تحت جراح حاذق. إن الارتباك والقلق في سلوك الإنسان ينبع وينشأ من أحد أمرين، لا محالة.

إما الشك في قدرة الله على تدبير عبده؛ أو سوء الظن بحكمة الله تعالى ورحمته بعباده، فإذا آمنا بأن الله تعالى حكيم رحمن رحيم بعباده، وأنه تعالى قادر على تدبير عباده، وأن حكمته ورحمته وقدرته مطلقات، لا يعجزه شيء، فلا محالة يطمئن الإنسان إلى الله تعالى وقضائه وقدره في الشدة والرخاء وفي العافية والابتلاء، ويسلم أمره إلى الله بثقة واطمئنان. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «نُزِلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نُزِلت في الرخاء»<sup>(١)</sup>.

فهو مؤمن بأن كل ما ينزل به من البلاء من عند الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> وواثق بأن ما يقضي به الله تعالى له من تقدير خير له، ولا

(١) نهج البلاغة: ١٦١/٢، الخطبة ١٩٣، الأمالي للصدوق: ٦٦٦ - ٦٦٧.

(٢) النساء: ٧٨.

يكون إلا لصالحه، فتَهون عليه مصائب الدنيا، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية لعنوان البصري.

ولا بد هنا أن نضيف أن ذلك كنه في الساحة التي لا تحصى عمله، ولا يكون مسؤولاً عنها. أما الساحة التي جعله الله تعالى مسؤولاً عنها، وربطها بأرادته وفعله فهو المسؤول عنها بالضرورة فـ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

#### أول العلم وآخره:

روي عن رسول الله ﷺ: «أول العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الأمر إليه»<sup>(٢)</sup>. أذكر أنني قرأت هذه الرواية في بداية أيام دراستي في كتب المقدمات، ولم أعرف يومئذ المغزى الحقيق لهذه الرواية... وبعد ذلك بزمان طويل أتيت لي التأمل والتفكير في هذه الرواية، فوجدت أنها تقطعي رحلة المعرفة كلها، من بداياتها إلى نهاياتها وهي رحلة شاقة عسيرة، صعبة، وطويلة، وبداية هذه الرحلة معرفة الجبار (سبحانه وتعالى) ونهاية هذه الرحلة (تفويض الأمر إلى الله)، وهو قمة هذه الرحلة.

وبين هذه البداية والنهاية مراحل ممتعة، وفي نفس الوقت صعبة في الحركة والسلوك، ونحن لا نسمنا أن نتحدث عن مراحل هذه الرحلة (في السلوك إلى الله)، ولكنني أشير فقط إلى بداية هذه الرحلة ونهايتها،

(١) الزعم: ١١.

(٢) الذريعة لأقا بزرك تهراني: ٢٣/١٥٠. عن كتاب منقح الصرف للسيد محمد حسين بن رضا الحسيني.

كما ورد في هذه الرواية، علاقة هذه النهاية بالبداية. بداية هذه الرحلة: أن يعرف الإنسان أن أمره كله بيد الله وليس في هذا الكون الرحب شيء يخرج عن قبضة سلطان الله وحكمه وأمره، فهو التبايض، الباسط، المحيي، المميت، المعز، المذل، الرافع، الواضع، الخالق، السدير، الضار، النافع، الرزاق، القاهر، الواهب: المانع، فقال لما يشاء، يفعل ما يشاء، ولا يفعل ما يشاء غيره، وكل شيء خاضع لأمره، وكل حول وقوة به تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يُعَذِّبُ عَنْهُ مُتَعَلِّقٌ ذَرَّةً فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعَزُّ مَنْ

تَشَاءُ، وَتَذُلُّ مَن تَشَاءُ بِدُكِّ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦)</sup>.

﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الفطاي: ٣.

(٢) سبأ: ٣.

(٣) يونس: ٤٩.

(٤) البقرة: ١٠٥.

(٥) البقرة: ٢٤٥.

(٦) آل عمران: ٢٦.

(٧) هود: ١٠٧.

- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿إِنَّ رَيْبَكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾<sup>(٤)</sup>.
- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٦)</sup>.
- هذه أول مراحل المعرفة وهي معرفة الجبر.

#### المرحلة الأخيرة من المعرفة

إذا عرف الإنسان، وتيقن أن الله تعالى وحده تدير أمور عياده، وهو الياسط القابض، الواهب المانع، النافع الضار وحده، فلا محالة يفرض أمره الله.

والتفويض هنا إيمان وتسليم.

إيمان بأن أمره كله بيد الله، ونه الحكم والسلطان في أمره، في السراء والنضراء، وأن الله تعالى بصير بالعباد، رحمن رحيم، حكيم وهذا الشطر الأول من (التفويض).

(١) يونس: ٤٩.

(٢) الاسراء: ٤٥.

(٣) يونس: ٦٨.

(٤) المائدة: ٧٦.

(٥) التغابن: ١١.

(٦) الإنسان: ٣.

والشطر الثاني من التفويض، وهو كالتيجة لشطر الأول، التسليم لأمر الله في كل ابتلاء وشدة، والرضا بأمر الله، دون قلق وارتباك.

عن رسول الله ﷺ: «عجبت للمرء المسلم، أنه ليس من قضاء يقضيه الله عز وجل إلا كان خيراً في عاقبة أمره»<sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ: «أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام قال: «فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى: يا موسى ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبيد المؤمنين، فأنى إنما ابتليه بما هو خير له، وأعطيته لما خير له، وأنا أعلم بما يصلح له، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، اكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري»<sup>(٣)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.  
وعن ابن سنان عن عمّن ذكره قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء يعلم المؤمن بأنه مؤمن، قال: «بالتسليم لله، والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط»<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء مضى لو كان غيره»<sup>(٦)</sup>.

(١) توحيد الصدوق: ٤٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٦/١٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ٧١، ١٦٠.

(٤) ميزان الحكمة: ٦، ١٥٩.

(٥) أصول الكافي: ٢، ٦٣.

(٦) أصول الكافي: ٢، ٦٣.



وعن أنس بن مالك، أنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، وما قال لي شيء فعلته: (لم فعلت؟)، ولا شيء لم أفعله (هلا فعلت؟)، ولا في شيء لم يكن (ليته كان)، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول: دعوه لو قضى شيء لكان<sup>(١)</sup>.

وفي الكافي: لقي الحسين عليه السلام عبدالله بن جعفر، فقال يا عبدالله، كيف يكون المؤمن مؤمناً، وهو يسخط قسمه، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله؟ وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا: أن يدعو الله فيستجاب له<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء هم الذين أصحاب النفوس المطمئنة الذين يقول عنهم الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمطمئنة ۖ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾<sup>(٣)</sup> والى هذا المعنى يشير ابن سينا في الاشارات في مقامات العارفين: يقول: العارف همش بش بسام، يبجل الصغير من تواضعه مثل ما يبجل الكبير، ويتبسط من الخامل مثل ما يتبسط من النيه، وكيف لا يهמש وهو فرحان بالحق: وبكل شيء، فإنه يرى فيه الحق<sup>(٤)</sup>.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٣٦.

(٢) الكافي ٢: ٦٣.

(٣) الفجر: ٢٧ - ٢٨.

(٤) شرح الاشارات ٣: ٣٩١.

## المراحل المتوسطة:

وبين (معرفة الجبار) و (تفويض الأمر إليه) مراحل متوسطة كثيرة، لا مجال لشرحها في هذا المقال:

فإذا عرف الإنسان: أن الله تعالى رب العالمين الرحمن الرحيم حمد الله، وإذا عرف أن الله هو الولي الحاكم على عباده أطاع الله وعبده، وإذا عرف أن الله يستجيب لدعاء عباده دعا الله، وإذا عرف أن الله هو الغفار استغفر الله وتاب إليه، وإذا عرف أن الله شديد العقاب خاف مقام ربه، وإذا عرف أن الله واسع الرحمة، رجا الله، وإذا عرف أن الله يحب عباده ويكرمهم أحب الله..

إذن، السلوك الى الله، طريق طويل، بدايته معرفة الله ونهايته هذا الطريق، تفويض الأمر الى الله، وبين هذه البداية والنهاية مراحل كثيرة من السلوك مثل العبودية والطاعة والخوف والرجاء والاخلاص، والحب والتواضع والشكر والحمد...

وقد وردت الإشارة الى هذه المعاني في النصوص الإسلامية، وهي كثيرة، تنتقي منها، قدر ما يناسب هذه المقالة:

عن رسول الله ﷺ: «من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعف نفسه بالصيام والقيام».

عن علي عليه السلام: «عجبت لمن عرف ربه، كيف لا يسعى لدار المقام».

وعن الصادق عليه السلام: «من عرف خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه

عن الدنيا»<sup>(١)</sup>.

وفي الدعاء: «واجعلنا من الذين استغلوا بالذكر عن الشهوات».

وعن علي عليه السلام: «من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغنى عن خلق الله».

وعن علي عليه السلام: «لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظم».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان بالله أعرف كان من الله أخوف».

وعن علي عليه السلام: «غاية المعرفة الخشية».

وعن علي عليه السلام: «غاية العلم الخوف من الله سبحانه».

وعن علي عليه السلام: «اعلم الناس بالله أكثرهم له مسألة».

وعن علي عليه السلام: «عجبت لمن عرف الله كيف لا يشتد خوفه».

وعن علي عليه السلام: «ينبغي لمن عرف الله أن يتوكل عليه».

وعن علي عليه السلام: «ينبغي لمن عرف الله أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه

طرفة عين».

وعن علي عليه السلام: «العارف وجهه مستبشر وقلبه وجل محزون».

وعن علي عليه السلام: «البكاء من خيفة الله عبادة العارفين».

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين».

وعن علي عليه السلام: «يسير المعرفة بوجوب الزهد في الدنيا».

وعن علي عليه السلام: «ثمرات المعرفة العزوف عن الدنيا».

وعن علي عليه السلام: «من عرف الله توحد»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه النصوص محطات تكامل الإنسان بمعرفة الله.

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٥٥ - ١٦٠.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ١٥٥ - ١٦٠.

فإن معرفة الله كما ورد في هذه التصوص: هي أساس السعي إلى دار الآخرة، والزهد في الدنيا والعزوف عنها، والغنى عن خلق الله، والتواضع، والدعاء والمسئنة من الله والتوكل على الله، والخوف والخشية والرجاء، والحزن والهَمُّ، والبكاء، والتقوى، والتوحيد وغير ذلك. هذه جملة من محطات تكامل الإنسان في هذه الرحلة الطويلة الشاقة التي تبدأ بالمعرفة، وتنتهي إلى التفويض.

وإن كانت المرحلة الأخيرة في هذه الرحلة (تفويض الأمر إليه)؟ لأن المرحلة الأخيرة من هذه الرحلة أن لا يعرف الإنسان سلطاناً في الكون غير سلطان الله، فيفني إرادته في إرادة الله ورضاه في رضا الله، فلا يريد إلا ما يريد الله، ولا يرضى إلا بما يرضى الله تعالى له، ويكون كل أمره التسليم لله والرضا بأمره، والفناء في إرادته وسلطانه، فلا يشعر لنفسه، بـ(الأنا) ولا ظلال الأنا لنفسه.. تلك هي المرحلة الأخيرة من هذه الرحلة.

ولابد أن نشير في نهاية هذا الحديث: أن الدعاء لا ينافي التفويض؛ ذلك أن الله تعالى هو الذي أمر بالدعاء وجعل الدعاء مفتاحاً لأبواب رحمته الواسعة.

هذه هي العلامة الثانية للعبودية.

العلامة الأولى: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً، لأن العبيد لا يكون لهم ملك.

والعلامة الثانية: أن لا يرى العبد لنفسه تديراً.

والعلامة الثالثة: أن يكون جملة اشتغاله فيما أمره الله.

جملة اشتغاله فيما أمره الله به:

هذه العلامة الثالثة للعبودية في حديث الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري.

إنَّ هَمَّ العبد وما يشغل باله في ليله ونهاره أن يفعل ما يريد منه مولاه، وأن يجتنب ما ينهاه عنه مولاه، وذلك إنَّ غاية العبد في حياته يجب أن يكون مرضاة مولاه، ومرضاً المولى في اشتغال العبد بما يأمره به، وينهاه عنه.

و (الشغل) الذي يُشغل بال الإنسان ويشغل وقت الإنسان والذي يشغل بال العبد، إذا كان صادقاً في العبودية هو ذلك وكذلك الذي يشغل وقته وعمره... وحتى الجنة، يعرضها المريض، وبما أعد الله تعالى فيها للمصالحين من عباده من نعيم ومتاع لا تشغل باله، إلا بالدرجة الثانية. أما شغله الأول فهو تحقيق مرضاة الله.

والذي يكون كذلك يكون دائم الشعور بالتقصير تجاه الله تعالى، مهما بلغ جهده وسعيه في طاعة الله، ومهما كان وعي الإنسان وإدراكه للعبودية أكثر كان إحساسه بالتقصير في الطاعة وأداء حق العبودية أعظم، وذلك أنه لا يجد نفسه قد قام بحقوق العبودية، حق الأداء، فلا يصيبه العجب والغرور، ويقوى شعوره بالإثم والتقصير، ويقطُّ ضحكته، ويكثر بكائه ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾، يكثر همته، ويقطُّ مرحه ولعبه، لا يكون فيه بطر ولا رياء، ولا تكاثر، ولا تفاخر، ولا مرء، ولا تباهي في شأن من شؤون الدنيا يشغله عن ذلك أمر صعب شاق وهو القيام بحقوق

العبودية.

والتكابر والتفاخر والمراء والمباهاة والبطر والرياء من آثار (الفراغ) في حياة الإنسان.

فإن للفراغ أعراضاً وآثاراً في حياة الإنسان وللإشتغال آثاراً في حياة الإنسان.

وأعراض الفراغ هو التكالب على متاع الدنيا، والبطر، والرياء، والفرح والمرح والنعب والمراء والخصومة والنزاع والجدال، حول شؤون الدنيا والتعامل مع الناس بالاستعلاء والاستكبار.

وللاشتغال آثار في حياة الدنيا: مثل انهمم والحزن والاستغراق في التفكير والتأمل والحزن والشعور بالتقصير والأثم والجد، والحزم والعزم، والتشدد في التعامل مع النفس.

والتعامل مع الناس بدون استعلاء ولا استكبار ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾<sup>(١)</sup>.

والاستعلاء والاستكبار من أمارات واعراض الفراغ، وخلافه من علامات الاشتغال والاهتمام في حياة الإنسان.

وفي خطبة المتقين للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نجد استعراضاً رائعاً لآثار الاشتغال بالعبودية في حياة الإنسان.

## خطبة المتقين:

«قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة،

وأنفسهم عفيفة، أرادتهم الدنيا فلم يردوها، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها.

يعمل الأعمال الصالحة، وهو على وجل، يمسى وهمته الشكر ويصبح وهمته

الذكر، يبست حذرأ ويصبح فرحاً. حذرأ لما حذر من الغفلة وفرحاً بما أصاب من

الفضل والرحمة، فرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى.

تراه قريباً أهله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، مهلاً أمره،

حريزاً دينه، ميتة شهرته، مكظوماً غيظه.

ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يُغمته صمته، وإن

ضحك لم يعل صوته، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، اتعب نفسه لآخرته،

وأراح الناس من نفسه، بعده عتاً تباعد عنه زهد وتزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين

ورحمة، ليس تباعده بغير وعظمة، ولا دنوه بغير وخديعة.



**الإمام الصادق عليه السلام**

**بين**

**التأسيس الصوفي والتأسيس السياسي**

**صائب عبد الحميد**

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

المنهج الصوفي والمنهج السياسي التغييري، منهجان منفصلان عن بعضهما، عاشا متباعدين على امتداد تاريخ الاسلام، إلا في أجيال معدودة، وعلى فترات وفي مواقع متباعدة.

غير أن التصوف الديني والرفض السياسي ترأمان، من حيث الموقف من رجال الحكم، إذ اشترك في تكوينيهما عامل واحد، هو اليأس من السلطات السياسية الاستبدادية، التي وظفت الدين لخدمة الملك، وابتعدت عن اهداف الحكومة التي ينشدها الإسلام في تطبيق أحكام الشريعة ونشر العدل والأمن والمساواة، وبناء المجتمع الإسلامي السليم. فإذا كان الرفض السياسي هو النهج الذي فرضته المتغيرات السياسية في الواقع على الشيعة فإن التصوف، هو الآخر، كان نتاجاً لذات المتغيرات السياسية، اختطه علماء وزهاد لينثا بهم عن التورط في انتهاكات البلاط السياسي للشريعة وآدابها.

يقول أبو حامد الغزالي: «إذنه لما انقرض عهد الخلفاء الراشدين، أفضت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق، ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم، وقد كان بقي من العلماء من هو مستمر على الطراز الأول

وملازم صفو الدين، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا»<sup>(١)</sup>.

من هنا وصف بعض الباحثين التصوف بأنه : «الثورة الروحية في الإسلام» لما انطوى عليه من قوة رفض للحالات السياسية القائمة، ولظاهرة الجنوح إلى الدنيا التي أول ما ظهر أمرها لدى كبار رجال الحكم والأمراء والمقربين منهم.<sup>(٢)</sup>

هذا المشترك الاساسي هو الذي دفع بالعديد من الباحثين لاستكشاف المزيد من المشتركات ونقاط التأثر والتأثير المتبادلة بين الاتجاهين<sup>(٣)</sup>. ويرى بعضهم أن طبيعة الأشياء توجب أن يقترب التشيع والتصوف، وبعبارة لا تخلو من سلبية واضحة يعتبر أحدهم عن هذا المشترك بالهزيمة في ميدان السياسة وفي ميدان الحياة، التي مني بها الاتجاهان، و«الاشترك في الهزيمة يقترب بين النفوس»<sup>(٤)</sup>.

لكن ثمة فارق جوهري في هذا المشترك «الرفض السياسي» بين التشيع والتصوف، فالرفض في دائرة التشيع يتخذ شكله الايجابي، إذ يتبنى التشيع الرفض الذي يختزن مقومات التغيير، بينما يتبنى التصوف أساساً الرفض السلبي، الذي ينزل بالفرد عن المجتمع دون أن يترك له أبواباً للرجوع إليه، أما المشاريع السياسية والاصلاحية التي خاضها بعض

(١) أخرجه الدهلوي / الإنصاف، ٨٧، وحجة الله البالغة: ١ / ٣٢٢.

(٢) عفيفي / التصوف. الثورة الروحية في الإسلام.

(٣) كتب الدكتور كامل مصطفى الشيبني كتاباً ممتعاً تحت عنوان «الصلة بين التصوف والتشيع» وكتب في مناقشته والرد على بعض استنتاجاته، السيد هاشم معروف الحسيني. تحت عنوان «بين التصوف والتشيع»، وكتبت أمام أحمد قدوح «التشيع والتصوف - لقاء أم افتراق».

(٤) العزّي، تهذيب الكمال: ٨٦/٥ - ٨٧.

رجال التصوف، لا سيما في القرن الرابع عشر الهجري، فهي عمليات تطوير في المنهج، اقتربت به من الرفض الشيعي. وهذا لا يعني أن افتراقاً أبدياً سيحكم الإتجاهين: بناءً على هذا الفارق الجوهرية مزة: وعلى أن التصوف نشأ أصلاً في الوسط السنّي، مزة أخرى، بل كما كان الخلاف قائماً، فإن التصوف وجد له منافذ مهمة إلى التشيع، فصنع أساليب التفكير وأساليب الحياة لدى الكثير من علماء الشيعة وفلاسفتها، وربما أتى هذا من اندكالك التصوف بالفلسفة التي أوغل فيها الكثير من أعلام الشيعة، الذين وجدوا أنفسهم تلامذة عن رضسي، ودون استنكار، لكبار فلاسفة التصوف، كابن عربي والسهروردي وغيرهما.

#### الإمام الصادق عليه السلام والتصوف:

قد يكون كان من السهولة بمكان القول بخلاف الإمام الصادق لأهل التصوف، ومناقضته لهم، من خلال حكاياتهم المشهورة معه، والتي من أشهرها حكاية سفيان الثوري، الذي دخل على الصادق عليه السلام وجلس عنده ينظر إليه باستغراب وهو عليه السلام يرتدي حلة بيضاء، فقال له الصادق: «يا ثوري، مالك تنظر إلينا، لعلك تعجب مما رأيت؟»<sup>(١)</sup>.

قال سفيان: قلت: يا ابن رسول الله، ليس هذا من لباسك، ولا لباس آياتك!

(١) بحار الأنوار: ٤٧، ٣٢٦، نسخة القوّة، علي بن يوسف الحلبي، ١٤٩ ح ٧٠، كشف الغمّة: ٣٦٩/٢.

فقال لي : « يا ثوري، كان ذلك زماناً مقفراً، وكانوا يعملون على قدر إقفاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه » قال الثوري : ثم حسر عن ردن جيبته وإذا تحتها جبة صوف بيضاء، يقصر الذين عن الذيل، والردن عن الردن، فقال لي : « يا ثوري، لبنا هذا الله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيته، وما كان لكم أيدياته »<sup>(١)</sup>.

إنه فقه مختلف، فقه مصدره الكتاب والسنة في آفاقها الرحبة، « فإذا أتى الله على عبد، أحب أن يرى أثر نعمه عليه... » و« إن الله جميل يحب الجمال »<sup>(٢)</sup>.

ويظهر الفقه المختلف هذا عندما يجذّ التقاش فيأتي طائفة من أهل التصوف بحجج من كتاب الله على الصادق، ليستدلوا بها على لزوم التقشف وانفاق سائر الأموال. فيبدوهم الصادق عليه السلام بالسؤال : « أخبروني أيها الثرى، ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، الذي في مثله ضلّ من ضلّ، وهلك من هلك من هذه الأمة ؟ » ثم يأتي على تفسير ما احتجوا به من القرآن ومن السنة ومن سير بعض الصحابة، ويفتد ما يدعون إليه، من نيل الدنيا، والمباينة في التقشف<sup>(٣)</sup>.

غير أنّ أهل التصوف سيضلّون يجدون في الصادق عليه السلام المرشد الأول الذي يستفيدون منه المعرفة بالله، ومفاتيح التفسير الذي يوغلون من

(١) عادل خير الدين / المائمه الفكرية للإمام جعفر الصادق : ٦٩، دير ومكتبة الهلاك، ط ١، ١٩٩٣م.

(٢) التحفة السنية، عبدالله الجزائري مخطوط : ٣١٥ عن الإمام علي عليه السلام، مستد الشاميين، الطبراني :

٢٠٠/٣، ح ٢٢٢٢، عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) العربي، تحف العقول : ٢٥٦، وما بعدها، مؤسسة الأعلمي.

خلاله إلى عوالمهم الروحية الخالصة.

فهذا سفيان الثوري حين يطلبه السلطان، ويفتر في محاولة لاختفاء نفسه، لا يبدأ رحلته هذه إلا من مجلس الصادق، ولا يفارقه حتى ينفض عنه عاقبة حضاره، ثم يقول: لا أقوم حتى تحدثني!

فقال له الصادق عليه السلام ما سيستلهم منه الثوريّ دروساً جديدة في المعارف الصوفية، يقول الصادق، والحديث من رواية مالك بن أنس، الشاهد في ذلك الموقف: «يا ثوري، أنا أحدثك، وما كثرة الحديث لك بغير... يا سفيان، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها و دوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عز وجل قال في كتابه ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله عز وجل قال في كتابه ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ يرسل السماء عليكم مدراراً \* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً».

يا سفيان، إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره، فأكثر من لاجول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنز من كنوز الجنة»<sup>(١)</sup>.

فعمد سفيان وبيده، وقال: ثلاث، وأتى ثلاث! فقال الصادق عليه السلام: «عقلها والله أبو عبدالله، وليفتحه الله بها»

وعندما يجعل أهل التصوف من الأخلاق سلوكاً فلسفياً، فإنهم يستلهمون من الصادق عشرات الكلمات، لتكون مفاتيح و معالم لدروسهم الفلسفية في الأخلاق، ومن كنماته تلك، حديثه لعبدالله بن

(١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء: ١٩٣/٣ مطبعة السعادة.

جندب : « أحب في الله، واستمك بالعروة الوثقى، واعتصم بالهدى، يقبل عملك... »

فإن الله تعالى يقول : ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ فلا يُقبل إلا الإيمان... ولا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بيقين، ولا يقين إلا بالخشوع... وملاكها كلها الهدى... فمن اهتدى قبل عمله، وصعد إلى الملكوت متقبلاً...

وإن أحببت أن تجاور الجنيل في داره وتسكن الفردوس في جواره، فلتهن عليك الدنيا، واجعل الموت نصب عينك... ولا تذخر شيئاً لغد... واعلم أن لك ما قدمت، وعليك ما اخترت».

ويحدث في هذا المعنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : استحيوا من الله حق الحياء. قالوا : وما نعمل يا رسول الله ؟ قال : فإن كنتم فاعلين فلا يبتئ أحدكم إلا وأجله بين عينيه، ويحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وهى، وليذكر القبر والبلوى، ومن أباد الآخرة فليدع زينة الحياة الدنيا» (١).

فها هم يجدون في تعاليمه كل ما ينشدون في فلسفتهم الأخلاقية، من شروط صعود العمل إلى الملكوت متقبلاً، إلى شروط الصوز بجوار الله تعالى، وبالاسنوب الذي اختاروه: توهين الدنيا، وترك أدنى الأذخار... إنها تعاليم إلى الخاصة من أهل التصوف.

وحتى في فلسفة العبادات يجدون في حديثه ما يمثل شعارات

(١) العراني، تحف العقول: ٢٢، مؤسسة الأعلمي.

مدارسهم ومعائنها :

ففي الحج، يقول الصادق عليه السلام : «إذا أردت الحج فجرد قلبك لله عز وجل من قبل عزمك، من كل شاغل، وفوض أمورك كلها إلى خالقك، وتوكل عليه»<sup>(١)</sup>.

وفي الزكاة يقول عليه السلام : «على كل جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى، بل على كل منبت شعر من شعرك»<sup>(٢)</sup>.

ذلك كلام الصادق غداء أهل التصوف، من رجل وإن ظهر بالمظهر الأثيق، وجلس المجلس اللائق، وأنفق على عياله، إلا أنه كان يلبس الصوف تحت أحسن ثيابه هيثة.

من هنا لم يعد غريباً ما رآه بعض الباحثين من أن الصادق هو مؤسس التصوف السني<sup>(٣)</sup> فهو لم يزد على نقل كماتهم فيه عليه السلام.

يصف فريد الدين العطار، من مشايخ الصوفية وعمماهم، يصف الإمام الصادق، فيقول : «ذلك سلطان الملة المصطفوية... ذلك يرهان الحجّة النبوية، العامل الصديق... ذلك عالم التحقيق... ذلك فاكهة قلوب الأنبياء... ذلك قلب سيد الرسل... الناقد العلي، العارف العاشق، جعفر الصادق»<sup>(٤)</sup>.

ويقول عبدالقادر محمود : «إنه - أي الصادق - ليس إمام الشيعة - أي

(١) عادل خير الدين / العالم النكري للإمام الصادق : ٦١.

(٢) المصدر السابق : ٦١.

(٣) المصدر السابق : ٦٤.

(٤) فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء : ١٦٧.



وحدهم - بل إنه إمام أهل التصوف والصوفية دون تفرقة»<sup>(١)</sup>.  
ومن هنا لا يستبعد أن يكون جابر بن حيان الكوفي، عالم الكيمياء  
الشهير، قد أخذ المعارف الصوفية، ونزع نزعة التصوف، متأثراً بمعارف  
الإمام الصادق هذه، حتى عرف رغم شهرته الفاتكة بالكيمياء، عرف  
بالصوفي، وصار حتى المستشرقين يشبتون له لقب الصوفي على مؤلفاته  
في الكيمياء وفي غيرها<sup>(٢)</sup> بل يجعله بعضهم أول من أطلق عليه هذا  
اللقب<sup>(٣)</sup>.

أما في التفسير فقد كان الصادق عليه السلام حجة أهل التصوف في منهجهم  
في التفسير، وعنه نقلوا الكثير ليس في تفسير الآيات وحسب، بل في  
أصول التفسير واستكشاف مراد القرآن.

ألف المستشرق الأب فويا كتاباً في الإمام الصادق عليه السلام كرسه لدراسة  
تصوف الصادق، حتى جعله مؤسس التصوف، وأحد أعمدته، وفي بحثه  
الخاص بالتفسير، وبعد أن يستعرض نماذج من التفسير المنقول عن  
الصادق عليه السلام، يقول: «إنه من الخطأ القول بأن الصادق فسر القرآن تفسيراً  
بطريقة جديدة وحسب، بل إنه سلك مذهباً عرفناه عند المتصوفة بعد،  
ومن هنا يحق لنا أن نعتبره صوفياً كما مثاله من المتصوفية، لا كفيلسوف  
يفلسف المذهب».

(١) عبد القادر محمود، جعفر الصادق رائد السنة والشيعة: ١٧٥.

(٢) د. قاضى أحمد الطائي / أعلام العرب في الكيمياء: ٥٤، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

(٣) جابر طيبة / التصوف محتدماً ومسلماً: ٤٢، انعام أحمد قدوح / الشيع والتصوف - لقاء أم  
افتراق: ٥٠.

ثم يقول : «وبهذا يبدو الصادق الرائد الحقيقي للصفوية من ناحية التفسير، ومن ناحية الجفر؛ ومن الخبرة الشخصية. ولقد ابتكر طريقة جديدة لقراءة القرآن، حيث يبدو في جدل متواصل بين الخبرة الشخصية والنص المقدس»<sup>(١)</sup>.

ويؤلف الدكتور علي زيعور كتاباً تحت عنوان : «التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق»<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف استمداد اهل التصوف من انصادق على هذه الأبواب، من فلسفة الاخلاق وفلسفة العبادات والتفسير على سعتها، بل رجعوا إليه في شتى المعارف التي دخلت في فلسفتهم ومناهجهم المعرفية.

ففي معرفة الله يستلهم القشيري حجته من الصادق، فيقول : «اسئل جعفر بن محمد الصادق : ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا ؟ فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه»<sup>(٣)</sup>.

ويقدم شهاب الدين بن جتهيل لمعاني الصفات وحدودها بأحاديث عديدة عن الإمام الصادق، فيقول : «وذي الحساب الزكي، والتسبب العلي، سيد العلماء؛ ووارث خير الأنبياء، جعفر الصادق عليه السلام قال : من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء

(١) بواسطة عادل غير الدين، مصدر سابق: ٥٩، ٦٥ على الترتيب.

(٢) التفسير الصوفي للقرآن عند الإمام الصادق، الدكتور علي زيعور، الطبعة الأولى، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٩.

(٣) عبدالقادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام: ١٥٦.

لكان مُحدَثاً»<sup>(١)</sup>.

نكن مهما كان هناك من مساحة واسعة في فكر الصادق يطوف نبي اطرافها أهل التصوف ويتغذون عليها، ومهما استندت فلسفتهم الأخلاقية وأرصدتهم المعرفية على فكر الصادق، فإنما نحن في الواقع امام مدرستين مختلفتين قبي الفلسفة العملية، ومعالم التمايز بين المدرستين كثيرة وشاخصة، منها ما يمس صميم السلوك الصوفي وفلسفة التصوف.

الصادق عليه السلام يسأل عن أحدهم، فيقال له: إنّه قال: «لأقعدن في بيتي، ولأصومن، ولأعبدن ربي، إن رزقي سيأتيني».

فيقول الإمام الصادق عليه السلام: «هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب

لهم»<sup>(٢)</sup>!

وقيل له: إن فلاناً أصابته الحاجة، فقال: «ما يصنع اليوم؟» قالوا: في

بيته، يعبد ربه!

قال: «فمن أين قوته؟» قالوا: من عند بعض إخوانه.

فقال: «والله للذي يقوته أشد عبادة منه»<sup>(٣)</sup>.

فالوصول إلى الله عند الصادق عليه السلام له السلوك الذي رسمته الشريعة: «عليكم بسكارم الأخلاق، فإن الله عز وجل يحبها، وإياكم ومذام الأفعال فإن الله عز وجل يبغضها، وعليكم بتلاوة القرآن فإن درجات الجنة على

(١) ابن السبكي / طبقات الشافعية، ترجمة شهاب الدين بن جهل: ١ / ٣٥ وما بعدها.

(٢) عباس القمي / سفينة البحار: ٢ / ٥٧.

(٣) عباس القمي - سفينة البحار: ٥٧/٢.

عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق، فكلما قرأ آية رقى درجة...

وعليكم بحسن الخلق فإنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم..

وعليكم بحسن الجوار فإن الله أمر بذلك..

وعليكم بالسواك فإنها مطهرة وحسنة..

وعليكم بفرائض الله فأدوها.. وعليكم بمعارم الله فاجتنبوها»<sup>(١)</sup>.

وكذلك فإن المراد عند الصادق من وضع الموت نصب العين إنما هو سلوك عملي اجتماعي منتج وفعال، فيقول: «سئت خصال يتفجع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح يستغفر له، ومصحف يُقرأ منه، وقلب يحفره، وغرس يفرسه، وصدقة ماء يحريه، وستة حسنة يؤخذ بها بعده»<sup>(٢)</sup>.

#### الصادق والتأسيس السياسي

إذا كان من المتفق عليه أن الإمام الصادق عليه السلام لم ينازع أحداً من الحكام الذين عاصروهم على سلطان، وأنه لم يدخل في مشروع تخطيطاً للإطاحة بحاكم، ولم يشارك في شيء مما كان في أيامه من محاولات تغييرية مسلحة، ورفض كل دعوة وجهت إليه في هذا الاتجاه... فإن الجدير بالذكر أنه عليه السلام قد عمل لمشروع أوسع من ذلك كله... إنه مشروع التغيير السياسي

(١) الصدوق / الأمالي: ٤٤٠ ح ٥٨٦.

(٢) الصدوق، الأمالي: ٢٣٣ ح ٢٤٦.

الجذري والشامل، والذي يتأسس على التغيير الاجتماعي المناسب. لقد عمل الصادق على هذا المنهج طيلة عهده إماماً، الذي امتد أربعة وثلاثين عاماً، بين سنتي (١١٤ هـ) و (١٤٨ هـ). لا لعدم إيمانه بضرورة التغيير السياسي لهرم السلطة، بل لإيمانه المدعوم بأدلة الواقع أن أي تغيير من هذا النوع سوف ينتهي - في ظل ذلك الواقع - إلى ما انتهت إليه السلطات القائمة نفسها التي يراد تغييرها.

يتجلن هذا التصور الواضح في ردوده على الدعوات التي وجهت إليه للقيام بعمل من هذا النوع.

ونموذجاً لتلك الردود، مناقشته المفضلة لعمر بن عبيد وقد وفد على الصادق عليه السلام في نفر من أصحابه يطلبون إليه البيعة لمحمد بن عبدالله بن الحسن، النفس الزكية، وبعد أن تحدث عمرو بن عبيد عن مبررات هذه الحركة ضد الحاكم العباسي، أجابه الصادق، محاوراً إياه، في حديث طويل، نقتطع منه بعض فقراته :

قال الصادق : إنا نسخط إذا عصي الله، فإذا أطيع الله رضينا.

أخبرني يا عمرو، لو أن الأمة قلدتك أمرها فمنكته بغير قتال ولا مؤنة، فليل لك : ولها من شئت، من كنت تولي ؟

قال عمرو : كنت أجعلها شورى بين المسلمين، كلهم، العرب والعجم.

قال عليه السلام : إن كنت تبرأ من أبي بكر وعمر فإنه يجوز الخلاف عليهما، وإن كنت تتولاهما فقد خالتهما. فقد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثم ردها أبو

بكر عليه ولم يشاور أحداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة من قريش، فأخرج منها الأنصار، ثم أوصى الناس بشيء وما أراك ترضى به أنت ولا أصحابك... أوصى إن مضت الثلاثة أيام ولم يفرغوا ولم يبايعوا أن يضرب أعتاق الستة، وإن اجتمع أربعة وخالف اثنان أن يضرب أعتاق الاثنين، أفترضون بهذا في ما تجعلون من الشورى في المسلمين؟

قال عمرو : لا. وبعد محاوره طويلة يمز فيها على قضايا مهمة في الفقه السياسي، كالموقف من المشركين، والجزية، والصدقات، قال الصادق عليه السلام : «اتق الله يا عمرو، وأنتم أتيا الرهط فاتقوا الله، فإن أبي حدثني، وكان خير أهل الأرض وأعلم بكتاب الله وستة رسول الله، أن رسول الله قال : ومن ضرب بسيفه، ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف»<sup>(١١)</sup>.

فالانقلاب المسلح وتغيير رأس السلطة ليس هو الغاية التي تستدعي العمل السياسي، فلم تمر أيام هذا الحدث على ثورة العباسيين واسقاطهم للدولة الأموية بشعارات رنانة وجذابة، سوى سنة واحدة، إذ استلم العباسيون السلطة سنة (١٣٢ هـ)؛ وكان هذا الحدث سنة (١٣٣ هـ).

إنه لا بد من أن تكون هناك رؤية واضحة وشاملة في الفقه السياسي، ليس عند القادة وحسب، بل على مستوى الجمهور الذي سيستعينون به في العمل التغيير، أي إنه لا بد من صنع رأي عام وإع لمبررات التغيير ومنهاجه.

(١١) المستشار عبدالحليم الجندي / الإمام جعفر الصادق : ١٧٠-١٧٢.

وهذا هو الميدان الذي جاهد فيه الصادق مدة أيامه، وتعمد به لأبيه  
الباقر وهو يوصيه بأتباعه من المؤمنين:

قال الصادق عليه السلام: «لما حضرت أبي الوفاة، قال: يا جعفر، أوصيك بأصحابي  
خيراً. قلت: جعلتُ فداك، والله لأدعتهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل  
أحدًا» (١).

وينطلق في هذا المشروع الكبير، لا للتأسيس الفقهي البحت  
والتفسيري ونشر الحديث وحسب، بل للعمل على عودة الوعي وإذكاء  
الروح في عموم أبناء هذه الأمة، في وقت ازدحمت فيه الأزمان  
السياسية، ونضجت فيه المقولات المذهبية المتضاربة، فالجبرية  
والمرجئة والمعتزلة فرق كلامية عملت أكثر من ستين عاماً، والخوارج  
أقدم منهم جميعاً، بل أصبح للزنادقة واللاحاديين مجالس ومتابر، ولكل  
طائفة مقولات اثار نزاعات حادة، عملت على تمزيق وحدة الأمة  
الفكرية والعقيدية، بعد ما عملت النزاعات السياسية على تمزيقها روحياً  
وهيكلياً.

من هنا سياخذ إحياء الأمة المرتبة الأولى في سلم أولويات التغيير،  
ولابد لمشروع كهذا ولكي يؤتي ثماره أن يكون مشروعاً شمولياً،  
يحضن فيه كل واحد من عناصر حياة الأمة ونهضتها بنصيبه الوافر، لأن  
غياب أي واحد منها سينتج ثقافة مشوهة، وهذا ما كان يتصدى له الإمام  
الصادق عليه السلام.

(١) الشيخ المفيد / الإرشاد: ١٨٠/٢..

وإذا كان الصادق عليه السلام قد جاهد في إحياء الفقه والحديث وإحياء كتاب الله ومنزله والرد على مقولات المتكلمين من سائر الفرق، إلى الحد الذي جعله باعتراف الجميع إماماً للجميع، يقصدونه، ويأخذون عنه، ويتحدثون عن علمه وفضله، دون أن يتحدث ولو واحد منهم عن رجوع الصادق إليه وأخذه عنه، الأمر الذي أصبح من ثوابت تاريخ الصادق التي لا نزاع فيها؛ والذي يمكن أن يستشهد عليه، انموذجاً نزيهاً عن ادنى مصادرة، بعنوان الدراسة الأكاديمية التي وضعها الدكتور المصري عبدالقادر محمود تحت عنوان «جعفر الصادق رائد السنة والشيعة»، والفصل الذي وضعه المستشار المصري عبدالحميد الجندي تحت عنوان «الصادق إمام المسلمين» والفصل الآخر الذي وضعه في الحديث عن مدرسة الصادق، تحت عنوان «المدرسة الكبرى»<sup>(١)</sup>، إذا كان ذلك قد استقر كنتيجة علمية لدراسات تاريخية نقدية مقارنة، فإن للصادق منزلة أخرى لعلها أهم من الأولى، فهو ليس إماماً لأنتمة المذاهب الفقهية والكلامية وأهل الحديث والتفسير وحسب، بل هو الإمام المباشر للأمة بأسرها، يوجه خطابه المباشر إليها، واعياً لكل ما يتتأها من إشكاليات وملايسات، ليست معرفية فقط، بل وحياتية واقتصادية وأمنية وسياسية أيضاً.

وهذا ما سنقف على نماذج منه، تهدي إلى آفاق مشروع تغيير كبير وشامل.

(١) المستشار عبدالحميد الجندي / الإمام جعفر الصادق - الفصل الثاني. من الباب الثالث، والفصل الأول من الباب الرابع.



## وحدة الأمة:

الوحدة الروحية بين أبناء الأمة، وإحياء مشاعر الأخوة، وروح  
المواخاة بينهم، على اختلاف انتماءاتهم المذهبية وولاءاتهم السياسية،  
هو المهمة الأهم التي ستفتح أبواب التواصل والتعارف والتقارب، وتضع  
حداً لما تصنعه النزاعات القائمة من أحقاد وبغضاء وسوء ظن وسوء فهم  
لبعضهم البعض... إنها الأرضية الوحيدة لحوار مفتوح بين أبناء الأمة  
بأسرها، سيكون بحد ذاته واحداً من أهم معالم حضارتها ورفقيها.  
ولا يتحقق هذا الهدف الكبير إلا من بداياته الأولى، التي يترفع الفرد  
من خلالها عن مبررات الفصام والتباعد المصطنعة.

يقول الصادق عليه السلام: «أيسر حق من حقوق الأخوان: أن تحب لأخيك  
ما تحب لنفسك، وأن تكره لأخيك ما تكره لنفسك، وأن تتجنب سخطه  
وتتبع مرضاته، وتطيع أمره، وتعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك  
ورجلك، وأن تكون عينه ودليله ومرآته، ولا تشيع ويجوع، ولا تروى  
ويضام، ولا تلبس ويعرى، وأن تبرز قسمه، وتجيّب دعوته، وتعود  
مريضه، وتشهد جنازته، فإذا علمت أن له حاجة تبادر إلى قضائها، ولا  
تلجته إلى أن يسألكها»<sup>(١)</sup>.

تلك حقوق الاخوان، ابناء المجتمع الواحد، التي ما حفظها مجتمع إلا  
كان أقوى المجتمعات تماسكاً وأكثرها رشداً وبقظة. فدائرة الاخوة هذه

(١) عبدالحليم الجندى / الإمام جعفر الصادق: ٣٣٥.

تتسع للأمة كلها، كما تبينها طائفة من أحاديثه عليه السلام المشابهة لهذا، منها ما رواه الشيخ الصدوق من حديث الصادق عليه السلام: «أحب أخاك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لنفسك... إذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تذخر عنه خيراً، فإنه لا يذخر عنك».

فهؤلاء الإخوان إذا هم المسلمون عامة، وبروح المبادرة سيأتي الأثر المرتقب.

يواصل الإمام حديثه: «كن له ظهراً، فإنه لك ظهراً... إن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فزره، وأجله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه» أنها أدق وأبلغ العبارات في ترسيخ هذه الروح على المستوى العام، تتساق متلاحقة، مكثفة، يشد بعضها بعضاً، لتتوزع على سائر شؤون الفرد في مجتمعه: «وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تُشَلَّ سخيته وما في نفسه، وإن أصابه خير فاحمد الله عليه، وإن ابتلي فاعضده وتمحّل له»<sup>(١)</sup>.

وإذا بئت هذه المعاني والآداب، فإنه يحذر من أضدادها أبلغ التحذير: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

ويقول: «لا تغتب فتغتب، ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها، فإنك كما تدبّر تدان»<sup>(٣)</sup>.

ويقول: «أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والحسد، والامتكبار»<sup>(٤)</sup>.

(١) الصدوق / الأمالي: ٤٠٦-٤٠٢ / ح ٥١٩.

(٢) الصدوق / الأمالي: ٥٧٤ / ح ٧٨٥.

(٣) الصدوق / الأمالي: ٥٠٥ / ح ٦١٧.

(٤) الصدوق / الأمالي: ٥٠٤-٥٠٥ / ح ٦٩٤.

وبعد ذلك فإن لتلك الروح العالية مواضع تطبيقية، هي لها في الوقت نفسه روافد تغذيها وتعززها، فلا يقوت المنهج التربوي الشامل أن يوليها حظها من التركيز والاهتمام.

يقول الصادق عليه السلام: «عليكم بإتيان المساجد، فإنها بيوت الله في الأرض...» (١).

ويقول: «صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علة ثلاث جمع، فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق».

وأيضاً: «من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين، من غير علة، فلا صلاة له» (٢).

وأيضاً في ميدان آخر: «اتقوا الله، وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم، فلو أن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام ائتمني على أمانة لأديتها إليه» (٣).

وما أشبه هذا يحدث جده علي بن الحسين عليه السلام: «عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه» (٤).

إن المسلمين عباد الله، يصلح أمرهم ما يقرّبهم إلى الله، فيعلمهم الصادق أن ذاك الذي ترجون فيه الزلفى عند الله لا يكون الثروة وزينتها،

(١) الصدوق / الأمالي: ٤٤٠ / ح ٥٨٤.

(٢) الصدوق / الأمالي: ٥٧٢ / ح ٧٨٢.

(٣) الصدوق / الأمالي: ٣١٨ / ح ٣٧٣.

(٤) الصدوق / الأمالي: ٣١٨ / ح ٣٧٤.

ولا الجاه وهيبتها، ولا السلطة وقدراتها، إنما «أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ: رجل صدوق في حديثه، محافظ على صلواته وما افترض الله عليه، مع أداء الأمانة»<sup>(١)</sup>.

ذلك أنّ الدين ليس بالادعاء والتمني، بل «إنّ لأهل الدين علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وصلّة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة المؤاظة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، واتباع العلم وما يقرب إلى الله عزّ وجلّ، طوبى لهم وحسن مآب...»<sup>(٢)</sup>.

هذا المستوى الرفيع من الأدب، وهذه الدرجات العالية من الشعور المتيقظ، أخرج ما تكون إليها الأمة، لكي تكون أمة مؤهلة لما فوق ذلك، فلا تخضع لسطان جائر، ولا يتلاعب بمقدراتها حكّام طغاة شهوانيون. وهنا فقط يحتل الخطاب السياسي موقعه الصحيح، ويؤثر أثره المأمول، وإن كان على المديات البعيدة، حين يجد له أهلاً قادرين على تحقيقه بعد وعيه.

#### الخطاب السياسي:

تعدد أبعاد الخطاب السياسي عند الصادق عليه السلام بتعدد جوانب الفقه السياسي في الإسلام، والدائرة السياسية في الواقع. فهو يخاطب الناس ليضعهم أمام مسؤولياتهم السياسية مزدة، وليكشف لهم عن حال الحكّام المتسطين، بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، مرة

(١) الصدوق / الأمالي: ٢٧٦ / ح ٤٦٧.

(٢) الصدوق / الأمالي: ٢٩٠ / ح ٢٢٣.

أخرى، ليزرع فيهم وعياً فكرياً وسياسياً، يستطيعون من خلاله تشخيص ما عندهم، وما هو حولهم من أحوال.

يقول الصادق عليه السلام: «أيها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير... واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى، ولا رأي، ولا مقاييس... عليكم بآثار رسول الله وسنته، وآثار الأئمة الهداة من أهل بيته بعده وسنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضل...»<sup>(١)</sup> الحديث.

إن الحديث عن الرجوع إلى أئمة أهل البيت ليضرب في عمق الدائرة السياسية بمش ما يضرب في الدوائر الأخرى، فقهية وحدithية وغيرها. يركز الإمام الصادق هذه الدعوة بقوله: «إن لله عز وجل ثلاثاً ليس مثلن شيء: كتابه، وهو حكمته ونوره.. وبينه الذي جعله قبلة للناس لا يقبل من أحد توجهاً إلى غيره.. وعترته نبيكم». (٢) فليست هي دعوة للتقليد في العبادات فقط، إن القرآن لا يعصى بعضه ويطاع بعضه، وبيت الله، لا يترك بعضه ويُسْتَقْبَل بعضه، وعترته النبي لها هذا الموقع.

وعندما تصل بهذه الدعوات، دعواته الأخرى إلى التوعية بشروط الحاكم، ستكتمل الصورة، وتتضح الدعوة الصريحة بانحصار أحقية الحكم السياسي فيهم دون سواهم.

فهو عليه السلام يقول: «إذا كان الحاكم يقول لمن عن يمينه ولمن عن يساره: ما ترى؟ ما تقول؟ فعلى ذلك لعنة الله والملائكة أجمعين، إلا أن

(١) الكشي / الكافي: ٥ / ٨.

(٢) الصدوق / الأمالي: ٣٦٦ / ح ٥٦٦.

يقوم من مجلسه، ويجلسهما مكانه»<sup>(١)</sup> فكأنه عليه السلام قد قالها بكل وضوح: إن على هؤلاء الحكام لمة الله وملائكته أجمعين حتى يقوموا من أما كنهم ويتركوها لنا.

وفي كلام رصين، يستوقف الأمة، لتعيد النظر بواقعها، وتعيد بشكل دقيق ومتأمل قراءة التغييرات التي حصلت في هذا الواقع، وأسبابها، لتكتشف بعد ذلك طبيعة المسؤولية وحجمها والسبل الصحيحة للقيام بها، يقول الصادق عليه السلام: «إذا أراد الله عز وجل برعية خيراً، جعل لها سلطاناً رحماً، وقبض لها وزيراً عادلاً»<sup>(٢)</sup>، فلماذا يغيب في هذه الأمة السلطان الرحيم، ويستعبد الوزير العادل؟ هذا ما على الأمة أن تكتشفه وتسعى بوعي إلى تغييره.

ومثل هذا عن الصادق عليه السلام كثير، ولا يقف عند هذا الحد، بل يأتي للسيف دوره، فينقل الصادق حديث رسول الله ﷺ: «الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا بالسيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار»<sup>(٣)</sup>.

فالصادق الذي اعترك العمل السياسي المباشر كان قد أسس للمشروع السياسي التغيير الشامل.

من هذا وذاك فقد أخفق من عزل الصادق عن دائرة السياسة، كما أخفق من وضع الصادق في دائرة التصوف.

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٩/١٥٥ ج ١.

(٢) الصدوق، الأمالي: ٣٦٨ ج ٣٧١.

(٣) الصدوق، الأمالي: ٦٧٤ ج ٩٠٩.





**موقف الإمام الصادق عليه السلام  
من  
الثورات في عصره**

جواد جميل

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في البدء لا أنوي في هذه الأوراق أن أقيم ايجابية موقف الأئمة عليهم السلام أو سلبته من الثورات التي اندلعت في زمانهم. كما لا أريد أن أربط بين ما توفر لدي من النصوص التاريخية في هذا الإطار لأعطي صورة مرسومة في ذهني مسبقاً عن موقف الأئمة من الثورة عموماً ومن ثورات بني عمتهم رحمهم الله خاصة.

إلا أنني أراني مستقراً لصفحات معينة من تاريخ تلك الفترة لأسأط الضوء على نصوص مبشرة نقلها الرواة أتما تحيزاً لهذا الموقف، أو تحاملاً عنى ذلك، أو أنهم نقلوها كخبر ليس إلا.. لا علاقة له بالصورة السياسية القائمة.. كي أخلص لبعض الحقائق التي تركها التأريخ مبهمة.

فقد حرص مؤرخو الزيدية عموماً على نقل نصوص توحى بايجابية أئمة أهل البيت عليهم السلام من الثورة.. في ما نقل مؤرخو الخط الحاكم آنذاك نصوصاً مخالفة.. أما مؤرخو الشيعة فإنهم ظلوا يتحركون في إطار إخبار الإمام بحتمية نهاية الثورات المؤسفة والمحنة.

ولا أريد هنا أن أدرس صحة النصوص التي سأنتقلها من حيث السند، ولا من حيث قطعية صدورها عن الإمام فذلك ليس من مهمتي.. إنما أريد أن اطرح للبحث مجموعة من النصوص التاريخية التي مهما كانت ضعيفة السند فإنها تعطي صورة للرؤية السياسية التي كانت تحيط بمجمل بؤرة

الزعي آنذاك..

ويبدو أن الوثائق التي توقفت لدينا لا تكاد تعدو كونها تصريحات من قبل الأئمة عليهم السلام صدرت إما عند اندلاع الثورة أو عند اخمادها من قبل السلطة.. ولا أجد فيما لدي من وفرة الكتب التاريخية نصاً يؤكد اشتراك الإمام المعصوم في التخطيط للثورة واعطاء منهج للمتحرك الثوري خلالها...

نعم... هناك نص فريد نقله «أحمد بن سهل الرازي»: من مؤرخي القرن الرابع في مصنفه: «الحسين صاحب فخ وأخبار يحيى بن عبدالله» وهو مخطوطة عثرت عليها في المكتبة المرعشية تعود الى القرن السابع الهجري.. هذا النص يؤكد اشتراك الإمام الكاظم عليه السلام في الإعداد لثورة الحسين صاحب فخ قبل اندلاعها في المدينة.. قال:

«بعث الحسين بن علي الى موسى بن جعفر والى عبدالله بن الحسن الأبطس فاجتمع رأيهم جميعاً على أن لا يعطوا بأيديهم وان يبلغوا عذراً في الجهاد إلا أن موسى بن جعفر قال: أنا ثقيل الظهر بالعيال ولو خرجت معكم لم يتركوا لي أحداً إلا قتلوه فاجعلوني في حل من تخلفي عنكم. فحرفوا عذره فجعله الحسين في حل فودعهم موسى وقال لهم: يا بني عمتي اجهدوا انفسكم في قتالهم وأنا شريككم في دمائهم فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويضمرون كفرًا... الخ.

وهذا النص يعطي انطباعاً واضحاً أن الإمام المعصوم حضر اجتماع الإعداد للثورة واعطى رأيه في نهجها وتحمل المسؤولية الشرعية في الدماء التي تراق والأرواح التي تزهد جزاء اندلاعها، إلا أنه اعتذر عن

الاشترك الفعلي في الصراع لظرفه السياسي والاجتماعي كما يوحي النص بذلك.



إن أولى الثورات التي طالت الواقع السياسي الإسلامي في عهد الإمام الصادق عليه السلام هي ثورة عمه الشهيد زيد بن عبي زين العابدين عليه السلام الذي صرح بأن السبب الذي فجر ثورته هو كونه شاهد هشام بن عبدالمملك والى جانبه رجل كان يسب ويشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم!!  
ويصرح زيد الى جابر بن يزيد الجعفي بأنه: لو لم يكن معه إلا ابنه يحيى لخرج ثائراً وجاهد هشام أو يموت..

وكان عليه السلام يقول: لا أعلم شيئاً أحب الى الله أفضل من جهاد بني أمية (١).  
أما النصوص التي بأيدينا عن موقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة زيد عليه السلام فهي:

١- قال الإمام الكاظم عليه السلام سمعت أبي يقول: رحم الله عتي زيدا لقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب في الكناسة فشانك (٢).

وهذا النص يوحي بما لا يقبل الشك بأن الإمام لم يرد في كلامه تحذير زيد من الثورة، وإنما أخبره بأن الثورة ستحسم لصالح أعدائه.. وفي سؤاله لزيد استفسار واضح عن مدى صبر زيد وصدومه عند ملاقاته المصير

(١) تيسير المطالب: ١٠٨.

(٢) الاحتجاج: ١٣٥/٢، مسند الإمام الرضا: ٥٠٥/٢.

المحتوم.. فإن كان صابراً لما سيقع عليه.. فله أن يثور على الظالمين.. والنص يحمل موافقة الإمام الضمنية لموقف زيد.

٢- عن أبي بكر الحضرمي قال: ذكرنا زيدا وخروجه عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: عمي مقتول، إن خرج قتل، ففروا في بيوتكم، فوالله ما عليكم بأس، فقال رجل من القوم إن شاء الله <sup>(١)</sup>.

يعطي هذا النص انطباعاً واضحاً أن الإمام، إضافة إلى توضيح رأيه في نهاية الثورة وقتل الثائرين... أنه كان يمنع بعض مواليه وأصحابه من المشاركة في الثورة، لأنه لا يريد أن يُلقَى بالكتلة السياسية المعارضة كلها في أتون الثورة.

ثم إن هذا النص يوضح أن ليس من واجب أصحابه الاشتراك في الثورة (فوالله ما عليكم من بأس). إلا أن رد أحد رجال الإمام الصادق عليه السلام بقوله: إن شاء الله... يوحي بأن هذا الرجل اشترك فيما بعد في الثورة.. لكونه فهم أن المشاركة ليس أمراً منع منه الإمام عليه السلام، إلا أنه حينئذ عدم اشتراك أصحابه كونهم نخبة الأمة وخاصرة المعارضة الخفية للسلطة.

٣- عن مهزّم الأسدي قال: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فقال: يا مهزّم ما فعل زيد؟ قلت: صلب، قال: أين؟ قلت في كناسة بني أسد، قال: أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قلت: نعم، فبكي حتى بكى النساء خلف الستور <sup>(٢)</sup>.

(١) كشف الغمّة: ٢/١٩٨.

(٢) أمالي الطوسي: ٢/٦٧٢.

إنّ هذا النصّ يفيض بالتفاعل العاطفي الكبير مع الثورة وقائدها، فالمأمّم الكبير الذي ضجّت فيه الرجال والنساء باليكاء يعطي انطباعاً واضحاً بأنّ الإمام كان يترصد أخبار الثورة ونتائجها التي كانت واضحة لديه، وهو يركّز مفهوماً عاطفياً عند أصحابه عن قيمة الثورة وأهميتها.

٤ - الفضيل بن يسار يقول: بعد قتل زيد ذهبت الى المدينة لألتقي بالإمام الصادق عليه السلام فقال: يا فضيل شهدت مع زيد قتال أهل الشام؟

قلت: نعم.

قال: فكم قتل منهم؟

قلت: ستة.

قال: فلعلك شاك في دمائهم؟

قلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم.

قال: أشركني الله في تلك الدماء. مضى والله عمي زيد وأصحابه شهداء مثل ما

مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه<sup>(١)</sup>.

يحمل هذا النصّ عدة دوال موضوعية مختلفة بين طيات حواريته:

الأولى: أنّ بعض أصحاب الإمام كانوا قد شاركوا في ثورة زيد، ويبدو

أنّ الفضيل بن يسار كان من خواص الإمام<sup>(٢)</sup> وذلك لانفتاح الإمام عليه في

شأن الثورة.

الثانية: محاولة الإمام التعرّف على دقائق الواقعة وأحداث المعركة،

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٦.

(٢) الفضيل بن يسار النهدي: أبو القاسم، عربي، بحري صميم، ثقة، دوى عن أبي جعفر وأبي عبدالله ومات في أيامه. (معجم الرجال: ٣٥٦/١٤).

ومحاولة معرفة ما إذا كان أصحابه قد اشتركوا في القتال الفعلي أم لا.

الثالثة: إثارة كوامن الأصحاب ومعرفة سرانثر نفوسهم ومواقفهم الحقيقي بعد هزيمة المحاربين مع زيد... فهل هم نادمون على ما فعلوا أم لا؟

الرابعة: اعتبار الإمام عليه السلام نفسه ممن اشترك في تلك الدماء بل هو يدعو الله أن يشركه في دماء أصحاب تلك المعركة.. وفي هذا تصريح واضح مطمئن إلى أن تلك الدماء إنما سفكت في طريق الله.

الخامسة: التصريح بأن ثورة زيد وأصحابه الشهداء.. إنما هي امتداد لموقف الإمام عليه السلام من حكومة الطغاة والمتجبرين.. وأن الثورة جزء من خط المواجهة المستمر بين الحق والباطل.

٥- عندما علم الإمام بصلب زيد، اتصل ببعض من كان معه في معركته وعاتبهم على عدم دفنهم زيد وإخفاء جسده عن الصلب. فينقل سليمان ابن خالد أن الإمام سأله عن عدم دفنهم زيد، فلما شرح له سليمان الموقف الصعب قال الإمام: سبحان الله.. أفلا كنتم أفننتموه حديداً وقد قتلتموه في الفرات.. فإن ذلك أفضل<sup>(١)</sup>.

ويعطي هذا النص أيضاً انطباعاً جليلاً لمتابعة الإمام حتى جسد الشهيد زيد.. وكيف استخرج وصلب.. وهي متابعة توحى بالانسجام العاطفي والتفسي مع رجل الثورة الشهيد.. وأن رجل الثورة وهو ميت ذو أهمية كبيرة عند الإمام كما لو كان وهو حي.

(١) الكافي، ٨/٢٥٠.

٦- عبدالرحمن بن سيابة يقول: أعطاني الصادق ألف دينار فقسمتها على عيال من أصيب مع زيد<sup>(١)</sup>.

هذا النص وما سبقه من النصوص، إذا ما أخذناها باعتبارها نصوصاً لها دلالات موضوعية كبيرة، كونها جاءت في أجواء حذرة وخائفة بالنسبة لاتباع أهل البيت عليهم السلام، فإنها تؤكد لنا أن الإمام الصادق كان يعلن المواجهة للسلطة آنذاك بتفاعله مع حركة زيد.. بل إنه استخدم خطاب الثورة خطاباً له، مؤكداً في مقولته له: «أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، أَوَّذَنِي فِي هَلَاكِ بَنِي أُمَيَّةَ بَعْدَ صَلَاحِهِمْ زَيْدًا بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ»<sup>(٢)</sup>.

٧- وما أن يزور هشام مدينة النبي صلى الله عليه وآله يستقبله الصادق عليه السلام بقوله: «كان أبوكم طليقنا وعتيقنا وأسلم كارهاً تحت سيوفنا»<sup>(٣)</sup>.

في جميع هذه النصوص انطباع قوي أن الإمام جزء موقف المعارضة عن اصرار مسبق الى موقفين: رافض مقاوم ضمن مواجهة محسومة النتائج.. وموقف قوي متحدّ داعم يختفي وراء أستار الهدوء والصمت.. ويبدو أن زيداً كان شريكاً للإمام في هذا الموقف وهو الأمر الذي أوضحه الإمام عليه السلام لخاصة شيعته بقوله:

«لا تقولوا خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً صدوقاً، ولم يدعكم الى نفسه، إنما دعاكم للرضى من آل محمد، ولو ظفروا فني بما دعاكم إليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) أنبالي الصدوق: ٢٧٥.

(٢) تفسير العياشي: ١/٣٢٥.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ١/٣٢١.

(٤) الحور العين: ١٨٨.



وقد صرح يحيى بن زيد بما يشابه ذلك لما سأله أحداهم عن موقف أبيه لو ظفر بالخلافة فقال:

« كان أبي يدعوكم الي الرضى من آل محمد - يعني بذلك ابن عمي جعفرًا - »<sup>(١)</sup>.

أما تصريحات الإمام حول خروج يحيى بن زيد فإن المتوكل بن هارون ينقلها بأمانة في مقدمه «الصحيفة السجادية» فيقول: لما علم الإمام الصادق بقتل يحيى، بكى واشتدّ وجده به وقال: رحم الله ابن عمي وألحقه بأبائه وأجداده..

وفي تصريح آخر قال: يرحم الله يحيى...

إلا أن نصاً في مقدمة الصحيفة السجادية لا يدلّه من أن يدرس في إطار افرازات التصوص السابقة وهو: ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت الى قيام قائمنا أحد، ليدفع ظلماً أو يعرض حقاً إلا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروها. وهذا النص قد يفهمه البعض موقفاً سلبياً من الإمام حول كلّ تحرك لمواجهة السلطة الظالمة.. إلا أن الثاني في فهم إيجابيات هذا النص تؤكد عدة حقائق:

١ - تصريح الإمام بأن الثوار إنما كانوا يتحركون بدافع ردّ الظلم ودعم الحق وأهله.. وهو وثيقة لا لبس فيها بأن من خرج من أهل البيت إنما دفعهم لذلك الحق...

٢ - بيان أن أكثر هؤلاء الثوار سيؤول أمرهم الى القتل، وأنّ نهاية

(١) الحاوي لابن ادريس، ٣/٥٥٠.

ثوراتهم هو الانحسار الفعلي من ساحات المعارك.. إلا أنهم لا يعدمون التأثير في الأمة إيجابياً.

٣- إن آثار هذه الثورات ستعكس على الجماعة المعارضة انعكاساً سلبياً من ناحية السلطة.. وأن السلطة ستعمل على اتخاذ إجراءات من شأنها التضييق على تحرك المعارضة وهو ما وصفه الإمام «زيادة في مكروهننا».

وإذاً فليس في تصريح الإمام هذا ما يوحي بالتشكيك بأصل التحرك أو في نوايا رجاله وقادته.. إنما هو استقراء لواقع مستقبلي سيكتنف حركات الثوار.

وهنا يحق لنا التساؤل: لماذا يفعل الإمام ذلك؟!؟

استطيع أن أقول إن الإمام لم يكن ليعلن هذا الموقف على عامة الأمة بكل مستوياتها.. وإنما يعلنه لخاصة رجاله أو للثوار أنفسهم، لكي يتقدم من يتقدم منهم إلى الثورة وهو على بصيرة من الأمر، وعلى موقف لا تشكيك فيه ولا قلق.

فليس في مقولات الإمام هذه تبييط لحركة المقاومة، وإنما جاءت مقصودةً لينعزل من صف الثوار من لم يوطن نفسه للقتل، وفي ذلك استخلاص للصفوة الغدائية من الشيعة، الذين كان قد أسند لهم دور المواجهة التي لا هوادة فيها ولا استسلام.

إلا أن هذا الموقف الواضح للإمام من ثورة زيد الشهيد ونجده يحيى يبدو ليس هو ذاته مع ثورات الحسينيين من أبناء عمومته.

وفي استقراء سريع لبعض النصوص يتبين أن الحسينيين ابتداءً من

عبدالله بن الحسن المثنى، إنما طرحوا أنفسهم كونهم منهم «مهدي» هذه الأمة.

وفي نص تاريخي لحوار دار بين الإمام الصادق وعبدالله بن الحسن، كان الإمام الصادق عليه السلام يعني على عبدالله دفعه ابنه محمداً للثورة والتصدي على أنه (مهدي) الأمة، بل يتعنى عليه عدم وعيه السياسي لتلك المرحلة. يقول الإمام الصادق عليه السلام: يا أبا محمد متى كان أهل خراسان لكم شيعة؟ هل أنت بحث أبا مسلم الى خراسان؟ هل أنت أمرت بلبس السواد؟ هل أنت أقدمت الناس الى العراق؟! بل هل تعرف منهم أحداً؟!

فنازعه عبدالله بن الحسن الكلام وقال: ابني محمد هو مهدي هذه الأمة!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما هو مهدي هذه الأمة، ولئن شهر ميغه ليقطن.

فقال عبدالله: كان هذا الكلام منك لشيء - يعني الحسد - <sup>(١)</sup>.

وواضح أن أسلوب الإمام في التعامل مع حركة أبناء عبدالله هو غير أسلوبه مع زيد ويحيى.. فإن أبناء الحسن المثنى إنما كانوا يطرحون مسألة عقائدية يرون أنهم مصداقها.. وهي قضية المهدي، الأمر الذي يرقضه الإمام الصادق عليه السلام.

إضافة الى أن أبا الفرج الاصفهاني يذكر أن محمداً ذا النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن قد مال لرأي المعتزلة، يقول: قدم أبو أيوب الأدبر رسولاً لواصل بن عطاء داعياً الى مقاتته، فاستجاب له محمد بن عبدالله بن

(١) مروج الذهب: ٢/٢٥٤، واليعقوبي: ٢/٣٤٩.

الحسن في جماعة من آل أبي طالب<sup>(١)</sup>.

ورغم ذلك فقد ظل الإمام الصادق على موقفه في دعم ثورات الحسين سرّاً، كونها تشكل النصف الثاني من الموقف الموحد للمعارضة، رغم وجود إشارات تاريخية على اعتراضه على الخطاب الإعلامي والسياسي لتلك الثورات وهو اتخاذ قضية (المهدي) شعاراً للثورة ومادة عقائدية لها.

ويقتل أبو الفرج في مقاتله نصّاً واضحاً عن علي بن عمر، قال: سمعت جعفرأ يقول بعد لقائه بالمنصور: رحم الله ابني هند - أي محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن - إنهما إن كان لصابرين كريمين، والله لقد مضيا ولم يصبهما دنس<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: فما آسى على شيء إلا على تركي إيتاهما، لم أخرج معهما<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن هذا النص هو إضافة من قبل مؤرخي الزيدية، وذلك لأنّ أبا الفرج عندما ساق النص الأول.. قطعه بقوله: وقال غيره أي لم يُسند النص إلى علي بن عمر.. هذا إذا لم نتهم أبا الفرج نفسه لسميحه الانتصار إلى مذهبه... وإلا فما الوجه في ندم الإمام على عدم الخروج مع محمد ذي النفس الزكية وأخيه.. رغم تعاقب ثورات بني عمه بعدهما؟

ورغم كونه ينصح أباهما بعدم الخروج وأنّ مصيرهما القتل إن هما خرجا! ثم إنّ أبا الفرج يسوق موقفاً آخر حول دفع الإمام الصادق إبنه

(١) المقاتل: ١٦٦.

(٢) المقاتل: ١٧٠.

(٣) المقاتل: ١٧٠.

موسى بن جعفر وعبدالله بن جعفر للاشتراك مع محمد النفس الزكية..  
 وإنهما اشتركا معه في الثورة وشهدا معه مشهدها ورغم أن هذه الحقيقة لا  
 يذكرها أي مؤرخ قبل أبي الفرج ولا بعده، الأمر الذي يجعلنا نشك في أن  
 أبا الفرج ورواة الزيدية كانوا حريصين على استمالة الشيعة إلى موافقهم،  
 وذلك بادعاء أن أئمة الشيعة كانوا ممن شاركوا في ثورات الحسينين.  
 وعلى أية حال فإن موقف الإمام الصادق كان واضحاً من ثورة محمد  
 وإبراهيم وهو ما ينقله أبو الفرج نفسه إذ قال لأبيهما: فأما ابنتك فوالله لا  
 أبايعه.

وأنه قال له: إن هذا الأمر والله ليس لك.. ولا إلى ابنتك..

أو أنه قال: والله ما هي إليك ولا إلى ابنتك<sup>(١)</sup>.

فالإمام يفرق بين دعم الثورة كشورة لها دوافعها الذاتية ومكاسيها  
 الاجتماعية، وبين مآذتها العقائدية وخطابها السياسي.

إننا نراه يدعم الثورة كتحرك مسلح يؤدي فيما يؤديه إلى إضعاف  
 السلطة، وإعطاء شيء من الأمل للمضطهدين.

إلا أنه يعترض على ادعاءات قادة الثورة بأن منهم المهدي المنتظر..  
 في ذات الوقت الذي يعترض على المنصور وسلطته لإعطائه لقب  
 المهدي لابنه محمداً أيضاً!

\* \* \*

ونستخلص مما سبق أن مواقف الإمام الصادق عليه السلام من ثورة زيد  
 الشهيد وولده يحيى كان منجماً مائة في المائة على صعيد التحرك في

الثورة والفكرة والعقيدة والخطاب السياسي.

إلا أنه كان ذا موقف إيجابيٍ حذرٍ من ثورات الحسينيين في عصره بل كان متحفظاً أيّما تحفظ على مقولاتهم العقائدية وخاصة في قضية مهمة تشكل حجر الزاوية في مستقبل الرسالة الإسلامية وهي عقيدة (المهدي) التي تكشف بعض النصوص أن بني الحسن إنما اتخذوا هذه الأطروحة شعاراً لثوراتهم رغم إيمانهم بأن المهدي ليس فيهم! هذه إثارات عاجلة حول مواقف الإمام الصادق عليه السلام من الثورة في عصره.

نأمل أن توفق لدراساتها بصورة أشمل مستقبلاً والحمد لله رب العالمين.





**غيبة الإمام المهدي  
في**

**فكر الإمام الصادق عليه السلام**

**السيد تامر العميدي الحسيني**





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله الطيّبين  
الطاهرين، صلاة زاكية نامية متصلة متواترة لا غاية لأمدّها ولا نهاية  
لعددها، وسلّم تسليمًا كثيرًا. وبعد ..

ليست الغاية من الحديث عن دور العطاء والعباقرة في تاريخ الثقافة  
الإسلامية اكتشاف نبوغهم، أو تسليط الضوء على إبداعاتهم في رفد حركة  
الفكر الإنساني بعطاء راقٍ خصب ثمر، أو بيان منزلتهم وما كانوا عليه من  
كفاءات عالية وراقية، وهم رفيعه لامة، فحسب.

ولا الهدف من إقامة المؤتمرات والندوات العلمية في ذكرهم،  
موقوفاً على إظهار ما تفردوا به من مزايا وصفات، ولا على التنخّي  
بآثارهم وأمجادهم وإن كان كلّ ذلك مقصوداً؛ بل الغاية القصوى أبعد،  
والهدف الأسمى أعمق من ذلك بكثير، وتحقيقهما لا يكون إلا عن  
طريق تحويل تلك الأدوات الزائرة بالعلم والمعرفة والعطاء بلا حدود إلى  
قوة جديدة، وطاقه محرّكة للحياة، نظراً لما تركوه لنا من نقاط عديدة  
للاتطلاق وعلى أكثر من صعيد.

وربّما قد يستوقف الباحث أمر وهو يستحضر أسماء عباقرة  
المسلمين فيجد اسم الإمام الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨ هـ) يتكرر في مصادر  
شيعته بصورة لم يبلغها أحد غيره من أهل البيت عليه السلام.

والسز في هذا أن الإمام الصادق عليه السلام قد عاش في عصرين مختلفين، عصر ضعف الدولة الأموية حتى آلت إلى السقوط سنة ١٣٢ هـ على أيدي العباسيين، وعصر انشغال بني العباس في تثبيت أقدامهم بالسلطة. ومعنى هذا، إن الدولة الأموية في عهد الإمام الصادق عليه السلام - الذي تولى الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر عليه السلام سنة (١١٤ هـ) - لم تكن قادرة على ممارسة نفس دورها الإرهابي في الحد من نشاط أهل البيت عليه السلام كما كانت تمارسه في عهد آبائه عليه السلام.

كما أن الدولة العباسية لم تعلن إرهابها على الإمام عليه السلام في بداية حكمها كما أعلنته عليه بعد حين وعلى الأئمة المعصومين من أولاده عليه السلام فيما بعد، وصولاً إلى دورهم البيهقي في غيبة آخر الأئمة الإمام المهدي عليه السلام.

ومن هنا وجد الإمام عليه السلام الفرصة النسبية سانحة للانطلاق في أرحب الميادين، ولهذا نجد اسمه الشريف يتردد على السنة المؤرخين والمحدثين والمفسرين والفلاسفة والمتكلمين أكثر من سائر الأئمة الآخرين عليه السلام، ولعل خير ما يعبر لنا عن هذه الحقيقة هو الإمام الصادق عليه السلام نفسه فيما رواه عنه أوثق تلامذته.

فعن أبان بن تغلب قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أبي عليه السلام يقضي في زمن بني أمية أن ما قتل البازي والصرقر فهو حلال، وكان يتقهم، وأنا لا أتقهم، وهو حرام ما قتل»<sup>(١)</sup>.

(١) فروع الكافي / الكليني ٦: ٢٠٨ / ٨ كتاب الصيد، باب صيد البزاة والصرقر.

ونحو هذا ما رواه الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً<sup>(١)</sup>، ونظيره ما رواه زرارة وأبو عمر الأعجمي عن الإمام الصادق عليه السلام من المنع عن مسح الخنقين في الوضوء تقيّة وكذلك في النيء ومتمعة الحج<sup>(٢)</sup>. فهذه النصوص وأمثالها تصوّر لنا بوضوح حالة الانفراج السياسي النسبي الذي عاشه الإمام الصادق عليه السلام في ظلّ الدولتين.

وقد كانت وظيفة الإمام الصادق عليه السلام صعبة للغاية إذ شاهد خطورة الموقف الإسلامي، وعاصر تلوث المجتمع المسلم بالمفاهيم الدخيلة النافذة إليه عن طريق الفلسفات الأجنبية التي تسلّلت رويداً إلى ساحته عبر القنوات الكثيرة التي شقّتها فتوحات العصر الأموي (٤٠-١٣٢ هـ). وبدايات العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٤ هـ)، وما نتج عن هذا وذاك من نشوء انتقارات الفكرية الخطيرة، وانقسام المسلمين إلى مذاهب وفرق عديدة، مع بروز حركة الزندقة والإلحاد بفعل تلك الرواسب الثقافية المسمومة، فضلاً عن استشراف حالة الفساد الإداري والخنقي في عاصمة الخلافة - دمشق أولاً، وبغداد ثانياً - ومن ثمّ تصدير الانحراف إلى شرائح المجتمع من قصور الخلفاء أنفسهم، ويشهد على كلّ هذا ما وصل إلينا من أدب النبلاطين في ذينك العصرين، وفي كتاب الأغاني لأبي الفرج

→ والفتية / الصدوق ٣: ٢٠٤ / ٩٣٢. والتهذيب / الشيخ الطوسي ٩: ٣٢ / ١٢٩.

والاستبصار / الشيخ الطوسي ٤: ٧٢ / ٢٦٥.

(١) فروع الكافي ٦: ٢٠٧ / ١، من الباب السابق. والتهذيب ٩: ٣٢ / ١٣٠.

والاستبصار ٤: ٧٢ / ٢٦٦.

(٢) فروع الكافي ٣: ٣٢ / ٢، باب مسح الخنقين من كتاب الطهارة، ٢: ٢١٧ / ٢، باب

التقية، والمحاسن / البرقي ١: ٢٥٩ / ٣٠٩، والخصال / الصدوق ٣٢: ٧٩.

الأصفهاني أمثلة لا حصر لها، تصوّر لنا حالة البذخ الاقتصادي، والترف  
الفكري، والتحلّل الخُلقي الذي أصاب الأمة على أيدي حكامها وأمرائها  
في الدولتين الأموية والعباسية.

فليس أمام الإمام الصادق عليه السلام إذاً إلا إعادة تشكيل وعي الأمة من  
جديد، وتعبئة أكبر ما يمكن من طاقات أفرادها للنهوض بمهمة التغيير  
الكبرى، وهو ما استطاع عليه السلام أن يحققه في تلك الفترة القصيرة؛ إذ استطاع  
وبكلّ جدارة أن يعيد للإسلام قوّته ونظارته، بعد أن أرسى قواعد الفكر  
الصحيح على أسسه. فوقف كالطود الأشمّ بوجه تلك العواصف الكثيرة  
التي أوشكت أن تعصف بكلّ شيء من بقايا الحق وأهله، وجاهد جهاداً  
علمياً عظيماً، حتى تمكّن بحكمته وعطائه وعلمه وإخلاصه لله عزّ شأنه  
وتفانيه في دين جدّه عليه السلام أن يصيغ الساحة الفكرية والثقافية في عصره -  
بعد أن تدنّت بها القيم والأخلاق - بمعارف الإسلام العظيم، ومفاهيمه  
الراقية، واستطاع تحويل تلك المفاهيم إلى غذاء روحي يومي، فنقلها من  
الواقع النظري إلى حيز التطبيق العملي مبتدئاً بذلك برؤاد مدرسته العظيمة  
التي كانت تضمّ ما يزيد على أربعة آلاف رجل، وكلّهم من تلامذته، حتى  
صاروا مشاعل نور، أضاءت لكنّ ذي عيين من أفراد الأمة ما اعظم عليه.  
وهكذا استمرت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في أداء رسالتها يفتديها -  
من بعده - الأئمة من ولده عليه السلام، بفيض من علم النبوة ونور الولاية، ولم  
يخبّ ضوؤها بتعاقب الزمان وتجدد الملوان، ويشهد لخلودها واتساعها  
أنك واجد في كلّ عصر قطباً من أقطابها يُشار له بالبنان، وتشدّ إليه الرحال  
من كلّ فيج عميق.

وما كان هذا ليتم بسهولة لولا الجهاد العلمي الحثيث المتواصل الذي بذله الإمام الصادق عليه السلام، حتى اكتسب الواقع الثقافي الإسلامي بفضل مدرسته المباركة، مناعة قوية ضد وباء الانحراف، ذلك الوباء الذي كان ضارباً أطنابه على مرافق عديدة من الفكر الإسلامي، فضلاً عما تركه من تشويش وتضاد في جزئيات العقيدة، ناهيك عما أصاب (الإمامة) من تداعيات خطيرة في المجتمع المسلم؛ حتى أبيضت وضح النهار لكل جبار عنيد، وصار كل من غلب بحدّ السيف إماماً مفروض الطاعة! هذا في الوقت الذي صحّ فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله برواية الفريقين أنه قال: «الخلفاء إنا عشر كلهم من قریش»<sup>(١)</sup>، وصحّ أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>، كما تواتر عنه صلى الله عليه وآله حديث الثقلين الذي جعل الكتاب وعترته أهل بيته صنوين متلازمين ما بقيت الدنيا، وعاصمين

(١) صحيح البخاري ٤: ١٦٤ باب الاستخلاف من كتاب الأحكام. وصحيح مسلم ٢: ١١٩ باب انما من تبع لقریش من كتاب الإمامة أخرجه من تسعة طرق، ومسنده أحمد ٥: ٩٠ و٩٣ و٩٧ و١٠٠ و١٠٦ و١٠٧.

وإكمال الدين / الشيخ الصدوق ١: ٢٧٠ / ١٦ و١٦٢ / ٢٧٢ / ١٩، والخصال / الشيخ الصدوق ٢: ٤٦٩ و٤٧٥.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٢ باب الفتن. وصحيح مسلم ٨: ٢١ - ٢٢ / ١٨٤٩، ومسنده أحمد ٢: ٨٣ و٤٤٦ / ٤: ٩٦، والمعجم الكبير / الطبراني ١٠: ٣٥٠ / ٦٨٧ - ٦٨٨، ومسنده الطيالسي: ٢٥٩، ومسنده الحاكم ١: ٧٧، وسنن أبيه في ٨: ١٥٦ و١٥٧، وأصول الكافي ١: ٣٠٣ / ٥، و١: ٣٠٨ / ١، و٢: ٣٧٨ / ٢، وروضة الكافي ٨: ٢٩ / ١٢٣، والإمامة والتبصرة من الحيرة / الصدوق الأول ٢١٩ / ٦٩ و٧٠ و٧١، وقرب الإسناد / الحميري: ٢٥١ / ١٢٦٠، وبيصائر الدرجات / الصفار: ٢٥٩ و٥٠٩ و٥١٠، وإكمال الدين ٢: ٤١٢ - ٤١٣ / ١٠ و١١ و١٢ و١٥ باب ٣٩، ورجال النكشي في ترجمة سالم بن أبي حفصة: ٢٣٥ / رقم الترجمة (٤٢٨).

من الضلالة لكل من تمسك بهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على النبي ﷺ الحوض<sup>(١)</sup>.

(١) ورد حديث الثقلين الشريف بلفظ: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» متواتراً عن رسول الله ﷺ. وأسند في كتب الفريقين إلى أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن أسيد، وزيد بن أرقم، وزيد ابن ثابت.

أما حديث أمير المؤمنين عليه السلام فقد أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢: ١٠٢٦، والبيزار في مسنده ٣: ٨٩ / ٨٦٤، والطحاوي في مشكل الآثار ٢: ٢١١ - ٢١٢ / ١٩٠٠، والحموي في الشافعي في فرائد السطيين ٢: ١٤٤ / ٤٢٧ باب ٣٢.

ورواه من الإمامية الكليني في أصول الكافي ٢: ١٤٤ / ١، والصدوق في إكمال الدين ١: ٢٣٥ / ١٩، و١: ٢٣٧ / ٥٤، و١: ٢٣٩ / ٥٨، و١: ٢٤٠ / ٢٤، باب ٢٢، وكذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٧ / ٢٥، باب ٦، و٢: ٣٤ / ٤٠، باب ٣٦، و٢: ٦٨ / ٢٥٩، ومعاني الأخبار: ٩ - ٩١ / ٤ و ٥، والشيخ النعماني في كتاب الغيبة: ٤٢.

وأما حديث أبي سعيد فقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٣: ١٧ و ٢٦ و ٥٩، وفي كتاب فضائل الصحابة له أيضاً ٢: ٥٨٥ / ٩٩٠ و ٢: ٧٧٩ / ١٣٨٢، والترمذي في مسنده ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٨، وابن أبي عاصم في السنة ٢: ١٠٢٣ - ١٠٢٤ / ١٠٩٧، و١٥٩٨، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ٢: ٦ / ١٧ - ١، و٢: ٨ - ٩ / ١٠٢٣، وابن الجعد في مسنده ١: ٣٩٧ / ٢٧١١، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢: ١٩٤، وابن أبي شيبة في المصنف ٧: ١٧٦ / ٢٧، والطبراني في معاجمه الثلاثة: الكبير ٣: ٦٥ - ٦٦ / ٢٦٧٨ و ٢٦٧٩ و ٢٦٧٩، والصغير ١: ١٣١ و ١٣٥، والأوسط ٤: ٢٦٢ - ٢٦٣ / ٣٤٦٣ و ٤: ٣٢٨ / ٣٥٦٦، والحموي في فرائد السطيين ٢: ١٤٤ - ١٤٦ / ٤٢٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠، باب ٣٣.

ورواه من الإمامية محمد بن العباس في تفسيره كما في تأويل الآيات الظاهرة للإستزبادي: ٦١٦، والشيخ الصدوق في إكمال الدين ١: ٢٣٥ / ٤٦، و١: ٢٣٧ - ٢٣٨ / ٥٤ و ٥٧، و١: ٢٤٠ / ٦١، باب ٢٢، ومعاني الأخبار: ٩٠ - ٩١ / ٢، باب معنى

- الثقلين، والخصال: ٦٥ / ٩٧، والشيخ المفيد في أماليه: ١٣٤ / ٣ مجلس / ١٣٦،  
والشيخ الطوسي في أماليه: ٢٥٥ / ٤٦٠ (٥٢٩) مجلس / ٩.  
وأما حديث جابر الأنصاري فقد أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٦٢ - ٦٦٣ /  
٣٧٨٦، والطبراني في المعجم الكبير ٣: ٦٦ / ٢٦٨٠، ٥: ٢٨٠ / ٤٧٥٤، وابن أبي  
شيبه في المصنف ٧: ١٧٥ / ٢٧، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة ١: ٨١ / ٩٥.  
ورواه من الإمامية: الصغار في بصائر اندرجات: ٤١٤ / ٥ باب ١٧، والصدوق في  
إكمال الدين ١: ٢٣٦ / ٥٢ باب ٢٢، والشيخ الطوسي في أماليه: ٥١٦ / ١١٣١ (٣٨)  
مجلس / ١٨.
- وأما حديث حذيفة بن أسيد، فقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٨٠ -  
١٨١ / ٣٠٥٢، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨: ٤٤٢ / ٤٥٥٦ في ترجمة  
زيد بن الحسن الأنماطي، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ١: ٣٥٥ / ٥٧ في  
ترجمة حذيفة بن أسيد.
- ورواه من الإمامية: الخراز في كفاية الأثر: ١٢٧، والصدوق في الخصال: ٦٥ / ٩٨  
من أربعة طرق
- وأما حديث زيد بن أرقم فقد أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٤٩٢ - ١٤٩٣ / ٢٤٠٨  
(٣٦) و (٣٧)، وابن خزيمة في صحيحه ٤: ٦٢ - ٦٣ / ٢٣٥٧، والنسائي في  
خصائص الإمام علي عليه السلام: ١١٧ - ١٢٠ / ٧٩، وأحمد بن حنبل في مسنده ٤: ٣٦٦  
و ٣٧١، وفي فضائل الصحابة أيضاً ٢: ٥٧٢ / ٩٦٨، والدارمي في سننه ٢:  
٥٢٤ / ٥٢٦، وابن أبي عاصم في السنن ٢: ١٠٢٢ - ١٠٢٣ / ١٥٩٥ و ١٥٩٦، و  
٢: ١٠٢٥ - ١٠٢٦ / ١٥٩٩، وابن أبي شيبه في المصنف ٧: ١٧٦ / ٢٧، والطبراني  
في المعجم الكبير ٥: ١٦٦ - ١٦٧ / ١٦٧، ١٤٩٦، ٥: ١٦٩، ٥: ١٧٠ / ٤٩٨٠ و  
٤٩٨١، ٥: ١٨٢ - ١٨٤ / ١٨٤، ٥: ٢٧ و ٥: ٢٨ و ٥: ١٨٦ / ٥٠٤٠، والحاكم في  
المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٨ / ٤٥٧٦، و ٣: ١٦٠ - ١٦١ / ٤٧١١،  
والطحاوي في مشكل الآثار ٤: ٢٥٠ - ٢٥٤ / ٣٧٩٦ و ٣٧٩٧ باب ٥٤٨، والبيهقي  
في كتاب الاعتقاد ١: ٣٢٥، والسنن الكبرى أيضاً ١٠: ١١٣ - ١١٤، والخوارزمي



→ المحنفي في المناقب: ١٥٤ و ١٨٢، والرافعي في التندوين في أخبار قزوين ٥٢ / ٤٦٥.

ورواه من الإمامية: الصدوق في إكمال الدين: ١ / ٢٣٤ و ٤٤ / ٤٥، و ١ / ٢٢٧ - ٢٤٠ / ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٦٢ باب ٢٢ من ستة طرق.

وأما حديث زيد بن ثابت: فقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٥ / ١٦٠، وفي فضائل الصحابة له أيضاً: ٢ / ٧٨٦، وابن أبي عمير في السنة: ١ / ٥٠٩ / ٧٧٢، و ٢ / ١٠٢١ / ١٥٩٢، وابن أبي شعبة في المصنف: ٧ / ٤٦٨ / ٤١، والطبراني في المعجم الكبير: ٥ / ١٥٣ - ١٥٤ / ١٥٤ و ٤٩٢١ و ٤٩٢٢ و ٤٩٢٣، والحموي في فرائد السمطين: ٢ / ١٤٤ / ٤٣٧ باب ٣٣.

ورواه من الإمامية: ابن شاذان في مئة منقبة: ١٦١ / ٨٦، والصدوق في إكمال الدين: ١ / ٢٣٦ / ٥٢ باب ٢٢، و ١ / ٢٣٩ / ٦٠ باب ٢٢، والأسالي: ٥٠٠ / ٦٨٦ (١٥) مجلس / ٦٤.

هذا وقد روى الإمامية حديث الثقلين - زيادة على من ذكرناه - عن:

الإمام الحسن السبط عليه السلام، كما في أمالي الشيخ المفيد: ٣٤٨ / ٤ مجلس / ٤١، وأمالي الشيخ الطوسي: ١٢١ / ١٨٨ مجلس / ٥، و: ٦٩١ / ٤٦٩ مجلس / ٣٩، وكفاية الأمر: ١٦٢، وبشارة المصطفى: ١٠٦.

وعن الإمام الباقر عليه السلام، كما في بصائر الدرجات: ٤١٣ - ٤١٤ / ٣ / ٦ باب ١٧، وفروع الكافي: ٣ / ٤٢٢ / ٦ باب تهيئة الإمام للجمعة، ورجال الكشي: ١ / ٢١٩ / ٢١٨ في ترجمة نويرة بن أبي فاختة، ومعاني الأخبار: ٥٨ / ٥٩، وبشارة المصطفى: ١٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام، كما في بصائر الدرجات: ٤١٤ / ٤ باب ١٧، وأصول الكافي: ١ / ٢٩٣ / ٣ باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام وتفسير العياشي: ١ / ٥ / ٩، وكتاب الغيبة للنعمان: ٥٤ / ٧ باب ٣، ودلائل الإمامة: ٤٣، وأمالي الشيخ الطوسي: ١٦١ / ٢٦٨ (٢٠) مجلس / ٦، وكفاية الأمر: ٢٦٤.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام، كما في خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٧٢.

وهكذا تعيّن المقصود بالإثني عشر، واتضح المعنى بإمام زمان كل جيل من أجيال الأمة بما لا يحتاج معه إلى مزيد تأمل أو تفكير. وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، من العترة؟ فقال عليه السلام: أنا، والحسن، والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين، تامعهم مهديهم، لا يفارقون كتاب الله عز وجل ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»<sup>(١)</sup>.

ولو لم يكن الأمر كما فناه؛ لجعل عليه السلام مناط الاعتصام من الضلالة

- وعن الإمام الرضا عليه السلام، كما في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٨ / ١ باب ٢٣، وأما في الشيخ الصدوق: ٥٢٢ / ١ مجلس / ٧٩.
- وعن أبي ذر الغفاري، في إكمال الدين ١: ٢٣٦ - ٢٣٩ / ٥٢ و ٥٦ و ٦٠ باب ٢٢، وتفسير القمي ١: ١٠٩ في تفسير سورة آل عمران، والغصال ٢: ٤٥٧ / ٢، وأما في الشيخ الصدوق: ٥٠٠ / ٦٨٦ (١٥) مجلس / ٦٤.
- وعن أبي هريرة، كما في كفاية الأثر: ٨٧.
- وعن أم سلمة، كما في أمالي الشيخ الطوسي: ٤٧٨ / ٤٥ - ٤٤ (١٤) مجلس / ١٧.
- وعن البراء بن عازب، كما في بشارة المصطفى: ١٣٦.
- وعن حذيفة بن اليمان، كما في كفاية الأثر: ١٣٦، وإقبال الأعمال للسيد ابن طاوس: ٤٥٤.
- وعن عبد الله بن عباس، كما في أمالي الشيخ الصدوق: ٦٤ / ١١ مجلس / ١٥، وأما في الشيخ المفيد: ٤٥ - ٤٧ / ٦ مجلس / ٦، ومائة منقبة: ١٤٣ / ٧٥.
- وعن عمر بن الخطاب، كما في كفاية الأثر: ٩١.
- (١) رواه الفضل بن شاذان في إثبات الرجعة كما في مختصره: ٢٠٨ / ٦، عن ابن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام. وأخرجه الصدوق بسند صحيح، عن ابن أبي عمير، عن غياث، عنه عليه السلام. إكمال الدين ١: ٢٤٠ - ٢٤١ / ٦٤ باب ٢٢، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٠ / ٥٥، ومعاني الأخبار: ٩٠ / ٤ باب معنى الثقلين والعترة.

بطاعة من وصل إلى السلطة وقاد المسلمين طوعاً أو كرهاً. وأما أن تكون النجاة بالتمسك بالثقلين دون غيرهما بمنطوق الحديث ومفهومه، فالعقل يبين أن يكون الإمام القدوة غير المنجى من الضلالة.

وفي هذا البحث مقطع قصير من مقاطع الإمامة، بل مفصل خطير من مفاصلها وهو: غيبة الإمام المهدي في فكر الإمام الصادق عليه السلام، ونظراً لاتصال هذا الموضوع الحساس اتصالاً وثيقاً بحياتنا المعاصرة فكراً وسلوكاً وعقيدة؛ ارتأيت أن أبحث هذا الموضوع في فكر الإمام الصادق عليه السلام لترى كيف طرح الإمام الصادق عليه السلام موضوع غيبة الإمام عليه السلام، وإذا كان هناك ما يوضح لنا هوية الإمام الغائب المنتظر بلا لبس أو إبهام؛ فهل وجد مثله في فكر الإمام الصادق عليه السلام، أو أنه طرح موضوع الغيبة مجرداً عن هوية الغائب، وترك علامات استفهام حول اسمه ونسبه الشريف، فنقول:

شغلت غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل وبعد حلولها سنة (٢٦٠ هـ) مكاناً واسعاً في الفكر الشيعي، وأخذت حيزاً كبيراً في تراثهم الروائي والكلامي، وامتدت آثارها - بعد وفاة آخر السفراء الأربعة محمد بن علي السمري (ت / ٣٢٩ هـ) (رض) - لتشمل الفقه السياسي الروائي والمستنبط معاً، ولعل في ما صنفه محدثوهم وأعلامهم قبل عصر الغيبة الصغرى وفي أثنائها أو بعدها، خير دليل على مدى العناية الفائقة التي أولاهم سائر أهل البيت عليه السلام لهذا الموضوع الخطير؛ لأنهم عليه السلام أدركوا أن معنى غياب القائد هو تشتت القاعدة؛ ما لم يتم التمهيد لغيبته عليه السلام بشكل مكثف حتى يتم استقبالها من قبل القاعدة وهضمهم لها بشكل تدريجي، وكأنها حدث طبيعي بحيث لا ينتج عنها شرخ في المذهب؛ قد يؤدي إلى

اهتزاز عقيدة أتباعه في مالو سُكِّت عن هذا الأمر وواجهه الشيعة فجأة، ومن هنا تمّ ترويض الشيعة على قبول غيبة القائد كحقيقة آتية ولا بدّ، وكان لكنّ إمام دوره الخاص في التمهيد لتلك الحقيقة الكبرى في تاريخ التشيع، لا سيّما الإمام الصادق عليه السلام الذي كان دوره مميّزاً في ذلك؛ تبعاً لما ذكرناه في ديباجة البحث من الفرصة التي سنحت له أكثر من غيره لتحليق عالياً في سماء الفكر والعقيدة حتى اصطبغ مذهب الإمامية الواسع باسمه الشريف.

نعم، كتب الغيبة، شاهدة على عناية الفكر الشيعي بها منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، من أمثال كتاب الغيبة لإبراهيم بن صالح الأتباطي الكوفي<sup>(١)</sup>، وكتاب ترتيب الأدلة فيما يلزم خصوم الإمامية دفعه عن الغيبة والغائب لأحمد بن الحسين الأبي<sup>(٢)</sup>، وكتاب الشفاء والجللاء في الغيبة لأحمد بن علي الرازي<sup>(٣)</sup>، وكتاب الغيبة لأحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندي أحد مشايخ النجاشي<sup>(٤)</sup>، وكتاب الغيبة للسيد الحسن ابن حمزة المعروف بالطبري المرعشي (ت / ٣٥٨ هـ)<sup>(٥)</sup>، وكتاب الغيبة وذكر القائم عليه السلام للحسن بن محمد بن يحيى العلوي

(١) رجال النجاشي: ١٥ / ١٣، وفهرست الشيخ الطوسي: ٣٩ / ٩، ومعالم العلماء

لابن شهر آشوب: ٥ / ٥.

(٢) معالم العلماء: ٢٤ / ١١٣.

(٣) رجال النجاشي: ٩٧ / ٢٤٠، وفهرست الشيخ: ٧٦ / ٩١، ومعالم العلماء:

٨٢ / ١٨.

(٤) رجال النجاشي: ٨٥ / ٢٠٦.

(٥) رجال النجاشي: ٦٤ / ١٥٠.

(ت / ٣٥٨ هـ)<sup>(١)</sup> وكتاب الغيبة والحيرة لعبد الله بن جعفر الحميري من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام<sup>(٢)</sup>، وكتاب الغيبة وكشف الحيرة لأبي الحسن سلامة بن محمد بن إسماعيل (ت / ٣٣٩ هـ)<sup>(٣)</sup> وكتاب الغيبة لأبي الفضل العباس بن هشام الناشري الأسدي أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ومات في إمامة الإمام الجواد عليه السلام سنة (٢٢٠ هـ) أو قبلها بسنة واحدة<sup>(٤)</sup>، وكتاب الإمامة والتبصرة من الحيرة للمصدوق الأول أحد معاصري الغيبة الصغرى كلها (ت / ٣٢٩ هـ) وكتابه مطبوع، وكتاب الغيبة لأبي محمد عبد الوهاب البادراني<sup>(٥)</sup>، وكتاب أخبار القائم عليه السلام للشيخ علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكليني الرازي<sup>(٦)</sup> من معاصري الإمام العسكري عليه السلام وهو خال ثقة الإسلام الكليني، روى عن كتابه هذا معظم أحاديث باب مولد الحجة عليه السلام في أصول الكافي، وكتاب الغيبة للشيخ النعماني تلميذ الكليني وكتابه مطبوع، وكتاب الغيبة لعلي بن محمد بن علي أبي الحسن القلاء<sup>(٧)</sup>، وكتاب إزالة الران عن قلوب الإخوان في الغيبة للفقير أبي علي محمد بن أحمد المشهور بابن الجنيد<sup>(٨)</sup>، وكتاب الغيبة وكشف الحيرة لمحمد بن أحمد الصفواني البغدادي

(١) رجال النجاشي: ١٤٩ / ٦٤.

(٢) رجال النجاشي: ٢١٩ / ٥٧٣، وفهرست الشيخ: ١٦٧ / ٤٣٩.

(٣) رجال النجاشي: ١٩٢ / ٥١٤.

(٤) رجال النجاشي: ٢٨٠ / ٧٤٦.

(٥) رجال النجاشي: ٢٤٧ / ٦٥٢.

(٦) رجال النجاشي: ٣٦٠ / ٦٨٢.

(٧) رجال النجاشي: ٢٥٩ / ٦٧٩.

(٨) معالم العلماء: ٩٧ / ٦٦٥.

من مشاهير تلامذة الكليني<sup>(١)</sup>، وكتاب الغيبة لمحمد بن مسعود المياشي (ت / ٣٢٠ هـ)<sup>(٢)</sup>، وكتاب الغيبة لإبراهيم بن إسحاق النهاوندي<sup>(٣)</sup>، وكتاب أخبار المهدي لعبد بن يعقوب الرواجني<sup>(٤)</sup> مات سنة (٢٥٠ هـ)<sup>(٥)</sup>، أي: قبل حلول الغيبة الصفري بخمس سنين، ومصنفات الشيخ المفيد في الغيبة ككتاب الغيبة، وكتاب جوابات الفارقيين في الغيبة، والرسائل العشر في الغيبة «مطبوع»، والنقض على الطنجي في الغيبة، ومختصر في الغيبة كما صرح بذلك النجاشي<sup>(٦)</sup>، وكتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) وهو «مطبوع»، وفيه من أحاديث الغيبة الكثير جداً، وله ثلاث رسائل في الغيبة<sup>(٧)</sup>، وكتاب المقنع في الغيبة للسيد المرتضى علم الهدى (ت / ٤٣٦ هـ) وهو «مطبوع»، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) وهو «مطبوع»، وكتاب الاستطراف في ذكر ماورد في الغيبة في الإنصاف للكراجكي

(١) رجال النجاشي: ٣٩٣ / ٦٠٥٠.

(٢) رجال النجاشي: ٣٥٠ / ٩٤٤، وفهرست الشيخ: ٢٦٢ / ٦٠٤، ومعالم العلماء: ٩٩ / ٦٦٨.

(٣) رجال النجاشي: ١٩ / ٢٦، وفهرست الشيخ: ٣٩ / ٩.

(٤) معالم العلماء: ٨٨ / ٦٦٢.

(٥) وصحة أهل السنة بالرفض وأدعى الشيعة عاميته!! وهو ثقة إمامي كما حققنا ذلك في محله، وللمحقق المرحوم السيد عبدالعزيز الطباطبائي كلام متين في إمامية الرجل لا مجال لسرده، وقد قال آية الله النعازي في مستدركات علم رجال الحديث بإماميته، واختارها قبل ذلك غير واحد من المحققين.

(٦) رجال النجاشي: ٣٩٩ - ٤٠٢ / ١٠٦٧.

(٧) رجال النجاشي: ٣٨٩ / ١٠٤٩.

(ت / ٤٤٩ هـ)<sup>(١)</sup>، وكتاب الغيبة لأبي الفرج العظفر بن علي بن الحسين الحمداني<sup>(٢)</sup>؛ وكتاب الغيبة لمحمد بن زيد بن علي الفارسي<sup>(٣)</sup>، وكتاب الغيبة وما جاء فيها عن النبي والأئمة عليهم السلام لتاج العلى العلوي (ت / ٦١٠ هـ)<sup>(٤)</sup>، وكتاب الغيبة لأبي بكر محمد بن القاسم البغدادي<sup>(٥)</sup>، وغيرها مما لا وسع في تتبعها.

فقبية الإمام المهدي بن الإمام العسكري عليه السلام قد عُرِفَتْ إِذَا قَبِلَ حَدُوثُهَا بِعَشْرَاتِ السِّنِينَ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَا سَمِعُوهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مِبَاشَرَةً، وَلِهَذَا أَلْفُوا فِيمَا سَمِعُوهُ بِهَذَا الْخِصُوصِ كِتَاباً عَدِيدَةً، وَقَدْ شَهِدَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَعْلَامِ الْإِمَامِيَّةِ وَأَجْلَانِهِمُ الْمَشْهُورِينَ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

قال الشيخ الصدوق: «إِنَّ الْأئِمَّةَ عليهم السلام قَدْ أَخْبَرُوا بِغَيْبَتِهِ عليه السلام وَوَصَفُوا كُونَهَا لِشِيعَتِهِمْ فِيمَا نَقَلَ عَنْهُمْ، وَاسْتَحْفَظَ فِي الصَّحْفِ، وَدَوَّنَ فِي الْكُتُبِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَعَ الْغَيْبَةُ بِمِائَتِي سَنَةٍ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَتْبَاعِ الْأئِمَّةِ عليهم السلام إِلَّا وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِهِ وَرِوَايَاتِهِ وَدَوَّنَهُ فِي مَصْنَفَاتِهِ، وَهِيَ الْكُتُبُ الَّتِي تَعْرِفُ بِالْأَصُولِ، مَدُونَةٌ مُسْتَحْفَظَةٌ عِنْدَ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام مِنْ قَبْلِ الْغَيْبَةِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ السِّنِينَ...»<sup>(٦)</sup>.

وإلى هذا أشار الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة فقال بعد استدلاله بجملته

(١) الذريعة / آغا برك الطهراني ٣: ٩٢ / ٢٩٢.

(٢) الذريعة ١٦: ٨٢ / ٤٠٦.

(٣) الذريعة ١٦: ٧٩ / ٤٠٠.

(٤) الذريعة ١٦: ٧٥ / ٣٧٥.

(٥) الذريعة ١٦: ٨٠ / ٤٠٣.

(٦) إكمال الدين ١: ١٩٠ من المقدمة.

من الأخبار الموجودة في الكتب المؤلفة قبل زمان الإمام المهدي ما هذا لفظه: «موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه فكان كما تضمنته»<sup>(١)</sup>.

كما شهد بهذا أيضاً ابن قبة الرازي، وهو من فحول متكلمي الإمامية في عصره، فقد نقل الشيخ الصدوق عنه قوله في هذا الخصوص: «وهذه كتبهم فمن شاء أن ينظر فيها فلينظر»<sup>(٢)</sup>.

كما شهد الإربلي في كشف الغمة والطبري الإمامي في دلائل الإمامة بعد نقل حديث عن الإمامين: الباقر والصادق صريح بغيبة الإمام المهدي بأنهما نقلاه من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب الزرادي<sup>(٣)</sup> والحسن بن محبوب مات سنة (٢٢٤ هـ)، أي قبل زمان الغيبة الصغرى بسنة وثلاثين عاماً، على أن ظاهرة الأخبار بالشيء قبل وقوعه كانت ظاهرة معروفة في حياة الأئمة، وقد أذعن لها الشيعة برمتهم واعترف بهذا غيرهم أيضاً.

قال ابن خلدون (ت / ٨٠٨ هـ) في تاريخه في الفصل الثالث والخمسين عن الإمام الصادق ما هذا لفظه: «وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول، وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف، وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم، فما ظنك بهم علماً وديناً وآثاراً من

(١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٧٣.

(٢) إكمال الدين: ١٠٧، من المقدمة.

(٣) كشف الغمة / الإربلي ٣: ٤٥٣ - ٤٥٤، ودلائل الإمامة / الطبري: ٥٣٥ / ٥٢٠.



النبوّة؟ وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «ووقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم فيه - والله أعلم - الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثنه لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ فِيكُمْ مُخَدَّثِينَ»، فهم أولئ الناس بهذه الشريفة، والكرامات الموهوبة»<sup>(٢)</sup>.

وقال علي بن محمد الجرجاني (ت / ٨١٦ هـ) في شرح المواقف لعضد الدين الايجي (ت / ٧٥٦ هـ) في المقصد الثاني، مبحث العلم الواحد الحادث، هل يجوز تعلّمه بمعنومين؟ ما هذا نصّه: «وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى رضي الله عنهما إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، فقبلت منك عهدك إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم»<sup>(٣)</sup>.

وقد نقل هذا الكلام بعينه الكاتب الحلبي المعروف بحاجي خليفة (ت / ١٠٦٧ هـ)، وأضاف عليه قوله: «وكان كما قال؛ لأنّ المأمون استشعر فتنة من بني هاشم، فسّمه، كذا في مفتاح السعادة»<sup>(٤)</sup>.

وقد زعم بعض خصوم الشيعة بأنّ أخبار أهل البيت عليهم السلام عن الإمام

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٨٩ الفصل / ٥٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٩٤ - ٥٩٥ الفصل / ٥٣.

(٣) شرح المواقف ٦: ٢٢.

(٤) كشف الظنون / حاجي خليفة ١: ٥٩١ - ٥٩٢ تحت عنوان: علم الجفر والجامعة ومفتاح السعادة كتاب ألفه طاشكيري زاده (ت / ٩٦٨ هـ).

المهدي الذي يدعي الشيعة وجودها في الكتب المؤلفة في عصر الإمام الصادق أخبار مكذوبة، نظراً لما تضمنته من علم الغيب، وهو منفي عن غير الله عز وجل!

وهذا جهل فظيع، لأن العلم المنفي عن غيره تعالى هو ما كان لشخص لذاته بلا واسطة في ثبوته له؛ لمكان الإمكان فيه ذاتاً وصفة، وكلّ ممكن لا يثبت له شيء من هذا العلم بلا واسطة، وما وقع لأهل البيت فهو ليس من العلم المنفي في شيء؛ لأنه متلقى عن رسول الله عن الوحي. عن الله عز وجل، ولا مانع أيضاً من أن يفرضه الله تعالى عليهم عن طريق الإلهام، لأنهم «مُخَدَّثُونَ» كما مر في كلام ابن خلدون ما يشير إلى هذا، وفي الصحيح عن الإمام الصادق قال: «نحن إنا عشر مُخَدَّثُونَ»<sup>(١)</sup>.

ولا مانع أيضاً من القول بقول الآكوسي (ت / ١٢٧٠ هـ)، بشأن علم الخواص، قال: «إنهم أظهِرُوا أو أَطْلَعُوا - بالبناء للمفعول - على الغيب، أو نحو ذلك ممّا يُفهم الواسطة في ثبوت العلم لهم»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يظهر بوضوح وجه المغالطة في نسبة إخبار أولياء الله بالشيء قبل حدوثه إلى علم الغيب المنفي عن غير الله عز وجل، كما فعل بعض أدياء العلم، هذا فضلاً عما في تلك المغالطة من إنكار لشيء مادي

(١) أصول الكافي ١: ٥٣٤ - ٥٣٥ / ٢٠، وبصائر الدرجات: ٣١٩ / ٢ باب ٥، وإكمال الدين ٢: ٣٣٥ / ٦ باب ٢٣، وعيون أخبار الرضا ٢: ٥٩ - ٦٠ / ٢٣ باب ٦.  
(٢) تفسير روح المعاني / الآكوسي ٢٠: ١١، بحث في: «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله».

لموس!! أعني المصنفات الكثيرة المؤلفة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته، وفيها من الأخبار الكثيرة المتواترة ما يكشف عن غائب بالتحديد، وشخص معين لا مجال للاشتباه فيه أو التردد، وهو ما شهد به غير واحد ممن ذكرناهم -

ومن ثم فإنَّ محدثي الإمامية الذين عاشوا في القبية الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ) أو بعدها كالبرقي (ت / ٢٧٤ وقيل سنة / ٢٨٠ هـ)، والصفار (ت / ٢٩٠ هـ)، والكليني (ت / ٣٢٩ هـ)، والصدوق الأول (ت / ٣٢٩ هـ)، والنعماني (ت / بعد سنة ٣٤٢ هـ)، والصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، والشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ)، والشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، وغيرهم من أعلام الإمامية قد جمعوا تلك الأحاديث من الكتب المعروفة بالأصول الأربعمائة، وغيرها من المصنفات المعتمدة المؤلفة في عصور الأئمة التي شاع اعتمادها؛ حتى صار مرجعهم إليها ومعونتهم عليها، وأودعوا ما جمعوا منها في مؤلفاتهم المعروفة، وفيها ما يكشف عن غيبة الإمام المهدي في فكر جدّه الإمام الصادق عليه السلام بكل وضوح، ولا يضمر وجود الإجمال في بعضها مع وجود التفصيل؛ كما لا يقدح الإبهام في دلالاتها مع توفر البسط والتوضيح؛ إذ لم يقتصر إمامنا الصادق عليه السلام على إخبار شيعته بمجرد غيبة إمام من أهل البيت عليه السلام، حتى يمكن القول بعدم دلالة ما أخبر به على غياب شخص معين. وإنما أخبرهم كذلك بشخص من سيب، وحدد رقمه من بين الأئمة الإثني عشر، وذكر اسمه وكنيته، وسلط الضوء على كامل هويته، وما يقوله المبطلون في ولادته، وطول أمده غيبته، وما يجب على المؤمنين من انتظار فرجه، مع تبیین واسع

علامات ظهوره، ومكان الظهور، وعدد أنصاره، ومدّة حكمه بعد ظهوره، وقوة دولته، وسعة العدل فيها، والرخاء العميم في جناباتها، وسيطرة دين الإسلام في ظلالها على سائر الأديان كلها في مشارق الأرض ومغاربها، بما لا يقن مع تلك الأخبار أدنى مجال للقول بمهدي مجهول يخلقه الله تعالى في آخر الزمان.

وهكذا حكم الإمام الصادق عليه السلام من خلال تلك الأحاديث بزيغ دعاوى المهدوية السابقة على عصره والمعاصرة له، واللاحقة به، وبين كذبها جميعاً؛ كمهدوية محمد بن الحنفية (ت ٧٣ هـ، وقيل غيرها) ومهدوية عمر بن عبدالعزيز الأموي (ت ١٠١ هـ)، ومهدوية محمد بن عبدالله بن الحسن الذي قتله المنصور الدوانيقي سنة (١٤٥ هـ)، ومهدوية الملقب زوراً بالمهدي العباسي (ت ١٦٩ هـ)، ولم يكتف الإمام الصادق عليه السلام بهذا كله، وإنما حاول تنبيه الشيعة إلى ما سيحصل بعده من قول الناوسية بمهدويته عليه السلام، وقول الواقفية بمهدوية ابنه الإمام الكاظم بعد وفاته عليه السلام. ومن هنا نفى الإمام الصادق عليه السلام المهدوية عن نفسه وعن ولده الإمام الكاظم عليه السلام بوضوح وصراحة تامين؛ لكي لا يعتد أحد بمقولة الناوسية، ولا يعاب بمقولة الواقفية، ولا يصفي لغيرهما كالفطحية وأمثالها، مما نتج عن ذلك التنبيه الواعي العدرس أن تسخرت تلك المزاعم الباطلة وذهبت أدراج الرياح، واضمحلت فرقها الفاسدة بعد ظهورها على مسرح الأحداث، وزالت بأسرها عن صفحة الوجود كالمح في البصر، وعاد مثلها كمثل الفقاعات التي تظهر على سطح الماء الساخن فجأة ثم سرعان ما تنفجر وتتلأش، بحيث لا ترى لها رسماً ولا ظلماً،

وهكذا كانت تلك الفرق، محي الله تعالى آثارها ودثر أخبارها، ولم يبق لها حتى أثراً بعد عين، لأنها ذهبت جفاءً كأنزهد الذي لا يمسك في الأرض إلا قليلاً.

وعوداً على بدء، فإن منهج الإمام الصادق عليه السلام في طرح موضوع الغيبة قد اتسم بالعمق والشمول والسعة بحيث استوعب الإجابة على ما يحيط بقضية الإمام المهدي عليه السلام من تساؤلات، وكؤن - بهذا - وحدة موضوعية متجانسة، كافية في مقام معرفة من هو الغائب على وجه التحديد، بلا أدنى حاجة إلى التماس أحاديث أخرى عن أهل البيت عليه السلام للكشف عن هوية الإمام الغائب.

وها نحن نذكر مكونات الوحدة الموضوعية لغيبية إمام العصر والزمان في فكر الإمام الصادق عليه السلام، وبحسب العناوين الآتية:

#### أولاً - تثبيت أصل القضية:

وفي هذا الصدد توجد أحاديث كثيرة عن الإمام الصادق عليه السلام في تثبيت أصل القضية المهدوية، وهو ما اتفقت عليه كلمة المسلمين من ظهور رجل في آخر الزمان من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقب بالمهدي، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه يقتل الدجال، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته، ويأتهم بصلاته. ويدل عليه:

١ - عن معمر بن راشد، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيه: «... ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته،

فقدّمه وصلى خلفه»<sup>(١)</sup>.

٢- وعن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قاله لعلي عليه السلام: «... كان جبريل عليه السلام عندي آنفاً، وأخبرني أن القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً، من ذريتك، من ولد الحسين»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث آخر: «... إن جبريل عليه السلام أتاني فأقراني من ربي السلام، وقال: يا محمد، ... ومنكم القائم يصلي هيسى بن مريم خلفه، إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية علي وفاطمة، من ولد الحسين عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً - بيان حكم من أنكر هذا الأصل:

١- عن صفوان بن مهران الجمال، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أقر بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمداً صلى الله عليه وآله نيوته...»<sup>(٤)</sup>.

وقد مر عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث الثقلين ما يوضح المراد بالأئمة عليهم السلام، وسيأتي ذلك أيضاً.

٢- وعن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آياته عليهم السلام، عن

(١) أماني الشيخ الصدوق: ٢٨٧ / ٣٢٠ / ٤ مجلس / ٣٩.

(٢) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٤٧ - ٢٤٨ / ٦ باب / ١٤.

(٣) روضة الكافي / الكليني: ٨ / ٤٢ / ١٠.

(٤) إكمال الدين / الصدوق: ٢ / ٣٣٣ / ٦ باب / ٣٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»<sup>(١)</sup>.

جدير بالذكر أن لفظ «القائم» ينصرف عند الإطلاق - في عرف المحققين - إلى الإمام المهدي عليه السلام كما هو صريح جميع الروايات.

٣- وعن غياث أيضاً؛ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

«من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

ويلحظ هنا ذكر الغيبة في تثبيت أصل القضية وفي حكم من أنكرها معاً، ومنه يكشف عمق مفهوم الغيبة المراكب لأصل القضية، وسوف يأتي ما يدل عليه في العناوين اللاحقة أيضاً.

#### ثالثاً - تأكيد وقوع الغيبة:

١- عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قلت:

وليه؟ قال: إنه يخاف، وأوماً بيده إلى بطنه، يعني: القتل»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أما والله ليغيبن

إمامكم سنين من دهركم، ولتمحصن حتى يقال: مات أو هلك بأبي وادسلك، ولتدمعن

عليه عيون المؤمنين ولنكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، ولا ينجو إلا من أخذ

ميثاقه وكسب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه، ولترفن إننا عشرة (إية مشتبهة لا

يُدري أيُّ من أيُّ، قال: فيكيت، فقال لي: ما بيكيك يا أبا عبدالله؟ فقلت: وكيف

(١) إكمال الدين ٢: ٤١٢ / ٨ باب ٣٩.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤١٢ - ٤١٣ / ١٣ باب ٣٩.

(٣) أصول الكافي ١: ٣٣٨ / ٩، و ١٨ / ٣٤٠ / ١٨ باب في الغيبة.

لا أبكي وأنت تقول: إثننا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أي من أي!! فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلية في الصفة، فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟ قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أين من هذه الشمس»<sup>(١)</sup>.

٣- وعن سدير الصيرفي، والمفضل بن عمر: وأبي بصير، وأبان بن تغلب، كلهم عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام: «... سيدي غيبك نفت وقادي، وضيمت علي مهادي، وابزت مني راحة فزادي، سيدي غيبك أوصلت مصابي بنجاج الأهد...» وحين سأله عليه السلام عن سرّ توجهه، قال عليه السلام: «نظرت في كتاب الجفر صيحة هذا اليوم... وتأولت فيه مولد قائمنا، وغيبته، وبطاءه، وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته...»<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد مرّ الكلام عن الجفر واعتراف ابن خلدون، والجرجاني، وصاحب كشف الظنون بصحة كتاب الجفر، وأكدوا صراحة على إخبار الصادق والرضا عليهما السلام من هذا الكتاب بحوادث مستقبلية وقعت على طبق ما أخبرا به.

(١) إكمال الدين ٢: ٢٤٧ / ٣٥ باب ٣٣. وأصول الكافي ١: ٣٢٨ - ٣٣٩ / ١١ باب في الغيبة، و ١٠١ / ٣٣٦ / ٣ من الباب نسابق، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٥١ - ١٥٣ / ٩ و ١٠، ودلائل الإمامة / نظيري: ٥٢٢ - ٥٢٣ / ٥١٢، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٣٧ - ٢٣٨ / ٢٨٥.

(٢) إكمال الدين ٢: ٣٥٢ - ٣٥٧ / ٥٠ - ٥١ باب ٣٣، ونبايح المودة / القندوزي الحنفي ٣: ٢١٠ - ٢١١ / ٢ باب ٨٠.



رابعاً - الوصية بعدم إنكار الغيبة عند وقوعها والنهي عن الانحراف ولزوم التصديق:

١ - عن هشام بن سالم عن الإمام الصادق، عن آيائه عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: «القائم من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشماله شمالي، وستة ستي، يُقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عز وجل، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذّبني، ومن صدقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضلين لأمتي عن طريقته وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (١) (٢).

٢ - عن محمد بن مسلم، عن الصادق عليه السلام، قال: «إن بلغكم من صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها» (٣).

#### خامساً - وجوب الثبات على الولاية في زمن الغيبة:

١ - عن عبدالله بن سنان، قال: «دخلت أنا وأبي علي أبي عبدالله عليه السلام فقال: فكيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً ترى، لا يتجو منها إلّا من دعا دعاء الفريق، فقال له أبي: إذا وقع هذا ليلاً فكيف نصنع؟

(١) سورة الشعراء: ٢٦ / ٢٢٧.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤١١ / ٦ باب ٣٩، وإعلام الوري / الطبرسي ٢: ٢٢٧ الفصل الثاني.

(٣) أصول الكافي ١: ٣٣٨ / ١٠ و ١: ٣٤٠ / ١٥ باب الغيبة، وكتاب الغيبة / النعماني ١٦٨ / ٤٢ باب ١٠، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٦٠ - ١٦١ / ١١٨.

قَالَ: أَنَا أَنْتَ فَلَا تَدْرِكُهُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَتَمَسَّكُوا بِمَا فِي أَيْدِيكُمْ حَتَّى يَتَضَحَّ لَكُمْ الْأَمْرُ»<sup>(١)</sup>.

٢- وعن منصور الصيقل قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ يَوْمًا لَا تَرَى فِيهِ إِمَامًا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، فَاحْبِبْ مَنْ كُنْتَ تَحِبُّهُ، وَابْقُضْ مَنْ كُنْتَ تَبْقُضُ، وَوَالِ مَنْ كُنْتَ تُوَالِي، وَانْتَظِرِ الْفَرَجَ صَبَاحًا وَمَسَاءً»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن أبان بن تغلب قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَصِيهِمُ فِيهِ سَبْطَةٌ، يَأْرِزُ الْعِلْمَ فِيهَا بَيْنَ الْمَسْجِدِينَ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جِوَاهِرِهَا.. فَيُنَمِّسُهَا كَذَلِكَ إِذْ أُطْلِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ نَجْمَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا السَّبْطَةُ؟ قَالَ: الْفِتْرَةُ وَالغِيْبَةُ لِإِمَامِكُمْ! قَالَ: قُلْتُ: فَكَيْفَ نَصْنَعُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: كُونُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَطْلُعَ اللَّهُ لَكُمْ نَجْمَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن زرارة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقْبِيبُ عَنْهُمْ إِمَامَهُمْ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا يَصْنَعُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: يَتَمَسَّكُونَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

٥- وعن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «طوبى لمن تمسك بأمرنا

(١) إكمال الدين ٣: ٣٤٨ / ٣٤٩ / ٤٠ / باب ٣٣، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٥٩ / ٤ / باب ١٠.

(٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٨ / ٣ / باب ١٠، وأصول الكافي ١: ٣٤٢ / ٢٨ / باب الغيبة.

(٣) إكمال الدين: ٣٤٩ / ٤١ / باب ٣٦، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٥٩ / ٦ / باب ١٠.

(٤) إكمال الدين ٢: ٣٥٠ / ٤٤ / باب ٣٣.

في غيبة قائمنا فلم يزع قلبه بعد الهداية»<sup>(١)</sup>.

٦- وعن يمان التمار قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً فقال لنا: إن لصاحب هذا الأمر غيبة، التمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد - ثم قال هكذا بيده - فأبكم يمسك شوكة القتاد بيده؟ ثم أطرق ملياً ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليق الله عبداً وليتمسك بدينه»<sup>(٢)</sup>.

سادساً - التصريح بطول غيبة الإمام المهدي عليه السلام:

١- عن محمد بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «القائم منا منصور بالرحب؛ مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلها، ويظهر الله تعالى به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ولا يبقى في الأرض خراب إلا عثر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلقه. ثم قال ابن حمران: قيل له: يا ابن رسول الله، متى يخرج قائمكم؟ قال عليه السلام: إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال - ثم ذكر عليه السلام جملة من علامات الظهور إلى أن قال: - وذلك بعد غيبة طويلة»<sup>(٣)</sup>.

٢- وعن سدير الصيرفي، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن للقائم منا غيبة

(١) إكمال الدين ٢: ٣٥٨ / ٥٥ باب ٣٣، ومعاني الأخبار / الشيخ الصدوق: ١١٢ / ١ باب معنى طوبى.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٣٥ - ٢٣٦ / ١ باب في الغيبة، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٦٩ / ١١ باب ١٠، وإكمال الدين ٢: ٣٤٣ / ٢٥ باب ٣٣، وإثبات الوصية / المسعودي:

٢٦٧، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٥٥ / ٤٦٥.

(٣) مختصر إثبات المرجعة / الفضل بن شاذان: ٢١٦ - ٢١٧ / ١٨.

يطول أمدها. قال: فقلت له: يابن رسول الله ولم ذلك؟ قال: لأن الله عز وجل  
أبى إلا أن تجري فيه سنن الأنبياء في غيبتهم، وأنه لا بد له يا سدير من استيفاء مدد  
غيبتهم، قال الله تعالى ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾<sup>(١)</sup> أي: سنن من كان قبلكم»<sup>(٢)</sup>.

٣- وعن حماد بن عبد الكريم الجلاب قال: «ذكر القائم عند أبي  
عبد الله ؑ فقال: أما أنه لو قد قام، لقال الناس: أنى يكون هذا، وقد بليت عظامه منذ  
كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

٤- وعن سليمان بن خالد، عن الإمام الصادق ؑ قال: «قال رسول  
الله ﷺ: كيف إذا استأستم من المهدي فيقطع عليكم صاحبكم مثل قرن الشمس،  
يفرح به أهل السماء والأرض. فقيل: يارسول الله وأنى يكون ذلك؟ قال ﷺ:  
إذا غاب عنهم المهدي وأبوا منه»<sup>(٤)</sup>. كناية عن طول غيبته ؑ.

سابعاً - الحث على انتظار الإمام المهدي في زمان غيبته، ومدح المنتظرين له ؑ:

١- عن أبي بصير، عن الإمام الصادق ؑ في تفسير قوله تعالى: ﴿يوم  
يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كُتبت في إيمانها

(١) الانشاق: ٨٤ / ١٩.

(٢) علل الشرائع / الشيخ الصدوق: ١ / ٢٤٥ / ٧ باب ١٧٧، وإكمال الدين: ٢ / ٤٨٠ -  
٤٨١ / ٦ باب ٤٤.

(٣) كتاب الغيبة / الحماني: ١٥٥ / ١٤ باب ١٠، وأخرجه قبل هذا عن زائدة بن  
قدامة، عن بعض رجاله عن الإمام الصادق ؑ في الحديث رقم ١٣ من الباب  
المذكور.

(٤) دلائل الإمامة: ٤٦٨ / ٥٩١٤٥٥.

خيراً»<sup>(١)</sup> قال عليه السلام: «يعني خروج القائم المنتظر منا، ثم قال: يا أبا بصير، طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطمئنين له في ظهوره أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»<sup>(٢)</sup>.

٢- عن العلاء بن سبيبة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً؛ كان كمن هو في الفسظاط الذي للقائم عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

٣- وعن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث الأمر الذي لا يقبل الله تعالى عملاً إلا به، قال عليه السلام: «... من سزه أن يكون من أصحاب القائم؛ فليتنظر وليعلم بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات، وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا...»<sup>(٤)</sup>.

ثامناً - الكشف عن حال الناس في زمان الغيبة:

١- وعن أبي بصير، عن الإمام الصادق، عن آباءه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المهدي من ودي، اسمه اسمي وكنته كنتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتى يضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسماء: ٦ / ١٥٨.

(٢) إكمال الدين ٢: ٢٥٧ / ٥٤ باب ٣٣، وينايع العودة / القندوزي الحنفي ٣: ٢٢٨ / ١٠ باب ٢٧١.

(٣) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٠٠ / ١٥ باب ١١.

(٤) كتاب الغيبة / النعماني ٢٠٠ / ١٦ باب ١١.

(٥) إكمال الدين ١: ٢٨٧ / ٤ باب ٢٥، وإعلام الوري ٤: ٢٢٦ الفصل الثاني، وينايع -

٢- وعن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: «سمعت الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها يوتاب فيها كل مبطل...»<sup>(١)</sup>.

٣- وعن فرات بن الأحنف، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: «... وليبعثن الله رجلاً من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبن عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد عليهم السلام من حاجة»<sup>(٢)</sup>.

٤- وعن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا بد للغلام من غيبة، قلت: ولم؟ قال: يخاف - وأوماً يده إلى بطنه - وهو المنتظر، وهو الذي يشك الناس في ولادته، فمنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: مات أبوه ولم يخلف، ومنهم من يقول: وُلد قبل موت أبيه بستين، قال زرارة: فقلت: وما تأمرني لو أدركت ذلك الزمان؟ قال: ادع الله بهذا الدعاء: (اللهم عزني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أهرفك، اللهم عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرّفه قط، اللهم عزني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني)».

وقد سُمع هذا الحديث قبل حلول الغيبة الصغرى بنحو خمسين عاماً كما أشار الكليني في ذيل الحديث من الكافي<sup>(٣)</sup>.

- المودة ٣، ٢٩٦ - ٢٩٧ / ٤٩ باب ٩٤.

(١) علل الشرائع / الشيخ الصدوق ١: ٢٤٥ - ٢٤٦ / ٨ باب ١٧٩، وإكمال الدين ٢:

٤٨١ - ٤٨٢ / ١١ باب ٤٤، والخرائج والجرائح / القطب الراوندي ٢: ٣-٣.

والاحتجاج / الطبرسي ٢: ٩٥٥ - ٩٥٦، والصراط المستقيم / البياضي ٢: ٢٣٧.

(٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٤٠ - ١٤١ / ١ باب ١٠.

(٣) أصول الكافي / الكليني ١: ٢٤٢ / ٢٩ باب في الغيبة.

تاسعاً - تصريح الإمام الصادق عليه السلام بالغيبين (الصغرى والكبرى):

١ - عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: للقائم من آل محمد عليه وعليهم السلام غيبتان: واحدة طويلة، والأخرى قصيرة. قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأخرى...»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث أخرجه النعماني عن الحسن بن محبوب، ونقله الطبري الإمامي في دلائل الإمامة، والإربلي في كشف الغمّة كلاهما من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب مع التصريح بهذا، ورواه الفضل بن شاذان المتوفى في حياة الإمام العسكري عليه السلام ولم يشهد أيّاً من الغيبين عن شيخه الحسن بن محبوب مباشرة، والحسن بن محبوب مات سنة ٢٢٤ هـ.

جدير بالذكر أنه قد ثبت عن الإمام الباقر عليه السلام ما قاله أبو بصير في هذا الحديث، ففي الصحيح عن إبراهيم بن عمر اليماني قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين»<sup>(٢)</sup>.

كما سمعه محمد بن مسلم الثقفى يقول عليه السلام: «إن للقائم غيبتين، يقال له في إحداهما: هلك، ولا يُدْرَى في أيّ واد ملك»، كما صحّ هذا عن الإمام

(١) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٢ - ١٧٣ / باب ٧ - ١٠، ودلائل الإمامة: ٥٣٥ / ٥٢٠، وكشف الغمّة: ٤٥٣ - ٤٥٤، وإثبات الرجعة كما في مختصره لإختصره العسّ العاملي: ١٩٥، وإعلام الورى / الطبرسي: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧١ / ٣ باب ١٠.

الصادق من طرق شتى.

٢ - وفي الصحيح عن زرارة، عن الإمام الصادق قال: «للقائم غيبتان إحداهما أطول من الأخرى»<sup>(١)</sup>.

٣ - وعنه أيضاً، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إنَّ للقائم غيبتين، يرجع في إحداهما، وفي الأخرى لا يُدرى أين هو، يشهد الموسم، يرى الناس ولا يرونه»<sup>(٢)</sup>.

٤ - وعنه أيضاً، عن الإمام الصادق قال: «للقائم غيبتان يشهد في إحداهما المواسم يرى الناس ولا يرونه»<sup>(٣)</sup>.

٥ - وفي الصحيح عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق قال: «للقائم غيبتان إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه»<sup>(٤)</sup>.

٦ - وفي الصحيح عن حازم بن حبيب، قال: «قال لي أبو عبد الله: يا حازم، إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، فمن جاءك يقول إنَّه نفص يده من تراب قبره فلا تصدِّقه».

أقول: هذا الحديث سمعه أبو محمد علي بن أحمد العلوي من عبد الله

(١) دلائل الإمامة: ٥٢٠ / ٥٦ - ٥.

(٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٥ / ١٥ باب ١٠.

(٣) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٥ - ١٧٦ / ١٦ باب ١٠.

(٤) أصول الكافي ١: ٣٤٠ / ١٩، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٧٠ / ١ و ٢ باب ١٠ من

طريقين.



ابن جبلة، وقد نقله الشيخ الطوسي من كتاب العلوي هذا مباشرة<sup>(١)</sup>، كما نقله الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠ هـ) عن عبدالله بن جبلة أيضاً<sup>(٢)</sup>، وسمعه عبيس بن هشام (ت ٢٢٠ هـ أو قبلها بسنة) من عبدالله بن جبلة<sup>(٣)</sup>، وعبدالله بن جبلة هذا مات سنة (٢١٩ هـ) بلا خلاف، ومع هذا، فلم يتحصر الطريق إلى حازم بن حبيب به، إذ أخرج النعماني حديث حازم ابن حبيب بطريق ثانٍ ليس فيه ابن جبلة<sup>(٤)</sup>؛ الأمر الذي يؤكد صحة ما سبق ذكره من شهادات أعلام الطائفة بوجود هذه الأحاديث في الكتب المؤلفة قبل الغيبة بعشرات السنين. وينفس هذه الطريقة يمكن الاستدلال على إثبات وجود معظم الأحاديث السابقة كذلك بغض النظر عن الشهادات المتقدمة، ولولا خشية الإطالة لبينا ذلك مفصلاً.

٧- وعن عبيد بن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «للقائم غيبتان يشهد في إحداهما المواسم يرى الناس ولا يرونه»<sup>(٥)</sup>.

- (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي ٥٤ / ٤٦، وفيه: «قال، وحدثنني عبدالله بن جبلة الخ»، والفائل هو العلوي كما هو صريح النقل من كتابه ص: ٤٣.  
 (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٢٣ - ٤٢٤ / ٤٠٧.  
 (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٢ / ٦ باب ١٠.  
 (٤) كتاب الغيبة / النعماني ١٧٢ / ذيل الحديث السادس باب ١٠.  
 (٥) أصول الكافي ١: ٣٣٩ / ١٢ باب في الغيبة، ونحوه في ١: ٣٣٧ - ٣٣٨ / ٦ من الباب السابق، وكتاب الغيبة / النعماني: ١٧٥ - ١٧٦ / ١٦ باب ١٠، ودلائل الإمامة: ٥٣٦ / ٥٠٩، و: ٤٨٢ / ٤٧٧ ونحوه في أصول الكافي ١: ٣٣٧ - ٣٣٨ / ٦ باب في الغيبة، وإكمال الدين ٢: ٣٤٦ / ٣٣ باب ٣٣، و: ٢٥١ / ٤٩ باب ٣٣، و: ٤٤٠ / ٧ باب ٤٣ وكتاب الغيبة / النعماني: ١٧٥ / ١٣ و ١٤ باب ١٠، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٦٦ / ١١٩.

٨- وعن المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب... الحديث»<sup>(١)</sup>.

عاشراً - في الإمام الغائب سنن من الأنبياء عليهم السلام

١- أبو بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء عليهم السلام: ستة من موسى بن عمران، وستة من يوسف، وستة من محمد صلوات الله عليهم. فأما ستة من موسى بن عمران فخائف يترقب، وأما ستة من عيسى فيقال فيه ما قيل في عيسى، وأما ستة من يوسف فالستر؛ يجعل الله بينه وبين الخلق حجاً يروونه ولا يعرفونه، وأما ستة من محمد عليه السلام فيهندي يهداه ويسير بسيرته»<sup>(٢)</sup>.

٢- وفي الصحيح عن سدير الصيرفي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن في صاحب هذا الأمر شيئاً من يوسف عليه السلام قال: فقلت له: كأنك تذكر حياته أو غيبته؟ قال: فقال لي عليه السلام: وما يُنكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير، إن إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء تاجروا بيوسف ويايعوه وخاطبوه، وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال: أنا يوسف وهذا أخي. فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يفعل الله عز وجل بحجته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف؟

(١) كتاب الغيبة / انعماني: ١٧١ - ١٧٢ / ٥ / باب ١٠، وكتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٦١ / ٦٠، و: ١٦٢ / ١٢٠، وعقد الدرر / المقدسي الشافعي: ١٧٨ - ١٧٩ / باب ٥، والبرهان / المتقي الهندي: ١٧١ - ١٧٢ / ٤.  
(٢) إكمال الدين ٢: ٣٥٠ - ٣٥١ / ٤٦ / باب ٣٣.

إن يوسف عليه السلام كان إليه مُلك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه؛ لقدّر على ذلك، لقد سار يعقوب عليه السلام وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر. فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله جلّ وعزّ ببحرته كما فعل يوسف، أن يمشي في أسواقهم ويطأ بسطّهم حتى يأذن الله في ذلك له كما أذن ليوسف، قال: «أنتك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف»<sup>(١)</sup>.

وفيه إشارة واضحة إلى غيبة الإمام عليه السلام، وما فعله جعفر الكذاب وهو عم الإمام عليه السلام شبيه بما فعله أولاد يعقوب عليه السلام بأخيهم يوسف!

٣- وعن عبدالرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «في التاسع من ولدي سنة من يوسف، وسنة من موسى بن عمران عليه السلام، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة»<sup>(٢)</sup>.

٤- وعن أبي بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن سنن الأنبياء عليهم السلام بما وقع بهم في الغيبات حادثة في القائم من أهل البيت حذو العمل بالمثل والقدّة بالقدّة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أصول الكافي ١: ٣٣٦ - ٣٣٧ / ٤ باب في الغيبة، وإكمال الدين ٢: ٢٤٦ / ٢١ باب ٣٣.

(٢) إكمال الدين ١: ٣١٦ - ٣١٧ / ١ باب ٣٠.

(٣) إكمال الدين ٢: ٢٤٥ - ٢٤٦ / ٣١ باب ٣٣.

## الحادي عشر - هوية الإمام الغائب عليه السلام

قد يقال بأن أحاديث الغيبة والغائب المتقدمة في مكوثات الوحدة الموضوعية لمسألة الغيبة في فكر الإمام الصادق عليه السلام قد اتصفت بالإجمال، ولم تشخص غائباً بالتحديد!!

والجواب: إن الإجمال المذكور وهم يرتفع بمراجعة الروايات التي بينت خصوصيات الإمام المهدي عليه السلام بالتحديد. من قبيل كون الغائب هو الثاني عشر، وأنه التاسع من ولد الحسين عليه السلام وأنه ابن الإمام العسكري عليه السلام. وبهذا يتبدد الإجمال المذكور كلياً لوجود المصداق الواقعي الذي انطبقت عليه جميع تلك الأخبار، ولم يتخلف عنها خبر واحد.

ومع هذا فلم يكتف إمامنا الصادق عليه السلام بحدود هذه الأمور، وإنما ذهب أبعد من ذلك في تشخيص هوية الإمام المهدي الغائب عليه السلام مستدرجاً في بيانه، انطلاقاً من كون الغائب المنتظر هو من ولد الحسين عليه السلام؛ مع نفي المهدي عن نفسه الشريفة وعن ولده الكاظم عليه السلام؛ لئلا يدعي مدع بانطباقها على غير المراد، مروراً بكون الغائب هو الثاني عشر، وأنه السادس من ولده، ومن ذرية الإمام الكاظم عليه السلام؛ وتحديدًا: أنه الخامس من ولد السابع، وأنه خفي الولادة، مع تسمية أمه عليه السلام، وهكذا إلى أن يصل إلى القمة في البيان بذكر اسمه واسم أبيه وكامل نسبه الشريف، كما سترى وعلى النحو الآتي:

١ - عن عبيد الله بن العلاء، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه قوله للإمام الحسين عليه السلام «ثم يقوم القائم المأمول والإمام المجهول، له الشرف والفضل وهو من ولدك يا حسين... طوبى لمن أدرك زمانه ولفق أوانه وشهد أيامه»<sup>(١)</sup>.

٢ - وقال أبو بصير للإمام الصادق عليه السلام وقد دخل عليه: «...إني أريد أن ألمس صدرك، فقال: فاعل، قال: فمسست صدره ومناكبه، فقال: ولم يا أبا محمد؟ فقلت: جعلت فداك إني سمعت أباك وهو يقول: إن القائم واسع الصدر مستمر المنكين عريض ما بينهما. فقال: يا أبا محمد، إن أبي ليس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تستخب على الأرض، وإني لبسها فكانت وكانت، وإنها تكون من القائم كما كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله مشيرة كأنه ترفع نطاقها، وليس صاحب هذا الأمر من جاز الأربعين»<sup>(٢)</sup>. يعني نفسه الشريفة.

٣ - وعن أبي حمزة الثمالي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ فقال: لا، قلت: فمَنْ هو؟ قال: الذي يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً على فترة من الأئمة كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث على فترة من الرسل»<sup>(٣)</sup>. ولو استرسل أبو حمزة عليه السلام في سؤاله: لانقلبت

(١) كتاب الغيبة / التعماني: ٢٧٤ - ٢٧٦ / ٥٥ باب ١١.

(٢) بصائر الدرجات / الصفار: ١٨٨ - ١٨٩ / ٥٦، والخرائج والجرائح / القطب الراوندي ٢: ٦٩١ باب ١٤.

(٣) أصول الكافي ١: ٢٤١ / ٢١ باب في الغيبة، وكتاب الغيبة / التعماني: ١٨٦ - ١٨٧ / ٣٨ باب ١٠، وعقد الدرر / المقدسي: ٢١٠ - ٢١١ باب ٧.

(لا) إلى (نعم) ولا بد؛ نظراً لما سيأتي في تشخيص الإمام الصادق عليه السلام لاسم المهدي وحسبه بدقة.

٤ - وعن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: «سمعت عليه السلام يقول: ما لنا عشر مهدياً مضى مئة وبقي مئة، يصحح الله بالسادس ما أحب»<sup>(١)</sup>.

٥ - وقال السيد الحميري بعد تويته ورجوعه إلى الحق إلى الإمام الصادق عليه السلام: «يا بن رسول، الله قد روي لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة وصحة كونها فأخبرني بمن تقع؟ فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم القائم بالحق بقية الله تعالى في الأرض وصاحب الزمان، والله لو بقي في غيبته؛ ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الخبر يؤكد إسهام جميع أهل البيت عليهم السلام في تنبيه الشيعة إلى غيبة قائمهم المنتظر «عج»، وفيه تفسير للحديث الرابع المتقدم، زيادة على ما فيه من تأكيد بقاء الإمام المهدي عليه السلام حياً في غيبته.

٦ - وفي حديث طويل عن الصادق عليه السلام جاء فيه: «يظهر صاحبنا وهو من صلب هذا؛ وأوماً بيده إلى موسى بن جعفر عليه السلام، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وتصفوه له الدنيا»<sup>(٣)</sup>.

(١) إكمال الدين ٢: ٣٢٨ / ١٣ باب ٢٣.

(٢) إكمال الدين ٢: ٣٤٢ / ٢٣ باب ٢٣.

(٣) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٢ / ٢٣.

٧- وعن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «صاحب هذا الأمر تمنى ولادته على الخلق؛ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا أخرج»<sup>(١)</sup>.

هذا، وفي الصحيح عن ابن فضال، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «كأني بالشيعه عند فقدهم الثالث من ولدي إبي: الإمام العسكري عليه السلام كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»<sup>(٢)</sup>.

٨- وعن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه: «... فقلت: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير، هو الخامس من ولد إبي موسى، ذلك ابن سيده الإمام، يغيب غيبة يرتاب منها المبطلون، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فصلبي خلفه وتشرق الأرض بنور ربه، ولا يبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون»<sup>(٣)</sup>.

٩- وعن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه: «... والأئمة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجال، ويظهر الأرض من كل جور وظلم»<sup>(٤)</sup>.

(١) إكمال الدين ٢: ٤٧٩-٤٨٠ / ١ و ٥ باب ٤٤ من طريقتين.

(٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٠ / ٤ باب ٤٤.

(٣) إكمال الدين ٢: ٢٤٥-٢٤٦ / ٣٦ باب ٣٦.

(٤) إكمال الدين ٢: ٢٣٥-٢٣٦ / ٧ باب ٣٣.

١٠- وعن هارون بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «قال سيدي جعفر بن محمد عليه السلام: الخلف الصالح من ولدي، وهو المهدي، اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأمه: صقيل»<sup>(١)</sup>.

أقول: «صقيل، ونرجس، وسومن كلها أسماء لمستمن واحد وهو أم الإمام المهدي عليه السلام وقد ورد الأثر الصحيح في ذلك، وهذا الحديث نقله الإربلي من كتاب ابن الخشاب المسمى تاريخ مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام وابن الخشاب من معاصري الإمام العسكري عليه السلام، ويروي الكليني عنه بالواسطة، وهو من مشايخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى في الغيبة الصغرى.

١١- وعن صفوان بن مهران وعبدالله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أقر بجميع الأنبياء وجد المهدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجد محمد عليه السلام نبوته، فقيل له: يا بن رسول الله: فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع: يغيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته»<sup>(٢)</sup>.

والنهي عن التسمية معلل بالخوف من الطلب، فيكون مقيداً بزمان مخصوص كما يعلم من أخبار آخر.

١٢- وعن المفضل بن عمر قال: «دخلت عنى سيدي جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا سيدي لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك! فقال لي:

(١) كشف الغمّة / الإربلي ٣: ٣٧٩ في ذكر الإمام الحجة عليه السلام.

(٢) إكمال الدين ٢: ٣٣٣ / ١ باب ٣٣ وأخرجه من طريق آخر عن عبدالله بن أبي يعفور ٢: ٣٢٨ / ١٢ باب ٣٣.



يا مفضل، الإمام من بعدي أبي موسى، والخلف المأمول المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى»<sup>(١)</sup>.

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نختم هذا البحث بما أسنده الشيخ الأقدم ثقة الإسلام الكليني عليه السلام إلى أبي الربيع الشامي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن قائماً إذا قام مد الله عز وجل لشيئنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه»<sup>(٢)</sup>.

هذا هو الإمام الصادق عليه السلام، وهذه هي أحاديثه الشريفة عبّرت كل المسافات، وسبقت زمانها بقرون؛ لتخاطبنا بصراحة وبمنطق حضارة القرن الواحد والعشرين.

وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

والحمد لله رب العالمين.

(١) إكمال الدين ٢: ٣٢٤ / ٤ باب ٣٣.

(٢) روضة الكافي: ٢٠٦ / ٣٢٩، ومختصر بصائر الدرجات: ١١٧، والخرائج والجرائج ٢: ٨٤٠ - ٨٤٦ / ٥٨ باب ١٦ في نوادر المعجزات، والصرط المستقيم ٢: ٢٦٢ باب ١١.

## فهرست المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الاحتجاج / أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق الشيخين: إبراهيم البهادري، ومحمد هادي، انتشارات أسوة التابعة إلى منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، قم / ١٤١٣ هـ .
- ٣ - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار / الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت / ١٤٠٥ هـ .
- ٤ - اعتقاد أهل السنة / هبة الله بن أحمد بن منصور اللالكائي (ت / ٤١٨ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض / ١٤٠٢ هـ .
- ٥ - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / البيهقي (ت / ٤٥٨ هـ)، تحقيق أحمد عصام، دار الآفاق الجديدة، بيروت / ١٤٠١ هـ .
- ٦ - إعلام الوري بأعلام الهدى / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ٧ - إقبال الأعمال / السيد رضي الدين بن طائوس الحسني (ت / ٦٦٤ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ٨ - إكمال الدين وإتمام النعمة / الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، تحقيق علي أكبر

الغفاري، جامعة المدرسين، قم.

٩ - أمالي الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، ط ١، قم / ١٤١٧ هـ.

١٠ - أمالي الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، ط ١، قم / ١٤١٤ هـ.

١١ - أمالي الشيخ المفيد (ت / ٤١٣ هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران / ١٤٠٣ هـ.

١٢ - الإمامة والبصرة من الحيرة / الصدوق الأول (ت / ٣٢٩ هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط ١، دارالمرتضى، قم / ١٤٠٥ هـ.

١٣ - البرهان في علامات مهدي آخر الزمان / علاء الدين علي بن حسام الدين الشهرستاني الهندي (ت / ٩٧٥ هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مطبعة الخيام، قم / ١٣٩٩ هـ.

١٤ - بشارة المصطفى / عماد الدين الطبري (ت / ٥٥٣ هـ)، المكتبة العيدرية النجف الأشرف / ١٣٨٣ هـ.

١٥ - بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ﷺ / أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار (ت / ٢٩٠ هـ)، تحقيق ميرزا محسن كزوجه باغي، نشر مكتبة المرعشي النجفي، قم / ١٤٠٤ هـ.

١٦ - تاريخ ابن خلدون (ت / ٨٠٨ هـ)، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٧ - تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي (ت / ٤٦٣ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة / السيد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي (من أعلام القرن العاشر الهجري)، مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين، قم / ١٤٠٩ هـ .

١٩ - التدوين في أخبار قزوین / عبدالکریم الرافعي (من أعلام القرن السادس الهجري)، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت / ١٤٠٨ هـ .

٢٠ - تفسير روح المعاني (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) / الألوسي (ت / ١٢٧٠ هـ)، إدارة الطباعة المنيرة مصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢١ - تفسير العياشي / أبو النضر محمد بن مسعود العياشي (ت / ٣٢٠ هـ)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران .

٢٢ - تفسير القمي / أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت / بعد سنة ٣٠٧ هـ)، ط ٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم / ١٤٠٤ هـ .

٢٣ - تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، دار الأضواء، بيروت / ١٤٠٥ هـ .

٢٤ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت / ٤٣٠ هـ)، ط ٥، دار الكتاب العربي، بيروت / ١٤٠٧ هـ .

٢٥ - الخرائج والجرائح / قطب الدين الراوندي (ت / ٥٧٣ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ط ١، قم / ١٤٠٩ هـ .

٢٦ - خصائص الأئمة عليهم السلام / السيد الشريف الرضي (ت / ٤٠٦ هـ)، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة / ١٤٠٦ هـ .

- ٢٧ - خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام / أحمد بن شعيب النسائي (ت / ٥٣٠٣هـ)، تحقيق أحمد ميرين، ط ١، الكويت / ١٤٠٦ هـ .
- ٢٨ - الغصائل / الشيخ الصدوق (ت / ٥٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢ جامعة المدرسين، قم / ١٤٠٣ هـ .
- ٢٩ - دلائل الإمامة / الطبري الصغير (من أعلام القرن الخامس الهجري) ط ١، مؤسسة البعث، قم / ١٤١٣ هـ .
- ٣٠ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة / آقا بزرگ الطهراني (ت / ١٣٨٩هـ)، ط ٣، دار الأضواء بيروت / ١٤٠٣ هـ .
- ٣١ - رجال الكشي، (اختيار معرفة الرجال) / الشيخ الطوسي (ت / ٥٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق حسن المصطفوي، جامعة مشهد ١٣٤٨ هجري شمسي .
- ٣٢ - رجال النجاشي / أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (ت / ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد موسى الشبيري الزنجاني ط ٤، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم / ١٤١٣ هـ .
- ٣٣ - روضة الكافي / ثقة الإسلام الكليني (ت / ٣٢٩هـ)، تعليق وتصحيح علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت / ١٤٠٥ هـ .
- ٣٤ - السّنة / ابن أبي عاصم، (ت / ٢٧٨هـ)، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت / ١٤١٣ هـ .
- ٣٥ - سنن البيهقي / أحمد بن الحسين البيهقي (ت / ٤٥٨هـ)، دار المعرفة، بيروت .

- ٣٦ - سنن الترمذي (ت / ٢٧٩ هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣٧ - سنن الدارمي / عبدالله بن عبدالرحمن التميمي السمرقندي (ت / ١٥٥ هـ)، دار الفكر، بيروت.
- ٣٨ - شرح المواقف للقاضي عضد الدين عبدالرحمن الأبيحي (ت / ٥٧٦ هـ) للمحقق علي بن محمد الجرجاني (ت / ٨١٦ هـ) ط ١، مطبعة أمير، قم / ١٤١٢ هـ (مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة السعادة، مصر / ١٣٢٥ هـ).
- ٣٩ - صحيح ابن خزيمة السلمي (ت / ٣١١ هـ)، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت / ١٤١٢ هـ.
- ٤٠ - صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري (ت / ٢٥٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤١ - صحيح مسلم / أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت / ٢٦٦ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط ٢، دار الفكر، بيروت / ١٣٩٨ هـ.
- ٤٢ - الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم / علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت / ٨٧٧ هـ)، تحقيق محمد باقر الهبودي، نشر المكتبة الرضوية، ط ١، مطبعة الحيدري، طهران / ١٣٨٤ هـ.
- ٤٣ - الطبقات الكبرى / محمد بن سعد (ت / ٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت.

- ٤٤ - عقد الدرر في أخبار المنظر / يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو، نشر مسجد صاحب الزمان عليه السلام، جمكران، قم / ١٤١٦ هـ.
- ٤٥ - علل الشرائع / الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية / النجف الأضراف / ١٣٨٥ هـ.
- ٤٦ - عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، تحقيق حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي بيروت / ١٤٠٤ هـ.
- ٤٧ - كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، تحقيق الشيخين: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصف، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم / ١٤١١ هـ.
- ٤٨ - كتاب الغيبة / الشيخ النعماني (ت / بعد سنة ٣٤٢ هـ)، تحقيق علي أكبر الفخاري، مكتبة الصدوق، طهران.
- ٤٩ - فرائد السمطين في فضائل المرتضى والتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام / الجويني الشافعي (ت / ٧٣٠ هـ)، تحقيق محمد باقر البهبودي، ط ١، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت / ١٤٠١ هـ.
- ٥٠ - فروع الكافي / ثقة الإسلام الكليني (ت / ٣٢٩ هـ)، دار الأضواء، بيروت / ١٤٠٥ هـ.
- ٥١ - فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ)، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة / ١٤٠٣ هـ.

- ٥٢ - الفقيه، (من لا يحضره الفقيه) / الشيخ الصدوق، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- ٥٣ - الفهرست / الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، منشورات مكتبة الرضي، قم (معادة بالأفست من طبعة النجف الأشرف بتحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم).
- ٥٤ - قرب الإسناد / عبدالله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم / ١٤١٣ هـ.
- ٥٥ - كشف الظنون / حاجي خليفة (ت / ١٠٦١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٦ - كشف الغمّة / علي بن عيسى الأربلي (ت / ٦٨٧ هـ)، منشورات المكتبة الإسلامية، قم / ١٤٠٥ هـ.
- ٥٧ - كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام / علي بن محمد الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق السيد عبداللطيف الحسيني، انتشارات بيدار، قم / ١٤٠١ هـ.
- ٥٨ - مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام / ابن شاذان القمي (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق نبيل رضا علوان، ط ٢، انتشارات أنصاريان، قم / ١٤١٣ هـ.
- ٥٩ - المحاسن / أحمد بن محمد البرقي (ت / ٢٧٤ أو سنة / ٢٨٠ هـ)، تحقيق مهدي الرجائي، ط ٢، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام / ١٤١٦ هـ.



٦٠ - مختصر إثبات الرجعة / الفضل بن شاذان النيسابوري (ت / ٢٦١ هـ)، تحقيق باسم الموسوي، مطبوع في نشرة تراثنا، إصدار مؤسسة آل بيتهم عليهم السلام لإحياء التراث، قم / ١٤٠٩ هـ.

٦١ - مستدرك الحاكم / النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ)، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت / ١٤١١ هـ.

٦٢ - مسند أبي يعلى الموصلي (ت / ٣٠٧ هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأنري، ط ١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت / ١٤٠٨ هـ.

٦٣ - مسند أحمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت.

٦٤ - مسند البراز (البحر الزخار المعروف بمسند البراز) / أحمد العسكي (ت / ٢٩٢ هـ)، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن، ط ١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة / ١٤٠٩ هـ.

٦٥ - مسند الطيالسي / أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت / ٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٦ - مشكل الآثار / الطخاوي (ت / ٣٢١ هـ)، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت / ١٤١٥ هـ.

٦٧ - مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار / ابن أبي شيبة (ت / ٢٣٥ هـ)، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت / ١٤١٤ هـ.

٦٨ - معالم العلماء / ابن شهر آشوب (ت / ٥٨٨ هـ)، منشورات / المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ.

- ٦٩ - معاني الأخبار / الشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران / ١٣٧٩ هـ .
- ٧٠ - المعجم الأوسط / الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ)، تحقيق الدكتور محمود الطحان، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض / ١٤٠٥ هـ .
- ٧١ - المعجم الصغير / الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٧٢ - المعجم الكبير / الطبراني (ت / ٣٦٠ هـ)، تحقيق حميد عبدالمجيد السلفي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت / ١٤٠٦ هـ .
- ٧٣ - المناقب / الخوارزمي (ت / ٥٦٨ هـ)، ط ٢، جامعة المدرسين، قم / ١٤١١ هـ .
- ٧٤ - نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة عليهم السلام / محمد بن جرير الطبري الإمامي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم / ١٤١٠ هـ .
- ٧٥ - بنايع المودة / القندوزي الحنفي (ت / ١٢٩٤ هـ)، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، ط ١، دار الأسوة، ١٤١٦ هـ .





**مشاهد**

**من عمق التاريخ والإنسان**

**كمال السيد**

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَأَنْعَاقِبَةً  
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

في البدء:

لا تكتسب الصورة أبعادها الكاملة إلا إذا ارتسمت خلال المشهد الخلفي؛ ذلك أن ثورة الحسين عليه السلام مثلاً لم يك ليكتسب لها هذا الخلود والمجد، لو لم تستسلم أمة الإسلام آنذاك للخنوع والذل.. من أجل هذا يتوجب على من يروم الكتابة عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن يستكشف عصرهم، يرسم خلفية المشهد العام الذي تجسدت فيه تجربتهم الإنسانية، وفي رأيي أن اكتشاف الأبعاد الحقيقية للإمام الصادق عليه السلام لن تتم إلا بعد الإلمام بتفاصيل الظروف العاصفة التي عاشها سلام الله عليه. ومن أجل هذا أقدم ما تيسر لي من المشاهد التي يمكن أن ترسم للجيل العمق الإنساني في شخصية ذلك الإمام العظيم.

لقد عاصر الإمام زمن التحولات الكبرى، وشهد زوال حكم دموي رهيب، وقيام حكم غاشم، نهض على جماجم الأبرياء، وكان عليه السلام في طليعة الذين صنعوا التاريخ في تلك الحقبة الحساسة من حضارة الإسلام. وإذا ما عرفنا ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (٢) أدركنا عمق الدور

(١) التمس: ٨٣.

(٢) الزعد: ٦٦.

الهام الذي اضطلع به الإمام في إيقاف حالة اثناعشري الفكرية الذي عصف بالأمة يومذاك.

أدرك عليه السلام آلام الناس فانتهج طريقه اللاحب لا يجيد عنه... إن تماسك الأمة ووحدها تلزمه قاعدة فكرية صلبة، وكان الصراع الفكري في ذروته، فانطلق الصادق عليه السلام يفجر ينابيع العلم بتفجيراً، فسالت أودية بقدرها فكيف نجا الإمام عليه السلام من يرثن حكم أموي عاشم قام على أشلاء مذبحة عاشوراء؟! وكيف أمكنه أن يروض حكماً دمويّاً مثل الحكم العباسي؟!!

ذلك هو شرف شخصية الصادق العظيم.

كانت الأرض الإسلامية تهتز بشدة، وآلاف المؤامرات والدسائس تحاك في الظلام، وحمائم الدم في كل مكان، وفي ذلك العصر المشغل بالقلق واللا استقرار كان الإمام بروحه الهادئة يمثل نقطة السلام، لم يتأثر بالأعيب الساسة ومؤامرات ذوي الطموح.. أحرق رسائل الذين دعوه للزعامة السياسية والأمجاد الزائفة التي تقام على جماجم آلاف الضحايا وبنى مجده الأخلاقي الرفيع في عالم الحقائق ذلك العالم الثابت، بعيداً عن دنيا الوقائع والحوادث، إنه يمثل نقطة المركز في الإعصار؛ حيث العالم يموج من حوله، أما هو فكان ينعم بالطمأنينة.. كان يمثل الأعماق في بحر متلاطم بالأمواج، فالرياح العاصفة تشير الأمواج، أما الأعماق فترضى بالجلال والهدوء والسلام.

هكذا عاش الإمام.. معلماً للإنسان، حياته حياة الأنبياء، وروحه العظيمة تنطوي على ذات الأسرار التي انطوت عليها روح محمد وعني والحسين عليه السلام.

الصورة:

ربع القامة (بين الطول والقص).

أزهر الوجه

حالك الشعر (الشديد السواد) جعد

أشم الأنف (ارتفاع قسبة الأنف وحسنها وانتصاب الأرنبة)

على خذّه خال

مكتوب في خاتمه: «الله خالق كل شيء».

بحار الأنوار ٤٧: ٦ - ١٠



## المشاهد

## العشيد الأول

المكان: «قصر الحيرة على بعد ٨٠ كم من آثار تدمر عاصمة

زنوبيا»

الزمان: ١١١ هـ

كان هشام بن عبد الملك متربحاً فوق سريره المرضع بالجواهر، وفي حضرته عليّة القوم وقادة الجيوش، وفي يد كلّ منهم قوس، وهم يُرِشون سهامهم نحو هدف في آخر البلاط.

وأذن الخليفة الأحول للإمام الباقر وابنه جعفر بالدخول بعد أن أوقفهما ثلاثة أيام إمعاناً في التهر...

ولم يأت الإمام بإرادته، وإنما هي رغبة في قلب مريض ونفس مثقلة بالثقل... رغبة مريض يشعر بالمهانة؛ فأراد أن يعوّض ذلك باستدعاء من يخشى الحكام وجوده.

ناول هشام الإمام الباقر قوساً وراح ينظر إليه بعينه الحولاء متشفياً:

- يا محمد إرم مع أشياخ قومك هذا الغرض.

أجاب أبو جعفر وقد أدرك ما يرمي إليه الأحول:

- إني قد كبيرت عن الرمي فاعفني.

برق التشفي في عين هشام لقد حانت لحظة الانتقام من شيخ آل أبي طالب، سوف يتنذر به عندما تطيش سهامه هنا وهناك وسط قهقهة

الآخرين؛ لهذا هتف منتشياً:

- كلاً.. لا بد أن تشارك قومك في الرمي!

أمسك أبو جعفر بالقوس ووضع سهماً في كبده ورمق الهدف بنظرة ثابتة وحانت لحظة الانطلاق..

هتف أحدهم مأخوذاً وهو يتأمل السهم ثابتاً في قلب الهدف.

- يا لها من رمية!

أخذ الباقر سهماً آخر وسدده باتجاه الهدف فأصاب نصل السهم الأول، وانطلقت سهام العلوية يتبع بعضها بعضاً حتى تكاملت تسعة أسهم بعدد آيات موسى بن عمران.

نسي هشام للحظات حقدته، نسي كل أهدافه ومراميه، أو رآها تتهاوى أمام سهام علوية فهتف مبهوراً:

- أجدت يا أبا جعفر.. أنت أرمى العرب والعجم.

وأردف وهو يقوده إلى سرير الملك:

- يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيهم مثلك،

لله درك! من علمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلمته؟

أجاب جعفر بأدب الأنبياء:

- تعلمته أيام حداثتي ثم تركته.

تساءل هشام وقد اتبته إلى وجود جعفر:

- ما أظن أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي! أيرمي جعفر مثل

رميك؟!

أجاب الباقر وهو يسدد سهماً من نوع آخر:

- نحن أهل بيت توارث الكمال والتعام، أنزلهما الله على نبيه في

قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأنمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (١).

وشعر هشام بلسع الكلمات فتدال بغيظ وحقد:

- من أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمد نبي ولا أتم أنبياء؟!؟

قال الذي يقر العلم:

- ورثناه عن جدنا علي وقد قال: «علمني رسول الله ألف باب من العلم

ينفتح عن كل باب ألف باب» (٢).

انسحب هشام الى نفسه، وقد رفع راية الهزيمة، واجتاحته آلاف

الشكوك والهواجس، إنه ليس أمام رجل أعزل كما كان يتصور، إنه أمام

حسين آخر، أمام رجل يحمل ملامح علي.. علي الذي ما يزال سنا سيفه

يختطف بالأبصار.

(١) المائدة: ٣.

(٢) رسائل المرتضى: ٣١٧/١، كنز العمال: ٣٩٢/٦، ح ٦٠٠٩.

## المشهد الثاني

عام ١٢٢ هـ نقطة مافي الصحراء على طريق القوافل

كان يحيى بن زيد يشعر بالاختناق رغم انفتاح الصحراء.. الحصان يسير الهوينى، ينقل خطاه على هون.. لم تغلح نسائم الهواء التديبة أن تبثد الحزن الذي كان يغمر قلبه؛ فكأن بني مروان يستمون حتى الهواء.

نظر الى ورائه الى حيث المدينة المشهورة بالغدرا؛ فألقاها قد ضايت، لقد ابتلعها الصحراء، أدار بصره في الجهات لم يكن هناك سوى تموجات الرمال تمتد لتلامس زرقة السماء في الأفق البعيد، ولاحت للفتى تحت أشعة الغروب الواهنة طرق القوافل، فهذا طريق يؤدي الى الحجاز، عريض شهادته قوافل الحجيج؛ وذاك يؤدي الى خراسان، الى حيث البلاد التي تشرق منها الشمس.

وقف في مفترق الطرق يتأمل المكان وقد ضمته حبال الصمت العميق، كان يفكر أي الطريقين يسلك؟

قرص الشمس يستقر فوق الرمال في الأفق الذي تشرب بحمرة لون الدم.. الدم الذي سال بالأمس في شوارع الكوفة... ما تزال ملحمة زيد الشهيد تتألق في الذاكرة تلهب وجدانه.

فجأة ظهرت سفينة الصحراء وسط قرص الشمس الذي استحال الى نبع قرمزي.

شعر يحيى بنسمة من الانشراح؛ وتنفس الصعداء، لعل القادم يحمل أخبار الديار والوطن! وظل الفتى في مكانه وقد بدا الحصان يرهف أذنه

الى خطني قادمة من بعيد.

سهل الحصان كأنه يريد أن يعلن عشقه للحرية، وظل الجمل معتماً بالصمت كعادته، ربما قال في تمتماته: إن الصحراء تحتاج الى الصبر. اقترب راكب الجمل من راكب الحصان، وعرف كل صاحب، وتناثرت كلمات السلام كرياحين ربيعية، وقال الفتى لصاحبه وهو يحاوره:

- من أين أتيت؟

- من الحج

- وأخبار الأختة والديار؟

- المدينة - حزينه. حزينه من أجل زيد.. لقد بكاه الجميع، وكان ألوعهم ابن عمك جعفر.

لاذ يحيى بالصمت... اشتعلت في ذاكرته مشاهد قديمة يوم دخل مع والده على عمه محمد الذي يقر العلم يقرأ فتمتم بأسى؛  
- كان عمي محمد أشار على أبي بترك الخروج.. قال له: لا تترك المدينة... كان يخشى عليه عاديات الزمن..  
وسكت يحيى لحظات، ثم قال وهو يحذق في لوحة التروپ الحزين:

- فهل سمعت ابن عمي جعفر يذكرني؟

أجاب القادم من الحجاز وكان رجلاً من ثقيف:

- أجل سمعته يذكرك.

- بهم ذكرني؟

- لا أحب أن أستقبلك بما سمعته.

- أنا لا أخشى الموت.. هات ما قاله جعفر!

- سمعته يقول: إنك تقتل وتصلب، كما قتل أبوك وصلب.

اعتزته قشعريرة؛ وقد تذكر أباه على الصليب.

قال بصوت متهديج:

- ﴿يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾<sup>(١)</sup>.

ومزت لحظات صمت؛ وكان يحيى يحدق في الأفق المصبوغ بلون

الدم قال بصوت يشوبه حزن عميق:

- يا متوكل، إن الله أيتد هذا الأمر بنا، وجعل لنا العلم والسيف، وخص

بني عمنا بالعلم وحده.

تساءل راكب الجمل:

- جعلت فداك! أتبي رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر أميل منه إليكم!

قال ابن زيد الشهيد:

- إنه دعا الناس إلى الحياة، أما نحن فدعوناهم إلى الموت.

- يابن رسول الله، هم أعلم أم أنتم؟

أطرق الفتى الثائر؛ فكأنه يبحث في الأرض عن شيء، وقال بعد

صمت عميق:

- كلنا له علم، غير أنهم يعلمون كل ما نعلم، ولا نعلم كل ما يعلمون.

غابت الشمس، وتناثر ظلام خفيف في فضاء الكون.

قفز الفارس من فوق حصانه؛ وبركت سفينة الصحراء؛ وانسابت

الصلاة كنهر هادئ يتدفق على هون، وتناثرت كلمات الدعاء، وقد

تألقت نجيمات في صفحة السماء.

تطلع الرجل الثقفي الى فتى يحمل ميراث أبيه.. ميراث الثورة والشهادة، وتساءل في نفسه: ترى في أية بقعة سيصلب هذا الفتي العلري؟

رفع يحيى رأسه وكان مستغرقاً في سجود ثم قال:  
- أعلم أن قوله حق.. أخذه من آبائه...

ونفض الي حيث يقف حصانه الأصيل، فاستخرج صحيفة مصدقة شتمها ووضعها على عينيه وانسابت منهما دمعتان، شعر أنه يقبل وجه أبيه الشهيد، قال بصوت فيه عبرة:

- والله يا متوكل! لولا ما ذكرت من قول ابن عمي: أنني أقتل وأصلب ما دفعتها إليك، وهي أمانة لديك حتى توصلها الي ابني عمي.  
- محمد وابراهيم!

- أجل فهما القاتمان بالأمر بعدي.

حانت لحظة الوداع.. وأدرك القادم من موسم الحج أن يحيى سييتم وجهه شطر خراسان.. الي حيث تطلع الشمس.

نهض راكب النجميل يودع الفارس الذي سلك الطريق.. ذات الطريق الذي سلكه والده من قبل، وظل يشيخه بنظرات حزينة الي أن غاب في الظلام.

### المشهد الثالث

#### المدينة العنورة عام ١٣٢٢ هـ

عالم الوقائع عالم متزلزل؛ يموج بالبشر، ويموج بالحوادث، عالم يزخر بالبروق والرهود والأمطار، عالم تعصف به الرياح من كل مكان، أما الحقائق فعالم غارق بالهدوء.. ثابت ثبات الجبال، هادئ كالبحيرة. عالم رائق كالنور، مفعم بالسكينة والطمأنينة والسلام، فإذا عاش الإنسان في عالم الوقائع عاش قلقاً، نهياً للهواجس والمخاوف والاضطراب، يتحول ليله إلى أرق طويل، وتتغير حلاوة العيش إلى مرارة لا تطاق..

أما الإنسان الذي يعيش في عالم الحقائق، فهو ابن تلك البيئة المدهشة بساتنها، وصفاتها، وإشراقها، هكذا عاش الإمام الصادق.. كانت الأرضية الإسلامية تهتز بعنف.. آلاف الدسائس والمؤامرات تحاك في الظلام، وقد بات كل شيء في العالم الإسلامي قلقاً، المعقائد تتزلزل في النفوس، ولم يعد هناك من ثبات.. مع سنابك خيل قادمة من الشرق ورجال يرضعون رايات سود.

وجلس وارث النبوات في محرابه، كان ضوء الأصيل قد تسرب من كوة صغيرة فبدت كشلال من نور، يغمر أرضية الحجر الطينية المفروشة بحصير منسوج من خوص النخيل.

الصمت يغمر المكان، ما خلا تمتمات دعاء ينساب بحزن.. وشيئاً فشيئاً انسحب الضوء، وانطفأت الكوة المضيئة وخيم الظلام لكأنه كامن في أجزاء الحيطان والسقف، وحتى الكوة نفسها امتحالت إلى نبع من



الليل القادم.

كانت رياح كاتون القارسة تجوس المدينة... دخل «معتب» يهدوء يمشي على أطراف أصابعه، لم يكن يريد أن يعكر الصفو المهيمن في المكان، كان همه أن يوقد السراج ويعود لشأنه، تاركاً سيده في استنراقه الصلاة.

وعندما اتبعث الضياء من السراج؛ ارتفعت دقات حذرة وخفّ معتب ليعرف من يكون القادم في هذا البرد والليل.. وما أسرع ما يعود ليقول:

- إنه سدير يا سيدي.. سدير الصيرفي ومعه رجل ملثم،

أجاب سليل النبي؛

- ليدخلا

جلس سدير في حضرة الإمام، وقال معرّفاً الرجل الملثم:

- إنه رجل من شيعتك يحمل اليك رسالة من أبي سلمة الخلال.

أخرج الرجل رسالة مطوية بعناية وسلّمها باحترام.

الكلمات القادمة من أحد قادة الثورة العيسية ورجالاتها تحمل

معسول الوعود.. وقد جاء فيها: أنّ للحق أن يعود الى أصحابه الحقيقيين،

وأن للخلافة أن ترجع الى أهلها، وأن لوarith علي أن يعود الى عاصمة أبيه.

رفع الإمام عينيه وخاطب معتباً:

- اذن متي السراج.

تساءل سدير في نفسه: ألم يكن الضوء كافياً؟

لم تطل حيرة الصيرفي بعد أن رأى الصادق يذني الرسالة من لهيب

السراج، فالتهمت اثار الكلمات والوعود واحترقت، ثم استحالت الى

رماد ودخان، وارتسمت على وجه الصير في أمارات الدهشة، فيما هتف المثلّم:

- والجواب؟

أشار الصادق الى الرماد، وقال:

- هذا جواب كتابه.

السراج ما يزال يبعث الضوء، وقدراً من الدفاء، ونهض الرجل المثلّم، وغادر المكان بصمت.

لم يطق مدير المشهد، فقال بهجة يشوبها عتب:

- يا أبا عبدالله، ما يسمع القعود؟

- ولم يا سدير؟

- لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك.

- يا سدير وكم تقدر أن يكونوا؟

- مائة ألف.

- مائة ألف؟!

نعم، ولو شئت قلت: مائتي ألف.

قال الذي يعيش في عالم الحقيقة:

- لو كان عندي عدد أصحاب النبي في بدر! للهضت.

كان نور السراج يتعكس على وجه سدير، وقد ارتسمت علامات استفهام في عينيه، وماجت في أعماقه آلاف التساؤلات:

وتلك الآلاف المؤلفة في خراسان، وهذه الرسائل التي تأتيه من الكوفة وغيرها؟

وتذكر سدير لقاء الإمام مع مبعوث أبي مسلم الخراساني الذي نقل

إليه رسالة جاء فيها: «إني قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس إلى موالاته أهل البيت، فإن رغبت؛ فلا مزيد عليك».

ولم يزد الإمام أن قال لسبعوث الخراساني:

- قل له: ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانني.

تساءل سدير في نفسه: كيف يطيق أبو عبد الله هذا الصمت، وقد انفجر الزلزال في الأرض التي تخرج منها الشمس؟ كيف يطيق هذا السكوت، وصرخات آلاف الخراسانيين تملأ الخافقين تدعو إلى «الرضا من آل محمد»؟

نظر الصادق إلى صاحبه الحائر، أراد أن يعنمه أن هذا الزمن هو زمن التغيير الحقيقي، زمن الصمت المدوي؛ قال في صوت فيه أصداة النبرات:

- كونوا لنا دعاة صامتين.

تساءل الصيرفي:

- وكيف ندعو ونحن سكوت؟!

أجاب الصادق:

- تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله، وتعاملون الناس بالصدق والتعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير؛ فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا إليه.

ونفض سدير، وقد أضاءت له الكلمات الصادقة السبيل، أدرنك أن تغيير العالم يبدأ من هنا؛ من أعماق النفس، ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْتَبِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْتَبِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

### العشده الرابع

المدينة المنورة وقد ضرب الجفاف أطنابه في الحجاز

#### للعام الثاني على التوالي

انصرم الشتاء وأخذ معه بركات الربيع، وماتزال الفيوم تعبر السماء كسفن تائهة، وتهامس الناس في المساجد والأسواق، وهم يتأملون السحب تتجمع ثم تتبدد؛ تمرقها رياح غاضبة قبل أن تجود بالمطر فتروي الأرض الحرى، وترى الناس حيارى؛ ينظر بعضهم في عيون البعض .

- إنه القحط

- أجل القحط

وفي مواسم القحط تتغير الحياة.. وتبعث في أعماق النفوس الآدمية صفات لا عهد للمرء بها؛ يخرج الخوف رأسه فيطل من عيني حزينتين، تستيقظ كوا من القلق من المستقبل، يسرع الأثرياء خطاهم الى الأسواق ليشتروا ما يحتاجون وما لا يحتاجون، ترتفع الأسعار، ويتأوه الفقراء يضربون كفاً بكف، وتتزلزل الثوابت، وتفادر البسمات الشفاة؛ ليضرب الوجوم أطنابه وربما غامر بعضهم بالصيد في القيافي البعيدة بحثاً عن شيء يشبع صغاره الجياع.

وترى بعضهم ينظر الى الطيور نظرات تطفح بالمرارة والأسى، يتمنون الظفر ببعضها لتتغذهم من عضة الجوع، إن للمدن أعراسها وأحزانها، ويبقى القحط جرحاً غائراً في أعماقها تتذكره دائماً بشيء من

المرارة والأسف. وأصعب ما في القحط أن يعتبر طبائع الناس. يوقظ في أعماقهم غرائز مدفونة في ظلمات ثلاث، وإذا بالإنسان يتحول الى كائن جديد؛ حيث تخلع المدن الزراعية أثوابها ويتهامس أبنائها في شؤون الصيد والتجارة.

وفي كل ذلك تستيقظ الأنا مدمرة؛ كوحش كاسر لا يعرف غير نفسه. وفي هذه المدينة كان هناك قلب ينبض بالطمأنينة في زمن الرعب، وينبض بالسلام والرحمة، قلب يكاد يستوعب الوجود بأسره. وفي ذلك المساء الحزين، وقد آبت الكائنات الى أوكارها، وغمر الظلام الأزقة، سأل الإمام غلامه:

- ألدينا قمح؟

وشمر الغلام بالعبطة؛ لأن لديه الوفير فقال:

- لدينا ما يكفي حاجتنا ستة شهور.

وتألم الإمام... الناس يعصرها الجوع وحبوب القمح مكندسة في

أكياس القلق والخوف من المستقبل، قال بحزم:

- إعرضه غداً في السوق ليشتريه الناس.

- ونحن يا سيدي!

- اشتر لنا شعيراً وانخلط به طعامنا، فإني أكره أن نأكل جيداً ويأكل

الناس رديئاً.

والتفت الإمام الى غلامه قائلاً بعد لحظات صمت:

- الاحتكار في الخصب أربعون يوماً، وفي الشدة والبداة ثلاثة أيام، فما زاد

على الأربعين يوماً في الرشاء فصاحبه ملعون، وما زاد على ثلاثة أيام في العسر

فصاحبه ملعون.

### المشهد الخامس

قال الصادق لغلामه مصادف:

إن عيالي قد كثروا، فخذ ألف دينار واتجر إلى مصر مع اخوانك.  
وانطلق مصادف في رحلة تجارية إلى مصر استغرقت أسابيع.  
وتعود القافلة إلى الحجاز تحمل الريح الوفير، كان مصادف يشعر  
بالفرح. فقد ربحت تجارته ونجح في مهمته، دخل مصادف منزل سيده  
ووجهه يطفح بشراً، كان يحمل كيسين ملئاً ذهباً، قال وهو يناولهما إلى  
سيده:

- هذا رأس المال وهذا ربحه.. لقد ربحت تجارتنا يا سيدي.

رد الإمام مستفهماً:

-وكم هما؟

-ألفاً دينار.

-إنّ هذا الريح لكثير!! ماذا صنعت حتى ربحت هذا الريح؟

وشرح مصادف يحدث سيده عن تفاصيل رحلته إلى مصر:

- اشترينا متاعنا من سوق المدينة، وكان فيه ما حملة تجار اليمن  
ومكة، وانطلقنا إلى مصر؛ حتى إذا وصلنا قريباً منها؛ إذا بقافلة من تجارها  
تستقبلنا في الطريق، وكان المكان محطاً للقوافل، فأناخت النوق تلتقط  
أنفاسها من رحنة مضيئة. غابت الشمس وتوارت خلف التلال، وحل  
الظلام واشتعلت مواقد النار هنا وهناك في تلك الأرض، تساءل تجار مصر  
عما تحمل قوافلنا من المتاع، حتى إذا عرفوا ما فيه؛ برقت عيونهم دهشة

وقال أحدهم:

- إنه متاع العامة وليس في مصر منه شيء.

وقال آخر:

- ما أسعد حظوظكم؟!!

وفي الصباح راح بعضنا ينظر في عيون البعض، وقال قائل:

- لا تبيعوا بضاعتكم حتى يربح الدينار ديناراً.

وبرقت عيون الجميع امراراً وطمعاً.

شعر الإمام الصادق بقلبه يعصره الأثم، واعتصم بصمت حزين، فيما

ظل مصادف يروي حكايته:

- وهكذا دخلنا مصر فاهتز سوقها من أقصاه إلى أقصاه وأحاطنا

التجار من كل صوب، فلم نكن نساوم على قيمة المتاع، فكانوا ينصرفون

ثم يعودون فلا يجدون سوى الإصرار، وكانت مقاومتهم تتضاءل حتى

سلموا لنا، وهكذا ربح الدينار ديناراً، فهذه ألف دينار رأس المال، وهذا

ألف دينار أخرى هي الربح.

طافت غيمة حزينة فوق جبين وارث النبي، قال بأسى:

- سبحان الله! تتحالفون على قوم مسلمين ألا تبيعوهم إلا أن يربح

الدينار ديناراً؟! أخذ الإمام كيساً واحداً وقال بحزم:

- هذا ماننا، «ولا حاجة لي بالربح».

أطرق مصادف حائراً وسمع سيده يقول:

- يا مصادف، مجالدة السيوف أهون من طلب الخلال.

واشتعلت في أعماق مصادف تفاصيل الرحلة، ومارأى هناك ممًا

يموج في أعماق البشر، تذكر وميض العيون وهي تبرق طمعاً في الربح

الوفير، وتذكر همسات التجار لكانهم يتآمرون في قلب الظلام، وتذكر  
توسلات الناس في سوق مصر وقد ألمهم ارتفاع السعر.. تذكر كل  
تفاصيل رحلته، ورأى أنه لم يربح سوى لوم سيده، فألقى نظرة ازدراء على  
كيس فيه ألف دينار ذهبي يختطف الأبصار، ودون في أعماقه كلمات قالها  
سيده ذات يوم:

كم من طائب للدنيا لم يدركها، ومدرك لها قد فارقتها.. ما الدنيا؟ هل الدنيا إلا  
أكل أكلته أو نوب لبسته؟

ونهض مصادف ينفض عن ثوبه غبار الرحلة، ويتسل عن نفسه  
أدران تجارته، وأدرك أنه لم يخسر شيئاً ذا قيمة، بعد أن ربح نفسه التي بين  
جنبيه. أما الألف دينار فقد تناثرت فوق بيوت الفقراء والبائسين ممن  
أضربهم القحط والجفاف.



## المشهد السادس

### المدينة المنورة عام ١٣٧ هـ

وأصبحت المدينة خائفة تترقب. سيأتي إليها ملك جبار يبحث عن رجل حسني، يحمل اسم النبي وقلب الوحي، اختفى منذ سنين. الملك الجبار يخشى الذي غاب عن الأنظار، وسرت الهمسات في ليالي البرد الطويل، تتحدث عن محمد بن عبدالله من ذرية الحسن السبط، الذي غاب ليظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كانت المدينة خائفة تترقب؛ فالجبار قادم إليها وشيكاً، ولم يكن حجه هذا العام إلا «مكةً وتصدية».

الذين يعرفون ابن البربرية في الأيام الخوالي سيدهشون إذا رأوه في حلة الملك العباسي السوداء لكأنه فرعون هذه الأمة. وقيل للفقراء: إنهم يرون النمرود جاء يبحث عن أخ لإبراهيم<sup>(١)</sup>.

وجاء الملك العباسي وحل في المدينة ليغمر الخوف منازلها..  
وتساءل البعض: من أين حصل ابن البربرية على كل هذا الجبروت في الأرض؟!؟

منذ الأزمنة السحيقة والجبايرة يولدون في النفوس الخائفة.. النفوس التي تسكنها جرذان مذعورة.

لكأنهم على ميعاد مع الشعوب في لحظات الرعب؛ عندما يستكين

(١) إبراهيم وأخوه محمد النفس الزكية.

الإنسان الى حبّ الحياة حتى مع الذل، عندما يتنازل المرء عن كرامته من أجل أن يبقى حياً.

ووجد ابن البربرية نفسه أمام الحشود الخائفة الذليلة، لقد عرف كيف يؤسس لسلطانه في النفوس الخائفة.. وغمغم في نفسه وهو يرى العيون الخائفة:

- جوع كليك يتبعك.

- وأردف بسخرية:

- وريما يعيدك .

وتمرّ أيام، وما تزال الحشود تزور الخليفة العباسي الثاني، تبارك له انتصاراته السابقة واللاحقة، تساءل بغيظ:

- مالي لا أرى الصادق؟!

نظر الى وزيره، فقال الوزير بخضوع:

- أنا آتيك به.

بلغ الجبار ريقه بمرارة، فأمر شيء على الجبابرة أن يجدوا بين الناس من لا يأبه بهم ولا يرهبه جبروتهم.

وجاء رجل من أقصى المدينة أو جيء به، فسلم وجلس، كان ربعة وفي وجهه المضيء خال، ونبع من الطمأنينة يتدفق في روحه وقد عمرته حالة من السلام.

وكان حرس الجبار قد أخذتهم الرهبة من رجل لا يرهب الملك، رجل أعزل إلا من عصا يتوكأ عليها.

قال ابن البربرية في عتب مصطنع:

- لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟!

وانقلبت الغين خاءً في آذان المذعورين؛ فختيل اليهم أنهم سمعوا  
 النمرود يقول: لآلم تخشاناكما يخشانانا الناس؟  
 قال الرجل الذي يحمل ميراث الأنبياء:  
 - ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من أمر الآخرة ما ترجوه منك...  
 ولا أنت في نعمة فنهيك، ولا في نقمة فتعزبك.

رد مروفاً:

- تصحبنا لتنصحننا!

قال الصادق وقد تفجرت الحكمة من جوانبه:

- من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك.

وساد الوجوم، وبذل العباسي جهداً جباراً في دفن حقه القديم، وقد  
 نهض حفيد إبراهيم الخليل عائداً من حيث أتى بعد أن حطم  
 الوثن البشري.

### المشهد الأخير

المدينة المنورة عام ١٤٨ هـ

كان شوال من ذلك العام حزينا؛ فقد انطوى عيد الفطر، وانطوت معه فرحة الصائمين.

رياح شباط الباردة تجوس أزقة المدينة، والسحب الداكنة تسد الأفق حيث تغيب الشمس، وفي منزل تظلمه سعقات النخيل كان الحزن قد رمى بكلاكله كغراب جائم.

الشيخ الذي بلغ الثامنة والستين يلهب من الحمى، جبينه الزاهر يتفصد عرقاً، رغم النسائم الباردة، لقد أزفت ساعة الرحيل فالدنيا برد وظلام.

القلوب المؤمنة تبكي من أجل السلام، والدموع كالشموع، والفرشات تبحث عن النور في زمن الزمهرير وصرير الريح. فتح الشيخ عينيه وقد أطلت الروح بعد غيبوبة، تريد أن تقول الكلمات الأخيرة قبل الوداع..

التفت سليل محمد الى ابنه موسى وخاطبه على وهن:

- يا بني، لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة.

وغابت الروح هنيئة ثم عادت من جديد:

- اعطوا ابن عمي «قلاناً» سبعين ديناراً.

- أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد قتلك؟!

قال الشيخ بصوت فيه أصداء الرحيل:

أتريدون إلا أكون من الذين قال الله فيهم: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾<sup>(١)</sup>؟  
سكت لحظات والتفت الى الجارية قائلاً:  
نعم يا سالمة، إن الله خلق الجنة وطيب ريحها، ولا يجد روحها عاقق ولا قاطع رحم.

وأغمض الشيخ عينيه لنمزة الأخيرة، وتمتمت الدعاء تناسب من بين شفثيه كنعج هادي، وانبعثت في قلب الليل أنات الفجيمة، وشهقات بكاء مرير كميزيب تبكي في موسم المطر.  
كان موسى واقفاً في تلك الساعة العصيبة، وقد غمر قلبه نور سماوي، وتألفت عيناه بانعكاسات الضوء فوق غلاقة من دموع صامته، فبدأ في منظره وهجاً من نبوات غابرة.

مشهد ما قبل الرحيل

بغداد (١٤٦ - ١٤٧ هـ)

أمواج دجلة تتدافع تتجه صوب الخليج  
وقد بدا النهر من شرفة القصر تبعاناً يتلوى بكسل  
الصمت يهيمن فوق المكان  
ما خلا طنين ذبابة لا تفتأ تجثم فوق أنف «النمرود»  
كان يطرد بها المزة بعد الأخرى ولكن دون جدوى،  
التفت النمرود الى رجل من ذرية إبراهيم الخليل،  
قال متأقفاً: لم خلق الله الذباب؟  
أجاب حفيد إبراهيم محطّم الأصنام:  
- ليذل به أنوف الجبابرة  
وبهت الذي طغا  
وعاد الصمت المدوي يهيمن مزة أخرى.  
ما خلا طنين ذبابة كانت تجثم فوق أنف «النمرود» المزة  
تلو الأخرى.

كمال السيد





الإمام الصادق عليه السلام  
من وجهة نظر  
رؤساء المذاهب الأربعة

عثمان رادبي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المدخل:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

الإمام الصادق عليه السلام شخصية قوية، ومكانة مرموقة، ومركز ملحوظ عند سائر الطوائف وجميع الفرق. فهو الصادق في لهجته، أئيب بالصادق لأنه عرف بصدق الحديث حتى أصبح مضرب المثل في عصره وبعد عصره. يقول أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد... ثم قال أبو حنيفة: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»<sup>(١)</sup>.

يقول مالك بن أنس: «ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً». وكذلك يقول: «إنه كان من العلماء العبادة الزهادة، ولم يمنعه زهده وتبته عن الكسب وطيب المعاش من وجوهه المشروعة مع الإجمال في الطلب والاعتدال في الإنفاق وأداء الحقوق، كما أنه ينهى عن الكسب والبطالة»<sup>(٢)</sup>. وأيضاً في هذا الكلام نشير إلى أقوال علماء الأمة ورؤساء المذاهب، وحفاظ الحديث وكبار المؤرخين والكتاب من القدماء وبعض المعاصرين في انطباعاتهم عن شخصية الإمام الصادق عليه السلام.

(١) أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الشيبيري: ١٥/١. عن تذكرة الحفاظ للذهبي:

١٦٦/١، رقم ١٦٢.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي: ٣٢/١، تهذيب التهذيب: ١٠٤/٢، النسخة الاثني عشرية

للأوسي ٨.

التاريخ هو مرآة تأخذ الصور فتحفظها للأجيال، وهو للجميع لا يختص بأمة دون أخرى، ولا يتقيد برأي دون آخر، وهو أمين، والأمين يتبع به أن يحون أمانته. ولئن تحتم عليه أن يحتفظ بالحقائق والأضاليل معاً فليس ذلك إلا أمد الأمد ثم تنكشف الحقائق لتثبت وحدها سليمة من مجاورة الأضاليل.

والتاريخ يسجل الحوادث على ما هي عليها بصورها وأشكالها، فلا تغيير ولا تبديل، ولا نقل صورة وترك أخرى؛ هذه هي وظيفة التاريخ الصحيح في كل دور من الأدوار.

ومثل شخصية جعفر بن محمد تلك الشخصية الإسلامية العظيمة يجب على التاريخ إعطاؤها حَقَّها من البحث، لأن الإمام الصادق عليه السلام شخصية قوية، ومكانة مرموقة، ومركز ملحوظ عند سائر الطوائف وجميع الفرق. فهو الصادق في لهجته، لقب بالصادق لأنه عرف بصدق الحديث حتى أصبح مضرب المثل في عصره وبعد عصره. قال ابن الحجاج وهو الشاعر المشهور:

يا سيداً أروي أحاديثه رواية المستبصر الصادق

كأنني أروي حديث النبي محمد عن جعفر الصادق

وغرضنا من البحث عن حياة الإمام الصادق عليه السلام بيان منزلته العلمية، والاستماع إلى أقوال علماء الأمة ورؤساء المذاهب، وحقايق الحديث، وكيار المؤرخين والكتاب من القدماء وبعض المعاصرين في انطباعاتهم عن شخصية الصادق عليه السلام.

أبو حنيفة رضي الله عنه (١)

وقد كشف لنا أبو حنيفة انطباعاته عن الإمام الصادق عليه السلام، وأنه ما رأى أفقه منه بقوله:

«ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهين له من المسائل الشداد. فهيات له أربعين مسألة ثم بعث إلي أبو جعفر المنصور وهو بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور. فسلمت وأوماً فجلست، ثم التفت إليه قائلاً: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة. فقال: نعم أعرفه، ثم التفت المنصور فقال: يا أبا حنيفة الق على أبي عبدالله مسائلك. فجعلت أقي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا وهم يقولون كذا ونحن نقول كذا، فرتما تابعنا وربما تابعهم وربما خالفنا حتى أتيت على الأربعين مسألة، ما أدخل منها مسألة واحدة. ثم قال أبو حنيفة: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» (٢).

وهذه القضية تكشف لنا انطباعات أبي حنيفة عن الإمام الصادق عليه السلام، وأنه ما رأى أفقه منه، وهو أعمم الناس لعلمه باختلاف الناس.

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ولد سنة ٨٠ هـ في نسا، وتوفي سنة ١٥٠ هـ في بغداد.

(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق: ١/١٧٣، وجامع أسانيد أبي حنيفة: ١/٢٥٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/١٥٧.

مالك بن أنس رضي الله عنه (١)

يقول مالك بن أنس: «اختلفت الى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله إلا على الطهارة، ولا يتكلم بما لا يعنيه، وكان من العلماء العبادة والزهد الذين يخشون الله (٢) وما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً» (٣).

هذه شهادة مالك وانطباعته عن شخصية الإمام، ومالك هو رئيس مذهب من مذاهب الإسلام، وكان معاصراً للإمام الصادق عليه السلام، والذي يعنيها من هذه الكلمة قوله: إنه كان من العلماء العبادة والزهد، الذين يخشون الله، فالعلم وحده غير نافع بدون عمل، فالإمام الصادق عليه السلام عالم عامل زاهد في الدنيا يخشى الله ويتبع أوامره، و«إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٤)، ولم يمنعه زهده وتبتله عن الكسب وطلب المعاش من

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأشجعي وتُد سنة ٩٣ بالمدينة وتوفي سنة ١٧٩.

(٢) مالك بن أنس، اللخولي: ٩٤، كتاب مالك لمحمد أبو زهرة: ٢٨، نقلاً عن المدارك للقاضي عياض: ٢١٢، وأيضاً إلى هنا عبارة التهذيب وما بعدها زيادة في كتاب المجالس السنوية: ج ٥ وقد ذكر ابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة: ٥٢ ط ٢ هذه العبارة في جملة طويلة في ضمنها هذه الجملة.

(٣) تهذيب: ١٠٤/٢.

(٤) فاطر: ٢٨.

وجوهه المشروعة مع الإجمال في الطلب والاعتدال في الإنفاق وأداء الحقوق، كما أنه ينهي عن الكسل والبطالة.

#### أقوال العلماء الآخرين في الإمام الصادق عليه السلام

«جعفر بن محمد بن عبي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فقيه صدوق»<sup>(١)</sup>  
ابن حجر العسقلاني

«جعفر بن محمد، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: أن أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب»<sup>(٢)</sup>.  
أبو بحر الجاحظ

«جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرئاسة»<sup>(٣)</sup>  
عبد الرحمن بن الجوزي

«جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب وكنتيته أبو إسماعيل وينقب بالصادق والفاضل، وأشهر ألقابه الصادق»<sup>(٤)</sup>.  
أبو المظفر يوسف شمس الدين

(١) تريب التهذيب: ٦٨.

(٢) رسائل الجاحظ للسندري: ١٠٦.

(٣) صفوة الصفوة: ٩٤/٢.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٥٦.

«جعفر الصادق روى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني»<sup>(١)</sup>.  
أحمد بن حجر الهيثمي

«جعفر الصادق بن محمد الباقر زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، سمي الصادق لصدقه، وينسب إليه كلام في صفة الكيمياء».

عمرو بن الوردي في تاريخه

«جعفر بن محمد الصادق وهو ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنهم، ويكنى أبو عبدالله وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم أم فروة أسماء بنت عبدالرحمن أبي بكر، سمع أباه ومحمد بن المنكدر وعطاء بن أبي رباح، روى عنه عبدالوهاب الثقفي، وحاتم بن اسماعيل، وهيب بن خالد، وحسن بن عياش، وسليمان بن بلال، والثوري والداروردي ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحفص بن غياث ومالك بن أنس، وابن جريح، ولد سنة ثمانين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة وهو ابن أربعة وستين سنة»<sup>(٢)</sup>.

محمد بن طاهر بن علي المقدسي

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠.

(٢) الجمع بين رجال الصحيحين: ٧٠/١.

«جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكنيته أبو عبدالله وقيل: أبو إسماعيل وألقابه الصادق والفاضل والظاهر وأشهرها الأول، نقل أناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الكبار كيجي ومالك وأبي حنيفة»<sup>(١)</sup>.

محمود بن وهيب البغدادي

«كان بيت جعفر الصادق كالجامة يزدان على الدوام بالعلماء الكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام، فكان يحضر مجلس درسه في أغلب الأوقات ألفان وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين»<sup>(٢)</sup>.

السيد محمد صادق نشأة الاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

وخلاصة القول في هذه الأقوال أنها صدرت عن أناس لا يهتمون بالتحيز فإن كلمة كل واحد منهم إنما تنطبق على الواقع، وليس فيها ميل ولا تحيز. على أي حال فإن استيفاء هذا البحث بالبيان عن جميع ما يلم به من ذكر انطباعات العلماء والأدباء عن شخصية الإمام في عصره وبعد عصره أمر يطول شرحه، وقد أشرنا لبعض منه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عثمان رادبي

طالب جامعة المذاهب الإسلامية

(١) جواهر الكلام: ١٣.



## المصادر

- ١ - تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي؛ حيدرآباد، ط دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٥ هـ.
- ٢ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة؛ أسد حيدر، بيروت، دار الكتب العربية، ١٣٩٠ ق.
- ٣ - تقريب التهذيب؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ بيروت، دار المعرفة، ١٣٢٥ هـ.
- ٤ - المجالس السنية، محسن الأمين، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٢ هـ.
- ٥ - القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، بيروت، دار الكتاب العربي ١٤٠٥ هـ.



الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وموقف  
البخاري من رواياته

نجم الدين الطبسي

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام جعفر الصادق عليه السلام وموقف البخاري من رواياته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وأهل بيته  
الطاهرين سيما الحجة بن الحسن العسكري وبعد:  
محور البحث: في هذا المقال - هو التحقيق في موقف البخاري - من  
أحاديث جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فالبخاري قد اشتهر كتابه بالصحيح واهتم به جمع غفير من أهل العلم.  
وكان حرياً به أن يهتم بالمروى عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام الذي  
أثنى عليه أئمة المذاهب الأربعة وأكبروه، مع العلم بأنه قد روى عن  
تلاميذته ومن ارتوى من معين علمه.

إن هذه الظاهرة قد لفتت انتباه العديد من الباحثين، فمتهم من حاول  
تبريرها ومنهم من أدان البخاري في ذلك.

ولأجل أن نستجلي حقيقة الموقف نبحث عن محاور خمسة:

١ - ما قالوا حول الصادق عليه السلام من المدح والثناء العاطر، بما هو أهله  
وقوق ذلك.

٢ - تصريح المحدثين بعدم الرواية، البخاري لنصادق عليه السلام.

- ٣- تبرير ابن تيمية لهذا التصرف المدهش.
- ٤- الجواب عن هذا التبرير الغلط.
- ٥- رواية البخاري عن الخوارج والنواصب.

#### الثناء العاطر على الإمام الصادق عليه السلام:

- ١- قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين.
- ٢- قال ابن أبي حاتم عن أبيه: ثقة لا يسأل عن مثله.
- ٣- قال ابن عدي: ولجعفر احاديث و نسخ وهو من ثقات الناس كما قال يحيى بن معين.
- ٤- قال إسحاق بن راهويه: قلت للشافعي: كيف جعفر بن محمد عندك؟ قال: ثقة<sup>(١)</sup>.
- ٥- عن يحيى بن سعيد: ما كان كذوباً.
- ٦- قال الساجي: كان صدوقاً مأموناً إذا حدث عند الثقات، فحديثه مستقيم.
- ٧- قال النسائي: (وهو من المتعنتين في التعديل) : ثقة.
- ٨- وقال العسقلاني: في الرد على ابن سعد حيث قال في جعفر الصادق عليه السلام: كان كثير الحديث ولا يحتج به ويستضعف، سئل مرة: سمعت هذه الأحاديث من أبيك؟ فقال: نعم، وسئل مرة؟ فقال: إنما وجدتها في كتبه.

(١) تهذيب التهذيب: ١٠٤/٢.

أجابه العسقلاني بقوله: يحتمل أن يكون السؤالان وقعا عن أحاديث مختلفة، فذكر فيما سمعه: أنه سمعه وفيما لم يسمعه أنه وجده وهذا يدل على تثبته<sup>(١)</sup>.

٩- وذكره ابن حبان في الثقات وقال:... كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً... وقد اعتبرت حديث الثقات عنه فرأيت أحاديث مستقيمة ليس فيها شيء مخالف حديث الأئمة.

١٠- عبدالرحمن بن أبي حاتم (المتوفى سنة ٢٧٧ هـ): سمعت أبا زرعة. وقد سئل عن جعفر وسهيل وعلاء، فقال: لا يقرن جعفر إلى هؤلاء.

١١- عباس الدوري (المتوفى سنة ٢٧١ هـ): كان صادقاً وأميناً.

١٢- أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد.

١٣- ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ): أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، وكان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقة في مقاله وفضله اشهر من أن يذكر<sup>(٢)</sup>.

١٤- ابن حجر (المتوفى سنة ٨١٢ هـ): المعروف بالصادق، صدوق فقيه، امام.

١٥- ابن حجر الهيثمي (المتوفى سنة ٩٧٤ هـ): نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان.

١٦- الذهبي: جعفر بن محمد.. الإمام.. أحد السادة الأعلام<sup>(٣)</sup>، وقال: ومناقب جعفر كثيرة وكان يصنح للخلافة وقال أيضاً: «أحد الأئمة الأعلام

(١) تهذيب الكمال: ٨٩/٢.

(٢) وفيات الأعيان: ٣٢٧/١.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١٦٦.

بز صادق كبير الشأن<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «.. الإمام الصادق شيخ بني هاشم.. أحد الأعلام... رأى بعض الصحابة»<sup>(٢)</sup>.

١٧- ابن صباغ المالكي: كان جعفر الصادق عليه السلام من بين اخوته خليفة أبيه ووصيته والقائم بالإمامة من بعده وبرز على جماعة بالفضل وكان أنبهم ذكراً وأجلهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث»<sup>(٣)</sup>.

١٨- محمد بن طلحة الشافعي: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم جمة وعبادة موقرة وأوراد متواصلة وزهادة بيّنة وتلاوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحر جواهره ويستنتج عجائبه ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الآخرة واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والافتداء بهديه يورث الجنة نور قسامته شاهد أنه من سلالة النبيين وطهارة أفعاله تصدع انه من ذرية الرسالة<sup>(٤)</sup>.

١٩- الشبراوي الشافعي: ذو المناقب الكثيرة والفضائل الشهيرة، روى عنه الحديث ائمة كثيرون مثل مالك بن أنس، وأبي حنيفة، وغرر فضائله

(١) ميزان الاعتدال: ١/١٤٤.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١٦٦.

(٣) الفصول المهمة: ٢٢٢.

(٤) مطالب السؤل: ١١٠.

وشرفه على جبهات الأيام كاملة وأندية المجد والعزِّ بمفاخره ومآثره<sup>(١)</sup>.

٢٠ - الشيلنجي الشافعي: ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ويجار في أنواعها فهم القبيظ الكاتب<sup>(٢)</sup>.

٢١ - أبو نعيم الاصبهاني: الإمام الناطق، ذو الذناب السابق، أبو عبدالله جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

٢٢ - قال مالك: اختلفت اليه زماناً، فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصلاً، وإما صائماً، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث إلا على طهارة<sup>(٤)</sup>.

٢٣ - العجلي: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، ولهم شيء ليس لغيرهم، خمسة أئمة: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

٢٤ - حفص بن غياث (المتوفى سنة ١٩٥ هـ): أما جعفر بن محمد فلم أكن لأدع الحديث عنه، لقربته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولفضله<sup>(٦)</sup>...

٢٥ - الصفدي (المتوفى سنة ٩٦٤ هـ): هو المعروف بالصادق عليه السلام الإمام العلم المحدثي.. حدث عنه أبو حنيفة وابن جريح وشعبة والسفيانان ومالك ووهيب وحاتم بن اسماعيل ويحيى القطان وخلق غيرهم كثيرون.. وله مناقب كثيرة وكان أهلاً للخلافة لسؤدده وعنمه وشرفه.. ولقب بالصادق

(١) الانعاف يحب الأشراف: ١٤٦.

(٢) نور الأبصار: ٢٩٤.

(٣) حلية الأولياء: ٤٣٥/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٢٥٥/٦.

(٥) تاريخ الثقات: ٩٨.

(٦) تاريخ الثقات: ٩٩، سير أعلام النبلاء: ٣٢/٩.



لصدقه في مقاله.. دفن بالبيقع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي.. فله من قبر ما أكرمه وأشرفه...<sup>(١)</sup>

٢٦.. اليافعي: سيد جليل من سلاله النبوة ومعدن الفتوة.. لقب بالصادق لصدقه...<sup>(٢)</sup>.

هذه التصريحات، عشر عشير مما قيل في شأن هذا الإمام العظيم. ودون شأنه، ولو أردنا الاستقصاء لطال البحث، مع أنه لم يتناسب مع رعاية الاختصار والايجاز في المقال. ولكن نكتفي بقضية نقلها أبو حنيفة وهو الذي كان فيها ويشهد لها بملئ الضم:

أبو حنيفة يشهد بأفقهية الإمام الصادق عليه السلام:

روى المزي: «... قال سمعت الحسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة ومثله من أفقه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة: إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهتج له من مسائلك الصعاب، قال: فهيات له أربعين مسألة ثم بعث إلي أبو جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لم يدخلني لأبي جعفر: فسلمت، وأذن لي، فجلست ثم التفت الى جعفر فقال: يا أبا عبدالله تعرف هذا؟ قال: نعم هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة: هات من مسائلك، نسأل أبا عبدالله، وابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا<sup>(٣)</sup>، وأهل المدينة يقولون كذا

(١) الوافي بالوفيات، ١٢٦/١١ - أوردته البخاري في تاريخه، ١٩٨/٢ الرقم ٢٦٨٣.

(٢) مرآة الجنان: ٣-٤/١.

(٣) يعني أهل الرأي ومدرستهم.

وكذا<sup>(١)</sup> ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرج<sup>(٢)</sup> منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة: ليس قد روينا أن أهل الناس أعلمهم باختلاف الناس<sup>(٣)</sup>.

#### الراويون عن الإمام الصادق عليه السلام:

وقد حدث عنه عليه السلام الكثير من المحدثين - بمن فيهم بعض أئمة المذاهب الأربعة، والأجلة من الرواة، والمعتمدين عند أهل السنة كما وخرج له عليه السلام جميع الصحاح - سوى البخاري<sup>(٤)</sup> - والسنن والمسانيد والجوامع والمعاجم، كالترمذي ومسلم والنسائي وابن ماجه وأبي داود وأحمد.

وفيما يلي بعض الأسماء من الراويين عنه عليه السلام:

- ١- أبان بن تغلب.
- ٢- اسماعيل بن جعفر كما في الترمذي والنسائي.
- ٣- حاتم بن اسماعيل في الصحاح عدى البخاري<sup>(٥)</sup>.
- ٤- الحسن بن صالح بن حي.
- ٥- الحسن بن عياش في مسلم والنسائي.
- ٦- وحفص بن غياث في مسلم وأبي داود وابن ماجه.

(١) يعني أهل الحديث ومدومتهم.

(٢) اقتطع، واستأصل - مجمع البحرين: ٥٦/٥.

(٣) تهذيب الكمال: ٤٢١/٣، سير أعلام النبلاء: ٢٥٧/٦.

(٤) وإن خرج له في كتاب أفعال العباد والأدب المفرد. انظر تهذيب الكمال.

(٥) زوى البخاري عنه في كتاب أفعال العباد.

- ٧- زهير بن محمد التميمي في ابن ماجة.
- ٨- وزيد بن سعيد الأنطاقي في الترمذي.
- ٩- سعيد بن سفيان الأسلمي في ابن ماجة.
- ١٠- سفيان الثوري في الصحاح عدى البخارى.
- ١١- سفيان بن عيينة في الترمذي والنسائي وابن ماجة.
- ١٢- سليمان بن بلال في مسلم وأبي داود.
- ١٣- شعبة بن الحجاج.
- ١٤- أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل.
- ١٥- عبدالله بن ميمون القداح في الترمذي.
- ١٦- عبدالعزيز بن عمران الزهري في الترمذي.
- ١٧- عبدالعزيز بن محمد الدراوردي في الأدب المفرد، ومسلم والترمذي وابن ماجة.
- ١٨- عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح، المجمع على وثاقته عندهم، روى له مسلم والنسائي.
- ١٩- عبدالوهاب بن عبدالحميد الثقفي في مسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة.
- ٢٠- عثمان بن فرقد العطار في الترمذي.
- ٢١- الإمام مالك في مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.
- ٢٢- محمد بن اسحاق بن يسار.
- ٢٣- محمد بن ثابت البناني في الترمذي.
- ٢٤- محمد بن ميمون الزعفراني في أبي داود.
- ٢٥- مسلم بن خالد الزنجي.

- ٢٦- معاوية بن عمار الدهني في مستند أحمد وأفعال العباد.  
 ٢٧- الإمام النكاظم في الترمذي وابن ماجه.  
 ٢٨- موسى بن عمير القرشي.  
 ٢٩- أبو حنيفة النعمان بن ثابت.  
 ٣٠- وهيب بن خالد في الأدب المفرد ومسلم.  
 ٣١- يحيى بن سعيد الأنصاري في مسلم والنسائي.  
 ٣٢- يحيى بن سعيد القطان في أبي داود والنسائي.  
 ٣٣- يزيد بن عبدالله بن الهاد في النسائي.  
 ٣٤- أبو جعفر الرازي و... (١).

هؤلاء وخلق كثير غيرهم رروا الأحاديث من الإمام الصادق، وارتوا من منله الشريف وتناقلت أرباب الصحاح والسنن، ورواياته الشريفة إلا البخاري.

#### تخلف البخاري:

فإنه تخلف (٢) عن هذا الركب، ولم يورد له في صحاحه، رغم تخريجه له في الأدب المفرد وأفعال العباد، ورغم ذكره له في تاريخه مما يوحى بأنه يراه ثقة و... فيبقى السؤال عن سر هذا التقاعس؟ والتخلف عن الركب!

(١) تهذيب الكمال: ٤١٩/٣.

(٢) قال الذهبي: «لم يحتج به البخاري» ميزان الاعتدال: ٤١٤/١.

تبرير ابن تيمية موقف البخاري:

يرى ابن تيمية أن موقف البخاري من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام ينشأ من تأمل ابن قطان وموقفه من الصادق عليه السلام.

فقال: «وقد استراب البخاري في بعض حديثه، لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام»<sup>(١)</sup>.

والبت نص كلام ابن القطان: «عن علي بن المدني سئل يحيى بن سعيد عن جعفر بن محمد؟ فقال: في نفسي منه شيء... قلت: فمجالد؟ قال: مجالد أحب إلي منه»<sup>(٢)</sup>.

مناقشة هذا التبرير:

أولاً: من الأكد رواية ابن القطان عن جعفر الصادق عليه السلام وقد أشار إلى ذلك المزني والذهبي وغيرهما.

ثانياً: هذه - على فرض صحة صدورهما من ابن القطان - تعد من هفواته، وزلقاته وقد خالف فيها أئمة الحديث والرجال، وقد صرح الذهبي بذلك وقال: «هذه من زلقات يحيى القطان، بل أجمع أئمة هذا الشأن على أن جعفرًا أوثق من مجالد، ولم يلتفتوا إلى قول يحيى»<sup>(٣)</sup>.

إذن، لا يقاس جعفر الصادق ولا يقرن إلى هؤلاء كما قاله أبو زرعة ولا يسأل عن مثله - جعفر - كما قاله أبو حاتم، وقد حدث عند الأئمة وهو من ثقات الناس كما قاله ابن معين، والمعرض عن حديث جعفر الصادق

(١) منهاج السنة، ٥٣٤/٧.

(٢) تهذيب الكمال، ١١٩/٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢٥٦/٦.

تناله الثعلب المطرقة كما قال حفص بن غياث<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: إن كان عذر البخاري في التخلف والأهمال، هو وعم ابن القطان «وانه في نفسه شيء». فقد شهد القطان على آخرين بلغة أفسى وأشدّ مما زعمه في الإمام الصادق عليه السلام ولكن مع ذلك لم يلتفت البخاري الى ذلك. ونقل عنهم في صحيحة، كما في سفيان وهمام بن يحيى واسرائيل السبيعي.

١ - سفيان: قال الذهبي: عن يحيى بن سعيد القطان: إشهدوا أن ابن عيينة اختنط سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء<sup>(٢)</sup>.

ومع هذه اللهجة الصريحة في سفيان بن عيينة، يروي البخاري عنه.  
٢ - همام بن يحيى العودي البصري: فقد كان يحيى القطان ستنّ الرأي فيه وكان لا يرضى حتى حفظه، وكان لا يعين به. ومع ذلك احتج به البخاري<sup>(٣)</sup>. واليك رأي القطان في همام:

أ - قال أبو حاتم: كان يحيى القطان لا يرضى حفظه.

ب - قال أحمد: ما رأيت يحيى أسوأ رأياً في أحد منه حجاج وابن اسحاق، وهمام، لا يستطيع أحد أن يراجعه فيهم.

ج - قال ابن معين: كان يحيى بن سعيد.. لا يروي عن همام.

د - قال محمد بن عبدالله بن عمار.. وكان يحيى لا يعاب بهتمام.

هـ - قال أحمد بن أبي خيثمة: قال ابن مهدي: ظلم يحيى بن سعيد هماماً.

(١) ميزان الاعتدال: ٤٦٥/٢.

(٢) ميزان الاعتدال: ١٧١/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٦٥/٩، رجال صحيح البخاري: ٣٣١/١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٢٨٨/٧ - ٣٠٠.

٣- إسرائيل بن يونس بن اسحاق السيمي الكوفي:

وهذا أيضاً ممن لم يرو عنه ابن القطان وضعفه، ويحمل عليه،

أ- عن ابن معين: كان القطان لا يحدث عن إسرائيل ولا عن شريك،

ب- عن أحمد بن حنبل: كان يحيى يحمل عليه في حال أبي يحيى

القتات.

وقال أحمد: ما حدث عنه يحيى بن سعيد بشيء.

ج- قال ابن المديني: إسرائيل ضعيف.

علق الذهبي على قول ابن المديني قائلاً: مشى علي بن المديني خلف

استاذة يحيى بن سعيد، وفقى أثرهما، أبو محمد بن حزم وقال: ضعيف.

وعمد إلى أحاديثه التي في الصحيحين فزدها ولم يحتج بها<sup>(١)</sup>.

وقال في الميزان: «إسرائيل اعتمده البخاري ومسلم في الأصول وهو

في الثبوت كالأسطوانة فلا يلتفت إلى تضعيف من وضعه<sup>(٢)</sup>».

رابعاً: إن يحيى بن سعيد القطان كان شديد التعنت في نقد الرجال، فلا

يؤخذ بتضعيفاته، وهذا ما صرح به أمثال الذهبي.

أ- قال الذهبي: كان يحيى بن سعيد متعنتاً في نقد الرجال، فإذا رأيت قد

وثق شيخاً، فاعتمد عليه، أنا إذا لئيم أحداً، فتأن في أمره حتى ترى قول

غيره، فقد لئيم مثل إسرائيل وهمام وجماعة احتج بهم الشيخان<sup>(٣)</sup>.

ب- وقال في الميزان في ترجمة سفيان: «... مع أن يحيى متعنت جداً

في الرجال وسفيان ثقة مطلقاً...»<sup>(٤)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء: ٣٥٧/٧.

(٢) ميزان الاعتدال: ٢٠٩/١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٨٣/٩.

(٤) ميزان الاعتدال: ١٧١/٢.

ج - وقال أيضاً في ترجمة سيف بن سليمان المكي:

«حدّث يحيى القطان مع تعنته عن سيف»<sup>(١)</sup>.

خامساً: لقد رسم علماء الجرح والتعديل قاعدة وهي عدم المبادرة إلى قبول قول المتعنين. بل لا بدّ من تنقيح أحكامهم وإلا يوجب الضلال والفساد.

قال اللكنوي: اعلم أنّ هناك جمعاً من المحدّثين لهم تعنت في جرح الأحاديث بجرح روايتها، فيبادرون إلى الحكم بوضع الحديث أو ضعفه بوجود قرح ولو يسيراً في رواية، أو لمخالفته لحديث آخر.. فكم من حديث قويّ حكموا عليه بالضعف أو الوضع، وكم من حديث ضعيف بضعف سير حكموا عليه بقوة الجرح، فالواجب على العالم أن لا يبادر إلى قبول أقوالهم بدون تنقيح أحكامهم وعن قلدهم من دون الانتقاد، ضلّ وأوقع العوام في الأفساد»<sup>(٢)</sup>.

سادساً: لقد كثرت نقل البخاري عن الخوارج والنواصب، مع أنّ الخوارج كانوا يجعلون ما يستحسنونه، حديثاً ويشيعوه.

أ - قال العسقلاتي: «بدعة الخوارج كانت في صدر الإسلام والصحابة متوافقون ثم عصر التابعين فمن بعدهم. وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً وأشاعوه»<sup>(٣)</sup>.

ب - روى ابن الجوزي: عن ابن لهيعة: «قال سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: إنّ هذه الأحاديث دين فانظروا عمّن تأخذون

(١) ميزان الاعتدال: ٢/٢٥٥.

(٢) الرفع والتكميل: ١٣٢.

(٣) لسان الميزان: ١/٢١.



دينكم فإننا كنا إذا هورنا أمراً صبرناه حديثاً...»<sup>(١)</sup>.

كما نقلوا عن ابن معين وابن المبارك وشريك و... أن من يشتم أحداً من الصحابة فهو دجال، ولا يحل الرواية عنه، ومع ذلك هناك العشرات ممن كان ينال من الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، وقد روى له البخاري. وسيأتي الإشارة إلى بعض تلك الأسماء.

أ- قال ابن معين: «كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

ب- وقال الحاكم أبو أحمد:.. ومن سب أحداً من الصحابة فهو أهل أن لا يروى عنه<sup>(٣)</sup>.

نماذج من رواية البخاري عن الخوارج:

١- داود بن الحصين المدني، قال الساجي: منكر الحديث متهم برأي الخوارج<sup>(٤)</sup>.

٢- عكرمة مولى ابن عباس، بربري الأصل.

قال المسقلاني: يدور قول من وهاه على ثلاثة أشياء: رميه بالكذب والظعن فيه بأن يرى رأي الخوارج، والقدح فيه بقبول جوائز الأمراء<sup>(٥)</sup>.

(١) المرضوعات: ٣٩/١.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣٨٥/١١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٤٤٧/١.

(٤) تهذيب التهذيب: ١٥٧/٢.

(٥) تهذيب التهذيب: ٣٩٠/٣، العتب الجميل: ١١٥.

٣- عمران بن حطان السدوسي:

قال أبو العباس: كان عمران رأس العقيدية من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم.

قال العقبلي: كان يرى رأى الخوارج.

وفي العتب الجميل: كان داعية إلى مذهبه وهو الذي رثى ابن ملجم<sup>(١)</sup>.

قال ابن سيرين: تزوج عمراناً خارجية وقال: سأردها، قال: فصرفته

إلى مذهبها. قال الذهبي: ومن شعره:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا  
إنني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً  
قال: فيبلغ عبد الملك بن مروان، فأدركته حمية لقرابته من علي فتذر  
دمه ووضع عليه العيون...<sup>(٢)</sup>.

٤- الوليد بن كثير المخزومي:

ابن حجر قال الأجرى: «ثقة إلا أنه أباضي. قلت: الأباضية فرقة من

الخوارج ليست مقاتلهم شديدة الفحش ولم يكن الوليد داعية...»<sup>(٣)</sup>.

قال في العتب الجميل: «... وهذه هفوة وغفلة شديدة، وقد تقدم النقل

بأن الأباضية يتهرأون من عثمان وعلي ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا

يصححون المناكحات إلا على ذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) العتب الجميل: ١٢٦. تهذيب التهذيب: ١١/١٣٠.

(٢) سيرة أعلام النبلاء: ٤/٢١٥.

(٣) تهذيب التهذيب: ١١/١٣٠.

(٤) العتب الجميل: ١٢٦.

نماذج من رواية البخاري عن النواصب

١- إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي:

قال العسقلاني: كان يحمل على علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>.

وقال أبو العرب: كان يحمل على علي تحاملاً شديداً<sup>(٢)</sup>.

٢- حرير بن عثمان الحمصي:

أ- عن ابن عياش: عادلته حرير بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل

يسب علياً ويلعنه.

ب- قال غنجار، قيل ليحيى بن صالح: لم لم تكتب عن حرير؟ قال:

كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من

المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة..

ج- وقال ابن حبان: كان يلعن علياً بألفاظ سبعين مرة وبالعشي سبعين

مرة فقتل له في ذلك؟ فقال: هو القاطع رؤوس آبائي وأجدادي وكان

داعية إلى مذهبه<sup>(٣)</sup>.

٣- زياد بن علاقة الثعلبي: قال الأزدي: سبى المذهب، كان منحرفاً عن

أهل بيت النبي ﷺ.

٤- زياد بن جبير الثقفي: قال ابن أبي شيبه: كان زياد يقع في الحسن

(١) فتح الباري: المقدمة: ٣٧٨.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢٠٦/١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٣٤/٢.

والنحسين عليهم السلام (١).

وهذا غيظ من فيض، في تخريج البخاري في صحيحه للتواصب والخوارج، وعدم نقله روايات الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وإهماله لها بالمرّة.

وليت البخاري كان متجنباً للرواية عن رموز الخط المناوئ لأهل البيت عليهم السلام وزاواياً عن الإمام الصادق عليه السلام فإنه كان يسجل بذلك ولاءه لأهل بيت الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين.

العبد: نجم الدين الطبسي

قم العقدسة

٢٢ / محرم الحرام / ١٤٢٣ هـ

(١) تهذيب التهذيب: ٣٠٨/٣.

## المصادر

- ١- تهذيب التهذيب للعسقلاني.
- ٢- تهذيب الكمال لنمزي.
- ٣- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- ٤- تذكرة الحفاظ للذهبي.
- ٥- تاريخ الإسلام للذهبي.
- ٦- الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي.
- ٧- ميزان الاعتدال للذهبي.
- ٨- مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي.
- ٩- الاتحاف بحب الاشراف للشبراوي.
- ١٠- نور الأبصار للشبلنجي.
- ١١- حلية الأولياء لابن نعيم الاصبهاني.
- ١٢- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- ١٣- تاريخ الثقات للعجلي.
- ١٤- الوافي بالوفيات للصفدي.
- ١٥- مرآة الجنان للياقعي.
- ١٦- صحيح البخاري لمحمد بن اسماعيل البخاري.
- ١٧- مجمع البحرين للطريحي.
- ١٨- منهاج السنة للحراتي.

- ١٩- رجال صحيح البخاري للكلايادي
- ٢٠- الرفع والتكميل، اللمكنوي.
- ٢١- لسان الميزان للعسقلاني.
- ٢٢- الموضوعات لابن الجوزي.
- ٢٣- العتب الجميل للسيد محمد بن عقيل
- ٢٤- فتح الباري للعقسلاني
- ٢٥- الضعفاء الكبير للعقيلي.
- ٢٦- منهجية البخاري في صحيحه للطبسي.





**قراءة في كتاب**  
**الإمام جعفر الصادق عليه السلام**  
**والمذاهب الأربعة**

السيد عبدالرحيم الموسوي

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### قراءة في كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة

كتاب الامام الصادق والمذاهب الأربعة لمؤلفه الأستاذ أسد حيدر. تم تأليف الكتاب سنة ١٩٥٧ م وهي الفترة التي تصدى فيها للكتابة رواد الوعي الإسلامي ودعاة التجديد من أتباع مدرسة أهل البيت في انصر الحديث، وقد تزامن صدور هذا الكتاب مع جملة من انتاجات، فحول تلك المرحلة ذات التأثير المشهود في الحركة العلمية أمثال العلامة الأميني، والسيد شرف الدين، والشيخ محمد رضا المظفر والسيد الشهيد محمد باقر الصدر، والسيد مرتضى العسكري وأمثالهم.

وقد امتاز كتاب الأستاذ أسد حيدر بمميزات عديدة تخرجه عن المأموف من الكتابات في زمانه وترتقي به الى مصافي أهل الابداع والتجديد ولا تخشى إذ نقول بأن كثيراً من الكتابات التي لحقته قد تأثرت بمنهجه ومصطلحاته واعتمدت نتائجها العلمية، وقد أجاد الأستاذ حامد حفني داود حين قال وهو في صدد تقديمه للكتاب المذكور أنه يعتبر إيداناً بانتهاء مرحلة التخطيط حول مسيرة الإمام عليه السلام.

وطبقاً لقراءتنا السريعة للكتاب اختطفنا بعض المميزات لعلها تكون كافية للتعريف بهيكليته وبعض نكاته على أمل أن نفرده له دراسة مفصلة في وقت لاحق، إن شاء الله تعالى.

## أولاً: منهج البحث

يتكون الكتاب من ستة أجزاء، تعرض الكاتب في الجزء الأول إلى جملة من المباحث فقد افتتحه بعرض تاريخي سريع للمعهد الأموي والعباسي الذين عاصرهما الإمام، ثم تناول شخصية الإمام، بعد ذلك انتقل إلى ملوك عصره وتلاه هذه الفقرات يبحث تشأة المذاهب الإسلامية الأربعة، ولحقها بالبحث عن المذهب الجعفري وأخيراً تناول شخصية أبي حنيفة دون التعرض لمذهبه.

أما في الجزء الثاني: فقد ابتدأه بحياة الإمام الصادق عليه السلام في جانبه العلمي بعد ذلك تناول شخصية الإمام مالك وآثاره العلمية.

وفي الجزء الثالث: تناول نشاط الإمام عليه السلام من خلال مدرسة أهل البيت العلمية التي طورها في زمانه وأرسى قواعدها بتفصيل أكثر من سابقه، بعد ذلك تطرق إلى أهم أصحاب الإمام وخريجيه مدرسته كأبان بن تغلب ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم. وتلاه ذلك بالتعرض إلى الفرق الإسلامية في عصر الإمام، وأخيراً عرج على شخصية الإمام الشافعي كما فعل مع أبي حنيفة ومالك في الجزء الأول والثاني.

وافتح الجزء الرابع مفصلاً لحياة الإمام الصادق الأخلاقية وسيرته السلوكية؛ وآثارها الإصلاحية على الأمة من خلال انتقائه لأنشطة الإمام الهادفة في هذا المجال، بعدها تعرض لشخصية الإمام أحمد بن حنبل.

وفي الجزء الخامس ركز على آراء المستشرقين حول التشيع مناقشاً لها بأسلوب علمي قل نظيره، ثم تناول الفرق الإسلامية والمشاكل التي واجهها الإمام بهذا الخصوص.

وأفرد الجزء السادس للفقه المقارن إن صح التعبير فتناول فيه بعض المسائل الفقهية كالجمع بين الصلاتين وصلاة المسافر والمتعة، وما إلى ذلك وأخيراً تطرق لأسطورة عبدالله بن سبأ الملتصقة بالتشيع عمداً.

#### ثانياً: إبداعات الكاتب ونكاته العلمية

١ - حين تناول تاريخ أمراء المدينة قبل زمان الإمام والأحداث التي رافقت هؤلاء، ينتقل القارئ إلى تلك الأجواء ليمنكه وعياً تاريخياً يدرك من خلاله معاناة الإمام ودوره السياسي والاجتماعي، إزاء تلك الوقائع التي عاصرها وكيفية تحقيقه للأهداف الإلهية.

٢ - نتيجة لاستقصائه التاريخي وربطه بين الأحداث انتهى إلى أن الخطوة التي اتخذها المنصور بتفريجه مدرسة أهل الرأي في الكوفة كانت ردّاً لمواجهة مدرسة الحديث التي قويت في المدينة المعارضة لحكومته.

٣ - ناقش المذاهب الإسلامية ليس من الوجهة العقائدية أو الفقهية، وإنما أحاط بها من حيث النشأة التاريخية والعوامل التي أدت إلى نشوئها في أرض الواقع ودور السياسة وأثرها في إقصاء بعض المذاهب التي كانت يفقهها وآرائها الكلامية لا تنقل أهمية عن المذاهب الأربعة الموجودة، ويوعز سبب اندراسها لعوامل سياسية، واثبت ذلك بالدليل التاريخي، وخلص بالقول على أنه لو لم تجر الظروف كما كانت عليه

لصالح المذاهب المعمول بها حالياً ولم تحضّ بدعم الحكام لبرزت على الساحة مذاهب لم نسمع بها ولمحصلنا في النتيجة على وجود سبعة مذاهب أو أكثر، وهذا البحث قلماً تعرّض له الباحثون.

٤- تناول موضوع نشأة التشيع بجانبه التاريخي خلافاً للبحوث التي عاصرته وأزخ له من كونه بذرة بذرها صاحب الرسالة بيده ولم يزل غارسها يرعاها بالسقي والعناية حتى نبتت ونمت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته.

٥- مناقشاته لابن خلدون التي أثبت فيها سرقاته الفكرية من اخوان الصفا. كما ناقش كثيراً من الباحثين ممن ألف حول الإمام الصادق وممن في كتاباته شطط كمحمد أبي زهرة وغيره..

٦- ناقش كتب التاريخ التي تناولت أسطورة عبدالله بن سبأ، ولم يتأثر يبحث العلامة العسكري لأن كتابيهما صدرا بنفس التاريخ، نعم إن السيد العسكري تطرّق بشكل مفضل حول هذه الأسطورة في الوقت الذي لم يخص مؤلفنا كتابه لعبدالله بن سبأ.

٧- ناقش الرأي الذي يذهب الى أن أحد أسباب سقوط السلطة الأموية وانهارها، أنها أقصت غير العرب من الموالي، إلا أن الكاتب حقق في تلك المسألة وأحصى العناصر غير العربية التي تصدّت لمواقع حكومية مهمة في زمن الأمويين، وينتهي الى أن سبب الانهيار يرجع لعوامل أخرى غير إبعاد الموالي.

علماً أنه يقول بأن الثورة ضد الأمويين قد قادها قواد من العرب.

٨- أدخل الكاتب كثيراً من العناصر غير التاريخية مع التاريخ، مثل العوامل الجغرافية والاقتصادية في تحليله السياسي.

٩- إن تحليله لنشأة الفرق المحسوبة على التشيع كان في غاية من الدقة والبراعة بحيث عجل بأن تلك الفرق لا صلة لها بالتشيع لا من قريب ولا من بعيد، غاية الأمر أن المؤرخين وأنصار الحاكمين كانت ترى من الكوفة رمزاً للتشيع، فأبي شرارة أو فكرة تنطلق من هناك ينسبون لها التشيع، والحال أن كثيراً من الفرق جاءت كخصم للتشيع في داخل مدينة الكوفة لتحسب بالتالي على التشيع، وتفتن الآخرين ممن لا علم لهم بذلك من خلال اشاعة تلك التهم الظالمة لتكوين المجموع المغرور بها أداة لمواجهة ومنع أثر فكرة أهل البيت في أن ينفذ إلى بقاع البلاد الإسلامية.

### ثالثاً: لغة الكاتب وعرضه الفني

١- تنوعت لغة الكاتب حسب نوع المطلب الذي يريد البحث فيه، أو الغاية التي يؤسس لها، فمثلاً: نجده حين يعرض لهواجس معاوية النفسية يعرضها بغاية من الدقة والمتانة، قال: «وجد معاوية نفسه بدائرة ضيقة بعد قتل عثمان ومبايعة علي بالخلافة، أيعلمن معارضته لعلي، وقد عقدت بيعته على أكمل وجه، وتناصره أصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وآله والقلوب تغلي على بني أمية؟ أم يدخل فيما دخل فيه الناس كارهاً كدخوله في الإسلام هو وأبوه من قبل؟ وهو لا يجهد مكانة علي ومنزله في الإسلام، فهو أول القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً. وعلي قد طبعت نفسه على العدل، لا

تأخذه في الله لومة لائم ولا يستطيع معاوية أن يعمل في عهد عليّ عمله الذي يحاول به نجاح مهمّاته، وتأبى نفس معاوية أن ترضخ لمدل لأنه يعرف عليّاً ومسيرته وخشونته في الأمر. وعليّ يعرف معاوية وعليّ أيّ طبع طبعت نفسه وهو أدري بحركاته».

٢- أما انتقاله من مشهد تاريخي إلى آخر تجده لا يستقل إلا بعد أن يشبعه تصويراً من ناحية الشكل والمحتوى، كما فعل في الصفحة ٢٧ في الجزء الأول، فكان بغاية من الروعة والجمال، حيث يصور الوقائع التاريخية حين يصور معاوية وخذلاته نعمان إلى المطالبة بدمه، هذه الانعطاف من معاوية بتقلها صورة وصوتاً ومحتوى كأنك تشاهد مداخل النفس واضطراباتنا وانفعالاتها وطموحاتها اللاشعورية وخبثها وسوء طويتها أمام عينيك.

٣- يصوغ الفكرة الكلامية ويغلفها بالقالب التاريخي ويضعها في المحل المناسب لها من وقائع التاريخ كما فعل في الصفحة (٤٢ و ٤٣) حين يعرض لسياسة المنصور فيما إذا كان محقاً بتوليّه الخلافة للمسلمين بوجود الإمام أم لا؟ ويصوّر في الوقت نفسه الواقع الداخلي للمنصور والهواجس النفسية التي كانت تراوده، لأنه يعرف الإمام جيداً وهو من رواة حديث الغدير بعبارات مضغوطة بغاية من الروعة.

٤- لا يمكن تصنيف الكتاب ضمن حقل التاريخ أو الفقه أو الكلام وإنما يجمع بين كل هذه الحقول.

٥- لغة الوعي والتحليل السياسي بارزة في كتابه، مثل مسألة زيد

وتفكيك جيشه، ومن جهة أخرى تجده يدمج الأخلاق بالسياسة، وهكذا بمهمات الإصلاح والهداية والتغيير.

٦- خطاب الأمتاذ كان يجذب المتوسط من المثقفين، وكذا المحققين في آن واحد.

٧- لزال الكتاب حياً لم يستنفذ عرضه ولم تتجاوزه البحوث المعاصرة، ويُعد مرجعاً للباحثين ممن يعتزمون الكتابة في حياة الإمام الصادق عليه السلام.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين







الإمام  
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

بين الحقيقة والنفي

خالد توفيق

الجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام تم تقديسه



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يمكن تلخيص الشواغل الأساسية التي انضمت محاولة الباحث الفلسطيني د. زهير غزاوي، في إطار المحاور الثلاثة التالية:

١- المقدمات التمهيدية.

٢- محاولة تقديم المنظومة الفكرية للإمام الصادق عليه السلام ومن خلالها مرتكزات المعتقد الإسلامي نفسه، عبر كتاب «الأصول من الكافي». و في هذا الجزء من الكتاب مرَّ المؤلف على أبرز المقولات التي احتدم من حولها الخلاف بين المسلمين وتحولت إلى نقطة افتراق في صياغة الأطر الفكرية للمذاهب الإسلامية الكبرى، بخاصة قضية الإمامة.

٣- في المحور الثالث أطلَّ الباحث على الساحة الفكرية العربية وما تزدهم به من تيارات، انطلاقاً من طبيعة تعاطيها مع حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام خاصة ومع التشيع على نحو عام.

هذه باختصار هي الهيكلية العامة التي توطر كتاب الباحث الفلسطيني د. زهير غزاوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي صدر بعنوان: «الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي: دراسة في جدلية صعود مدرسة أهل البيت»<sup>(١)</sup>.

(١) الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي: دراسة في جدلية صعود مدرسة أهل البيت، د. زهير غزاوي، دمشق، ١٩٩٨، ٢٢٨ صفحة من انقطع الكبير.

ما نسعى إليه في هذا المقال هو تقديم صورة عن هذه المحاور الثلاثة، مع ما يعتق لنا من ملاحظات ناقدة خلال ذلك.

### ١- المقدمات التمهيدية

برغم تعدد العناوين التي غطاها البحث في هذا الجزء من الكتاب، لكن من الواضح أن هممة الباحث قد انصبّت على مسألتين أساسيتين، هما:  
أ: مسألة التدوين بمعناها العام الذي يتجاوز الحديث الشريف إلى بقية المعارف والعلوم الإسلامية.  
ب: نشوء المذاهب و علاقة ذلك بالسلطة.

#### أ: عصر التدوين

لا يقصد المؤلف من التدوين البحث المثير الذي اكتنف ضبط الحديث النبوي الشريف انطلاقاً من قرار مؤسسة الخلافة في منع ذلك و المعاقبة عليه بذريعة الحفاظ على تميز النص القرآني والحفاظ عليه من الاختلاط مع النص النبوي<sup>(١)</sup>، بل يقصد به مدلوله الحضاري الذي يتخطى هذه التخوم ليكون إطاراً مرجعياً يضم ثمار العقول و منتجات الفكر بجميع ضرويه، مما يرسم للمجتمع مساره، و يؤثر بما بعده من الأجيال، و يتمييز أحد الدارسين المعاصرين ممن سيكون مشروع الفكري

(١) ينظر في هذا المجال: منع تدوين الحديث: أسباب و نتائج، تأليف علي شهرستاني، مؤسسة الإمام علي، قم ١٤١٨ هجري أيضاً: تدوين السنة الشريفة، السيد محمد رضا الحسيني الجلابي، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم ١٤١٢ هجري.

عرضة لنقد باحثنا الغزاوي، فإن عصر التدوين في مسار ثقافة الفكر الإسلامي، هو الأساس و«إنه الإطار المرجعي الذي يشد إليه بخيوط من حديد، جميع فروع هذه الثقافة و ينظم مختلف موجاتها اللاحقة إلى يومنا هذا»<sup>(١)</sup>.

يلحظ بعض الباحثين أن حركة لتنظيم العلوم بهذا المستوى لا يمكن أن تنطلق من جهود فردية، بل تبقى رهن قرار من السلطة. وإذا عرفنا أن السلطة عند المسلمين هي التي اتخذت في عهد الخلفيتين الأولى والثاني قرارا بمنع تدوين الحديث النبوي الشريف بوصفه إلى جوار القرآن الكريم مصدر العلوم في ذلك العصر؛ هذا القرار الذي امتد مفعوله نحو قرن أو أقل، فسيكون من الطبيعي أن تحتاج العملية لكي تتحول إلى مسار عام، لقرار آخر يهبها «المشروعية» و يعطيها الدفع الكافي الذي تحتاج إليه. وهذا ما حصل.

فقد بادرت السلطة على عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١١٠هـجري) الى رفع الحظر عن تدوين الحديث النبوي، والإيدان بتحويل الموروث الشقوي و ما كان يتم تناقله من محفوظات الى مصنفات و كتب. ثم إطرّد تدخل السلطة على هذا الخط في العهد العباسي؛ حيث بادرت الدولة في عهد المنصور الذي ولي الخلافة في سنة (١٣٦هـجري) إلى تبني عدة مشاريع لكتابة السيرة والتاريخ و ما يلابسهما من تداخلات تفسيرية انتهت إلى صوغ عقيدة الناس و صبّ معتقداتهم حتى الفقهية في إطار خاص.

(١) تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٤، ص ٦٢.

«قال الذهبي: في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقہ والتفسير. فصنف ابن جريح بمكة، و مالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبي يوسف وابن وهب، وكثرت تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتأريخ وأيام الناس»<sup>(١)</sup>.

يتعامل المؤلف مع مصطلح عصر التدوين بمدلوله الحضاري الشامل الذي لا يقصره على الحديث النبوي وحده، بيد أنه يرفض أن يكون القرن الثاني بداية هذا العصر، فضلاً عن أن تكون سنة (١٤٣ هجري) هي البداية فيه، بل يختار نقطة إنطلاق أخرى لغاوية الفكر الإسلامي و توالي الاشتغال والتأليف والتصنيف في علوم الدين، ترجع إلى العصر النبوي ذاته، إذ من غير المعقول أن تبقى العقول جامدة والقرائح مسطلة والتدوين غائباً طوال ما يتجاوز القرن والنصف. يكتب مدلاً على رفضه للتحديدات السائدة التي تقرر بداية عصر التدوين بالقرن الثاني أو بالعام (١٤٣ هجري)، ما نصه: «فإن أحد المؤرخين وهو الذهبي اعتبر بداية هذا العصر عام (١٤٣ هجري)، لكن نصوصاً أخرى وردت في المراجع العربية،

(١) تأريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، القاهرة ١٩٧٦، ص ٤١٦.

دون قصد تحديد هذه المرحلة، أقرت بأن التدوين بدأ قبل ذلك بزمن بعيد، خاصة لدى مدرسة أهل البيت، و في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

ما فائدة هذه النقطة، وما أهمية أن يكون عصر التدوين قد بدأ في هذه الحقبة من الزمان أو تلك؟ لقد استند الكاتب إلى هذه المقدمة واستدل بها لاثبات نتيجة مزدوجة، تفيد في شقها الأول أن عصر الإمام الصادق عليه السلام، الذي شهد ازدهار العلوم الإسلامية ما هو إلا امتداد و حلقة متكاملة لخط وضع لبناته جذه الرسول (صلى الله عليه وآله) والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واستمرارية هذا المسار وإن واجهت عقبات حادة أدت إلى بطئه بفعل المناخات السياسية المعروفة. إلا أنه لم يتوقف، بل كانت حلقاته تتوالى إلى أن بلغت إحدى ذراها مع الإمام الصادق.

على أساس هذه الرؤية، الذي تنظر إلى معارف الإمام الصادق عليه السلام بوصفها امتداداً للعلم النبوي والمعرفة العلوية، تعاطى المؤلف مع الميراث العلمي انضخم، الذي تركه الإمام في عصره على مستوى مختلف حقول المعرفة.

كما ابتغى أيضاً في الشق الثاني من النتيجة المتوخاة، أن يكشف زيف التأريخ الرسمي لتدوين العلوم؛ هذا التأريخ الذي امتثل لقرار مؤسسة الخلافة في منع تدوين الحديث، ثم عاد مجدداً ليتنقذ خطتها في

(١) الإمام جعفر الصادق: ١٥. وينظر إلى هذا المجال: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، تأليف السيد

حسن الصدر. شركة النشر والطباعة المرافية المحدودة، طبعة مصورة.



استثناف التدوين. و الهدف في المرتين؛ أي في منح التدوين و استثنافه سلطوياً هو إقصاء معارف النبي و أهل بيته، و منح الأمة أن تنهل من العين الصافية المستمدة من الوحي و المتصلة به، و سوقها إلى إطار معرفي يشويه الاتحراف محتوي و منهجاً.

أراد الكاتب أن يرقض هذه الرؤية التي تجعل المعرفة الإسلامية رهن قرار السلطة تعبت بها كما تشاء، ليقول إن للعلوم الإسلامية مساراً آخر بعيداً عن مصادرات مؤسسة الخلافة و اسقاطاتها؛ هو الذي تمثله علوم أهل البيت عليهم السلام خاصة في عصر الإمام الصادق عليه السلام (١)

#### ب: المذهبية و السلطة

بناء على ما انتهى إليه في المقدمة السابقة، لاحظ المؤلف بحق ازدهار ما أسماه بمدرسة المدينة المتورة، التي استطاعت «تكوين مركز هادئ للدراسة و بلورة مرجعية إسلامية شاملة» (٢) حيث بزغ دور الإمامين الباقر و الصادق عليهم السلام و ما تركا من تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة على الآخرين بما فيهم أئمة المذاهب الأربعة. فمالك بن أنس (٩٣-١٧٩ هجري) ولد و عاش في المدة نفسها التي تآلق فيها دور الإمام الصادق، و كذلك أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠ هجري) فهو وإن ولد في الكوفة و ترعرع في العراق إلا أنه رحل إلى الإمام الصادق و تتلمذ

(١) الإمام جعفر الصادق: ٢٢ فما بعد.

(٢) الإمام جعفر الصادق: ١٦.

أو تلقى عنه لمدة ستين كاملتين. وإذ نعرف أنّ محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هجري) واحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) كانا تلميذين لأبي حنيفة و مالك، فستكون النتيجة إن أئمة المذاهب الأربعة أعتا أنّهم عاشوا في كنف الإمام الصادق عليه السلام؛ أو أنّهم تأثروا بماخاتاه العلمية بالواسطة.

بازاء ذلك كلّه يخلص باحثنا الى اثاره السؤال التالي الذي يخلص لنا أهمية البحث في هذه المقدمة: «لماذا انفصل الجميع عن الأستاذ جعفر بن محمد في بعض نواحي الاجتهاد، أو الوصول إلى نتائج تخالفه، و على رأسها رفضهم اعتبار «الإمامة» أحد أركان الإسلام أو الركن الخامس كما يقولون، ممّا حقق فرزاً حاسماً في الدين الإسلامي بين سنة وشيعة؟»<sup>(١)</sup>.

تتلخص الإشكالية المركزية التي يطويها السؤال بما يلي: إذا كان الإمام الصادق يمثل للمسلمين ولعلمائهم جميعاً معيماً معرفياً في العلوم الإسلامية مجدولاً بالوحي وموصولاً بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإذا كان تفوقه في العلوم مشهوداً للجميع، وإذا كان نشاطه العلمي بعكس استمرارية لا انقطاع فيها بدأت منذ الإمام أمير المؤمنين و وصلت إليه ثم دامت من بعده، دون أن تتأثر بقرارات مؤسسة الخلافة و رؤيتها لعصير العلوم الإسلامية؛ إذا كان للإمام الصادق عليه السلام كلّ هذا التائق العلمي و التميّز المعرفي في عصره، فلماذا خالفه الآخرون بما فيهم ممن عاصره ممن تحقروا فيما بعد إلى أئمة لمذاهب مشهورة؟ هل تمت هذه القطيعة

(١) الإمام جعفر الصادق، ١٦.

أو الاعتماد على أسس علمية؟ وهل لمس هؤلاء «عجزاً» عند الإمام أو عدم «كفاءة» في جانب من جوانب المعرفة؟ إذا لم يكن الأمر كذلك؛ فلماذا تخلف هؤلاء عن النسق الذي قدمه الإمام للإسلام وهو ابن النبي؟ عند هذه النقطة يسجل المؤلف بحق أن المسألة في اعتماد من ابتمد عن الإمام الصادق وتقاطع معه في الإمامة وغيرها من معارف الإسلام في الأصول والفروع، لم تتم على أساس علمي، بل كانت نتيجة للتمذهب السياسي وتحقيقاً لرغبة السلطة وإرادتها. فالإمام أقصي بدوافع سياسية، وابتعد عنه من ابتعد خوفاً من السلطة وخشية من بطشها؛ أو رغبة بما عندها، وإن كان قد تم إخراج هذا الموقف السياسي عبر ذرائع دينية ومن خلال أطروحة التمهذب السياسي في الدين.

صحيح أن المذاهب الأربعة لم تكتسب في عصر الإمام شخصيتها ككيانات مستقلة (خاصة الشافعي والحنبلي) وأن مؤسسة الخلافة لم تتخذ بعد قراراً بإغلاق باب الاجتهاد وتوزيع جمهور الأمة على مذاهب بعينها دون غيرها<sup>(١)</sup>، لكن السلطة كانت مستمرة في جهودها لبناء مرجعية إسلامية في الأصول والفروع بعيدة عن مرجعية أئمة أهل البيت، وقرية لقتاعاتها.

على هذا ينتهي الكتاب إلى أن انقضاض الآخرين عن الإمام الصادق لم يجرى على خلفية تميز هؤلاء علمياً على الإمام أو تفوقهم عليه، بل تم

(١) ينظر على هذا الصعيد: تاريخ حصر الاجتهاد، الشيخ آغا بزرك الطهراني، مطبعة خيام، قم ١٤٠٦ هجري.

بفعل سياسة مؤسسة الخلافة في إقصاء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن المرجعية العلمية للأمة وإنشاء مرجعية إسلامية علمية بديلة عنهم، شهد عصر الإمام جهوداً حثيثة في تكوينها خاصة بعد أن تجاوز العباسيون المرحلة الانتقالية الحرجة<sup>(١)</sup>.

بعد هاتين المقدمتين ينهي هذا المؤلف هذا الجزء من الكتاب بالمرور على محطات بارزة من حياة الإمام وأقواله<sup>(٢)</sup>، قبل أن ينتقل إلى الجزء الثاني.

## ٢- المنظومة الفكرية

ليس في الكتاب عنوان بهذه الصيغة، وإنما اختار الكاتب عنوان: «الإمام الصادق في أصول الكافي»، ثم استعرض تحته مقولات رئيسية تدخل في موضوع العقيدة وتفصيلاتها.

فبعد تمهيد موجز عن كتاب الكافي وخاصة أصوله وما يحظى به من مكانة متميزة مكث المؤلف مع المقولات التالية: العقل، فضل العلم، التوحيد وجذور علم الكلام، الذات والأسماء، الهداء، الخير والشر والجبر والقدر، نظرية الإمامة، الإمامة والغيبة، فلسفة الدعاء والقضاء<sup>(٣)</sup>.

ما قصد المؤلف في هذا الجزء من الكتاب هو التركيز على كشافته مساهمة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تغطية هذه المنظومات، وبناء أو

(١) الإمام جعفر الصادق، ص ٢٠ فما بعد.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦ فما بعد.

(٣) الإمام جعفر الصادق، ٣٧ - ٦٣.

صياغة ما يتصل بها من أفكار ومفاهيم ومواقف، ذلك أن «أبرز ما يشير انتباه الباحث، رجوع الجامع في متنه [يعني به مؤلف الكافي] في القسم الأعظم مما روي فيه من الحديث، إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق»<sup>(١)</sup> حسبما يسجل المؤلف.

حاول الكاتب استكمال هذا الجانب في جزء لاحق جاء تحت عنوان: «مدرسة الإمام الصادق في علم الكلام الإسلامي في عصره الذهبي»<sup>(٢)</sup>، كان الغرض منه إستيعاب المزيد من علوم الإمام ومعارفه في هذا الحقل، إلا أن التوفيق لم يحالف المؤلف في ذلك، لاستغراقه بمقدمات واستطرادات لم تترك له إلا فرصة عابرة لنقل شيء يسير من نصوص الإمام الصادق (ع).

لقد خصص الكتاب لعناوين كبيرة كالعقل، والتوحيد، والذات و الأسماء (وهي من البحوث التوحيدية خاصة التوحيد الافرغالي) و البداء، والجبر والإختيار، والقضاء والقدر، ومسألة الشرور، ونظرية الإمامة و الغيبة، خمساً وعشرين صفحة. وهذا القدر الضئيل من الصفحات بإزاء تلك العناوين الكبيرة و المثيرة يسمح لنا أن نحكم على طبيعة المعالجة بداءً، و أنها جاءت سريعة و عجلية، في حين كان بمقدور المؤلف المحترم أن يقطع مساحة واسعة من القسم الثاني من الكتاب الذي خصصه لتيارات الفكرية الحديثة و المعاصرة و سبيل تعاطيها مع الإمام

(١) الإمام جعفر الصادق: ٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٦٧-٨٨.

و التشيع، يتوفر عبرها على تغطية موضوعاته هذه، ما دام الكتاب مخصصاً للإمام الصادق، و ما دامت هذه القضايا هي من الأهمية بمكان في النسيج العقيدي، و ما يدخل فيه من مكونات و عناصر.

لكي تكون هذه الملاحظة وافية بالمقصود من دون أن تبخس الكتاب و مؤلفه حقهما، نمز فيما يلي على بعض هذه العناوين:

أ: مقولة العقل: الفكرة الرئيسية التي طرحها الكتاب هنا، أنّ الإمام الصادق يعرف العقل بلوازمه. و عندما نعود إلى مقدمة المؤلف نجده يسجل نصاً: «الإمام الصادق واضح أسس المدرسة العقلانية في الأيدولوجيا الإسلامية. فالعقل لا يعني الالتزام بمعطيات الحواس و التجريب و حسب، إنه اشمل من هذا المعنى. لقد سبق الإمام مرحلة الترجمة و القراءة من المحفوظات تاريخياً، و بهذا الاعتبار فلم يكن تلميذاً لمدارس العقلانية اليونانية أو المشرقية الهندية و الفارسية والصينية، فلا يمكن ترجيح توصيفه بدارس متأثر بهذه المدارس لأنه لم يقرأها رغم توصيف أصحاب كتب المناقب له بمعرفة للعديد من اللغات»<sup>(١١)</sup>.

من يطالع القسم الثاني من الكتاب يلحس بوضوح معرفة المؤلف بالتيارات الفكرية التي تطفح على الساحة؛ كما نلاحظ في كل جزء من أجزاء الكتاب حرص كاتبه على ربط الحاضر بالماضي و وصل الاثنين في إطار شواغل الحاضر و همومه، الأمر الذي كان يؤهله تأهيلاً كاملاً على

(١١) الإمام جعفر الصادق، ٩.

فعل الشيء نفسه مع موضوع العقل والعقلانية، لاسيّما مع ملاحظة ما ذكره في المقدمة من أن الإمام الصادق عليه السلام هو واضع أسس لمدرسة العقلانية في المنظومة الإسلامية. لا أعرف لماذا لم يفعل ذلك سواء في فقرة العقل أو في بقية عناوين هذا الجزء التي توفر فيها على مقولات البدء، والجبر والاختيار، والقضاء والقدر، والإمامة وما إلى ذلك من مقولات غنية بالتنظير العقلي؟

العقلانية في عصرنا لافتة كبرى تضم تحت لوائها جميع تيارات الفكر، فما من أحد إلا وهو يتنطع بها بغض النظر عن انتماءاته و منطلقاته المعرفية والمنهجية وحتى اصطفاقاته الاجتماعية والسياسية، إذ الكل يتحدث عن العقل والعقلانية. لذا كم كان حرياً بمؤلفنا المحترم أن يشبع هذه الدائرة و يربط عبرها الحاضر بالماضي؟

لكل كاتب الحرية في اختيار المنهج الذي يشاء و تحديد مرامي كتابه و الأهداف التي يتوخاها. لكن ما دام مؤلفنا المحترم قد انطلق من قناعة تنص على أن الإمام هو واضع أسس مدرسة عقلانية، وأنه أبدى حرصاً على عدم تغييب هموم الحاضر و شواغله؛ فقد كان جديراً به أن يمكث مع قضية العقل أكثر مما فعل، حيث لم يولها في كتابه إلا أقل من صفحتين. فلو عدنا مثلاً إلى أحد شراح أصول الكافي، صدر الدين الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هجري) لوجدناه قد مهّد لدراسة العقل عند الإمام و تناوله في روايات الكافي، بمقدمات مكثفة طاف خلالها في معاني العقل و تحديداتها، من بعد أن قال: «إنّ الناس قد اختلفوا في حدّ العقل اختلافاً

كثيراً واضطربوا في تحقيق معناه»<sup>(١)</sup>.

ثم عكف على بيان أبرز تلك المعاني والتحديدات، فذكر من معانيه المشتركة في الاسم ستة معانٍ: و من معانيه المختلفة بالتشكيك عدة معاني، دلف على خلفيتها إلى شرحه التفصيلي للروايات الأربع والثلاثين التي يضمها أصول الكافي في باب العقل والجهل<sup>(٢)</sup>.

أما كاتب مقدمة شرح أصول الكافي علي عابدي شاهرودي فقد خصص لمبحث العقل ما يناهز المائة صفحة من تقديمه المطول، استعرض خلاله معاني العقل في الموروث الإسلامي فلسفياً وكلامياً ثم أصولياً، كما مرّ على معانيه في الفلسفة الغربية لتكتمل الصورة التي يعطيها بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى بحوث تفصيلية مكثفة و نافعة، جاءت بمنزلة مفتاح للولوج إلى باب «العقل والجهل» وما يضمّه من أحاديث في كتاب أصول الكافي<sup>(٣)</sup>.

اعتقد جازماً لو أنّ المؤلف دلف هذا الباب على خلفية معرفته بالكتابات المكثفة التي يشهدها العالم العربي عن العقل والعقلانية وكثرة المشاريع التي برزت في هذا المضمار و تحت عنوان العقلانية النقدية، لرجعت الحصيلة بحثاً نافعاً و محتعاً عنى هذا الصعيد، لا يقلّ في أهميته عن البحث الذي خصّصه في القسم الثاني من الكتاب لمناقشة محمد عابد

(١) شرح أصول الكافي، صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، علي بتصحيحه محمد خواجوري.

مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، طهران ١٩٨٧، ج ١ (كتاب العقل والجهل)، ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٢ فما بعد.

(٣) المصدر السابق، المقدمة، ص ٣٠ - ٧٤ و مواضع أخرى.



الجابري وعلي سامي النشار و أحمد صبحي وغيرهم ممن ذكر.  
ب: الجبر والاختيار: ترتبط مقولة الجبر والاختيار بالتوحيد الافعالي فيما يفيد من ضرورة الإيمان بأنه ما من فعل في الوجود طبيعي أو اختياري، علة كان أو معلولاً، يصدر عن موجود مجرد أو مادي، شاعر كان الفاعل أم لا؛ إلا وهو بإرادة الله (سبحانه) حدوثاً وبقاءً، فكل شيء قائم به، وهو القيتوم المطلق، ولا حول ولا قوة ولا تأثير إلا به وياذنه.

على خلفية هذا الإيمان الذي يقتر بحق أن المؤثر بحقيقة معني الكلمة هو الله، لا مؤثر في الوجود إلا هو، تنبثق إشكالية عويصة. فالإنسان يلعب بوجوداته، ومن خلال الشواهد الحسية وجود تأثير لأسباب و عوامل تتحرك في الطبيعة و على مستوى الوجود الإنساني نفسه، و حينئذٍ كيف يتم التوفيق بين ذلك الإيمان و هذا التأثير؟

عالج الفكر التوحيدي المسألة في نطاقين، هما:

الأول: دائرة الفواعل الطبيعية: لقد أقرز فكر المسلمين تيارين أو مدرستين أو اتجاهين رئيسيين إزاء الفواعل في النطاق الوجودي هما الاتجاه الأشعري، و الاتجاه الآخر الذي يضم في قاعدته الشيعة الإثني عشرية و المعتزلة على فرق بين الإثنيين في طبيعة القراءة التي يقدمها كل فريق منهما لمقولة التأثير.

إذا أردنا تلخيص الموقف الأشعري بكثافة شديدة فإنه ينكر مبدأ السببية ليقى وفتياً لإيمانه في نفي تأثير أي فاعل في الوجود غير الله سبحانه. فالأفعال الكونية عند الأشاعرة كلها جائزة لا ترتيب لها ولا نظام،

ولا علوية ولا معلولية ولا ملازمة بين الاثنين. إلى هذا المعنى ذهب منظر والأشعرية الفكرية، ومنهم أبو حامد الغزالي (ت: ٥١٥ هجري) الذي يتلخص دارس معاصر موقفه بما يلي: «نحن نعلم أن الغزالي انتقد مبدأ السببية الطبيعية منكرًا لكل ضرورة أو حتمية تسير مجرى الأحداث في الكون، وهو يقول بهذا الصدد: إن الإقتران بين ما يسمى في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا»<sup>(١)</sup>.

مشكلة الأشاعرة أنهم تصوروا بأن اثبات فاعلية شيء غير الله يتناقى مع الفاعلية الإلهية، كنتيجة لخلطهم بين العلة الطولية والعرضية.

أما الشيعة الإمامية الاثنا عشرية والمعتزلة فكلاهما يتحدثان في موقف مناهض للأشاعرة، ويقفان على أرضية نظرية واحدة تؤمن بفاعلية الأسباب الطبيعية والوجودية. لكن يبقى بين الشيعة والمعتزلة بون شاسع. لقد التزم المعتزلة بقراءة معاكسة للإتجاه الأشعري فسقطوا بالإشكالية الأشعرية ذاتها، لكن غاية ما هناك أنهم انحازوا إلى الشق الثاني منها.

توضيح ذلك أن المعتزلة قدّمت نفي الفاعلية الإلهية تسمناً لإيمانها بمبدأ السببية، تماماً كما ضحت الأشعرية بمبدأ السببية تسمناً لإيمانها باختصاص التأثير بالله وحده. المطلوب مركب نظري يجمع بين التأثير الإلهي ومبدأ السببية معاً، وهذا هو صلب الموقف الإمامي الذي عبر عنه

(١) مفهوم السببية بين المتكلمين والفلاسفة (بين الغزالي وابن رشد). دراسة وتحليل، د. جبرار جهامي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٦.

أئمة أهل البيت ومنهم الإمام الصادق عليه السلام.

الثاني: دائرة الفواعل الاختيارية: أفرز الفكر الإسلامي ثلاثة اتجاهات رئيسية على صعيد الفعل الإنساني، توزعت على ثلاث مدارس بارزة هي المدرسة الأشعرية؛ والمدرسة الاعتزالية ومدرسة الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

اختلفت المدرسة الأولى موقفاً يفيد بأن الأفعال التي تصدر من الإنسان هي فعل الله حقيقة، فأنكرت دور الإنسان و آمنت بالجبر على ما يعزى إلى أقطابها كأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٣٠ هجري) نفسه الذي يقول: «إنه لا خالق إلا الله وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدره ... وإن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وكما وصف ذلك الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هجري) عند استعراضه لمذاهب المسلمين في خلق الأفعال، وهو يقول: «انقول الأول: إن المؤثر في حصول هذا الفعل هو قدرة الله تعالى، وليس لقدرة العبد في وجوده أثر. وهذا قول أبي الحسن الأشعري وأكثر أتباعه»<sup>(٢)</sup>.

الحقيقة لم ينفع الاتجاه الجبري تمسكه بنظرية «الكسب» التي سمى بعض رموز المدرسة الأشعرية إلى التخفيف من خلالها من غلواء الجبر المحض وتصحيح البعثة والنبوة والرسالة والتكليف والثواب والعقاب، لأن الكسب كما يكتب دارس معاصر: «لا يختلف عن الجبر، وهو

(١) الإبانة، ص ٢٠ نثلاً عن: الإلهيات، السباني: ٦١٢.

(٢) القضاء والقدر، محمد بن عمر الرازي، طبعة دار الكتاب العربي: ٣١.

يوضع في كثير من الاحيان معه ... يبدأ الكسب بمسلمات الجبر ... الكسب اسم بلا مسمى، لفظ بلا معنى، كلمة تشير إلى لا شيء و تكشف عن مجرد الرغبة في إثبات الجبر بطريقة ملتوية<sup>(١)</sup>.

أما المعتزلة فقد ذهبت إلى أن هذه الأفعال هي فعل الإنسان مباشرة وعلى نحو الاستقلال، وهذه هي نظرية التفويض في مقابل الجبر الأشعري.

الحقيقة أن المعتزلة اندفعت إلى موقفها التفويضي على خلفية حرصها على حریم العدل الإلهي، و رغبة في تصحيح الثواب والعقاب على أساس مسؤولية الإنسان عن فعله وما يصدر عنه. بيد أن هذا الحرص على وصف الله بعدله أوقعهم في محذور كبير، ذلك أنهم سلبوا الله (سبحانه) قدرته و سلطانه!

لقد توسطت بين النظريتين ثالثة أنكرت الجبر والتفويض معاً وقالت فيما بينهما. وهذه هي نظرية الأمر بين الأمرين التي يتبناها الشيعة الإمامية و يدافعون عنها تبعاً لأنمة أهل البيت عليهم السلام، ومنهم الإمام الصادق، و يعدونها منسجمة مع توحيد الخالقية دون النظريتين الأولىين. إن السمتن في نصوص الإمام الصادق عليه السلام في مناقشتها المكثفة للإتجاهين الجبري والتفويضي، يسهل عليه أن يلاحظ أن هذين الإتجاهين لا يصمدان أمام التمحيص العقلي والمناقشة النقيية قرآناً و سنة. و يتهاويهما يسقط هذا الاستقطاب الذي مزق الفكر الكلامي

(١) من العقيدة إلى التوراة، د. حسن حفي. بيروت ١٩٨٨، ٣/ ١١٧ - ١١٨.

للمسلمين ودفع الأمة الى التختط وساهم في ضياعها وتخلّفها. وبتهاوي الاثنين انفتح الطريق أمام رؤية صافية هي تلك التي تعبّر عنها نصوص أهل البيت بمقولة الأمر بين الأمرين.

والمهم في نصوص الإمام (ع) أنّ مقولة الأمر بين الأمرين ليست تليقاً ساذجاً بين الجبر والتفويض. كلا، ذلك أنّ الجبر والتفويض ليسا تقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولا هما ضدان لا ثالث لهما، بحيث تنبغي الصيرورة داخل أحدهما بالضرورة، بل بينهما منزلة ثالثة هي أوسع مما بين السماء والأرض كما في الحديث الشريف، تهدف أن تطيح بذلك الاستقطاب الوهمي، وتفتح عقل الإنسان المسلم على آفاق رحبية. من هذا المنظور قدمت نصوص الإمام تفسيراً للفعل الإنساني حافظ على العدل والسلطنة معاً، فلم تضع بالعدل من أجل إثبات السلطنة والملك والمشيئة، ولا فرطت بالسلطنة والمشيئة لأجل إثبات الملك.

هذه صورة مختصرة وسريعة للجبر والاختيار بقي الكتاب بعيداً عنها وهو يتحدث عمّا أسماه «الخير والشر والجبر والقدر» حيث لم يول هذه العناوين الأربعة إلا صفحتين<sup>(١)</sup>!

ربّما يُقال إنّ الواقع المعاش قد تجاوز هذه الأمور، ولم يعد يعابها أحد. لكن هذا الكلام غير دقيق لا من جهة الكلام التقليدي ولا من جهة الكلام المعاصر، أو ما يطلق عليه بالكلام الجديد الذي يمسّ قضايا الواقع الاجتماعي في الوقت الحاضر.

(١) الإمام جعفر بن محمد الصادق: ٥٦ فما بعد.

فمن الوجهة المنطقية المحضة يلحظ أنّ للرؤية الأشعرية التي تكاد تكون هي الرؤية السائدة بين أكثرية المسلمين - بما خلا الشيعة - بعد انقراض المعتزلة، آثارها السلبية على منظومة الفكر الإسلامي نفسه وفي الطليعة التوحيد وما يتصل بالعتيدة.

فمع نقض مبدأ السببية و تجميد العلاقة بين الدليل والمدلول يُغلق الطريق لاثبات الصانع (جل وعلا) وإثبات النبوة والكتاب، فلا تصل منظومة الفكر إلى إثبات التوحيد الخالقي حتى بالصياغة الأشعرية ذاتها. معنى ذلك بوضوح أنّ هدم مبدأ السببية والركون إلى العادة يشمل فيما يشمله الرؤية الأشعرية نفسها في موقفها من العقل في دائريته الوجودية والإنسانية، إذ بتعطيل العلاقة بين الدليل والمدلول لا سبيل للأشعرية إلى إثبات موقفها النظري حيال الأفعال.

أما من الوجهة الكلامية، فإنّ هناك تبعات خطيرة ترتبت على المنحنى الجبري و سلب الإنسان مسؤوليته عن فعله، في طليعتها إنكار العدل، وإنكار الحسن والقبح العقليين، و الإيمان بعدم قبح تكليف ما لا يطاق وغير ذلك.

#### العقدي والاجتماعي

حين نستقل إلى المستوى الاجتماعي أو إلى التحليل الكلامي المعاصر فإنّ التبعات المدمرة لنجبر تبدو واضحة في واقع المسلمين و طبيعة علاقتهم مع الطبيعة، كما في وضعهم الاجتماعي والسياسي، خاصة

إذا ما قارنا ذلك بواقع المجتمعات الغربية، فلا ريب أن هناك تفاعلاً متبادلاً بين طبيعة الفكر العقيدي وبين اتجاهات السلوك الاجتماعي، حيث يملئ الفكر العقيدي تأثيرات مباشرة على الفكر الاجتماعي. وسلوك المجتمعات الإسلامية ليس بعيداً عما تتبناه من عقائد وأفكار تدخل في تكوين رؤيتها إزاء الكون والوجود والحياة. كما لا يمكن أن يكون سلوك المجتمعات الغربية منفصلاً عن رؤيتها الفلسفية للكون والوجود والحياة، على رغم ما يشاع في ثقافة الغربيين من ذم للأيدولوجيا وتنصل عن الأيدولوجيات، وما يُقال من اعتماد نهضة القوم على العلم والعقل وإفرازتهما وحسب، إذ أن هذا التوجه المركز إلى العلم والعقل والإعلاء من شأنهما في الحضارة الغربية جاء متأثراً بلا شك برؤية فلسفية تنظر لهذا الاتجاه.

و بقدر ما يتعلق الأمر بمقولة التقدم والتخلف بمعناها المدني، فلا شك أن لطبيعة الرؤية العقيدية التي تصدر منها المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية تأثيرها على المنحى العملي لهذه المجتمعات. غير أن ما يلحظ مع الأسف أن مجتمعات المسلمين تعيش على صعيد هذه المقولة الرؤية الأشعرية، وتعامل من ثم مع الطبيعة من حولها وما تزخر به من إمكانات وطاقات بنظرية جبرية تجمد الفعل الإنساني إزاء الطبيعة وتصدّه عن المبادرة والاكتشاف والإبداع، مما ترك آثاراً فظيعة على الواقع الحاضر الذي يعيش فيه المسلمون، تخلفاً مريعاً يندر بالكارثة، بينما تعيش المجتمعات الغربية في طبيعة علاقتها مع الطبيعة وما فيها

حالة النظرية الاعتزالية التي تؤمن بمبدأ السببية، حيث وهبتهم هذه الفلسفة دفعة إلى الأمام وهي تحثهم على اكتشاف قوانين العالم في مسار راح يتقدم بإطراد من دون توقف، مما كان له تأثيره الكبير على واقعهم الحضاري وما بلغوه.

إن نسبة المسلمين كل شيء إلى الله بالمعنى الأشعري ساهم في تعطيل الفكر الإنساني، و تجميد كثير من الأشياء، مما أفضى إلى تأخر فطبع ساهمت فيه - بلا ريب - عوامل أخرى، لكن بدا وكأن المعنى الديني هو في طبيعة هذه الأسباب.

أما الغربيون فقد انطلقوا في علاقة عنيدة مع الطبيعة توسلوا فيها بكل ما هو متاح، بعيداً عن الدين ورؤيته في هذا المجال، فجاء ما أحرزوه من تقدم مادي هائل على هذا الصعيد في ظل رؤية توحى أنها حصل تم بفعل الاعتماد عن الدين! والحال أن الرؤيتين كليهما خاطئتان. فليس في الإسلام - إذا ما خرجنا عن نطاق الرؤية الأشعرية - ما يمنع من اقتحام الطبيعة، واكتشاف قوانينها، وإحراز التقدم ولو التقدم في مضمارها. كما أن اختزال التقدم بمعناه التقني المادي - كما فعلت المدنية الغربية - واسقاط دور الدين لا يمكن أن يشيد حضارة على المدى البعيد، ولا يقدم للحياة والوجود الإنساني معنى حقيقياً.

المطلوب حركة موازنة تستند إلى فهم مستدير لا يضحي بالدين في سبيل التقدم المادي الإلحادي، ولا يضحي بالمكاسب التي حققها الإنسان في علاقته مع الطبيعة، أو يحرم عليه حق التعامل الاقتصادي



العقلاني الخلاق معها باسم الدين، والدين من ذلك براء!.

على أن التبعات السلبية تتضاعف على المسلمين أكثر كما هو حاصل فعلاً - حينما نضم إليها تلك الآثار الناشئة عن مقولة الفعل الإنساني وتجاذبه بين القضاء والقدر بالمعنى التعطيلي.

لقد كان في خطة هذا المقال متابعة عناوين أخرى مما عرض إليه المؤلف المحترم، ولم يحظ بالتنظية الكافية التي تليق به، مثل القضاء والقدر، ومقولة الشز، وبعض المباحث الأساسية في التوحيد، والأهم من ذلك نظرية الإمامة لكي نلمس من خلال ذلك عمق المنظومة التي تقدمها نصوص الإمام الصادق عليه السلام وغناها على هذا الصعيد، ولكي يترآى للعيان تميز هذه المنظومة ومقدار ما تتحلى به من أصالة إسلامية وعقلانية إذا ما قورنت بسبقية الاتجاهات الفكرية والتيارات المذهبية في واقع المسلمين، لكن طول المقال وضيق الوقت جعلنا نعزف عن ذلك بانتظار فرصة أوفى إن شاء الله، مكتفين بهذين المثالين.

### ٣- التيارات الفكرية الحديثة والإمام

يستوعب هذا الجزء من الكتاب أكثر من نصفه (٩١-٢١٥ صفحة)، ولا أخلنا نبالغ إذا سجلنا أن القيمة الأساسية للكتاب تكمن في هذا القسم، الذي كشف عن إمكانيات الباحث وقدراته الخلاقة في التحليل والمناقشة والنقد، ولا أخفي إعجابي به وإفادتي منه.

لقد استعرض باحثنا المحترم أربعة تيارات فكرية وملهجية قاربت

الإمام الصادق في حياته ونصوصه وأفكاره، وكان لها بالضرورة مواقفها الخاصة من الشيعة والتشيع؛ هذه التيارات هي:

١- التيار العلماني التغريبي، واختار له المثقف المغربي د. محمد عابد الجابري نموذجاً.

٢- التيار السلفي المصري متمثلاً بالأزهر، اختار له الشيخ محمد أبو زهرة نموذجاً.

٣- التيار الاستشراقي الذي أعاد توزيعه على تيارات فرعية خمسة.

٤- التيار الاستردادي-الفلسفي، واختار له علي سامي النشار وأحمد صبحي نموذجاً.

أسجل للحقيقة بأنه يتعذر لي أن أعرض مادة الكتاب وأن أوفي الباحث المحترم جهده الكبير الذي بذله في الفصول الذي خصصها في عرض هذه التيارات المنهجية والفكرية ومناقشة أفكارها، وتحليل البنى المسبقة أو المصادر التي تنطلق منها سلفاً، وتؤطر بها كتاباتها، بحيث لا تكاد تصل إلى نتائج إلا ما تريد أن تصل إليه مسبقاً، ولا تخرج في حصيلة كتاباتها عن رؤاها المسبقة وقواها وقناعاتها التي تؤمن بها سلفاً.

اثبتت هذه الملاحظة لكي لا أغمط الكتاب والكاتب حقهما في الإشارات السريعة التي ستوفينا حيال هذا الجزء من الكتاب، إذ هي إيماءات وحسب؛ لا تغني عن العودة المباشرة إلى مادة الكتاب، وربما أسعفتنا فرصة مستأنفة للعودة إلى ذلك.

١- التيار العلماني - المغربي: ما يفيدده المؤلف المحترم في تحديد هذا التيار، أنه اكتسب سماته الرئيسية التي ميزته على ما سواه من طريقة تعامله مع التراث الإسلامي. فهو يتعامل مع الموروث الإسلامي من وجهة نظر الثقافة الغربية ومقولاتها الفلسفية المباشرة. وهو بهذا يفترق عن الاستشراق وامتداداته المنهجية والفكرية في عالمنا العربي والإسلامي، من ناحية الوسائل المستخدمة في تقييم التراث الإسلامي. فالاستشراق يتبع طريقة النفي المطلق للإسلام، بمعنى افتراضه فساد النظرية قبل الشروع في دراستها لتجنيء الدراسة مجرد بحث عن مكامن الطعن فيها وتجاهل الإيجابيات والحقائق، بينما يدعي التغريبيون العلمانيون أنهم يضمنون المنهج العقلي أساساً لبحوثهم، ليكون العقل والتراث الحضاري الإلأوري المقياس الوحيد. هكذا تبدو تلك البحوث كأنما هي دراسات مقارنة مع انحياز مطلق لكل نتائج الفلسفة الأوروبية دون تحفظ<sup>(١)</sup>.

على كثرة رموز هذا التيار في العالم العربي وكثرة مشاريعه، اختار المؤلف المثقف المغربي د. عايد الجابري ومشروعه عن العقل العربي نموذجاً تطبيقياً للرؤية التغريبية - العلمانية حيال الإمام الصادق والشيعة والتشيع.

بعد ملاحظة على منحى الجابري لم يعد سماعها نشازاً بعد أن كاد يطبق عليها معظم ناقديه، تؤشر إلى نزعتة العرقية التي يصدر عنها في تصنيف البشر وعقولهم، حدد المؤلف ثلاثة منطلقات منهجية لتعاطي

(١) الإمام جعفر الصادق: ٩٢.

التيار التغريبي مع التشيع، هي:

أ: تحميل التراث الإسلامي المكوّن للعقل العربي مسؤولية تراجع الأمة، لكن ليس كل هذا التراث؛ بل تنحصر المسؤولية في تلك الاتجاهات التي تمكنت من الهيمنة وإقالة العقل و احلال الكشف العرفاني بديلاً.

ب: تقع المسؤولية خاصة على الجانب العرفاني من الفكر الإسلامي الذي يعد وليد مدرسة أهل البيت و التشيع؛ فهذا هو الذي دمر الأسس السليمة لبناء العقل العربي و حال دون انتاج المعرفة اللازمة للتقدم.

ج: إن الالتزام بالتراث الإسلامي برمته بما في ذلك الأيدولوجية الإسلامية نفسها، و في قمتها فكرة الألوهة أبرز عطل تدمير الابتكار العلمي في العقل العربي، على أن يتحمل العقل المشرقي مسؤولية خاصة في تعطيل فعالية الفكر العربي، ما أفضى إليه من ركود بل تعطل النشاط العقلي المبدع و دوران هذا العقل في دائرة مغفقة و ساكنة .

العرفان الشيعي و التصوف السني هما الركبتان المكينتان في أزمة العقل العربي، و تصوراتهما مستقاة كلياً من تراث ليس له علاقة بالإسلام؛ هو التراث الفكري المتصل بهرمس. على أرضية هذا الاتصال برزت أفكار الشيعة في الإمامة و الوصاية و منزلة الإمام و المهدي و الغيبة و الانتظار، و كل ما يدخل في تكوين ما يطلق عليه الجابري «العقل المستقيل» أو الموروث اللاعقلاني.

لقد نجح كاتبنا زهير غزاوي في مناقشة الجابري على عدد

المستويات منها ما يرتبط بتمحيص المنهج و مقولاته، ومنها ما يتعلق بمادة الدراسة و نزوعه لانتقائية فجة، بل أكثر من ذلك أثار عدداً من علامات الاستفهام حول أمانته في نقل النصوص، هذه الأمانة التي كانت عرضة للشك من قبل جل جل كل - ناقد الجابري (على حرب وطيب تيزيني وعزيز العظمة مثلاً) قبل أن تتحول إلى مطعن يقيني موثق بالأدلة والأرقام، كما كشف عن ذلك الباحث السوري القدير جورج طرايشي في عمله النقدي الكبير «نقد نقد العقل».

يتساءل الغزالي بذلك: إذا كان ما يثيره الجابري من طعونات عن التشيخ صحيحاً، فلماذا يلجأ إلى المخاتلة في عدم توجيه التهمة إلى الإسلام نفسه، و إلى النبي والرسول و الرسالة و إلى القرآن، مادامت حيثيات الاتهام هي هي، و ما دام النصان القرآني والنبوي مملوئين ببصمات الهرمية و استقالة العقل بحسب معايير الجابري<sup>(١١)</sup>

و أخيراً يختم باحثنا نقاشه للجابري بفقرة ذات مغزى ترتبط بجذلية التقدّم و التخلف في الحضارة العربية الإسلامية، مشيراً إلى فشل نظريات العامل الواحد في تفسير الشهود و الأقول الحضاري معاً حتى ولو كان هذا العامل من نوع «العقل المستقيل» حسب الجابري<sup>(١٢)</sup>.

٢ - التيار السلفي المصري: بمدّ تحديدات سريعة في معنى السلفية والمراد منها، اختار مؤلفنا الشيخ محمد أبو زهره كتابه «الإمام الصادق

(١١) الإمام جعفر الصادق: ١١٣.

(١٢) المصدر السابق: ١١٦-١١٨.

حياته وعصره و آراؤه الفقهية» نموذجاً لهذا التيار. يمكن القول باطمئنان إن هذا الفصل ضم بين دفتيه إحدى أبرز النقاط المتألفة في الكتاب، من حيث ما توفر عليه الكاتب من مقدرات في تحليل النصوص والأفكار والكشف عن مراميها.

نبصر ببساطة أنّ أبا زهرة يعمد إلى ممارسة منهج النفي ذاته الذي يلجأ إليه المستشرقون في دراساتهم لأئمة أهل البيت وللتشيع و ما يتصل به، كما ينجأ إلى الفصل أيضاً ليصل على أساسهما -النفي والفصل- إلى القناعات التي يريد. أول ما يبرز من سمات النفي رفض أبو زهرة التعاطي مع كتاب «الكافي» للكليني كمصدر لدراسة سيرة الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك الكتب الثلاثة الأخرى التي تؤلف مع «الكافي» الكتب الأربعة! كما ينفي أن يكون الإمام عليه السلام قد سعى إلى تكوين مذهب إسلامي. لينتهي إلى نتيجة مؤداها أنّ ما لدى تلامذته الثقات كمالك وأبي حنيفة هو ما كان لديه، وبذلك ليس هناك حقيقة للإمام الصادق بعيداً عن تلميذيه هذين!

عندما يطال الطعن الكافي، والكتب الأربعة برمتها، و عندما يطعن أبو زهرة بتلاميذ الإمام و خاصته، فسيكون من الطبيعي أن ينتهي إلى النتيجة التي يقول فيها: «ليس للإمام جعفر فقه مستقل عن فقه الأئمة الأربعة سواه»<sup>(١)</sup>؛ ولن يعدو الإمام في نطاق هذه الرؤية أن يكون مجتهداً و حسب إلى جوار من سواه من المجتهدين: «لا يكون ما يرويه الرواة

(١) الإمام الصادق حياته وعصره و آراؤه الفقهية، أبو زهرة: ٢٥٦ نقلاً عن الفزاري: ١٢٩.

من أهل السنة عن الإمام مذهباً فقهياً لأنه روايات متناثرة، فمجموع ما يروى لا يكون مذهباً، ولكن يجعل صاحبه في مرتبة كبارالمجتهدين»<sup>(١)</sup>

أما في الجانب العقيدي فستكون النتيجة معروفة، فلا مكان للإمامة والعصمة و العلم الخاص بالوراثة عن النبي أو بالإلهام، وإن هذه جميعاً هي من صنع الغلاة السنية والكيسانية والخطابية و من تأثيرات اليهودية غير عبد الله بن سبأ، إلى آخر المعروفة والمعروفة، من دون أن ينسى الشيخ أبو زهرة أن يعرج على الكوفة فيكيل لها الدم والهجاء مضاعفاً، ويحملها مسؤولية ذلك كله وهو يقول: «كانت الكوفة وما وراءها مكاناً تأوي في ظلامه تلك الآراء التي تتولد في أخيلة مريضة قد أصابها درن المجوسية و الوثنية القديمة و درن الفساد، فكانوا في اعتقادهم بالنه حشوية يأخذون بظاهر الألفاظ، وكانوا وثنيين بالنسبة للأئمة واعتقدوا بأنهم آلهة ... كل ذلك ألقى عبثاً على الباقر والصادق»<sup>(٢)</sup>

بعد جولة من النقاش يخلص الغزوي إلى نتيجة لموقف التيار السلفي من خلال كتاب أبي زهرة، يقول فيها: «التيار السلفي الإسلامي يبدو من خلال هذا الكتاب مجموعة مقولات دغمائية لا تتصل بالمنطق والعقل بأية صلة. ولهذا لم يقدم للإسلام خدمات تذكر في مجال المستجدات و حتى في سبيل الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإمام الصادق حياته و عصره و آراؤه الفقهية، أبو زهرة: ٢٤٥.

(٢) المصدر السابق: ١٦٤.

(٣) الإمام جعفر الصادق، الغزوي: ١٤٢.

٣- التيار الاستشراقي: لقد تناوله د. غزاوي على نحو ممتع و مفيد، حين وزعه وفاقاً للهيكلية التالية:

أ: التيار الإسلامي الذي يضم من اعتنق الإسلام من المستشرقين، و يعرض كمتال مراد هوفمان عبر كتابه «الإسلام كبديل».

ب: التيار اليهودي و يأخذ كمتال له المستشرق المجري جولتسيهر عبر كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام».

ج: التيار المسيحي الليبرالي، و يأخذ كمتال له الفرنسي هنري كوربان عبر كتابه «الشيعة الاثني عشرية»، و الأمريكي برنارد لويس عبر كتابه «الإسلام والغرب». ثم يضيف لهما ثالثاً هو الفرنسي دومينك سورديل عبر كتابه «الإسلام».

د: التيار المسيحي الأصولي الذي درسه عبر أعمال الألماني يوليوس فلهوزن و الفرثسي هنري ماسية.

هـ: التيار الماركسي؛ و قد تناوله عبر أعمال المستشرق الروسي بطروشوفسكي عبر كتابه «الإسلام في إيران»، وكذلك من خلال معهد الاستشراق الروسي. وكانت اشارة ذات مغزى أن يسجل الغزاوي بأن السياسي الروسي المعروف بريماكوف هو من أركان الاستشراق الروسي ذي الميول الصهيونية!

٤- التيار الاستردادي الفلسفي: تناول فيه مؤلفنا أعمال د.علي سامي النشار و د.أحمد صبحي في كتبهم المشهورة: «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، «نشأة التشيع و تطوره» و «نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: تحليل فلسفي للعقيدة». يمهّد المؤلف المحترم لدراسة أعمال



هؤلاء بإشارة إلى المناهج المستخدمة من قبل هذين الباحثين، ثم يعطف إلى تحليل أبرز المرتكزات التي انتظمت كتابتهما، وهي منهج النفي، الفصل المتعسف، نظرية المهديّة، نظرية عبد الله بن سبأ، وأخيراً إغفال المراجع، ليناقشها واحداً تلو الآخر.

أقول صادقاً؛ كم كان بوذي أن استعرض هذا القسم من الكتاب الذي بذل فيه المؤلف جهوداً كريمة في المتابعة والتحليل والمناقشة، وهو يستعرض مختلف التيارات في سبيل تعاطيها مع حياة الإمام الصادق عليه السلام بخاصّة والشيع والشيعة بعامة، لكنّ الضيقين معاً الوقت والحيز المتاح حالاً دون ذلك.

اكتفي بالإشارة مجدداً إلى أنّ قيمة كتاب «الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي» إنما تكمن بهذا القسم منه، الذي أرجو أن يتال عناية الباحثين والدارسين، وأن يأخذ المؤتمر الموقر على عاتقه إعادة طبعه في حروف جديدة غير الحروف الموجودة فعلاً - التي تؤذي العين وتبعث على التعب والملالة - ويُنسَر سبل انتشاره، كلّ ذلك من خلال الاتصال بالمؤلف المحترم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جواد علي كتّاب

(خالد توفيق)

الجمعة / ٧ صفر / ١٤٢٢ هجرية

## الغزير، التفصيلي

١ - مقدمة الهيئة العلمية للمؤتمر ..... ٥

١ - قيادة الإمام الصادق عليه السلام / قائد النور الإسلامية آية الله السيد الخايمي (دام ظلّه)

المدخل: ..... ١٣

النظرة الأولى ..... ١٣

النظرة الثانية ..... ١٦

النظرة الثالثة ..... ١٩

المسيرة العامة لحياة الأئمة المعصومين ..... ٢٠

مراحل مسيرة الإمامة ..... ٢٤

موقف الامام السجاد عليه السلام ..... ٢٨

حياة الامام الباقر عليه السلام استمرار منطقي لحياة الامام السجاد عليه السلام ..... ٣٤

قيادة الامام الصادق عليه السلام ..... ٤٩

معالم حياة الامام الصادق عليه السلام ..... ٥٦

مستودع السر ..... ٨٧

الباب والوكيل ..... ٨٩

٢ - مختصات الإمام الصادق عليه السلام وانجازاته / آية الله السيد محمد باقر الحكيم

الأدوار المشتركة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ..... ٩٦

مختصات الإمام الصادق عليه السلام ..... ٩٩

انجازات الإمام الصادق عليه السلام ..... ١٠٦

٣- حياة الإمام الصادق عليه السلام وقبس من أخلاقه وآدابه / الدكتور محمد حسن تيرانيان

١١٩	المقدمة.....
١٢٨	شخصيته وأخلاقه.....
١٣٩	المصادر.....

٤- لمحات من قيادة الإمام الصادق عليه السلام للأمة / الدكتور السيد علاء الجوادى

١٤٣	انتشيع والإسلام.....
١٤٥	مسيرة التشيع.....
١٤٦	نظرة في الفرق الشيعية.....
١٥٤	الحفاظ على سلامة الرسالة الإسلامية.....
١٥٥	الأئمة وطرح الإسلام.....
١٥٦	طرح العلم.....
١٥٦	مكافحة التحريف والمحرّفين.....
١٥٩	حرب الأئمة للتحريف العقائدي لغير المسلمين.....
١٥٩	الإمام الصادق والزنادقة.....
١٦١	تربية الأئمة للأمة.....
١٦٢	الأئمة وتربية الخواص من أبناء الأمة.....
١٦٨	الأئمة مثال صالح لأبناء الأمة.....
١٦٩	دعوة الأمة للالتزام بالقيادة الشرعية.....
١٧٣	الأئمة والتصدي السياسي.....
١٨١	الإمام الصادق ومقاطعة الظالمين.....
١٨٥	الأئمة وبناء جهاز المرجعية.....
١٨٦	الأئمة ومستقبل المسيرة.....
١٨٨	خلاصة البحث.....

### ۵- الإمام الصادق عليه السلام يقود الثورة الفكرية / السيد صدر الدين القبانجي

- ۱۹۳ ..... الإمام الصادق عليه السلام يقود الثورة الفكرية.
- ۱۹۴ ..... ثلاثة خطوط في اتجاه واحد
- ۱۹۸ ..... خلفيات الثورة الفكرية
- ۲۰۰ ..... لماذا كانت ثورة فكرية؟
- ۲۰۱ ..... الثورة ماذا تعني؟
- ۲۰۲ ..... مكونات الواقع الإسلامي
- ۲۰۲ ..... ۱- الصورة السياسية
- ۲- الروح الجهادية ..... ۲-۴
- ۳- الخطر انتفاهي ..... ۲۰۵
- التحرك على الصعيد السياسي: ..... ۲۰۶
- الخط الأول: مقاطعة سلاطين الجور ..... ۲۰۶
- الخط الثاني: تأييد الحركات الثورية النسيمة ..... ۲۰۷
- الخط الثالث: الدعوة للإلتزام مبدأ التقيية ..... ۲۰۸
- الخط الرابع: ربط القواعد المؤمنة بالإمامة الشرعية الصحيحة ..... ۲۰۸

### ۶- المنهج الاصلاحی عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام / السيد عبدالرحيم الموسوي

- ۲۱۱ ..... المنهج الاصلاحی عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام
- أولاً: الإمام جعفر الصادق عليه السلام يلاحظ واقع الأمة مظهراً ومحتوى ..... ۲۱۴
- ثانياً: مستقبل الأمة المحتمل وقوعه لولا تدخل الإمام ..... ۲۲۲
- ثالثاً: الخيارات والحلول الاصلاحية المطروحة في زمن الإمام الصادق عليه السلام ..... ۲۲۵
- رابعاً: التطبيقات العملية لمنهج الإمام جعفر الصادق عليه السلام ..... ۲۳۵
- خامساً: مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعلاقتها بمنهج الإمام الاصلاحی ..... ۲۴۴

## ٧- جامعة الإمام الصادق عليه السلام / الدكتور محمد المنصور

٢٥٧	المقدمة.....
٢٥٧	الأوضاع العلمية و الحضارية في عصر الإمام عليه السلام.....
٢٥٨	أسباب نهوض الإمام بالجامعة.....
٢٦٠	الجامعة الإسلامية للإمام الصادق عليه السلام.....
٢٦٢	شهادات العظماء لها: (للجامعة العلمية و مؤسستها).....
٢٦٥	من خريجي جامعة الإمام الصادق.....
٢٦٧	قسم الكيمياء في جامعة الإمام الصادق عليه السلام.....
٢٦٨	رئاسة قسم الكيمياء في الجامعة.....
٢٧٠	المصادر و المراجع.....

## ٨- الإمام جعفر الصادق عليه السلام في مواجهة التيارات الفكرية الزائفة / فضيلة الشيخ جعفر الهادي

٢٧٥	الوضع العقائدي قبل الإسلام.....
٢٧٦	النظام العقائدي أول ما طرحه الإسلام.....
٢٧٧	تردي الوضع العقائدي في مطلع القرن الثاني.....
٢٨١	أبرز الاتجاهات الفكرية الزائفة في مطلع القرن الثاني.....
٢٨٥	الإمام الصادق في مواجهة الجبرية.....

## ٩- الدوافع السياسية وراء نشوء المذاهب والفرق ومواجهة الإمام الصادق عليه السلام لها، المرجحة نموذجاً / مؤيد العبيدي

٢٩٩	المدخل.....
٢٩٩	أسباب نشوء الفرق في مقابل مدرسة أهل البيت عليه السلام.....
٣-٤	دور أئمة أهل البيت عليه السلام تجاه هذا الانحراف.....
٣٠٦	الموقف المبدي الحاسم للإمام الصادق عليه السلام تجاه السلطات الجائرة.....
٣١٠	مواجهة الإمام الصادق عليه السلام للفرق والمذاهب المنحرفة.....
٣١٢	الدوافع السياسية وراء نشوء بعض الفرق والمذاهب «المرجحة نموذجاً».....
٣١٨	الإمام الصادق عليه السلام في المواجهة مع مذهب الأرجاء.....

١٠- تأملات في حديث الإمام الصادق عليه السلام لعنوان البصري / الشيخ محمد مهدي الأمفي

- ٣٢٥ ..... عنوان البصري مع الإمام الصادق عليه السلام
- ٣٢٧ ..... قصة عنوان البصري مع الإمام الصادق عليه السلام
- ٣٢٩ ..... العلم والمعرفة
- ٣٣٠ ..... العلاقة بين المعرفة والخشية
- ٣٣٢ ..... العلاقة التبادلية بين المعرفة والسلوك
- ٣٣٤ ..... روافد المعرفة
- ٣٣٤ ..... الرافد الأول: (اطلب في نفسك حقيقة العبودية)
- ٣٣٦ ..... الرافد الثاني (اطلب العلم بأستعماله)
- ٣٣٩ ..... الرافد الثالث: (استقهم الله يفهمك)
- ٣٤٠ ..... حقيقة العبودية
- ٣٤٨ ..... التفويض
- ٣٥٢ ..... أثر التفويض في سلوك الإنسان
- ٣٥٤ ..... أول العلم وآخره
- ٣٥٦ ..... المرحلة الأخيرة من المعرفة
- ٣٥٩ ..... المراحل المتوسطة
- ٣٦٢ ..... جملة اشتغاله فيما أمره الله به
- ٣٦٤ ..... خطبة المتقين

١١- الإمام الصادق عليه السلام بين التأسيس السوفي والتأسيس السياسي / حنان عبد الحميد

- ٣٦٧ ..... تمهيد
- ٣٦٩ ..... الصادق والتصوف
- ٣٧٧ ..... الصادق والتأسيس السياسي
- ٣٨٢ ..... وحدة الأمة
- ٣٨٥ ..... الخطاب السياسي

١٢- موقف الإمام الصادق عليه السلام من الثورات في عصره / جواد جميلموقف الإمام الصادق عليه السلام من الثورات في عصره ..... ٣٩١١٣- غيبة الإمام المهدي في فكر الإمام الصادق عليه السلام / السيد تامر العميدي الحسيني

المقدمة ..... ٤٠٧

أولاً - تبييت أصل القضية ..... ٤٢٦

ثانياً - بيان حكم من أنكر هذا الأصل ..... ٤٢٧

ثالثاً - تأكيد وقوع الغيبة ..... ٤٢٨

رابعاً - الوصية بعدم إنكار الغيبة عند وقوعها والنهي عن الاعتراف ولزوم

التصديق ..... ٤٣٠

خامساً - وجوب اثبات على الولاية في زمن الغيبة ..... ٤٣٠

سادساً - التصريح بطول غيبة الإمام المهدي عليه السلام ..... ٤٣٢

سابعاً - الحدّ على انتظار الإمام المهدي في زمان غيبته، ومدح

المنتظرين له عليه السلام ..... ٤٣٣

ثامناً - الكشف عن حال الناس في زمان انغيبة ..... ٤٣٤

تاسعاً - تصريح الإمام الصادق عليه السلام بالغيبين (الصغرى والكبرى) ..... ٤٣٦عاشراً - في الإمام الغائب سنن من الأنبياء عليهم السلام ..... ٤٣٩الحادي عشر - هوية الإمام الغائب عليه السلام ..... ٤٤١

فهرست المصادر ..... ٤٤٧

## ١٤ - مشاهد من همق التاريخ والإنسان / كمال السيد

٤٥٩	.....	في البدء:
٤٦٢	.....	المتشهد الأول
٤٦٥	.....	المتشهد الثاني
٤٦٩	.....	المتشهد الثالث
٤٧٢	.....	المتشهد الرابع
٤٧٥	.....	المتشهد الخامس
٤٧٨	.....	المتشهد السادس
٤٨١	.....	المتشهد الأخير
٤٨٣	.....	مشهد ما قبل الرحيل

١٥ - الإمام الصادق عليه السلام من وجهة نظر رؤساء المذاهب الأربعة / عثمان رادبي

٤٨٧	.....	المدخل:
٤٨٩	.....	أبو حنيفة
٤٩٠	.....	مالك بن أنس
٤٩١	.....	أقوال العلماء الآخرين في الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٤٩٤	.....	المصادر

١٦ - الإمام جعفر الصادق عليه السلام وموقف البخاري من رواياته / نجم الدين الطيبي

٤٩٧	.....	الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> وموقف البخاري من رواياته
٤٩٨	.....	الثناء العاطر على الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٥٠٣	.....	الرايون عن الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٥٠٥	.....	تخلف البخاري



- ٥٠٦..... تبرير ابن تيمية موقف البخاري.....
- ٥٠٦..... مناقشة هذا التبرير.....
- ٥١٠..... نماذج من رواية البخاري عن الخوارج.....
- ٥١٢..... نماذج من رواية البخاري عن النواصب.....
- ٥١٤..... المصادر.....

#### ١٧- قراءة في كتاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة / السيد عبدالرحيم الموسوي

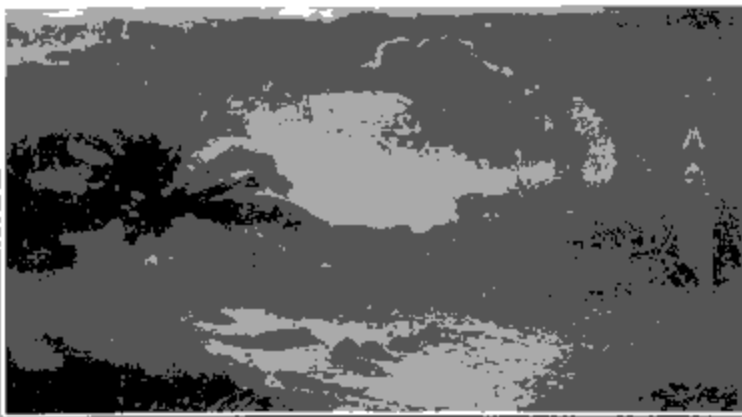
- ٥١٩..... قراءة في كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.....
- ٥٢٠..... أولاً: منهج البحث.....
- ٥٢١..... ثانياً: إبداعات الكاتب ونكاته العلمية.....
- ٥٢٣..... ثالثاً: لغة الكاتب وعرضه الفني.....

#### ١٨- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بين الحقيقة والنفي / خالد توفيق

- ٥٢٩..... الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بين الحقيقة والنفي.....
- ٥٣٠..... ١- المقدمات التمهيدية.....
- ٥٣٧..... ٢- المنظومة الفكرية.....
- ٥٥٠..... ٣- التيارات الفكرية الحديثة والإمام.....

- ٥٥٩..... الفهرست التفصيلي.....





المجمع العالمي للإصلاح والتبليغ

[www.ahl-ul-bait.org](http://www.ahl-ul-bait.org)

ISBN: 964-7756-51-8

